تفسير الصافي

تأليف

فيلسوف الفقهاء، وفقيه الملة، أستاذ عصره

ووحيد دهره، المولى محسن الملقب بـ "الفيض الكاشاني"

المتوفى سنة ١٠٩١ هـ

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

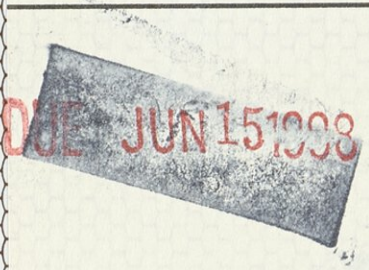

تفسير الصافي

٢

اسم الكتاب ـ تفسير الصافى ج /٢

المؤلف ـ محمد محسن الشهير بالفيض الكاشانى

المطبعة ـ مطبعة سعيد مشهد تلفون ٤٤٠٧٥

الناشر ـ دار المرتضى للنشر

عدد النسخ ـ ٢٠٠٠ نسخة

الطبع ـ الطبعة الأولى

M. Fayḍ al-Kāshī

تفسير الصافي

تأليف

فيلسوف الفقهاء، وفقيه الفلاسفة، أستاذ عصره
ووحيد دهره، المولى محسن الملقب بـ "الفيض الكاشاني"
المتوفى سنة ١٠٩١ هـ

الجزء الثاني

2273
.6663
1979
ج٢ 2

الطبعة الثانية

جميع حقوق الطبع والتصوير على هذه الطبعة المزودة
بالتعاليق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

سورة المائدة

هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد، وقيل هي مدنية كلها الا قوله : ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾ فإنه نزل في حجة الوداع وهي مأة وعشرون آية

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ .

القمّي عن الصادق عليه السلام أي بالعهود .

أقول : الايفاء والوفاء بمعنى والعقد العهد الموثق ويشمل هٰيهنا كلّ ما عقد الله علىٰ عباده والزَمَهُ إيّاهم من الايمان به وبملائكته وكتبه ورسله وأوصياءِ رسله وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاتيان بفرائضه وسنّته ورعاية حدوده وأوامره ونواهيه وكلّ ما يعقده المؤمنون على أنفسهم للهِ وفيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات الغير المحظورة .

والقميّ عن الجواد عليه السلام أنّ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عقد عليهم لعليّ بالخلافة في عشر مواطن ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعقود التي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعامِ** قيل إضافة بيان أريد بها الأزواج الثمانية[1] والمستفاد من ظاهر الأخبار أن بيان حل الأنعام في آيات أُخر.

والمراد هنا بيان حلّ الأجنّة التي في بطونها.

ففي الكافي والتهذيب والفقيه والعياشي عن أحدهما في تفسيرها الجنين في بطن أمّه إذا أشعر وأوبر فذكاته ذكاة أمّه.

---

١ - الأزواج الثمانية المعز والضّان والبقر والإبل ذكرها وانثاها ويأتي ما يبيّن هٰذا.

وزاد في الكافي والقميّ فذٰلِك الذي عنى الله عزّ وجلّ به .

وفي رواية وإن لم يكن تامّاً فلا تأكله والعياشي عن الباقر عليه السلام هي الأجنّة التي في بطون الأنعام وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر ببيع الأجنّة .

أقول : لعل هذا يكون أحد معانيها .

ويحتمل أن يكون المراد بهذه الأخبار بيان الفرد الأخفى أو يكون تحديد الأوّل تسميتها بالبهيمة وحلّها فلا ينافي التعميم مع أنه نصّ في حلّ الأم .

والعياشي عنه عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام سئل عن أكل لحم الفيل والدّب والقرد فقال ليس هٰذا من بهيمة الأنعام الّتي تؤكل **إِلاَّ مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ** تحريمه **غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** قيل يعني أحلّت لكم في حال امْتِنَاعكُمْ مِنَ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ مُحرمُونَ لئلاّ يتحرج عليكم .

أقول: وهو لا ينافي عموم حلها سائر الأحوال **إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** من تحليل وتحريم .

(٢) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَآئِرَ اللهِ** لا تتهاونوا بحرمات الله جمع شعيرة وهي ما جعله الله شعار الدين وعلامته من أعمال الحج وغيرها **وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ** بالقتال فيه(١)

في المجمع عن الباقر عليه السلام نزلت في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم .

أقول : يعني حين قدم حاجّاً وأراد المسلمون قتله في أشهر الحرم لكفره وبغيه وكان قد استاق سرح (٢) المدينة قيل هي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .

---

١ ـ والشهر الحرام إما خصوص شهر الحجّ او جنس يشمل الأشهر الحرم جميعاً وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

٢ ـ السّرح كالقتل متعديا بمعنى الإرسال والإخراج وغيرهما ولازماً بمعنى السير في السّهلة والمراد هنا أراد السّير الى المدينة .

وفي المجمع عنه عليه السّلام لم ينسخ من هذه السورة شيء ولا من هذه الآية لأنّه لا يجوز أن يبتدىء المشركون في الأشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا **وَلَا الْهَدْيَ** [1] ما أهدى إلى الكعبة **وَلَا الْقَلَائِدَ** ما قلّد به الهدي من نعل قد صلى فيه أو غيره ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له **وَلَا آمِّينَ** [2] **الْبَيْتَ الْحَرَامَ** قاصدين لزيارته **يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا** أن يثيبهم من فضله ويرضى عنهم أو يرزقهم بالتجارة ويرضي عنهم بنسكهم بزعمهم والمقصود النهي عن التعرّض لهؤلاء وقرىء رضواناً بضمّ الراء **وَإِذَا حَلَلْتُمْ** من احرامكم **فَاصْطَادُوا** ان شئتم **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ** [3] ولا يحملنكم ولا يكسبنكم **شَنَآنُ قَوْمٍ** شدة بغضهم وعداوتهم وقرىء بسكون النون **أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** لأن صدّوكم يعني عام الحديبية وقرىء بكسر الهمزة **أَنْ تَعْتَدُوا** بالانتقام **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ** على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** للتشفي والانتقام **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** فانتقامه أشدّ.

(٣) **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ** بيان لما يتلى عليكم **وَالدَّمُ** أي المسفوح منه لقوله تعالى أو دماً مسفوحاً قيل كانوا في الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها **وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ** وأن ذكي وإنما خصّ بالذّكر دون الكلب وغيره لاعتيادهم أكله دون غيره **وَمَا أُهِلَّ** رفع الصّوت **لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** كقولهم باسم اللاّت والعزّىٰ عند ذبحه **وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ** [4] **وَالْمُتَرَدِّيَةُ** [5] **وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ** في العيون عن الباقر عليه السلام في تفسيرها الميتة والدّم ولحم الخنزير معروف وما اهلّ لغير الله به يعني ما ذبح للأصنام وامّا المنخنقة فانّ المجوس كانوا لا يأكلون الذّبايح ويأكلون الميتة وكانوا يخنقون بالبقر والغنم فاذا انخنقت وماتت

---

١ ـ والهدي ما أهدى الى البيت وتقرب به إلى الله من النّسك وهو جمع هدية كجدي وجدية والقلائد جمع قلادة.

٢ ـ أي القاصدين زيارة البيت والحج والعمرة وإحلال هذه الأشياء ان يتهاون بحرمتها فتضيّع.

٣ ـ وجَرَم مثل كسب في التعدية الى واحد واثنين تقول جَرَم ذنباً وجرمته ذنباً وكسب شيئاً وكسبته اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا.

٤ ـ وقذه يقذه وقذاً ضربه حتى استرخى واشرف على الموت ومنه شاة موقوذة للّتي وقذت بالخشب.

٥ ـ المتردّية الّتي تردّت وسقطت من جبل أو حائط او في بئر وما يدرك ذكاته.

أكلوها والموقوذة كانوا يشدّون أرجلها ويضربونها حتى تموت فاذا ماتت أكلوها والمتردّية كانوا يشدّون أعينها ويلقونها من السّطح فاذا ماتت أكلوها والنّطيحه[1] كانوا يناطحون بالكباش[2] فاذا مات أحدها أكلوه وما أكل السّبع الاّ ما ذكّيتم فكانوا يأكلون ما يأكله الذّئب والأسد فحرّم الله ذلك وما ذبح على النّصب كانوا يذبحون لبيوت النّيران وقريش كانوا يعبدون الشّجر والصّخر فيذبحون لها وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق قال كانوا يعمدون الى الجزور[3] فيجزونه عشرة أجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السّهام فيدفعونها إلىٰ رجل وهي عشره سبعة لها انصباء وثلاثة لا أنصباء لها فالّتي لها انصباء فالفذ والتّوأم والمسبل والنّافس والحِلس والزقيب والمعلّى فالفذ له سهم والتوأم له سهمان والمسبل له ثلاثة أسهم والنّافس له أربعة أسهم والحلس له خمسة أسهم والزّقيب له ستّة أسهم والمعلّى له سبعة أسهم والّتي لا انصباءَ لها السّفيح والمنيح والوغد وثمن الجزور[3] على من لم يخرج له من الأنصباءِ شيء وهو القمار فحرّمه الله .

والقميّ مثله .

وفي الفقيه والتّهذيب عن الجواد عليه السلام ما يقرب منه الاّ أنّه قال والموقوذة الّتي مرضت ووقذها المرض حتى لم تكن بها حركة قال عليه السلام وكانوا في الجاهلية يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح ثمّ ذكر أسماءها السبعة والثّلاثة كما ذكر قال فكانوا يجيلون السّهام بين عشرة فمن خرج باسمه سهم من الّتي لا انصباء لها أُلزم ثلث ثمن البعير فلا يزالون كذلك حتّىٰ تقع السّهام الثّلاثة الّتي لا انصباء لها الىٰ ثلاثة منهم فيلزمونهم ثمن البعير ثمّ ينحرونه ويأكله السّبعة الّذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً فلمّا جاء الاسلام حرّم الله تعالىٰ ذكره ذلك فيما حرّم فقال عزّ وجلّ وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق يعني حرام .

---

١ ـ نطحه نطحاً أصابه بقرنه .

٢ ـ الكبش فحل الضّأن في أيّ سنّ كان .

٣ ـ الجزور بالفتح وهي من الإبل خاصّةً ما كمل خمس سنين ودخل في السّادسة يقع على الذكر والأنثى والجمع جُزُر كرسُول ورُسُل .

أقول : معنى تجزيته عشرة أجزاء اشتراؤه فيما بين عشرة أنفس كما ذكر في حديث الجواد عليه السلام لا تجزية لحمه والأنصباء جمع نصيب والفذّ بالفاءِ والذّال المعجمة المشدّدة .

والتّوأم بالتّاءِ المثنّاة الفوقانيّة والهمزة والمُسبل كمُحسن بالسّين المهملة والبـاءِ الموحّدة والنّافس بالنّون والفاءِ والسّين المهملة والحِلس بكسر الحاءِ وسكون اللّام والسّين المهملة وقد يحرّك والزّقيب بالزّاي والقاف على وزن فعيل والمعلىٰ بضمّ الميم وسكون العين وفتح اللّام والسّفيح بالسّين المهملة والفاءِ والحاءِ المهملة على وزن فعيل كالمنيح بالنّون والحاءِ المهملة .

والوغد بالواو والغين المعجمة والدّال المهملة وقيل معنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسّم لهم بالأقداح يعني السّهام وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربّي وعلى آخر نهاني ربّي وعلى الثّالث غفل فان خرج الأمر مضوا على ذلكِ وان خرج الناهي تجنّبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانياً .

وفي بعض الأخبار إيماء إلى ذلك كما يأتي في أواخر السّورة ويمكن التّوفيق بالتّعميم وقوله تعالى الاّ ما ذكّيتم يرجع الى ما تقدم ذكره من المحرّمات سوى ما لا يقبل الذّكاة من الخنزير والدّم كذا في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام والعيّاشي عن الرّضا عليه السّلام المتردّية والنّطيحة وما أكل السّبعُ اذا ادركت ذكاته فكله .

وفي المجمع عَن الباقر والصّادق عليهما الصّلاة والسّلام انّ أدنى ما يدرك به الذّكاة أن يدركه وهو يحرّك أذنه أو ذَنَبه أو يطرف عينيه .

وفي الكافي عن الصّادق عليه السّلام في كتاب عليّ عليه السّلام إذا طرفت العين أو ركضت الرّجل أو تحرّكت الذّنب فكُلْ منه فقد أدركت ذكاته وفي معناه أخبار آخر **اليَوْمَ** الآن **يَئِسَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وترجعوا منه إلى الشرّك .

القميّ قال ذلك لمّا نزلت ولآية أمير المؤمنين عليه السّلام **فَلاَ تَخْشَوْهُمْ** أن يظهروا

على دين الإسلام ويردّوكم عن دينكم **وَاخْشَوْنِ** ان خالفتم أمري ان تحلّ بكم عقوبتي **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلام دِيناً** في المجمع عنهما عليهما السّلام انّما نزل بعد أن نصب النّبي صلىّ الله عليه وآله عليّاً صلوات الله عليهما علماً للأنام يوم غدير خمّ عند منصرفه عن حجّة الوداع قالا (ع) وهي آخر فريضة أنزلها الله ثم لم تنزل بعدها فريضة .

وفي الكافي عن الباقر الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرىٰ وكان الولاية آخر الفرايض فأنزل الله اليوم أكملت لكم دينكم قال لا أنزل بعد هٰذه فريضة قد أكملت لكم الفرائض.

والعياشي والقميّ عنه مٰا يقرب منه .

أقول : انّما أكملت الفرائص بالولاٰية لأنّ النّبي صلّى الله عليه وٰآله أنهىٰ جميع مٰا استودعه الله من العلم إلىٰ عليّ صلوٰات الله عليه ثمّ الىٰ ذريّته الأوصياء وٰاحداً بعد وٰاحد فلمّا أقامهم مقٰامه وتمكّن النّاس من الرّجوع اليهم في حلالهم وحرٰامهم واستمرّ ذٰلك بقيٰام وٰاحد به بعد وٰاحد كمل الدّين وتمّت النّعمة انشاء الله وقد ورد هٰذا المعنىٰ بعينه عنهم عليهم السّلام ويأتي مٰا يقرب منه في خطبة الغدير **فَمَنِ اضْطُرَّ** متصل بذكر المحرّمٰات ومٰا بينهما اعتراض والمعنىٰ فمن اضطرّ الىٰ تنٰاول شيء من هٰذه المحرّمٰات **فِي مَخْمَصَةٍ** في مجٰاعة **غَيْرَ مُتَجَانِفٍ** غير مٰايل **لِإِثْمٍ** .

والقمي عن البٰاقر عليه السّلام غير متعمّد الإثم .

أقول: وذٰلك بأن يأكلهٰا تلذّذاً أو مجاوزاً حد الرخصة وهٰذا كقوله سبحانه غير بٰاغ ولا عاد.

وقد مضىٰ تفسيرهٰا في سورة البقرة **فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** لا يؤاخذه بأكله .

(٤) **يَسْأَلُونَكَ مٰا ذٰا أُحِلَّ لَهُمُ** كأنّهم لمّا تلى عليهم مٰا حرّم عليهم سألوا عمّا أحلّ لهم **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** قيل مٰا لم يستخبثه الطّبٰاع السّليمة ولم تتنفّر عنه **وَمٰا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ** أي صيدهنّ وهي كواسب الصّيد على أهلهٰا من السّبٰاع والطّير **مُكَلِّبِينَ** مؤدّبين لهٰا والمكلّب مؤدّب الجوارح ومغريهٰا بالصّيد مشتقّ من الكلب .

في الكافي والتهذيب عن الصّادق عليه السلام في كتاب عليّ عليه السّلام في قول الله تعالىٰ وما علّمتم من الجوارح مكلّبين قال هي الكلاب.

وعنه عليه السّلام إذا أرسلت بازاً أو صقراً أو عقاباً فلا تأكل حتىٰ تدركه فتذكّيه وان قتل فلا تأكل .

وعنه عليه السلام وقد سئل عن ارسال الكلب والصّقر فقال وامّا الصّقر فلا تأكل من صيده حتّىٰ تدرك ذكاته وأمّا الكلب فكل منه إذا ذكرت اسم الله عليه أكل الكلب منه أو لم يأكل وفي معناهما أخبار كثيرة **تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ** الهمكم من طرق التّأديب وفسرّ أدبه باتّباع الصّيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساكه عليه الصّيدفي الكافي عن الباقر عليه السّلام ما قتلت من الجوارح مكلّبين وذكرتم اسم الله عليه فكلوا من صيدهن وما قتلت الكلاب التي لم تعلّموها من قبل. أن تدركوه فلا تطعموه .

وفي الكافي والفقيه والتّهذيب عن الصّادق عليه السّلام قال في صيد الكلب إن أرسله صاحبه وسمّىٰ فليأكل كلّ ما أمسك عليه وان قتل وان أكل فكل ما بقي وان كان غير معلّم فعلّمه ساعته حين يرسله فليأكل منه فانّه معلّم فامّا ما خلا الكلب ممّا تصيده الفهود والصّقور واشباه ذلك فلا تأكلْ من صيده الاّ ما تدرك ذكاته لأنّ الله عزّ وجلّ قال مكلّبين فما خلا الكلاب فليس صيده بالّذي يؤكل الاّ أن تدرك ذكوته وأمّا الأخبار الّتي وردت بخلاف ذلك فمحمولة على التقيّة لموافقتها مذاهب العامّة كما بيّناه في الوافي **فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ** .

القمّي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن صيد البزاة[1] والصّقور والفهود والكلاب قال لا تأكل الاّ ما ذكّيت الاّ الكلاب قيل فان قتله قال كل فانّ الله يقول وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلّمونهنّ ممّا علمكم الله فكلوا ممّا أمسكن عليكم ثم قال فكلوا ممّا أمسكن عليكم ثم قال كل شيء من السباع يمسك الصيد على نفسها الاّ

---

١ ـ البازي ضرب من الصّقور جمعه بواز وبزاة وأبوز وبؤز وبيزان.

الكلاب المعلّمة فانّها تمسك على صاحبها وقال إذا ارسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وَاتَّقُوا اللَّهَ فيما حرّم عليكم إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فيؤاخذكم بما جلّ ودقّ .

(٥) اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ .

القميّ قال عنىٰ بطعامهم هٰيهنا الحبوبُ والفاكهة غير الذبايح الّتي يذبحونها فانّهم لا يذكرون اسم الله عليه خالصاً علىٰ ذبايحهم ثم قال والله ما استحلوا ذبايحكم فكيف تستحلّون ذبايحهم .

في الكافي وغيره عنهما عليهما السّلام في عدّة أخبار أنّ المراد به الحبوب والبقول وفي بعضها لا تأكل من ذبايح اليهود والنّصارىٰ ولا تأكل من آنيتهم وفي بعضها الذّبيحة بالإسم ولا يؤمن عليها الاّ أهل التّوحيد وفي بعضها إذا شهدتموهم وقد سمّوا اسم الله فكلوا ذبايحهم وان لم تشهدوهم فلا تأكلوا وان أتاك رجل مسلم فاخبرك أنّهم سمّوا فكل وفي بعضها لا تأكله ولا تتركه تقول أنّه حرام ولكن تتركه تنزّهاً عنه انّ في آنيتهم الخمر ولحم الخنزير وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا جناح عليكم أن تطعموهم منهم وتبيعوه منهم وَالْمُحْصَنَاتُ واحلّ لكم العقد على العفائف مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ .

العيّاشي عن الصّادق عليه السّلام هن المسلمات وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ اوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ في الفقيه عن الصادق عليه السلام هنّ العفايف .

والعياشي عن الكاظم عليه السلام أنه سئل ما معنىٰ احصانهنّ قال هنّ العفايف من نسائهم .

وفي الكافي والمجمع والعياشي عن الباقر عليه السّلام أنّها منسوخة بقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر .

وزاد في المجمع وبقوله ولا تنكِحوا المشركات .

والقميّ أحلّ الله نكاح أهل الكتاب بعد تحريمه في قوله في سورة البقرة ولا تنكِحوا

المشركات حتّىٰ يؤمنّ قال وانّما يحلّ نكاح أهل الكتاب الّذين يؤدّون الجزية وغيرهم لم تحلّ مناكحتهم .

أقول : و يؤيّد هٰذا الحديث النّبويّ أنّ سورة المائِدة آخر القرآن نزولاً فَاحلّوا حلالها وحرّموا حرامها .

وفي الكافي عن الحسن بن الجهم قال قال لي أبو الحسن الرّضا عليه السّلام يا أبا محمّدما تقول في رجل يتزوّج نصرانية على مسلمة قلت جعلت فداك وما قولي بين يديك قال لتقولنّ فانّ ذلك تعلم به قولي قلت لا يجوز نصرانية على مسلمة ولا على غير مسلمة قال ولم قلت لقول الله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ قال فما تقول في هٰذه الآية والمُحصنٰات من المؤمنات والمُحصنات من الّذين أوتوا الكتابَ من قبلكم قلت فقوله ولا تنكِحوا المشركات نسخت هٰذه الآية فتبسّم ثم سكت .

وفيه وفي الفقيه عن الصّادق عليه السلام في الرجّل المؤمن يتزوّج النّصرانية واليهوديّة قال إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهودية والنّصرانية فقيل يكون له فيها الهوىٰ فقال ان فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير واعلم أن عليه في دينه غضاضة[1].

وعن الباقر عليه السلام لا ينبغي للمسلم أن يتزوّج يهوديّة ولا نصرانيّة وهو يجد مسلمة حرّة أو أمة .

وعنه عليه السّلام انّما يحلّ منهنّ نكاح البله[2].

وفي الفقيه عنه عليه السلام أنّه سئل عن الرجّل المسلم أيتزوّج المجوسيّة قال لا ولٰكن ان كانت له أمة مجوسيّة فلا بأس أن يطأها ويعزل عنها ولا يطلب ولدها وفي رواية لا يتزوّج الرّجل اليهوديّة والنصرانيّة على المسلمة ويتزوّج المسلمة على اليهوديّة

---

١ ـ قولهم ليس عليك في هذا الأمر غضاضة أي ذلّة ومنقصة ومثله عليه في دينه غضاضة وما عليَّ من غضاضة .

٢ ـ بله الرجل يبله بلهاً من باب تعب ضعف عقله فهو أبله والأنثىٰ بلهاء والجمع بله كأحمر وحمراء وحُمر وفي الحديث عليك بالبلْهاء قلت وما البلهاء قال ذوات الخدور العفايف .

والنّصرانيّة وفي التّهذيب عن الصادق عليه السّلام لا بأس أن يتمتّع الرّجل باليهوديّة والنّصرانيّة وعنده حرّة .

وفيه في جواز التمتّع بها وبالمجوسيّة أخبار أُخر **إِذَا اٰتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** مهورهن **مُحْصِنِينَ** اعفاء بالنكاح **غَيْرَ مُسَافِحِينَ** غير مجاهرين بالزّنا **وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**(١) مسرّين به والخدن الصّديق يقع على الذكر والأنثى **وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ** بجحد الشرايع أو بتركها في الكافي عن الصّادق عليه السلام في تفسيره ترك العمل الّذي أقرّ به من ذلك أن يترك الصّلوٰة من غير سقم ولا شغل.

وفي روٰاية ترك العمل حتّى يدعه أجمع والعياشي مثله وروى هو عن الصّادق عليه السّلام أدنىٰ ما يخرج به الرّجل من الإسلام أن يرى الرأي بخلاف الحقّ فيقيم عليه قال ومن يكفر بالإيمان الّذي لا يعمل بما أمر الله به ولا يرضى به وعن الباقر عليه السلام يعني ولاية عليّ عليه السّلام .

والقميّ قال من آمن ثمّ أطاع أهل الشرك **فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** .

(٦) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** وقرء بنصب الأرجل وهو مردود عندنا كما يأتي وأريد بالقيام القيام من النّوم .

ففي التّهذيب والعيّاشي عن الصّادق عليه السّلام أنّه سئل ما معنىٰ إذا قمتم قال إذا قمتم من النّوم .

والعيّاشي عن الباقر عليه السّلام سئل ما عنىٰ بها قال عن النّوم فاسترحنا من تكلّفات المفسّرين واضمارهم(٢) وأمّا وجوب الوضوء بغير حدث النّوم فمستفاد من الأخبار كما أن وجوب الغسل بغير الجنابة مستفاد من محلّ آخر وكما أنّ سائر مجملات القرآن

---

١ - قوله تعالىٰ ولا متّخذي أخدان أي ولا متفرّدين ببغيّة واحدة خادنها وخادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها.

٢ - قال في مجمع البيان معناه اذا أردتم القيام الى الصّلاة وأنتم على غير طهر وحذف الإرادة لأن في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصّلاة وهو قول ابن عبّاس وأكثر المفسّرين.

إنما يتبيّن بتفسير أهل البيت وهم أدرىٰ بما نزل في البيت من غيرهم والوجه ما يواجه به فلا يجب تخليل الشّعر الكثيف أعني الّذي لا يرى البَشرَة خلاله في التّخاطب إذ المواجهة حينئذٍ إنّما تكون بالشّعر لا بما تحته كما ورد عن الباقر عليه السّلام كلّ ما أحاط به الشّعر فليس على العباد أن يطلبوا ولا أن يبحثوا عنه ولكن يجري عليه الماء رواه في التهذيب وفيه وفي الكافي عن أحدهما عليهما السلام أنّه سئل عن الرجل يتوضّأ أيبطّن[1] لحيته قال لا.

وأمّا حدّ الوجه ففي الفقيه وفي الكافي والعيّاشي عن الباقر عليه السلام الوجه الّذي أمر الله بغسله الّذي لا ينبغي لأحد أن يزيد عليه ولا ينقص منه إن زاد عليه لم يؤجر وان نقص منه أثم ما دارت الوسطىٰ والابهام من قصاص شعر الرأس الى الذّقن وما جرت عليه الأصبعان من الوجه مستديراً فهو من الوجه وما سوىٰ ذلك فليس من الوجه قيل الصّدغ ليس من الوجه قال لا وأمّا في سائر الأعضاءِ فيجب ايصال الماءِ والبلل الى البشرة وتخليل ما يمنع من الوصُول كما هو مقتضى الأمر بالغسل والمسح فلا يجزي المسح على القلنسوة ولا على الخفّين في التّهذيب عن الباقر عليه السّلام جمع عمر ابن الخطّاب أصحاب رسول الله صلىّ اللهُ عليه وآله وسلم وفيهم عليّ عليه السّلام فقال ما تقولون في المسح على الخفّين فقام المغيرة بن شعبة فقال رأيت رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يمسح على الخفّين فقال عليّ قبل المائِدة أو بعد المائِدة فقال لا أدري فقال عليّ سبق الكتاب الخفّين إنّما نزلت المائِدة قبل أن يقبض صلىّ اللهُ عليه وآله بشهرين أو ثلاثة .

أقول : المغيرة بن شعبة هذا هو أحد رؤساءِ المنافقين من أصحاب العقبة والسّقيفة لعنهم الله .

وفي الفقيه روت عائشة عن النّبي صلىّ الله عليه وآله أنّه قال أشدّ النّاس حسرةً يوم القيمة من رأىٰ وضوءه علىٰ جلد غيره .

---

١ ـ قوله يبطّن بتشديد الطاء من بطّن يبطن اذا أدخل الماء تحتها ممّا هو مستور بشعرها.

وروى عنها أنّها قالت لأن اسمح على ظهر عير بالفلاة أحبّ اليّ من أن أمسح على خفّي ولم يعرف للنبي صلىّ الله عليه وآله خفّ الآخفّ هذاه النّجاشي وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقاً فمسح النّبي صلىّ الله عليه واله رجليه وعليه خفّاه فقال الناس انّه مسح على خفّيه وعلى انّ الحديث في ذلك غير صحيح الأسناد انتهى كلام الفقيه ولمّا كانت اليد تطلق على ما تحت الزند وعلى ما تحت المرفق وعلى ما تحت المنكب بيّن الله سبحانه غاية المغسول منها كما تقول لغلامك اخضب يدك الى الزّند وللصّيقل صقّل سيفي الى القبضة فلا دلالة في الآية على ابتداء الغسل بالأصابع وانتهائه الى المرافق كما انّه ليس في هاتين العبارتين دلالة على ابتداء الخضاب والتصقيل باصابع اليد ورأس السّيف فهي مجملة في هذا المعنى يحتاج الى تبيين أهل البيت عليهم السلام والمرفق بكسر اوّله وفتح ثالثه او بالعكس مجمع عظمي الذّراع والعضد ولا دلالة في الآية على ادخاله في غسل اليد ولا على ادخال الكعب في مسح الرجلين لخروج الغاية تارة ودخولها اخرى فهي في هذا المعنى مجملة وانّما تتبيّن بتفسيرهم والغسل يحصل بصبّ الماء على العضو أوغمسه فيه وان لم يدلك فالباء في برؤوسكم للتّبعيض وكذا في بوجوهكم وكذا في المعطوفتين عليهما اعني ارجلكم وايديكم كذا عن الباقر عليه السلام كما يأتي والكعب عظم مائل الى الإستدارة واقع في ملتقى الساق والقدم نات عن ظهره يدخل نتوه في طرف الساق كالّذي في ارجل البقر والغنم وربّما يلعب به الأطفال وقد يعبّر عنه بالمفصل لمجاورته له وانّما اختلف النّاس فيها لعدم غورهم في كلام اهل اللّغة واصحاب التشريح واعراضهم عن التأمّل في الأخبار المعصومية ولمّا كانت الرّجل تطلق على القدم وعلى ما تحت الركبة وعلى ما يشمل الفخذبيّن الله سبحانه غاية الممسوح منها ثمّ دلالة الآية على مسح الرجلين دون غسلهما اظهر من الشمس في رابعة النهار وخصوصاً على قراءة الجرّ ولذلك اعترف بها جمع كثير من القائلين بالغسل .

في التهذيب عن الباقر عليه السلام انّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ فامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين على الخفض هي ام على النّصب قال بل هي على الخفض .

أقول : وعلى تقدير القراءة على النّصب ايضاً يدلّ على المسح لأنّها تكون حينئذ

معطوفة على محلّ الرؤ وس كما تقول مررت بزيد وعمروا اذ عطفها على الوجوه خارج عن قانون الفصاحة بل عن اسلوب العربية روى العامة عن امير المؤمنين عليه السلام وابن عباس عن النبي (ص) انّه توضّأ ومسح على قدميه ونعليه .

ورووا أيضاً عن ابن عبّاس انّه قال انّ كتاب الله المسح ويأبى الناس الّا الغسل وانه قال الوضوء غسلتان ومسحتان من باهلني باهلته وانّه وصف وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله فمسح على رجليه .

وفي التّهذيب عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن مسح الرجّلين فقال هو الّذي نزل به جبرئيل .

وفي الكافي عن الصّادق عليه السّلام أنّه يأتي على الرّجل ستّون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلوٰة قيل وكيف ذلك قال لأنّه يغسل ما أمر الله بمسحه .

وفي الفقيه عن علي عليه السلام أن الرجل ليعبد الله اربعين سنة ما يطيعه في الوضوء يغسل ما أمر الله بمسحه .

وفي الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن وضوءِ رسول الله صلّى الله عليه وآله فدعا بطست[1] أو تور فيه ماء فغمس يده اليمنى فغرف بها غرفة فصبّها على وجهه ثم غمس كفّه اليسرى فغرف بها غرفة فأفرغ على ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف لا يردها إلى المرفق، ثم غمس كفه اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمنى ثمّ مسح رأسه وقدميه ببلّ كفّه لم يحدث لهما ماءً جديداً ثم قال ولا يدخل أصابعه تحت الشّراك[2] قال ثمّ قال انّ الله تعالى يقول إذا قمتم إلى الصّلوٰة فاغسلوا وجوهكم وليس له أن يدع شيئاً من وجهه إلّا غسله وأمر بغسل اليدين إلى المرفقين فليس له أن يدع شيئاً من يديه الى المرفقين إلّا غسله لأنّ الله تعالى قال اغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ثم قال وامسحُوا برؤ وسكم وأرجلكم إلى الكعبين فإذا مسح بشيءٍ من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأ فقيل أين الكعبان قال هيهنا يعني

---

١ ـ والتّردید من الراوي والتّوْر بالفتح فالسّكون اناء صغير من صفر أو خزف يشرب منه ويتوضأ فيه ويؤكل منه .

٢ ـ الشِراك بكسر الشّين أحد سيور النعل الّتي يكون على وجهها توثق به الرجل ومنه الحديث لا تدخل يدك تحت الشِراك أي شراك النّعل.

المفصل دون عظم الساق قيل هٰذا ما هو فقال هٰذا من عظم السَّاق والكعب أسفل من ذٰلك قيل أصلحك الله فالغرفة الواحدة تجري للوجه وغرفة للذّراع قال نعم إذا بالغت فيها والثّنتان تأتيان علىٰ ذٰلك كلّه.

وفي الفقيه والعيّاشي عن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السّلام الا تخبرني من أين علمت وقلت أنّ المسح ببعض الرّأس وببعض الرّجلين فضحك عليه السّلام ثم قال يا زرارة قاله رسول الله صلىّ الله عليه وآله ونزل به الكتاب من الله لأنّ الله تعالىٰ يقول فاغسلوا وجوهكم فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغي أن يغسل ثمّ قال وأيديكم الى المرافق فوصل اليدين الى المرفقين بالوجه فعرفنا أنّه ينبغي لهما أن يغسلا الى المرفقين ثم فصل بين الكلام فقال وامسحوا برؤوسكم فعرفنا حين قال برؤوسكم أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباءِ ثمّ وصل الرّجلين بالرّأس كما وصل اليدين بالوجه فقال وأرجلكم الى الكعبين فعرفنا حين وصلها بالرأس أنّ المسح علىٰ بعضهما ثم فسّر ذٰلك رسول الله للنّاس فضيّعوه الحديث ويأتي تمامه عن قريب وأشار إليه بقوله لمكان الباءِ إنّ الباء للتبّعيض فلا وجه لإنكار سيبويه مجيئها له في سبعة عشر موضعاً من كتابه.

وانّما بسطنا الكلام في تفسير آية الوضوءِ لعموم البلوىٰ بها وكثرة الإختلاف فيها والحمد لله علىٰ ما هدانا ببركة أهل بيت نبّيه صلوات الله عليهم وتمام الكلام فيه يطلب من كتابنا الوافي **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا** عطف علىٰ جزاءِ الشرّط الأوّل أعني فاغسلوا وجوهكم يعني اذا قمتم من النّوم الى الصّلوٰة فتوضّؤوا وان كنتم جنباً فاغتسلوُا يدلّ عليه قوله تعالىٰ وان كنتم مرضى فانّه مندرج تحت الشّرط البتّة فلو كان قوله وان كنتم معطوفاً علىٰ قوله اذا قمتم أو كان مستأنفاً لم يتناسق المتعاطفان وللزم أن لا يستفاد الإرتباط ما بين الغسل والصّلوٰة من الآية ولم يحسن لفظة إن بل ينبغي أن يقال واذا كنتم جنباً كما هو غير خاف[1] علىٰ من تتبّع أساليب الكلام ويدلّ عليه أيضاً ما في الكافي عن الباقر عليه السّلام أنه سئل عن المرأة يجامعها الرّجل فتحيض وهي في المغتسل قال

---

١ ـ خفي كرضي خفاءً فهو خاف وخفيّ لم يظهر.

جاءها ما يفسد الصلوٰة فلا تغتسل وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن غسل الجنابة فقال تبدأ فتغسل كفّيك ثمّ تفرغ بيمينك على شمالك فتغسل فرجك ومرافقك ثمّ تمضمض واستنشق ثمّ تغسل جسدك من لدن قرنك[1] الى قدميك ليس بعده ولا قبله وضوء وكلّ شيء أمسسته الماء فقد أنقيته ولو أنّ رجلاً ارتمس في الماء ارتماسة واحدة اجزأه ذلك وان لم يدلك جسده .

وفي الكافي مقطوعاً إن لم يكن أصاب كفّه شيء غمسها في الماء ثم بدا بفرجه فأنقاه بثلاث غرف ثمّ صب على رأسه ثلاث أكفّ ثمّ صبّ على منكبه الأيمن مرّتين وعلى منكبه الأيسر مرّتين فما جرى عليه الماء أجزأه **وَانِ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُمْ مِنْهُ** قد مضى تفسير هذه الاية في سورة النساء فلا حاجة الى اعادته .

وفي الفقيه في حديث زرارة السابق آنفاً متصلاً بآخره ثم قال ولم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيّباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه فلمّا وضع الوضوء إن لم يجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنّه قال بوجوهكم ثم وصل بها و أيديكم ثم قال منه أي من ذلك التيمّم لأنّه علم أنّ ذلك أجمع لم يجر على الوجه لأنّه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكف ولا يعلق ببعضها قوله عليه السلام من ذلك التيمّم الظاهر أنّ المراد به المتيمّم به بدليل قوله ان ذلك يعني الصعيد أجمع لم يجر على الوجه ويستفاد منه أنّ لفظة من في منه للتبعيض وأنّه يشترط علوق التراب بالكفّ وأنّه لا يجوز التيمّم بالحجر الغير المغبّر كما مضى تحقيقه **مَا يُرِيدُ اللهُ** بفرض الطهارات **لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ** من ضيق **وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ** من الأحداث والذنوب فانّ الطهارة كفّارة للذنوب كما هي رافعة للأحداث **وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ** بهذا التطهير **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** نعمته .

(٧) **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ** بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغّبكم في شكره

---

١ ـ القرن جانب الرأس.

وَمِيثاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ قيل يعني عند اسلامكم بأن تطيعوا الله فيما يفرضه عليكم سرّكم أو ساءكم .

وفي المجمع عن الباقر عليه السّلام أنّ المراد بالميثاق ما بيّن لهم في حجّة الوداع من تحريم المحرّمات وكيفيّة الطّهارة وفرض الولاية وغير ذلك .

أقول : وهذا داخل في ذاكَ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

القميّ قال لمّا أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله الميثاق عليهم بالولاية قالوا سمعنا وأطعنا ثمّ نقضوا ميثاقه وَاتَّقُوا اللهَ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ بخفيّاتها فضلاً عن جليّات أعمالكم .

(٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ مرّ تفسيره وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ ولا يحملنّكم شَنَآنُ قَوْمٍ شدّة عداوتهم وبغضهم عَلىٰ أن لاَ تَعْدِلُوا فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفّياً ممّا في قلوبكم اعْدِلُوا في أوليائكم وأعدائكم هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ فيجازيكم قيل تكرير هذا الحكم امّا لاختلاف السّبب كما قيل انّ الأولىٰ نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ .

(٩) وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ .

(١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ قابَلَ الوعد بالوعيد وفاءً بحقّ الدّعوة .

(١١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا يبطشوا[1] إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بالقتل والإهلاك فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ منعها أن تمدّ اليكم وردّ مضرّتها عنكم

القميّ يعني أهل مكّة من قبل فتحها فكفّ أيديهم بالصّلح يوم الحديبيّة وَاتَّقُوا اللهَ

---

١ ـ البطش الأخذ بسرعة والأخذ بعنف وسطوة مـ

وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشرّ .

(١٢) وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً كفيلاً أميناً شاهداً من كلّ سبط ينقب[1] عن أحوال قومه ويفتّش عنها ويعرف مناقبهم وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ بالنصرة لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلوٰةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكوٰةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وصدّقتموهم وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ونصرتموهم وقوّيتموهم وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً بالانفاق في سبيله لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ قيل أمر الله بني اسرائيل بعد هلاك فرعون بمصر بأن يسيروا الى أريحا من أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة وقال إنّي كتبتها لكم قراراً وأمر موسى عليه السّلام بأن يأخذ من كلّ سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به من الخروج الى الجبابرة والجهاد وقائداً ورئيساً لهم فاختار النّقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفّل لهم به وسار بهم فلما دنا من أرضهم بعث النّقباء يتجسّسون فرأوا اجراماً عظاماً وقوّة فرجعوا وأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك فحدّثوا بذلك قومهم الاكالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء .

(١٣) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ طردناهم من رحمتنا وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً لا تنفعل عن الآيات والنّذر وقرىء قسيّة على المبالغة يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً تركوا نصيباً وافراً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ خيانة أو فرقة خائنة إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ لم يخونوا فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ حث على الصّفح القميّ منسوخة بقوله اقتلوا المشركين .

(١٤) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نصارى ادّعوا نصرة الله بالإتّسام بهذا الإسم أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ كما أخذنا ممّن قبلهم من بني اسرائيل فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا فالزمنا

---

١ - يقال نقبوا في البلاد صاروا في نقوبها أي في طرقها طلباً للهرب ونقيب القوم كالكفيل والضّمين ينقّب عن الأسرار ومكنون الأضمار وانّما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف الطريق الى معرفة أمورهم.

بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ بالأفعال وَالْبَغْضَاءَ بالقلوب إلى يَوْمِ القِيٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمٰا كٰانُوا يَصْنَعُونَ بالجزاء والعقاب .

(١٥) يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ قَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولُنٰا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمّٰا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتٰابِ كنعت محمّد صلىّ الله عليه وآله وآية الرّجم في التورية وبشارة عيسى بأحمد صلىّ الله عليه وآله في الانجيل وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مما تخفونه لا يخبربه . القميّ قال يبيّن النّبيّ كثيراً ممّا أخفيتموه ممّا في التورية من أخباره ويدع كثيراً لا يبيّنه .

وفي المجمع عن الباقر عليه السّلام عند تفسير يا أيّها الرّسول لا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر من هذه السّورة ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فأرسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم أن يسألوا النّبي صلىّ الله عليه وآله عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الضّيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمّد أخبرنا عن الزّاني والزانية اذا أحصنا ما حدّهما فقال صلى الله عليه وآله وسلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرّجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبرئيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النّبي صلىّ الله عليه وآله هل تعرفون شابّاً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأيّ رجل هو فيكم قالوا هو أعلم يهوديّ بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى قال فأرسِلوا إليه ففعلوا فأتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النّبيّ صلىّ الله عليه وآله إنّي أنشدك الله الّذي لا إله إلاّ هو الّذي أنزل التّوراة على موسى وفلق لكم البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلّل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنّ والسّلوى هل تجدون في كتابكم الرّجم على من أحصن قال ابن صوريا نعم والّذي ذكّرتني به لولا خشية أن يحرقني ربّ التورية ان كذبت أو غيّرت ما اعترفت لك ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمّد قال صلىّ الله عليه وآله إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرّجم فقال ابن صوريا هكذا أنزل الله في التورية على موسى عليه السّلام فقال له النّبيّ صلىّ

الله عليه وآله فماذا كان أوّل ما ترخّصتم بم أمر الله قال كنّا اذا زنى الشّريف تركناه وإذا أخذنا الضّعيف أقمنا عليه الحدّ فكثر الزّنا في أشرافنا حتّى زنى ابن عمّ ملك لنا فلم نرجمه ثمّ زنى رجل آخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتّى ترجم فلاناً يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتّحميم[1] وهو ان يجلد أربعين جلدة ثمّ يسوّد وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرّجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أتيتنا عليك بأهل ولكنّك كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك فقال إنه أنشدني بالتّورية ولولا ذلك لما أخبرنه فأمر بهما النّبيّ صلّى الله عليه واله فرجما عند باب مسجده وقال أنا أول من أحيى أمرك إذ أماتوه فأنزل الله سبحانه فيه يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير فقام ابن صوريا فوضع يده على ركبتي رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ قال هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الّذي أمرت أن تعفو عنه فأعرض النّبيّ صلّى الله عليه وآله عن ذلك **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** قيل النّور محمّد صلّى الله عليه واله والكتاب القرآن وقيل كلاهما القرآن وأيّد بتوحيد الضّمير في به .

والقميّ قال يعني بالنّور أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام .

(١٦) **يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ** طرق السّلامة من العذاب **وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ** أنواع الكفر **إِلَى النُّورِ** بالإسلام **بِإِذْنِهِ** بارادته وتوفيقه **وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** طريق هو أقرب الطّرق الى الله والى جنّته .

(١٧) **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً** فمن يمنع من قدرته وارادته شيئاً **إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** .

---

١ ـ حمّم رأسه إذا اسودّ بعد الحلق وحممت الرّجل سخّمت وجهه بالفحم.

(١٨) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ أشياع إبنيه عزير والمسيح قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فِي الدّنيا بالقتل والأسر والمسخ وفي الآخرة بالنّار أيّاماً معدودة بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وهم من كفر والمعنى أنّه يعاملكم معاملة سائر النّاس لا مزيّة لكم عليهم وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كلّها سواء في كونه خلقاً وملكاً وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ فيجازيكم كلاًّ بما كسَبَ .

(١٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ما يحتاج إلى البيان عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ على فتور من الارسال وانقطاع من الوحي قال الصّدوق طاب ثراه في اكماله معنى الفترة ان لا يكون نبيّ ولا وصيّ ظاهر مشهور وقد كان بين نبيّنا صلىّ الله عليه وآله وبين عيسى عليه السّلام أنبياء وأئمّة مستورون خائفون منهم خالد بن سنان العبسي لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر وكان بين مبعثه ومبعث نبيّنا صلىّ الله عليه وآله خمسون سنة .

أقول : تصديق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السّلام لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة امّا ظاهر مشهور وإمّا خائف مغمور أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ فلا تعتذروا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قد مضى في سورة النّساء عند قوله فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد إنّ الأمم يوم القيمة يجحد تأدية رسالات رسلهم وتقول ما جاءنا من بشير ولا نذير والرّسل يستشهدون نبيّنا فيقول نبيّنا صلىّ الله عليه وآله لكلّ أمّة بلى قد جائكم بشير ونذير والله على كلّ شيء قدير أي مقتدرٌ على شهادة جوار حكم عليكم بتبليغ الرّسل عليكم رسالاتهم .

(٢٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسّلوى وغير ذلك .

(٢١) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ .

العيّاشي عن الباقر عليه السّلام يعني الشّام **الَّتي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ** أنْ تكون مسكناً لكم العيّاشي عن الصّادق عليه السّلام أنّ بني اسرائيل قال الله لهم ادخلوا الأرض المقدّسةفلم يدخلوها حتّىٰ حرّمها عليهم وعلىٰ أنبيائهم وانّما أدخلها أبناء أبنائهم وعنها عليهما السّلام كتبها لهم ثمّ محاها **وَلاٰ تَرْتَدّوا عَلىٰ أدْبارِكُمْ** ولاٰ ترجعوا مدبرين **فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ** ثواب الدّارين .

(٢٢) **قالُوا يا مُوسىٰ إنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ** شديدي البطش والبأس والخلق لاٰ تتأتّىٰ لنا مقاومتهم .

إنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّىٰ يَخْرُجُوا مِنْها فَإنْ يَخْرُجُوا مِنْها فإنّا داخِلُونَ اذ لا طاقة لنا بهم .

(٢٣) **قالَ رَجُلانِ** هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا وهما ابناعمّه كذا عن الباقر عليه السلام رواه العياشي **مِنَ الَّذِينَ يخافُونَ** أي يخافون الله ويتّقونه **أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِما** بالايمان والتثبيت **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ** باب قريتهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار **فَإذا دَخَلْتُمُوهُ فَإنَّكُمْ غالِبُونَ** لتعسّر الكرّ عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولأنّهم أجسام لاٰ قلوب فيها **وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُو** في نصرته على الجبّارين **إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** به ومصدّقين لوعده .

(٢٤) **قالُوا يا مُوسىٰ إنّا لَنْ نَدْخُلَها أبَداً ما داموا فِيها فَاذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلاٰ إنّا هٰهُنا قاعِدُونَ** قالوها استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما .

(٢٥) **قال رَبِّ إنّي لا أمْلِكُ إلاّ نَفْسِي وَأخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ** .

(٢٦) **قالَ فَإنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ** لا يدخلوها ولا يملكونها بسبب عصيانهم **أرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأرْضِ** يسيرون فيها متحيّرين لا يرون طريقاً **فَلاٰ تَأسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ** لأنهم أحقّاء بذلك لفسقهم .

---

١ ـ أصحر الرّجل أي خرج الى الصحّراء . مجمع

العياشي عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتّى لا تخطئون طريقهم ولا تخطأكم سنة بني اسرائيل ثم قال أبو جعفر عليه السلام قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم فردوا عليه وكانوا ستّ مائة ألف فقالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين الآيات قال فعصى الاّ أربعون ألفاً وسلم هٰرون وابناه ويشوع بن نون وكالب بن يوفنا فسماهم الله فاسقين فقال لا تأسَ عَلى القوم الفاسقين فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا فكانوا حذو النّعل بالنّعل أنّ رسول الله لما قبض لم يكن على أمر الله الاّ عليّ والحسن والحسين عليهم الصّلوٰة والسّلام وسلمان والمقداد وأبو ذر فمكثوا أربعين حتى قام عليّ فقاتل من خالفه .

وعنه عليه السلام قال نعم الأرض الشّام وبئس القوم أهلها وبئس البلاد مصر أما أنّها سجن من سخط الله عليه ولم يكن دخول بني اسرائيل الاّ معصيةً منهم للهِ لأنّ الله قال ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم يعني الشّام فأبوا أن يدخلوها فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيافيها ثم دخلوها بعد أربعين سنة قال وما خروجهم من مصر ودخولهم الشّام الاّ بعد توبتهم ورضاءِ الله عنهم وعن الصادق عليه السلام وذكر موسى وقولهم اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هٰيهنا قاعدون قال فحرّمها الله عليهم أربعين سنة وتيّههم فكان اذا كان العشاء وأخذوا في الرحيل نادوا الرحيل الرحيل الوحا[1] الوحا فلم يزالوا كذلك حتى تغيب الشمس حتى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض ديري بهم فلم يزالوا كذٰلك حتى إذا أسحروا وقارب الصّبح قالوا إنّ هذا الماء قد اتيتموه فانزلوا فاذا أصبحوا إذاً تيههم[2] ومنازلهم التي كانوا فيها بالأمس فيقول بعضهم لبعض يا قوم لقد ضلّلتم وأخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلك حتى اذن الله لهم فدخلوها وقد كان كتبها لهم .

وفي الكافي عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّ موسى كليم الله مات في التّيه

---

١ ـ الوحا الوحا بالمدّ والقصر أي السّرعة وهو منصوب بفعل مضمر.

٢ ـ أرض تَيْهٌ وتِيه بالكسر وتيهاء ومتيهة كسفينة وتضمّ الميم وكمرحلة ومقعد مضلّة وتيّهه ضيّعه.

فصاح صائح من السّماء مات موسى وأيّ نفس لا تموت .

والقميّ عن الباقر عليه السلام مات هٰرون قبل موسى وماتا جميعاً في التّيه والقمي لما أراد موسى عليه السلام أن يفارقهم فزعوا وقالوا إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب ففزعوا اليه وسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم .

(٢٧) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ قابيل وهابيل بِالْحَقِّ بالصدق إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً القربان ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا لأنه رضي بحكم الله وأخلص النّية لله وعمد إلى أحسن ما عنده وهو هابيل وَلَمْ تُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ لأنّه سخط حكم الله ولم يخلص النّية في قربانه وقصد الى أخسّ ما عنده وهو قابيل قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ[1] توعده بالقتل لفرط حسده له على تقبل قربانه قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ يعني انما أتيت من قبل نفسك بترك التقوىٰ لا من قبلي قيل فيه اشارة الى أنّ الحاسد ينبغي أن يرىٰ حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً الا في ازالة حظه فانّ ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق .

(٢٨) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ وقرء يدي باسكان الياء إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ انِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

(٢٩) انِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ أن ترجع بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ لعل غرضه بالذات أن لا يكون ذلك له لا أن يكون لأخيه في ثواب الأعمال عن الباقر عليه السلام من قتل مؤمناً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب وبرأ المقتولَ منها وذلك قول الله عزّ وجلّ إنّي أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار .

(٣٠) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ[2] اتسعت له قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ديناً

---

١ ـ في الكلام حذف وتقديرٌ أي قال الذي لم يتقبّل منه للّذي تقبّل منه لأقتلنّك فقال له لم تقتلني قال انّه تقبّل قربانك ولم يتقبّل قرباني قال له وما ذنبي انّما يتقبّل الله من المتّقين .

٢ ـ أي شجعته وزيّنته وقيل رخّصته وسهّلته من أطاع له المرتع اذا إتسع

ودنيا إذ بقي مدة عمره مطروداً محزوناً نادماً .

في المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ حوّاء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت في أوّل بطن قابيل وقيل قابين وتوأمته أقليما بنت آدم والبطن الثاني هابيل وتوأمته ليوذا فلما أدركوا جميعاً أمر الله تعالى أن ينكح آدم قابيل أخت هابيل وهابيل أخت قابيل فرضي هابيل وأبى قابيل لأن أخته كانت أحسنهما وقال ما أمر الله بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما أن يقربا قربانا فرضيا بذلك فعمد هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ من خير غنمه وزبداً ولبناً وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شرّ زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فأتت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غايباً بمكة خرج إليها ليزور البيت بأمر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد أن تأخذ أختي الحسناء وآخذ أختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله والعياشي عن الصادق عليه السلام في حديث سبق صدره في أوّل سورة النساء قيل له انهم يزعمون أن قابيل انما قتل هابيل لأنهما تغايرا على أختهما فقال تقول هذا ما تستحي أن تروي هذا على نبي الله آدم فقيل فبم قتل قابيل هابيل فقال في الوصية ثم قال إن الله تبارك وتعالى أوحى الى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم الى هابيل وكان قابيل أكبر فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال أنا أولى بالكرامة والوصية فأمرهما أن يقربا قرباناً بوحي من الله إليه ففعلا فتقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله .

وفي الأكمال عن الباقر عليه السلام قال بعد ذكر قربانيهما وكان القربان إذا قبل تأكله النار فعمد قابيل فبنى لها بيتاً وهو أوّل من بنى للنار البيوت وقال لأعبدنّ هٰذه النّار حتّى يتقبل قرباني ثم إنّ عدوّ الله إبليس قال لقابيل إنّه قد تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانك فان تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله قابيل فلما رجع الى آدم قال له يا قابيل اين هابيل فقال ما أدري وما بعثتني راعيا له فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولاً فقال لعنت من أرض كما قبلت دم هابيل فبكى آدم على هابيل أربعين ليلة وفي الكافي عنه عليه السلام مافي معناه .

(٣١) فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ[١] قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ[٢] على قتله .

القميّ عن السجاد بعد ذكر قربانيهما قال فلم يدر كيف يقتله حتى جاء إبليس فعلمه فقال ضع رأسه بين حجرين ثم أشدخه فلما قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر الأرض الذي بقي بمخالبه ودفن فيه صاحبه قال قابيل يا ويلتى الآية فحفر له حفيرة فدفنه فيها فصارت سنة يدفنون الموتى فرجع قابيل الى أبيه فلم ير معه هابيل فقال له آدم أين تركت ابني قال له قابيل ارسلتني عليه راعياً فقال آدم انطلق معي الى مكان القربان وأوجس[٣] قلب آدم بالذي فعل قابيل فلما بلغ مكان القربان استبان قتله فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل وأمر آدم أن يلعن قابيل ونودي قابيل من السماء لعنت كما قتلت أخاك ولذلك لا يشرب الأرض الدم فانصرف آدم فبكىٰ على هابيل أربعين يوماً وليلة فلما جزع عليه شكىٰ ذلك الى الله فأوحىٰ إليه أنّي واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل فولدت حوّاء غلاماً مباركاً فلمّا كان اليوم السابع أوحى الله إليه يا آدم إنّ هذا الغلام هبة مني لك فسمّه هبة الله فسماه هبة الله .

وفي المجمع روت العامة عن الصادق عليه السلام قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء[٤] لا يدري ما يصنع به فقصد السباع فحمله في جراب[٥] على ظهره حتى أروح[٦] وعكفت[٧] عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا

١ ـ سوأة أخيه أي عورته وما لا يجوز أن ينكشف من جسده وقيل أي جيفته والسّوء الخالة القبيحة ويا ويلتى كلمة عذاب يقال ويل له وويله ومعناه الدعاء بالإهلاك.

٢ ـ قوله فأصبح من النّادمين على قتله ولكن لم يندم على الوجه الّذي يكون توبة كمن يندم على الشّرب لأنه يصدعه فلذلك ندمه عن الجبّائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله وقيل من النّادمين على موت أخيه لا على انكار الذّنب.

٣ ـ الوجس كالوعد الفزع يقع في القلب أو السّمع من صوت أو غيره كالوَجسان والصّوت الخفي وقوله تعالى فأوجس في نفسه أي أحسّ وأضمَر.

٤ ـ العراء بالمد فضاء لا يتوارى فيه شجر أو غيره ويقال العراء وجه الأرض.

٥ ـ الجراب بالكسر وغاب من أهاب شاة يوعى فيه الحبّ والدّقيق ونحوهما.

٦ ـ أرْوَحَ أي انتن ريحه.

٧ ـ عكفت عليه الطير أي اجتمعت.

فقتل أحدها صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجليه ثم ألقاه في الحفيرة ووارٰاه وقابيل ينظر إليه فدفن أخاه .

العياشي عن الباقر عليه السلام أن قابيل بن آدم معلّق بقرونه في عين الشمس تدور به حيث دارت في زمهريرها وحميمها الى يوم القيٰمة فاذا كان يوم القيٰمة صيّره الى النار .

وعنه عليه السلام وذكر ابن آدم القاتل فقيل له ما حاله أمن أهل النار هو فقال سبحان الله الله أعدل من ذلك أن يجمع عليه عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة

وفي الإحتجاج قال طاوس اليماني لأبي جعفر عليه السلام هل تعلم أي يوم مات ثلث الناس فقال يا عبد الله لم يمت ثلث الناس قط انما أردت ربع الناس قال وكيف ذلك قال كان آدم وحوّاء وقابيل وهابيل فذٰلك ربع قال صدقت قال أبو جعفر هل تدرك ما صنع بقابيل قال لا قال علّق بالشمس ينضح[1] بالماءِ الحار إلى أن تقوم الساعة .

(٣٢) **مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ** القمي لفظ الآية خاص في بني اسرائيل ومعناها جار في الناس كلهم **إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ** بغير قتل نفس يوجب الإقتصاص **أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ** أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق **فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً** لهتكه حرمة الدّماءِ وتسنينه سنّة القتل وتجرأة النّاس عليه

في الفقيه والعياشي عن الصادق عليه السلام واد في جهنّم لو قتل الناس جميعاً كان إنّما يدخل ذٰلك المكان قيل فان قتل آخر قال يضاعف عليه .

وفي رواية أخرى له في النّار مقعد لو قتل الناس جميعاً لم يزدد علىٰ ذٰلك المقعد

والعياشي ما يقرب من الروايتين **وَمَنْ أَحْيٰاها فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ومن تسبّب لبقاءِ حياتها بعفو أو منع من القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلاك فكأنّما فعل ذلك بالناس جميعاً ، القميّ قال من أنقذها من حرق أو غرق أو هدم أو سبع أو كفله حتى

---

١ ـ النّضح الرشّ ونضحت الثوب نضحاً من باب ضرب ونفع رششته بالماء.

يستغني أو أخرجه من فقر إلى غنىً وأفضل من ذلك من أخرجها من ضلال إلى هدىً .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال من حرق أو غرق قيل فمن أخرجها من ضلال الى هدىً قال ذلك تأويلها الأعظم .

وفيه والعياشي مثله عن الصادق عليه السلام .

وعنه عليه السلام من أخرجها من ضلال الى هدىً فكأنّما أحياها ومن أخرجها من هدىً إلى ضلال فقد قتلها وعنه عليه السلام تأويلها الأعظم ان دعاها فاستجابت له .

وفي الفقيه عنه عليه السلام من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه كان كمن أحيا نفساً ومن أحيا نفساً فكأنّما أحيا الناس جميعاً **وَلَقَدْ جَآئَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ** الواضحة بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم تأكيداً للأمر وتجديداً للعهد كي يتحاموا[1] من أمثال هذه الجنايات **ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** مجاوزون عن الحقّ، في المجمع عن الباقر عليه السلام المسرفون هم الّذين يستحِلّون المحارم ويسفكون الدّماء .

(٣٣) **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ** في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام قدم على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قوم من بني ضبّة مرضى فقال لهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أقيموا عندي فاذا برأتم بعثتكم في سريّة فقالوا أخرجنا من المدينة فبعث بهم الى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها فلما برأوا واشتدّوا قتلوا ثلاثة ممّن كانوا في الإبل وساقوا الإبل فبلغ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الخبر فبعث إليهم عليّاً وهم في وادٍ قد تحيّروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه قريب من أرض اليمن فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فنزلت عليه هذه الآية فاختار رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم القطع فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وعنه عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية

---

١ ـ حاميت عنه محاماة وحماءً منعت عنه.

فقال ذلك الى الإمام يفعل به ما يشاء قيل فمفوّض ذلك إليه قال لا ولكن نحو الجناية وفي حديث آخر ليس أي شيء شاء صنع ولكنه يصنع بهم على قدر جناياتهم من قطع الطريق فقتل وأخذ المال قطعت يده ورجله وصلب ومن قطع الطريق وقتل ولم يأخذ المال قتل ومن قطع الطريق وأخذ المال ولم يقتل قطع يده ورجله ومن قطع الطريق ولم يأخذ مالاً ولم يقتل نفي من الأرض وفي معناه أخبار أُخر وعن الرّضا عليه السلام ما يقرب منه وأنه سئل كيف ينفى وما حد نفيه فقال ينفى من المصر الذي فعل فيه ما فعل الى مصر آخر غيره ويكتب إلى أهل ذلك المصر بأنه منفيّ فلا تجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تواكلوه ولا تشاربوه فيفعل ذلك به سنة فان خرج من ذلك المصر الى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتى يتم السنة وفي حديث آخر فانّه سيتوب قبل ذلك وهو صاغر قيل فان توجه إلى أرض أهل الشرك ليدخلها قال إن توجه إلى ارض الشرك ليدخلها قوتل أهلها .

أقول : إنما يقاتل أهلها إذا أرادوا استلحاقه الى أنفسهم وأبوا أن يسلموه الى المسلمين ليقتلوه وهذا معنى قوله قوتل أهلها .

وفي رواية أخرى للعياشي يضرب عنقه قال إن أراد الدخول في أرض الشرك وفي رواية له عن الجواد عليه السلام في جماعة قطعوا الطريق قال فان كانوا أخافوا السبيل فقط ولم يقتلوا أحداً ولم يأخذوا مالاً أمر بايداعهم الحبس فانّ ذلك معنىٰ نفيهم من الأرض .

وفي رواية في الكافي أنّ معنى نفي المحارب أن يقذف في البحر ليكون عدلاً للقتل والصلب .

وعن الباقر عليه السلام من حمل السلاح بالليل فهو محارب الا أن يكون رجلاً ليس من أهل الرّيبة ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا ذل وفضيحة وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيم لعظم ذنوبهم .

(٣٤) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم قيل الاستثناء مخصوص بما هو حقّ الله أمّا القتل قصاصاً فالى الأولياء يسقط بالتوبة

وجوبه لا جوازه والتوبة بعد أخذه إنما تسقط العذاب دون الحدّ الاّ أن تكون عن الشرك .

(٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ما تتوسلون إليه به إلى ثوابه والزلفىٰ منه من فعل الطاعات وترك المعاصي بعد معرفة الإمام واتباعه من وَسَّل إلى كذا إذا تقرب اليه .

القميّ قال تقرّبوا إليه بالإمام عليه السلام .

وفي العيون عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم الأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة الوثقىٰ والوسيلة الى الله .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة إنها أعلى درجة في الجنّة ثم وصفها ببسط من الكلام من اراده فليرجع اليه وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ سبيل الله بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بالوصول إلى الله والفوز بكرامته .

(٣٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ من صنوف الأموال جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ ليجعلوه فدية لأنفسهم مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ تمثيل للزوم العذاب لهم وأنّه لا سبيل لهم الى الخلاص منه وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

(٣٧) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ العياشي عنهما عليهما السلام أنهم أعداء عليّ عليه السلام .

(٣٨) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا السرقة أخذ مال الغير في خفية .

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل في كم يقطعُ السَّارق قال في ربع دينار قيل في درهمين قال في ربع دينار بلغ الدِّينار ما بلغ قيل أرأيت من سرق أقلّ من ربع دينار هل يقع عليه حين سرق اسم السارق وهل هو عند الله سارق في تلك الحال فقال كل من سرق من مسلم شيئاً قد حواه وأحرزه فهو يقع عليه اسم السَّارق وهو عند الله سارق ولكن لا يقطع الا في ربع دينار وأكثر ولو قطعت أيدي السرَّاق فيما هو أقل من

ربع دينار لألفيت عامة النّاس مقطعين وعنه عليه السلام القطع من وسط الكفّ ولا يقطع الإبهام واذا قطعت الرّجل ترك العقب لم يقطع .

وفي رواية يقطع الأربع أصابع ويترك الإبهام يعتمد عليها في الصّلوٰة ويغسل بها وجهه للصّلوٰة وفي معناهما أخبار أُخر

والعياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان إذا قطع السّارق ترك له الإبهام والرّاحة فقيل له يا أمير المؤمنين تركت عامّة يده فقال فان تاب فبأيّ شيء يتوضّأ يقول الله فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإنّ الله يتوب عليه إنّ اللهَ غفورٌ رَحِيم ،وعن الجواد أنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ والحجّة في ذٰلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والرّكبتين والرّجلين فإذا قطعت يده من الكوع[1] أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تعالى وانّ المساجد لله يعني به هٰذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها فلا تدعوا مع الله أحداً وما كان لله لم يقطع .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال قضى أمير المؤمنين عليه السلام في السارق إذا سرق قطعت يمينه فاذا سرق مرة أخرى قطعت رجله اليسرى ثم إذا سرق مرة أخرى سجنه وترك رجله اليمنى يمشي عليها إلى الغائط ويده اليسرى يأكل بها ويستنجي بها وقال إنّي لأستحيي من الله أن أتركه لا ينتفع بشيء ولكن أسجنه حتى يموت في السجن وقال ما قطع رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من سارق بعد بده ورجله .

والعياشي ما يقرب منه وفي معناه أخبار كثيرة جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ عقوبة منه واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

(٣٩) فَمَنْ تَابَ من السراق مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ بعد سرقته وَأَصْلَحَ أمره برد المال

---

١ ـ الكوعُ بالضّمّ طرف الزّند الذي يلي الإبهام والجمع أكواع وعن الأزهريّ الكوع طرف الزند الّذي يلي رسغ اليد المحاذي للإبهام وهما عظمان متلاصقان في السّاعد أحدهما أدق من الآخر وطرفاهما يلتقيان عند مفصل الكف فالّذي يلي الخنصر يقال له الكرسوع والّذي يلي الإبهام يقال له الكوع وهما عظما ساعدي الذّراع.

والتفصي عن التبعات فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقبل توبته فلا يقطع ولا يعذب في الآخرة الاّ اذا كانت توبته بعدَ أن يقع في يد الإمام فلا يسقط القطع حينئذ وان عفا عنه صاحبه .

ففي الكافي عن أحدهما عليهما السلام في رجل سرق أو شرب الخمر أو زنا فلم يعلم ذلك منه ولم يؤخذ حتى تاب وصلح فقال إذا صلح فعرف منه أمر جميل لم يقم عليه الحدّ .

وعن الصّادق عليه السلام من أخذ سارقاً فعفا عنه فذاك له فاذا رفع الى الإمام قطعه فإن قال الذي سرق منه أنا أهب له لم يدعه الإمام حتىٰ يقطعه إذا رفع الى الإمام وإنّما الهبة قبل أن يرفع الى الإمام وذلك قول الله والحافظون لحدود الله فاذا انتهى الحدّ إلى الإمام فليس لأحد أن يتركه

وعنه عليه السلام أنّه سئل عن الرّجل يأخذ اللّصّ يرفعه أو يتركه فقال إنّ صفوان بن أميّة كان مضطجعاً في المسجد الحرام فوضع رداءه قد سرق حين رجع اليه فقال من ذهب بردائي فذهب يطلبه فأخذ صاحبه فرفعه الى النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال اقطعوا يده فقال صفوان تقطع يده من أجل ردائي يا رسول الله قال نعم قال فانيّ أهبه له فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فهلاّ كان هذا قبل أن ترفعه إليّ قيل فالإمام بمنزلته إذا رفع إليه قال نعم .

(٤٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(٤١) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُون فِي الكُفْرِ في اظهاره إذا وجدوا منه فرصة مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قلوبُهُمْ يعني المنافقين وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ[1] قائلون له أو سمّاعون كلامك ليكذبوا عليك سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ أي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّراً وافراطاً

---

١ ـ على تضمين السّماع معنى القبُول حتى يصحّ استعماله مع اللام.

في البغضاءِ يعني مصغون لهم قائلون كلامهم أو سمّاعون منك لأجلهم وللإنهاءِ إليهم يحرّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بتغييره وحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده أو اهماله يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذا فَخُذُوهُ ان أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوهُ بل أفتاكم محمّدصلىّ الله عليه وآله وسلم بخلافه فَاحْذَرُوا قبول ما افتاكم به قيل كان سبب نزول هٰذه الآية ما مر في تفسير قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مِما كنتم تخفون من هذه السورة من قصة ابن صوريا ومحاكمته بين نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم واليهود .

والقمي كان سبب نزولها إنّه كان في المدينة بطنان من اليهود من بني هٰرون وهم النّضير وقريظة وكانت قريظة سبعمأة والنّضير ألفاً وكانت النّضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة وكانوا حُلَفاء لعبد الله بن أبيّ فكان إذا وقع بين قريظة والنّضير قتل وكان القتيل من بني النّضير قالوا لبني قريظة لا نرضى أن يكون قتيل منّا بقتيل منكم فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتلوا حتى رضيت قريظة وكتبوا بينهم كتاباً على أنّه أيّ رجل من اليهود من النّضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يحنّب[1] ويحمّم والتحنيب أن يقعد على جمل ويولى وجهه الى ذنب الجمل ويلطخ وجهه بالحمأة[2] ويدفع نصف الدية وأيّما رجل قتل رجلاً من النّضير أن يدفع اليه الديّة كاملة ويقتل به فلمّا هاجر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النّضير فبعثوا اليهم بني النّضير ابعثوا الينا بدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله فقالت قريظة ليس هذا حكم التوراة وانّما هو شيء غلبتمونا عليه فاما الديّة وإمّا القتل والاّ فهذا محمدّ صلىّ الله عليه وآله وسلم بيننا وبينكم فهلموا نتحاكم إليه فمشت بنو النّضير الى عبد الله بن أُبي فقالوا سل محمّداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين قريظة في القتل فقال عبد الله بن أُبيّ ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه فان حكم لكم بما تريدون والا

---

١ - حنّب تحنيباً نكّس.

٢ - الحمأة الطّين الأسود المنتن.

فلا ترضوا به فبعثوا معه رجلا فجاء الى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله إنّ هؤلاءِ القوم قريظة والنّضير قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به والآن فى قدومك يريدون نقضه وقد رضوا بحكمك فيهم فلا تنقض كتابهم وشرطهم فانّ النّضير لهم القوّة والسّلاح والكراع[1] ونحن نخاف الدّوائر فاغتم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم منَ ذٰلك ولم يجبه بشيء فنزل عليه جبرئيل بهٰذه الآيات قال **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** يعني عبد الله بن أُبيّ وبني النّضير وان لم تؤتوه فاحذروا يعني عبد الله قال لبني النّضير لم يحكم بما تريدونه فلا تقبلوا **وَمَنْ يُرِدِ اللهِ فِتْنَتَهُ** اختباره ليفضح **فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً** فلن تستطيع له من الله شيئاً في دفعها **أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ** من العقوبات المرتّبة على الكفر كالختم والطّبع والضّيق **لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ** هوان بالزام الجزية على اليهود واجلاءِ بني النّضير منهم واظهار كذبهم في كتمان الحقّ وظهور كفر المنافقين وخوفهم جميعاً من المؤمنين **وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** وهو الخلود في النار.

(٤٢) **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ** كرّره للتأكيد **أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** أي الحرام من سَحَتَه إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وقرىء بضمّتين.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن السحّت فقال الرّشا في الحكم.

وعنه عليه السلام السّحت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرّشوة وأجر الكاهن وفي رواية ثمن الكلب الذي لا يصيد.

وعن الباقر عليه السلام كل شيء غلّ من الامام فهو سحت وأكل مال اليتيم وشبهه سحت والسّحت أنواع كثيرة منها أجور الفواجر وثمن الخمر والنّبيذ المسكر والرّبا بعد البيّنة وأمّا الرّشا في الحكم فانّ ذٰلك الكفر بالله العظيم وبرسوله.

وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قاض بين فريقين يأخذ من السّلطان على القضاء الرّزق قال ذلك السحّت وفي العيون عن أمير المؤمنين عليه

---

١ ـ الكراع اسم لجماعة الخيل خاصة. قوله تعالى ان تصبنا دائرة أي من دوائر الزّمان أعني صروفه التي تدور وتحيط بالإنسان مرّة بخير ومرّة بشرّ.

السلام في قوله تعالى أكّالون للسّحت قال هو الرّجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديّته.

والقميّ قال السّحت بين الحلال والحرام وهو أن يواجر الرّجل نفسه على المسكر ولحم الخنزير واتخاذ الملاهي فاجارته نفسه حلال ومن جهة ما يحمل ويعمل هو فهو سحت **فَإِنْ جَآؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ** تخيير له في التهذيب عن الباقر عليه السلام أنّ الحاكم إذا أتاه أهل التوراة و الإنجيل يتحاكمون إليه كان ذلك إليه إن شاء حكم بينهم وإنْ شاءَ تركهم **وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً** بأن يعادوك لإعراضك عنهم فانّ الله يعصمك من الناس **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ** بالعدل الذي أمر الله به **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**

(٤٣) **وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ** تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أنّ الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وفيه تنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحقّ واقامة الشّرع وانّما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم **ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ** ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم **وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** بكتابهم لاعراضهم عنه أوّلاً وعمّا يوافقه ثانياً.

(٤٤) **انَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً** بيان للحقّ **وَنُورٌ** يكشفُ ما اسبتهم من الأحكام **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** انقادوا لله قيل وصفهم بالإسلام لأنّه دين الله **لِلَّذِينَ هَادُوا يَحْكُمون لهم وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ** ويحكم بها الربّانيّون والأحبار **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ**[1].

العياشي عن الصادق عليه الصّلوٰة والسّلام الرّبانيّون هم الأئمّة دون الأنبياءِ الّذين يربون الناس بعلمهم والأحبار هم العلماء دون الربانيين قال ثم أخبر عنهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ولم يقل بما حملوا منه.

---

١ ـ أي كانوا على حكم النّبيّ صلّى الله عليه وآله في الرّجم أنه ثابت في التوراة شهداءَ عن ابن عبّاس وقيل كانوا شهداء على الكتاب أنّه من عند الله عطاء.

وعن الباقر عليه السلام هٰذه الآية فينا نزلت فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ قيل نهي للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها ثَمَناً قَلِيلاً من رشوة أو جاه وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .

في الكافي عن النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم من حكم بدرهمين بحكم جور ثم جبر عليه كان من أهل هذه الآية .

وعن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله ممن له سوط أو عصاً فهو كافر بما أنزل الله على محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم .

(٤٥) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ وفرضنا على اليهود فِيهَا في التوراة أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ [١] أي تقتل بها وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ [٢] تفقأ بها وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ تجدع بها وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ [٣] تصلم بها وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ تقلع بها وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ذات قصاص وقرء بالرّفع في الخمس وبتخفيف الأذن .

القميّ هي منسوخة بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبدِ والأنثىٰ بالأنثىٰ وقوله الجروح قصاص لم ينسخ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ بالقصاص أي عفا عنه فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ .

في الكافي عن الصادق عليه السلام يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراحٍ وغيره وفي الفقيه مثله الاّ أنّه قال ما عفا عن العمد وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ من القصاص وغيره فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(٤٦) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ اثَارِهِمْ واتبعنا على آثار النبيين الّذين أسلموا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

---

١ ـ معناه اذا قتلت نفس نفساً اخرىٰ عمداً فانّه يستحق عليه العود اذا كان القاتل عاقلاً مميّزاً او كان المقتول مكافئاً للقاتل.

٢ ـ قال العلماء كلّ شخصين جرىٰ القصاص بينهما في العين والأنف والأذن والسّن وجميع الأطراف إذا تماثلا في السّلامة والشّلل واذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضاً في الأطراف.

٣ ـ الاصطلام الإستيصال وهو افتعال من الصّلم وهو القطع المستأصل.

مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ إنّما خصّهم بالذكر مع عموم الموعظة لأنهم اختصوا بالانتفاع به .

(٤٧) وَلْيَحْكُمْ وقرء بكسر اللاّم وفتح الميم أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.[1]

(٤٨) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ أي القرآن مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ من جنس الكتُب المنزلة وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ورقيباً على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة والثبات فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ أي أنزل إليك وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآئَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ بالانحراف عنه الى ما يشتهونه لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ أيها النّاس شِرْعَةً شريعةً وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وَمِنْهَاجاً وطريقاً واضحاً من نَهَج الأمر إذا أوضح، في الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث فلما استجاب لكل نبي ما استجاب له من قومه من المؤمنين جعلنا لكل منهم شرعةً ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنّة وأمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسّبيل والسنّة وكان من السّبيل والسنّة التي أمر الله بها موسى أن جعل عليهم السّبت وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً جماعة متفقة عَلَىٰ دين واحد وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَيٰكُمْ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مصدقين بوجود الحكمة في اختلافها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ فابتدروها انتهازاً[2] للفرصة وحيازةً لقصب السّبق والتقدم إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والمبادر والمقصر .

(٤٩) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قيل عطف على الكتاب أي أنزلنا اليك الكتاب والحكم أو على الحق أي أنزلناه بالحق وبأن أحكم ويجوز الاستيناف بتقدير وأمرنا أن أحكم .

---

١ - قيل أنّ الأول في الجاحد والثاني والثالث في المقرّ التّارك.

٢ ـ النّهزة بالضمّ الفرصة وانتهزتها اغتنمتها ونهز نهزاً من باب نفع نهض لتناول شيء وانتهز الفرصة بادر وقتها.

في المجمع عن الباقر عليه السلام انما كرر الأمر بالحكم بينهم لأنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا اليه في قتل كان بينهم **وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَائَهُم واحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ** أن يضلّوك ويصرفوك **عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا** عن الحكم المنزل وأرادوا غيره **فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** فيه تنبيه على أنّ لهم ذنوباً كثيرة والتولي عن حكم الله مع عظمته واحد منها معدودة من جملتها **وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** هٰذا تسلية للنبّي صلىّ الله عليه وآله وسلم عن امتناع القوم من الاقرار بنبوّته والاسراع إلىٰ اجابته بأنّ أهل الايمان قليل وانّ أهل الفسق كثير فلا ينبغي أن بعظم ذٰلك عليك .

(٥٠) **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** انكار علىٰ توليّهم عن حُكْمِ الله وقرء بالتّاءِ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** أي هٰذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الّذين يتدبرون الأمور ويتحقّقون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكماً من الله .

في الكافي عن الصادق عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية فمن اخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية وقد قال الله عزّ وجلّ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون وأشهد على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية .

(٥١) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارىٰ أَوْلِيَاء** لا تعتمدُوا على الإنتصار بهم متودّدين اليهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب **بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** في العون والنصرة ويدهم واحدة عليكم وهم المتفقون في مضادتكم **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** من استنصر بهم فهو كافر مثلهم .

العيّاشي عن الصادق عليه السلام من تولىّ آل محمد صلوات الله عليهم وقدّمهم على جميع الناس بما قدّمهم من قرابة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فهو من آل محمد صلوات الله عليهم بمنزلة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين لا انّه من القوم بأعيانهم وانما هو منهم بتوليه إليهم واتباعه إيّاهم وكذٰلك حكم الله في كتابه ومن يتولهم منكم فانه منهم وقول إبراهيم فمن تبعني فانّه منّي **إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**

الذين ظلموا أنفسهم والمؤمنين بموالاة الكفار.

(٥٢) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كابن أُبيّ واضرابه يُسَارِعُونَ فِيهِمْ بموالاتهم ومعاونتهم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دَائِرَةٌ يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من الدّوائر بأن ينقلب الأمر ويكون الدولة للكفار، رويَ أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّ لي موالي من اليهود كثيراً عددهم وأنّي أبرء إلى الله والى رسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبيّ إنّي رجل أخاف الدوائر لا أبرىء من ولاية موالي فنزلت فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ لرسوله أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فيه اعزاز المؤمنين واذلال المشركين وظهور الإسلام فَيُصْبِحُوا أي هؤلاء المنافقين عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ من النفاق والشك في أمر الرسول نَادِمِينَ.

العياشي عن الصادق عليه السلام في تأويل هذه الآية اذن[1] في هلاك بني أميّة بعد احراق زيد سبعة أيام.

(٥٣) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا بعضهم لبعض أو لليهود وقرء بدون واو العطف وبالنّصب عطفاً على يأتي أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً[2] بما من الله عليهم من الإخلاص وجهد الأيمان أغلظها حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ أمّا من جهة المقول أو من قول الله شهادةً لهم.

وفيه معنى التعجّب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم ما أخسرهم.

(٥٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وقرء يرتدد بدالين جوابه محذوف يعني فلن يضرّ دين الله شيئاً فانّ الله لايخلّى دينه من أنصار يحمونه.

القميّ قال هو مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذِينَ غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم حقّهم وارتدوا عن دين الله فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ يحبهم الله ويحبون الله وقد سبق معنى المحبّة من الله ومن العباد أَذِلَّةٍ عَلَى

---

١ - أي كما اذن الله في هلاكهم انّما ذكر بمناسبة قوله فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده.

٢ - البَجَحْ محرّكة الفَرَح

الْمُؤْمِنِينَ[1] رحماء عليهم من الذِّلّ بالكسر الّذي هو اللينّ لا من الذُّل بالضّم الّذي هو الهوان أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ غلاظ شداد عليهم من عَزَّه اذا غلبه يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بالقتال لإعلاء كلمة الله واعزاز دينه وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ فيما يأتون من الجهاد والطاعة .

في المجمع عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام هم أمير المؤمنين وأصحابه حتى قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين .

قال ويؤيّد هذ أن النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم وصفه بهذه الصّفات حين ندبه لفتح خيبر بعد أن ردّ عنها صاحب الرّاية اليه مرة بعد أخرى وهو يجبّن النّاس يجبّنونه لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتىّ يفتح الله على يديه ثمّ اعطاها إيّاها فأمّا الوصف بِاللين على أهل الإيمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع أنه لا يخاف لومة لائم فمما لا يمكن دفع عليّ عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدّته على أهل الشرك والكفر ونكابته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملّة ونصرة الدين والرأفة بالمؤمنين وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال يوم البصرة والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية ،وعن النبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّئون[2] عن الحوض فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهّم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى .

والقمي انهّا نزلت في مهدي الأمة وأصحابه عليهم السلام وأوّلها خطاب لمن ظلم آل محمد صلوات الله عليهم وقتلهم وغصبهم حقهم .

وفي المجمع ويمكن أن ينصر هذا بأن قوله سبحانه فسوف يأتي الله بقوم يوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه

---

١ ـ قال ابن عبّاس تراهم للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيّده وهم في الغلظة على الكافرين كالسّبع على فريسته .

٢ ـ حلأت الإبل بالتّشديد تحلئة وتحلأً طردتها عنه ومنعتها ان تراه وكذلك غير الإبل .

الصفة الى قيام السّاعة .

أقول : لا منافاة بين الرّوايتين على ما حقّقناه في ا لمقدمات من جواز التعميم **ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ** أي محبّتهم لله سبحانه ولين جانبهم للمؤمنين وشدّتهم على الكافرين تفضّل من الله وتوفيق ولطف منه ومنّة من جهته **يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** يعطيه من يعلم أنّه محلّ له **وَاللهُ وَاسِعٌ** جواد لا يخاف نفاد ما عنده **عَلِيْمٌ** بموضع جوده وعطائه .

(٥٥) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .

في الكافي عن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية يعني أولى بكم أي أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله والّذين آمنوا يعني عليّاً وأولاده الأئمّة الى يوم القيامة ثم وصفهم الله فقال الّذين يقيمون الصّلٰوة ويؤتون الزّكوة وهم راكعون وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلوة الظهر وقد صلّى ركعتين وهو راكع وعليه حلّة قيمتها ألف دينار وكان النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أعطاه إيّاها وكان النّجاشي أهداها له فجاء سائل فقال السلام عليك يا وليّ الله وأ ولى بالمؤمنين من أنفسهم تصدّق علىّ مسكين فطَرَحَ الحلّة إليه وأومىٰ بيده إليه أن أحملها فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هٰذه الآية وصيرّ نعمة أولاده بنعمته فكل من بلغ من أولاده مبلغ الامامة يكون بهذه النّعمة مثله فيتصدّقون وهم راكعون والسّائل الذي سئل أمير المؤمنين عليه السلام من الملائكة والّذين يسألون الائمّة من أولاده يكونون من الملائكة .

وعنه عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام في قوله عزّ وجلّ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال لمّا نزلت انّما وليّكم الله الآية اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في مسجد المدينة فقال بعضهم إن كفرنا بهٰذه الآية نكفر بسائرها وإن آمنّا فانّ هٰذا ذلّ حين يسلّط علينا علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا قد علمنا أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلم صادق فيما يقول ولكنّا نتولاّه ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا قال فنزلت هذه الآية يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها بعني ولاية عليّ وأكثرهم الكافرون بالولاية .

وعنه عليه السلام أنّه سئل الأوصياء طاعتهم مفروضة فقال نعم هم الّذين قال الله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهم الّذين قال الله انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الآية .

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث فقال المنافقون فهل بقي لربّك علينا بعد الذي فرض علينا شيء آخر يفترض فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنّه لم يبق غيره فأنزل الله في ذلك قل إنّما أعظكم بواحدة يعني الولاية فأنزل الله إنّما وليّكم الله ورسوله الآية وليس بين الأمّة خلاف إنّه لم يؤتِ الزّكوٰة يومئذ أحد منهم وهو راكع غير رجل واحد ولو ذكر اسمه في الكتاب لأسقط مع ما أسقط .

وعن الباقر عليه السلام عن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في حديث في قوله سبحانه يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك قال وأنا مبينّ لكم سبب نزول هذه الآية إنّ جبرئيل هبط إليّ مراراً يأمرني عن السّلام ربّي وهو السّلام أن أقوم في هذا المشهد فأُعْلِمَ كُلّ أبيض وأسود أنّ علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أخي ووصيي وخليفتي والامام من بعدي وهو وليّكم بعد الله ورسوله وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه إنّما وليّكم الله ورسوله الآية وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أقام الصّلوٰة وآتى الزّكوٰة وهو راكع يريد الله عزّ وجلّ في كل حال .

وفي الخصال في احتجاج علي صلوات الله عليه على أبي بكر قال فانشدك بالله أليَ الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكوٰة الخاتم أم لك قال بل لك وفيه في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال وأمّا الخامسة والستّون فانّي كنت أصليّ في المسجد فجاء سائل وأنا راكع فناولته خاتمي من أصبعي فأنزل الله تعالى إنّما وليّكم الله ورسوله الآية.

والقميّ عن الباقر عليه السلام قال بينا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم جالس. وعنده قوم من اليهود وفيهم عبد الله بن سلام إذ نزلت عليه هذه الآية فخرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فاستقبله سائل فقال هل أعطاك أحد شيئاً قال نعم ذاك المصليّ فجاءَ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فاذا هو أمير المؤمنين عليه السلام .

والأخبار مما روته العامة والخاصة في أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة جدّاً ونقل في المجمع عن جمهور المفسرّين أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدق بخاتمه في ركوعه وذكر قصته عن ابن عباس وغيره ويمكن التوفيق بين ما رواه في الكافي أنّ المصدّق به كان حلة وبين ما رواه غيره واشتهر بين الخاصة والعامة أنه كان خاتماً بأنّه لعلّه تصدّق في ركوعه مرّة بالحلّة واخرى بالخاتم والآية نزلت بعد الثانية وفي قوله تعالىٰ ويؤتون اشعار بذلك لتضمنه التكرار والتجدّد كما أنّ فيه اشعار بفعل أولاده أيضاً

(٥٦) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ فانّ هم الغالبون وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على البرهان عليه وكأنّه قيل فانهم حزب الله وانّ حزب الله هم الغالبون[1] وتنويهاً بذكرهم وتعظيماً لشأنهم وتشريفاً لهم بهذا الإسم وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاءِ بأنّه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ، في المجالس عن الباقر عليه السلام في قوله إنّما وليّكم الله الآية قال انّ رهطاً من اليهود أسلموا منهم عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن أمين وابن صوريا فأتوا النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم فقالوا يا نبيّ الله إنّ موسى أوصى الىٰ يوشع بن نون فمن وصيّك يا رسول الله ومن وليّنا بعدك فنزلت هذه الآية إنّما وليّكم الله ورسوله الآية قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قوموا فقاموا فأتوا المسجد فاذا سائل خارج فقال يا سائل ما أعطاك أحد شيئاً قال نعم هذا الخاتم قال من أعطاكه قال اعطانيه ذلك الرّجل الّذي يصليّ قال قال على أي حال أعطاك قال كان راكعاً فكبّر النّبي صلىّ الله عليه وآله وكبّر أهل المسجد فقال النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليّكم بعدي قالوا رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد صلىّ الله عليه واله وسلم نبيّاً وبعليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وليّاً فأنزل الله ومن يتولّ الله ورسوله والّذين امنوا فانّ حِزب الله هم الغالبون .

---

١ ـ يقال نوّهت باسمه بالتّشديد إذا رفعت ذكره ونوّهته تنويهاً إذا رفعته وناه الشيء ينوه إذا ارتفع فهو نايه قاله الجزري.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل فيَّ ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل .

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام والّذين آمنوا في هٰذا الموضع هم المؤتمنون على الخلائق من الحجَج والأوصياء في عصر بعد عصر.

وفي التّوحيد عن الصّادق عليه السّلام يجيء رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم القيٰمة آخذاً بحجرة[1] ربّه ونحن آخذون بحجزة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وشيعتنا آخذون بحجزتنا فنحنُ وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون والله مٰا يُزعَم انّها حجزة الازار ولكنّها اعظم من ذٰلك يجيء رسول الله صلّى الله عليه وآله آخذاً بدين الله ونحن نجيء آخذين بدين نبيّنا صلّى الله عليه وآله وتجيء شيعتنا آخذين بديننا .

(٥٧) يٰا أيّها الّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذوُا الّذِينَ اتّخَذُوا دينَكُم هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم وَالكُفّارَ أَولِيآءَ وقرء الكفّار بالجَرِّ الى رتّب النّهي عن موٰالاتهم علىٰ اتّخاذهم دينهم هزواً ولعباً ايماء على العلّة وتنبيهاً علىٰ انّ من هٰذا شأنه بعيد عن الموٰالاة جدير بالمعٰاداة قيل نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادّونهما خصّ المنافقين باسم الكفار وان عم اهل الكتاب لتضاعف كفرهم واتّقُوا اللهَ إن كُنتُمْ مُؤمِنينَ.

(٥٨) وَإذَا نادَيْتُمْ إلَى الصَّلوٰةِ اتّخَذُوهٰا هُزُواً وَلَعِباً اتّخذوا الصّلوٰة والمنادٰاة مضحكة روى انّ نصرانيّاً بالمدينة كانَ اذا سمع المؤذّن يقول اشهد انّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرارة في البيت فاحرقه واهله ذٰلكَ بِأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلوُنَ فانّ السّفه يؤدي الى الجهل بالحقّ والهزء[2] به والعقل يمنع منه.

---

١ ـ في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله خذوا بحجزة هٰذا الأنزع يعني عليّاً عليه السلام فانّه الصّدّيق الأكبر والفاروق الأعظم يفرق بين الحقّ والباطل الحجزة بضمّ الحاء المهملة وإسكان الجيم والزاي معقد الأزار ثم قيل للأزار حجزة للمجاورة والجمع حجز مثل غرفة غرف وقد استعير الأخذ بالحجزة للتمسّك والإعتصام يعني تمسّكوا واعتصموا به .

٢ ـ الهزو والهزء السّخرية والإستخفاف يعدّى بالباء فيقال هزأت به واستهزأت به سخرت به ويقال هزأت منه أيضاً .

(٥٩) قُلْ يا اَهْلَ الكِتابِ هَل تَنقِمُونَ مِنّا هل تنكرون منا وتعيبون الّا اَن آمنّا باللهِ وما اُنزِلَ اِلَيْنا وما اُنزِلَ مِن قَبلُ بالكتب المنزلة كلّها وانَّ اَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ وبأن اكثركم خارجون عن امر الله طلباً للرّياسة وحَسَداً على منزلة النّبوة.

(٦٠) قُلْ هَل اُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ المنقوم يعني ان كان ذلك شرّاً عندكم فأنا اُخبركم بشرّ منه مَثُوبَةً جزاءً ثابتاً عِنْدَ اللهِ والمثوبة مختصّة بالخير كالعقوبة بالشّر وضعت هٰهنا موضعها على طريقة قوله سبحانه فبشّرهم بعذاب أليم مَنْ لَعَنَهُ اللهُ ابعد من رحمته وَغَضِبَ عَلَيْهِ وسخط عليه بكفره وانهماكه في المعاصي بعد وضوح الآيات وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ مسخهم وعَبَدَ الطّاغُوتَ وقرء(١) بضم الباء وجرّ التّاء ومن عبد الطّاغوت وهو الشّيطان وكلّ من عبد من دون الله قيل من جعل القردة هم اصحاب السّبت والخنازير كفّار اهل مائدة عيسىٰ على نبيّنا وعليه السّلام وقيل انّهما معاً اصحاب السّبت مسخ شبّانهم قردة وشيوخهم خنازير ومن عبد الطاغوت اصحاب العجل ويأتي ما ورد في ذلك في هذه السّورة أُولٰئِكَ الملعونون شَرٌّ مَكاناً وَاَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبيلِ عن قصد الطّريق المتوسّط بين غلوّ النّصارىٰ وغلوّ اليهود والمراد بصيغتي التّفضيل الزّيادة مطلقا لا بالإضافة الى المؤمنين.

(٦١) وَاِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنّا القمّي نزلت في عبد الله بن اُبَيّ وَقَدْ دَخَلُوا بِالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك وَاللهُ اَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ من الكفر فيه وعيد لهم.

(٦٢) وَتَرىٰ كَثيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الإِثْمِ المعصية وَالعُدْوانِ تعدّي حدود الله وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ الحرام كالرشوة لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلونَ.

---

١ ـ أي وقرأ حمزة وحده قال أبو علي حجّته في قراءته أنّه يحمله على ما عمل فيه جعل كأنّه وجعل فيهم عبد الطّاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظّلمات والنّور وجعل عنها زوجها وليس عبد جمع لفظ لأنّه ليس من ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنّه واحد يراد به الكثرة الا ترىٰ انّ في الأسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الأفراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدّوا نعمة الله لا تحصُوها ولأنّ بناء فَعُل يراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ وندس فكان تقديره أنّه قد ذهب في عبادة الطّاغوت كلّ مذهب وتكرّر ذلك له ومن فتح فقال وعبد الطّاغوت فانّه عطف على بناء الماضي الّذي في الصّلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لأنّ الكلام محمول على لفظه دون معناه وفاعله ضمير من كما انّ فاعل الأمثلة للمعطوف عليه ضمير من فأفرد لحمل ذلك جميعاً على اللفظ ولو حمل الكلّ على المعنى أو البعض على المعنى أو البعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيماً.

(٦٣) لَولا يَنْهٰهُمُ الرَبّانِيّونَ وَالأَحْبار علماؤهم عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ كالكذب وكلمة الشّرك مثل عزير بن الله وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ قيل لولا اذا دخل على الماضي افاد التّوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التّخْصيص لَبِئْسَ مٰا كٰانُوا يَصْنَعُونَ ذمّهم بأبلغ من ذمّ مرتكبي الكبايرلأنّ كل عامل لا يسمّي صانعاً حتّى يتمكّن من عمله ويتمهّر والوجه فيه انّ ترك الحسنة اقبح من مواقعة المعصية لأنّ النفس تلتذّ بالمعصية وتميل اليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها عن ابن عبّاس هي اشدّ آية في القرآن.

وفي الكافي عن امير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبة له انّما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربّانيّون والأحبار عن ذلك وانّهم لمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربّانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الحديث.

وفي كلام آخر له في حديث رواه ابن شعبة في تحف العقول قال اعتبروا ايّها النّاس بما وعظ الله به اولياءه من سوء ثنائه على الأحبار يقول لولا ينهاهم الربّانيّون والأحبار عن قولهم الإثم وقال لعن الّذين كَفَرُوا من بني اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون وقد مضى اخبار أُخر في ذلك في سورة آل عمران عند قوله تعالى وَلْتَكُنْ منكم أُمّة يَدْعُونَ الى الخير.

(٦٤) وَقٰالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ قيل غلّ[1] اليد كناية عن البخل وبسطها عن الجود.

والقمّي قال قالوا قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدّره في التّقدير الأوّل فردّ الله عليهم فقال بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء اي يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البداء والمشيّة.

وفي التّوحيد عن الصّادق عليه السلام في هٰذه الآية لم يعنوا انّه هٰكذا ولكنّهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص قال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء الم تسمع الله تعالى يقول يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب.

---

١ ـ غلّ فلاناً من باب منع ادخل عليه الغلّ وهو معروف والمصدر غلّ بفتح الفاء او غلول كقعود.

وفي العيون عن الرّضا عليه السّلام في كلام له في اثبات البداء مع سليمان المروزيّ وقد كان ينكره فقال احسبُك ضاهيت اليهود في هٰذا الباب قال اعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود قال قالت يد الله مغلولة يعنون انّ الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً الحديث

والعيّاشي عن الصادق عليه السلام يعنون انّه قد فرغ ممّا هو كان **غُلَّتْ اَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا** دعاء عليهم **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** تثنية[1] اليد اشارة الى تقابل اسمائه سبحانه وكناية عن غاية الجود فانّ الجواد في الغاية انّما يعطي بيديه جميعاً **يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** على ما يقتضيه الحكمة والصّلاح **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَآ اُنزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً** على طغيانهم وكفرهم كما يزداد المريض مرضاً مرضاً من تناوُل غذاء الأصحّاء

وَاَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ اِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ فكلماتهم مختلفة وقلوبهم شتّى فلا يقع بينهم موافقة[2] **كُلَّمَا اَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ اَطْفَاَهَا اللهُ** كلّما ارادوا محاربة غلبوا قيل كانوا في اشدّ بأس وامنع دار حتّى انّ قريشاً كانت تعتضد بهم وكان الأوس والخزرج تتكثّر بمظاهرتهم فذلّوا وقهروا وقتل النبيّ بني قريظة واجلى بني النّضير وغلب على خيبر وفدك واستأصل الله شأفتهم[3] حتّى انّ اليوم تجد اليهود في كلّ بلدة اذلّ النّاس **وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً** للفساد بمخالفة امر الله والإجتهاد في محو ذكر الرّسول من كتبهم قيل لمّا خالفوا حكم التّورية سلّط الله عليهم بخت نصّر ثم افسدوا فسلّط عليهم فطرس الرّومي ثم افسدوا فسلّط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلّط عليهم

---

١ ـ ويمكن أن يكون المراد النعمة ويكون الوجه في تثنية النّعمة انه اراد نعم الدّنيا ونعم الآخرة لأنّ الكلّ وان كانت نعم الله فمن حيث اخصّ كلّ منهما بصفة تخالف صفة الآخر كأنهما جنسان ويمكن ان يكون تثنية النعمة انّه اريد بهما النعم الظاهرة والباطنة كما قال الله واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل انّ المراد باليد القوة والقدرة عن الحسن ومعناه قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا.

٢ ـ وفي هٰذا دلالة معجزة لأنّ الله أخبرهم فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود أشدّ اهل الحجاز بأساً وامنعهم داراً الى آخر ما ذكره في مجمع البيان واورد خلاصته في هذا الكتاب

٣ ـ الشأفة قرحة تخرج في أصل القدم فيكوى فتذهب واذا قطعت مات صاحبها والأصل واستأصل الله شأفته اذهبه كما تذهب تلك القرحة أو معناه ازاله من اصله.

المسلمين والله لا يحبُّ الْمُفْسِدِينَ فلا يجازيهم الاّ شرّاً

(٦٥) وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وبما جاء به واتّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ التي فعلوها ولم يؤاخذهم بها وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنّاتِ النَّعيم فانّ الإسلام يجبّ ما قبله وان جلّ.

(٦٦) وَلَوْ اَنَّهُمْ اَقَامُوا التَّورٰيةَ والإِنْجيلَ باذاعة ما فيهما والقيام بأحكامهما وَمٰا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

في الكافي والعيّاشي عن الباقر عليه السلام يعني الولاية لَأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ لوسّع عليهم ارزاقهم وافيض عليهم بركات من السماء والأرض

القمّي قال من فوقهم المطر ومن تحت ارجلهم النّبات مِنْهُمْ اُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ قد دخلوا في الإسلام ،القمي قوم من اليهود دخلوا في الإسلام فسمّاهم الله مقتصدة وَكَثيرٌ مِنْهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ وفيه معنى التعجّب اي ما اسوء عملهم وهم الذين اقاموا على الجحود والكفر.

(٦٧) يٰا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ يعني في عليّ صلوات الله عليه فعنهم عليهم السّلام كذا نزلت وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ[1] ان تركت تبليغ ما انزل اليك في ولاية عليّ عليه السلام وكتمته كنت كأنّك لم تبلّغ شيئاً من رسالات في استحقاق العقوبة وقرء رسالته على التّوحيد وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ يمنعك من ان ينالوك بسوءٍ اِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهدي القَوْمَ الكافِرينَ في الجوامع عن ابن عبّاس وجابر عن عبد الله رضي الله عنه انّ الله تعالى امر نبيّه صلّى الله عليه وآله ان ينصب عليّاً عليه الصّلاة والسلام للناس ويخبرهم بولايته فتخوّف ان يقولوا حامى ابن عمّه وان يشقّ ذلك على جماعة من اصحابه فنزلت هذه الآية فأخذ بيده يوم غدير خم وقال صلّى الله عليه وآله من كنت مولاه فعليّ مولاه.

وقرء العيّاشي عنهما عليهما السلام مٰا في معناه

---

١ - يعني ان لم تنصّ بولاية عليّ فيضيع امر التّوحيد ولا يخلص ايمان الله وفي بعض القراءات الشّاذة فما بلّغت رسالاته بصيغة الجمع.

ورواه في المجمع عن الثّعلبيّ والحسكاني وغيرهما من العامّة وفي الكافي عن الباقر عليه السّلام في حديث ثمّ نزلت الولاية وانّما اتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة انزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وكان كمال الدّين بولاية عليّ بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه فقال عند ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله امّتي حديثوا عهد بالجاهليّة ومتى اخبرتهم بهذا في ابن عمّي يقول قائل ويقول قائل فقلت في نفسي من غير ان ينطق به لساني فأتتني عزيمة من الله بتلة[1] اوعدني ان لم ابلّغ أن يعذّبني فنزلت ﴿يا ايّها الرّسُول بلّغ﴾ الآية

فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السّلام فقال:

أيّها النّاس انّه ان لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي الّا وقد كان عمّره الله ثمّ دعاه فأجابه فأُوشك ان ادعىٰ فأجيب وانا مسؤول وانتم مسؤولون فماذا انتم قائلون؟

فقالوا نشهد انّك قد بلّغت ونصحت وادّيت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين.

فقال اللّهم اشهد ثلاث مرّات ثم قال:

يا معشر المسلمين هٰذا وليّكم من بعدي فليبلّغ الشّاهد منكم الغائب قال ابو جعفر عليه السّلام كان والله امين الله على خلقه وغيبه ودينه الّذي ارتضاه لنفسه.

وعنه عليه السلام امر الله عزّ وجلّ رسوله بولاية عليّ عليهما السّلام وانزل عليكم انّما وليّكم الله ورسوله الآية وفرض ولاية اولي الأمر فلم يدرُوا ما هي فأمر الله محمّداً صلّى الله عليه وآله ان يفسّر لهم الولاية كما فسّر لهم الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ فلمّا اتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله صلّى الله عليه وآله وتخوّف ان يرتدوا عن دينهم وان يكذّبوه فضاق صدره وراجع ربّه عزّ وجلّ فأوحى الله تعالى اليه يا أيُّها الرّسول الآية وصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية عليّ عليه السلام يوم غدير

---

١ ـ يقال بتلت الشّيء أبتله بالكسر إذا قطعته وأبنته من غيره ومنه قوله طلّقها بتة بتلة ومنه حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله في خبر النّص فاتتني عزيمة من الله تعالى بتلة أوعدني ان لم أبلّغ ان يعذّبني.

خم فنادى الصلاة جامعةً وأمر الناس ان يبلّغ الشّاهد الغائب.[1]

قال عليه السلام وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرايض فأنزل الله عزّ وجلّ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي قال يقول الله تعالى عزّ وجلّ لا انزل عليكم بعدها فريضة قد اكملت لكم الفرائض.

وفي الاحتجاج عنه عليه السلام أنه قال قد حج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من المدينة وقد بلغ جميع الشرايع قومه غير الحج والولاية فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له « يا محمد إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السّلام ويقول لَكَ إنّي لم أقبض نبيّاً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد اكمال ديني وتأكيد حجتي وقد بقي عليك من ذٰلك فريضتان مما يحتاج أن تبلغهما قومك : فريضة الحجّ ، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك ، فإني لم أخل أرضي من حجّة ولن أُخليها أبداً فإنّ الله يأمرك أن تبلّغ قومك الحجّ تحجّ ويحجّ معك كلّ من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضر والأطراف والأعراب وتعلّمهم من حجّهم مثل ما علّمتهم من صلواتهم وزكٰوتهم وصيامهم وتوقفهم من ذٰلك على مثال الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلّغتهم من الشرايع » .

فنادىٰ مناد من رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في النّاس ألا إنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يريد الحجّ وأن يعلّمكم من ذٰلك مثل الذي علمكم من شرايع دينكم ويوقفكم من ذٰلك علىٰ ما أوقفكم عليه من غيره ، فخرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وخرج معه النّاس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله ، فحجّ بهم وبلغ من حجّ مع رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسىٰ سبعين ألفاً الذين أخذ عليهم ببيعة هٰرون فنكثوا واتّبعوا العجل والسّامريّ وكذلك رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أخذ البيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة علىٰ عدد

---

١ ـ قال الفيروز ابادي فاصدع بما تؤمر أي شقّ جماعاتهم بالتّوحيد أو أجبر بالقرآن أو أظهر أو احكم بالحقّ وافصل بالأمر أو اقصد بما تؤمر أو أفرق به بين الحق والباطل وصدعه كمنعه شقّه او شقّه نصفين أو شقّه ولم يفترق وفلاناً قصده لكرمه وبالحقّ تكلّم به جهاراً وبالأمر اصاب به موضعه وجاهر به انتهى

أصحاب موسى فنكثوا البيعَة وَ اتّبعُوا العجل سنّة بسنّة ومثلاً بمثل واتّصلت التّلبية ما بين مكّة والمدينة .

فلمّا وقف بالموقفِ أتاه جبرئيل عن الله تعالىٰ فقال : يا محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم إنّ الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك انّه قد دنا أجلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بدّ منه ولا عنه محيص فاعهد عهدك [1] وقدّم وصيتك واعمد الى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياءِ من قبلك والسّلاح والتّابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياءِ فسلّمها الى وصيّك وخَليفتك من بعدك حجتّي البالغة علىٰ خلقي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأقمه للنّاس علماً وجدّد عهده وميثاقه وبيعته وذكّرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم به وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية وليّ ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانّي لم أقبض نبيّاً من الأنبياء إلاّ من بعد اكمال ديني واتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي وذلك كمال توحيدي وديني واتمام نعمتي على خلقي باتّباع وليّي وطاعته وذلك أنّي لا أترك أرضي بلا قيّم ليكون حجّة لي على خلقي فالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الآية بولاية وليّي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّ عبدي ووصي نبيّ والخليفة من بعده وحجتي البالغة علىٰ خلقي مقرون طاعته بطاعة محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم نبيّي ومقرون طاعته مع طاعة محمّد صلىّ الله عليه واله وسلم بطاعتي من اطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني جعلته علماً بيني وبين خلقي من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك بيعته كان مشركاً ومن لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعداوته دخل النار فأقم يا محمّد عليّاً صلوات الله عليهما علماً وخذ عليهم البيعة وجدّد عليهم عهدي وميثاقي لهم الّذي واثقتهم عليه فانّي قابضك اليّ ومستقدمك عليّ .

فخشي رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قومه وأهل النّفاق والشّقاق أن يتفرقوا ويرجعُوا جاهليّةً لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه أنفسهم لعليّ عليه السلام من

---

١ ـ فاعهد عهدت اي أوص وصيّتك واستعمال العهد في الوصيّة والعكس فوق حدّ الأحصاء في الآيات والأخبار وغيرهما كقوله تعالى وعهدنا الى آدم وعهدنا الى ابراهيم وغير ذلك.

البغضة[١] وسأل جبرئيل أن يسأل ربّه العصمة من النّاس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من النّاس من الله جلّ اسمه فأخّر ذلك الى أن بلغ مسجد الخَيْف[٢] فأتاه جبرئيل في مسجد الخَيْف فأمره أن يعهد عهده ويقيم عليّاً صلوات الله عليه للنّاس ولم يأته بالعصمة من الله جلّ جلاله الذي أراد حتى أتى كُراعَ الغميم بين مكّة والمدينة فأتاه جبرئيل عليه السلام وأمره بالذي أتاه به من قبل الله ولم يأته بالعصمة من الله جلّ جلاله الذي أراد فقال يا جبرئيل إنّي أخشى قومي أن يكذّبوني ولا يقبلوا قولي في عليّ عليه السلام فرَحَل فلما بلغ غدير خمّ قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهار[٣] والعصمة من الناس فقال يا محمّد إنّ الله تعالىٰ يقرؤك السّلام ويقول لك « يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من رَبّكَ فيْ عليّ صلوات الله وسلامه عليه وَان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يَعْصِمُكَ من الناس وكان أوايلهم قربت من الجحفة[٤] فأمره بأن يُرَدّ من تقدم منهم ويحبس من تأخّر عنهم في ذٰلك المكان ليقيم عليّاً عليه السلام للنّاس ويبلّغهم ما أنزل الله تعالىٰ في عليّ عليه السلام وأخبره بأنّ الله عزّ وجلّ قد عصمه من النّاس .

فأمر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم عندما جاءته العصمة منادياً ينادي في النّاس بالصّلوة جامعةً ويردّ من تقدم منهم ويحبس من تأخّر فتنحّىٰ عن يمينَ الطّريق الى جنبِ مسجد الغدير وأمره بذٰلك جبرئيل عن الله عزّ وجلّ وفي الموضع سلمات[٥] فأمر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أن يقم[٦] ما تحتهنّ وينصب له أحجار كهيئة المنبر

---

١ ـ البغض بالضمّ ضد الحبّ والبغضة بالكسر والبغضاء شدّته.

٢ ـ الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمّى مسجد الخيف بمنى لأنه بني في خيف الجبل والأصل مسجد خيف منى فخفّف بالحذف. ٣ ـ نهره وانتهره أي زبره وزجره.

٤ ـ الجحفة بضم الجيم هي مكان بين مكّة والمدينة محاذية لذى الحليفة من الجانب الشّامي قريب من رابغ بين بدر وخليص. ٥ ـ السّلمة كفرحة الحجارة ج ككتاب.

٦ ـ قمّ البيت قمّاً من باب قتل كنسه. قوله تعالى فحشرناهم فلم نغادر منهم احداً أى لم نبق منهم أحداً ومنه سمّى الغدير لأنّه ماء يغادره السّيول أي تخلّفه فعيل بمعنى مفعول أو فعيل بمعنىٰ فاعل لأنّه يغدر بأهله أي ينقطع عند شدّة الحاجة اليه ومنع الدّعاء اللّهم من نعمك وهي اجلّ من ان تغادر أى تنقطع وغدير خم موضع بالجُحفة شديد الوباء قال الأصمعي لم يولد بغدير خم أحد فعاش الى أن يحتلم الاّ أن ينجو منه ويوم الغدير هو يوم الثّامن عشر من ذي الحجّة وهو اليوم الذي نصب رسول الله (ص)) عليّاً (ع) خليفة بحضرة الجمع الكثير من النّاس حيث قال من كنت مولاه فعليّ مولاه قال العر ـ

ليشرف على الناس فتراجع النّاس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون فقام رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فوق تلك الأحجار ثُمَّ حمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه فقال صلىّ الله عليه وآله وسلم .

اَلْحَمْدُللهِ الَّذِي عَلاَ فِي تَوَحُّدِهِ وَدَنَا فِي تَفَرُّدِهِ وَجَلَّ فِي سَلْطَنَتِهِ وَعَظُمَ فِي أَرْكَانِهِ وَأَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَهُوَ فِي مَكانِهِ وَقَهَرَ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهَانِهِ مَجِيداً لَمْ يَزَلْ مَحْمُوداً لاَ يَزَالُ بَارِئُ الْمَسْمُوكاتِ وَدَاحِي الْمَدْحُوَّاتِ وَجَبَّارُ الْأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ مُتَفَضِّلٌ عَلَىٰ جَمِيعِ مَنْ بَرَاهُ مُتَطَوِّلٌ عَلَىٰ جَمِيعِ مَنْ أَنْشَأَهُ يَلْحَظُ كُلَّ عَيْنٍ وَالْعُيُونُ لاَ تَرَاهُ كَرِيمٌ حَلِيمٌ ذُو أَنَاةٍ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ بِرَحْمَتِهِ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ لاَ يَعْجَلُ بِانْتِقَامِهِ وَلاَ يُبَادِرُ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ عَذَابِهِ قَدْ فَهِمَ السَّرَائِرَ وَعَلِمَ الضَّمَائِرَ وَلاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ الْمَكْنُونَاتُ وَلاَ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْخَفِيَّاتُ لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْغَلَبَةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُدْرَةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ مُنْشِئُ الشَّيْءِ حِينَ لاَ شَيْءَ دَائِمٌ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ لاَ اِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ لاَ يَلْحَقُ أَحَدٌ وَصْفَهُ مِنْ مُعَايَنَةٍ وَلاَ يَجِدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِرٍّ وَعَلاَنِيَةٍ إِلاَّ بِمَا دَلَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَاشْهَدُ بِأَنَّهُ اللهُ الَّذِي مَلأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ وَالَّذِي يُغْشِي الأَبَدَ نُورُهُ وَالَّذِي يَنْفُذُ أَمْرُهُ بِلاَ مُشَاوَرَةِ مُشِيرٍ وَلاَ مَعَهُ شَرِيكٌ فِي تَقْدِيرٍ وَلاَ تَفَاوُتٌ فِي تَدْبِيرٍ صَوَّرَ مَا أَبْدَعَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ وَخَلَقَ مَا خَلَقَ بِلاَ مَعُونَةٍ مِنْ أَحَدٍ وَلاَ تَكَلُّفٍ وَلاَ احْتِيَالٍ أَنْشَاهَا فَكَانَتْ وَبَرَأَهَا فَبَانَتْ وَهُوَ اللهُ الَّذِي لاَ اِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمُتْقِنُ الصَّنْعَةِ

= وهو من اكابر علماء القوم في كتابه المسمّى بسرّ العالمين ما هذا لفظه قال رسول الله (ص) لعليّ يوم الغدير من كنت مولاه فعليّ مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا أبا الحسن لقد اصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة ثم قال وهذا رضىً وتسليم وولاية وتحكيم ثم بعد ذلك غلب الهوى وحبّ الرياسة وعقود البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول وفتح الأمصار والأمر والنهي فحملتهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون الى ان قال ثم انّ أبا بكر قال على منبر رسول الله (ص) اقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم أفقال ذلك هزواً وجداً او امتحاناً فان كان هزواً فالخلفاء لا يليق بهم الهزل ثم قال والعجب من منازعة معاوية بن أبي سفيان عليّاً في الخلافة وأين ومن أين أليس رسول الله (ص) قطع طمع من طمع فيها بقوله اذا ولّى الخليفتان فاقتلوا الأخير منهما والعجب من حق واحد كيف ينقسم بين اثنين والخلافة ليست بجسم ولا عرض فتتجزّى انتهىٰ كلامه وفيه دلالة على انحرافه عمّا كان عليه والله اعلم .

الْحَسَنُ الصَّنِيعَةِ الْعَدْلُ الَّذِي لاَ يَجُورُ وَالأَكْرَمُ الَّذِي تُرْجَعُ إِلَيْهِ الأُمُورُ وَاشْهَدُ أَنَّهُ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيءٍ لِقُدْرَتِهِ وَخَضَعَ كُلُّ شَيءٍ لِهَيْبَتِهِ مَالِكُ الأَمْلاَكِ وَمُفَلِّكُ الأَفْلاَكِ وَمُسَخِّرُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ كُلٌ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً قَاصِمُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمُهْلِكُ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيد لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ضِدٌّ وَلاَ نِدٌّ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَرَبٌّ مَاجِدٌ يَشَاءُ فَيَمْضِي وَيُرِيدُ فَيَقْضِي وَيَعْلَمُ وَيُحْصِي وَيُمِيتُ وَيُحْيِي وَيُفْقِرُ وَيُغْنِي وَيُضْحِكُ وَيُبْكِي وَيُدْنِي وَيُقْصِي وَيَمْنَعُ وَيُعْطِي لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ مُسْتَجِيبُ الدُّعَاءِ وَمُجْزِلُ الْعَطَاءِ مُحْصِي الأَنْفَاسِ وَرَبُّ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ لاَ يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيءٌ وَلاَ يُضْجِرُهُ صُرَاخُ الْمُسْتَصْرِخِينَ وَلاَ يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ الْعَاصِمُ لِلصَّالِحِينَ وَالْمُوَفِّقُ لِلْمُفْلِحِينَ وَمَوْلَى الْعَالَمِينَ الَّذِي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمِدَهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ وَاوْمِنُ بِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ أَسْمَعُ أَمْرَهُ وَأُطِيعُ وَأُبَادِرُ إِلىٰ كُلِّ مَا يَرْضَاهُ وَاسْتَسْلِمُ لِقَضَائِهِ رَغْبَةً فِي طَاعَتِهِ وَخَوْفاً مِنْ عُقُوبَتِهِ لأَنَّهُ الَّذِي لاَ يُؤْمَنُ مَكْرُهُ وَلاَ يُخَافُ جَوْرُهُ أُقِرُّ عَلَىٰ نَفْسِي بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأُؤَدِّي مَا أَوْحَىٰ إِلَيَّ حَذَراً مِنْ أَنْ لاَ أَفْعَلَ فَيَحِلَّ بِي مِنْهُ قَارِعَةٌ لاَ يَدْفَعُهَا عَنِّي أَحَدٌ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ لأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَهُ فَقَدْ ضَمِنَ لِي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْعِصْمَةَ وَهُوَ اللهُ الْكَافِي الْكَرِيمُ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا قَصَّرْتُ فِي تَبْلِيغِ مَا أَنْزَلَهُ وَأَنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ سَبَبَ هٰذِهِ الآيَةِ إِنَّ جَبْرَئِيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِرَاراً يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلاَمِ رَبِّي وَهُوَ السَّلاَمُ أَنْ أَقُومَ فِي هٰذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَالإِمَامُ مِنْ بَعْدِي الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هٰرُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْ

أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عَلَيَّ بِذٰلِكَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلام أَقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوةَ وَهُوَ رَاكِعٌ يُرِيدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ حَالٍ وَسَأَلْتُ جَبْرَئِيلَ عليه السلام أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِي عَنْ تَبْلِيغِ ذٰلِكَ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لِعِلْمِي بِقِلَّةِ الْمُتَّقِينَ وَكَثْرَةِ الْمُنَافِقِينَ وَادِغَالِ[1] الْآثِمِينَ وَخَتَلِ[2] الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْإِسْلَامِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالىٰ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ وَكَثْرَةِ اذا هُمْ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ حَتّى سَمُّونِي أُذُناً وَزَعَمُوا أَنِّي كَذٰلِكَ لِكَثْرَةِ مُلَازَمَتِهِ إِيَّايَ وَاقْبَالِي عَلَيْهِ حَتّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذٰلِكَ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ

هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ عَلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ الآية وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَ بِأَسْمَائِهِمْ لَسَمَّيْتُ وَأَنْ أُومِيَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لَأَوْمَأْتُ وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِمْ لَدَلَلْتُ وَلٰكِنِّي وَاللهِ فِي أُمُورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ وَكُلُّ ذٰلِكَ لَا يَرْضَى اللهُ مِنِّي إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ ثُمَّ تَلَا يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيٍّ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ عْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً مُفْتَرِضاً طَاعَتُهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَعَلَى الْبَادِي وَالْحَاضِرِ وَعَلَى الْأَعْجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَعَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَعَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ نَافِذٌ أَمْرُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَهُ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّهُ آخِرُ مَقَامٍ أَقُومُهُ فِي هٰذَا الْمَشْهَدِ فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَانْقَادُوا لِأَمْرِ رَبِّكُمْ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ رَبُّكُمْ وَوَلِيُّكُمْ وَإِلٰهُكُمْ ثُمَّ مِنْ دُونِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلِيُّكُمُ الْقَائِمُ الْمُخَاطِبُ لَكُمْ ثُمَّ مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ

---

١ ـ الدَّغل محرّكة دخل في الأمر مفسد والشجرُ الكبير الملتفّ واشتباك النّبت وكثرته والموضع يخاف فيه الاغتيال ج ادغال ودغال ومكان دغل ككتف

٢ ـ يقال ختله يختله اذا خدعه وراوغه والمخاتلة المخادعة.

وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّكُمْ ثُمَّ الْإِمَامَةُ فِي ذُرِّيَّتِي مِنْ وُلْدِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَلْقَوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَا حَلَالَ إِلا مَا أَحَلَّهُ اللهُ وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَرَّفَنِي الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَأَنَا أَفْضَيْتُ[1] بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّي مِنْ كِتَابِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ إِلَيْهِ مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللهُ فِيَّ كُلَّ عِلْمٍ عَلِمْتُهُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمْتُهُ عَلِيًّا وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ مَعَاشِرَ النَّاسِ لَا تَضِلُّوا عَنْهُ وَلَا تَنْفِرُوا مِنْهُ وَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ وِلَايَتِهِ فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُزْهِقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِي فَدَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ بِنَفْسِهِ وَالَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ وَلَا أَحَدَ يَعْبُدُ اللهَ مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرُهُ مَعَاشِرَ النَّاسِ فَضِّلُوهُ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللهُ وَاقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ اللهُ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّهُ إِمَامٌ مِنَ اللهِ وَلَنْ يَتُوبَ اللهُ عَلَىٰ أَحَدٍ أَنْكَرَ وَلَايَتَهُ وَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ حَتْمًا عَلَى اللهِ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ فِيهِ وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا نُكْرًا أَبَدَ الْآبَادِ وَدَهْرَ الدُّهُورِ فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتُصْلَوْا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ أَيُّهَا النَّاسِ بِي وَاللهِ بُشِّرَ الْأَوَّلُونَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَنَا خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْحُجَّةُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ فَمَنْ شَكَّ فِي ذٰلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ قَوْلِي هٰذَا فَقَدْ شَكَّ فِي الْكُلِّ مِنْهُ وَالشَّاكُّ فِي الْكُلِّ فَلَهُ النَّارُ مَعَاشِرَ النَّاسِ حَبَانِيَ[2] اللهُ بِهٰذِهِ الْفَضِيلَةِ مَنًّا مِنْهُ عَلَيَّ وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيَّ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ مِنِّي أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، مَعَاشِرَ النَّاسِ فَضِّلُوا عَلِيًّا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدِي مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ بِنَا أَنْزَلَ اللهُ الرِّزْقَ وَبِقِيَ الْخَلْقُ مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَّ قَوْلِي هٰذَا وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْهُ إِلَّا إِنَّ جَبْرَئِيلَ خَبَّرَنِي عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ بِذٰلِكَ وَيَقُولُ مَنْ عَادَى عَلِيًّا وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي فَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَزِلَّ قَدَمٌ

---

١ ـ يقال أفضيت بكذا إلى فلان أي أوصلته إليه ومسته به.

٢ ـ يقال حبوت الرّجل حباءً بالكسر والمدّ أعطيته الشيء بغير عوض والاسم منه الحبوة بالضمّ ومنه بيع المحاباة

بَعْدَ ثُبُوتِهَا إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنَّهُ جَنْبُ اللهِ نَزَلَ فِي كِتَابِهِ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ مَعَاشَرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ وَانْظُرُوا إِلَىٰ مُحْكَمَاتِهِ وَلاَ تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ فَوَاللهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلاَ يُوضِحُ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلاَّ الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ[1] بِعَضُدِهِ وَمُعَلِّمُكُمْ أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهٰذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَخِي وَوَصِيِّي وَمُوَالاَتُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنَّ عَلِيّاً وَالطَّيِّبِينَ مِنْ وُلْدِي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الثِّقْلُ الأَصْغَرُ وَالْقُرْآنُ هُوَ الثِّقْلُ الأَكْبَرُ فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْبِيءٌ عَنْ صَاحِبِهِ وَمُوَافِقٌ لَهُ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ أُمَنَاءُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَحُكَّامُهُ فِي أَرْضِهِ أَلاَ وَقَدْ بَلَّغْتُ أَلاَ وَقَدْ أَدَّيْتُ أَلاَ وَقَدْ أَسْمَعْتُ أَلاَ وَقَدْ أَوْضَحْتُ أَلاَ وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ وَأَنَا قُلْتُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلاَ إِنَّهُ لَيْسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ غَيْرَ أَخِي هٰذَا وَلاَ تَحِلُّ إِمْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ لأَحَدٍ غَيْرِهِ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَىٰ عَضُدِهِ فَرَفَعَهُ وَكَانَ مُنْذُ أَوَّلِ مَا صَعَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ شَالَ عَلِيّاً حَتَّىٰ صَارَتْ رِجْلُهُ مَعَ رُكْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ ثُمَّ قَالَ مَعَاشَرَ النَّاسِ هٰذَا عَلِيٌّ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَاعِي عِلْمِي وَخَلِيفَتِي عَلَىٰ أُمَّتِي وَعَلَىٰ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ وَالدَّاعِي إِلَيْهِ وَالْعَامِلُ بِمَا يَرْضَاهُ وَالْمُحَارِبُ لأَعْدَائِهِ وَالْمُوَالِي عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَالنَّاهِي عَنْ مَعْصِيَتِهِ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالإِمَامُ الْهَادِي وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ بِأَمْرِ اللهِ أَقُولُ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّي أَقُولُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَالْعَنْ مَنْ أَنْكَرَهُ وَاغْضَبْ عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ اَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ أَنَّ الإِمَامَةَ لِعَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تِبْيَانِي ذٰلِكَ وَنَصْبِي إِيَّاهُ عَلَماً بِمَا أَكْمَلْتَ لِعِبَادِكَ مِنْ دِينِهِمْ وَأَتْمَمْتَ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَكَ وَرَضِيتَ لَهُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَقُلْتَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ اَللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُ مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنَّمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَكْمَلَ دِينَكُمْ بِإِمَامَتِهِ فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ إِلَىٰ يَوْمِ

---

١ ـ شلت بالجرّة أشول بها شولاً رفعتها ولا تقل شِلتُ ويقال أيضاً اشلت الجرّة فانشالت هي.

القِيامَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ لاَ يُخَفَّفُ اللهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ هٰذَا عَلِيٌّ أَنْصَرُكُمْ لِي وَأَحَقُّكُمْ بِي وَأَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ وَأَعَزُّكُمْ عَلَيَّ واللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ رَاضِيانِ وَمَا نَزَلَتْ آيَةُ رِضًى إِلاَّ فِيهِ وَمَا خَاطَبَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلاَّ بَدَأَ بِهِ وَلاَ نَزَلَتْ آيَةُ مَدْحٍ فِي الْقُرْآنِ إِلاَّ فِيهِ وَلاَ شَهِدَ اللهُ بِالْجَنَّةِ فِي هَلْ أَتَىٰ عَلَى الاِنْسَانِ إِلاَّ لَهُ وَلاَ أَنْزَلَهَا فِي سِوَاهُ وَلاَ مَدَحَ بِهَا غَيْرَهُ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ هُوَ نَاصِرُ دِينِ اللهِ وَالْمُجَادِلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ وَهُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْهادي الْمَهْدي نَبِيُّكُمْ خَيْرُ نَبِيٍّ وَوَصِيُّكُمْ خَيْرُ وَصِيٍّ وَبَنُوهُ خَيْرُ الأَوْصِياءِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ ذُرِّيَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ وَذُرِّيَتِي مِنْ صُلْبِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ إِبْلِيسَ أَخْرَجَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ فَلاَ تَحْسُدُوهُ فَتَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ وَتَزِلَّ أَقْدَامُكُمْ فَإِنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ صَفْوَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْدَاءُ اللهِ أَلاَ إِنَّهُ لاَ يُبْغِضُ عَلِيّاً إِلاَّ شَقِيٌّ وَلاَ يَتَوَلَّىٰ عَلِيّاً إِلاَّ تَقِيٌّ وَلا يُؤْمِنُ بِهِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ وَفِي عَلِيٍّ وَاللهِ أُنْزِلَ سُورَةُ الْعَصْرِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ إِلَىٰ آخِرِهِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ قَدِ اسْتَشْهَدْتُ اللهَ وَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَتِي وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مَعَاشِرَ النَّاسِ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا مَعَاشِرَ النَّاسِ النُّورُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ ثُمَّ مَسْلُوكٌ فِي عَلِيٍّ ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَىٰ الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ الَّذِي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَنَا حُجَّةً عَلَىٰ الْمُقَصِّرِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَالْمُخَالِفِينَ وَالْخَائِنِينَ وَالآثِمِينَ وَالظَّالِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنِّي أُنْذِرُكُمْ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرُّسُلُ أَفَإِنْ مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ إِنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً

وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ أَلا وإنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلامُ الْمَوْصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ مَعَاشِرَ النَّاسِ لاَ تَمُنُّوا عَلَى اللهِ تَعَالَىٰ إِسْلاَمَكُمْ فَيُسْخِطَ عَلَيْكُمْ وَيُصِيبَكُم بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ إِنَّهُ لَبِالْمِرْصَادِ مَعَاشِرَ النَّاسِ سَيَكُونَ مِنْ بَعْدِي أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ وَأَنَا بَرِيئَانِ مِنْهُمْ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّهُمْ وَأَشْيَاعَهُمْ وَاتْبَاعَهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ أَلا إِنَّهُمْ [1] أَصْحَابُ الصَّحِيفَةِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ فِي صَحِيفَتِهِ قَالَ فَذَهَبَ عَلَى النَّاسِ الا شرذمة منهم أمر الصحيفة مَعَاشِرَ النَّاسِ انِّي أَدَعُهَا أَمَانَةً وَوِرَاثَةً فِي عَقِبِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَدْ بَلَّغْتُ مَا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ حُجَّةً عَلَىٰ كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ وَعَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَهِدَ أَو لَمْ يَشْهَدْ وُلِدَ أَو لَمْ يُولَدْ فَلْيُبَلِّغِ الْحَاضِرُ الْغَائِبَ وَالْوَالِدُ الْوَلَدَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَيَجْعَلُونَهَا مُلْكاً اغْتِصَاباً أَلا لَعَنَ اللهُ الْغَاصِبِينَ وَالْمُغْتَصِبِينَ وَعِنْدَهَا سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ فَيُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ يَذَرُكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ مَعَاشِرَ النَّاسِ انَّهُ مَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَاللهُ مُهْلِكُهَا بِتَكْذِيبِهَا وَكَذٰلِكَ يُهْلِكُ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ وَهُوَ إِمَامِكُمْ وَوَلِيُّكُمْ وَهُوَ مَوَاعِيدُ اللهِ وَاللهُ يَصْدُقُ مَا وَعَدَهُ مَعَاشِرَ

---

١ ـ قوله صلّى الله عليه وآله الا انّهم اصحاب الصّحيفة أي أئمّة النار الغاصبين لحقّ عليّ (ع) فلينظر أحدكم . . . أي فلينظر بعض منكم في صحيفته التي صنعها وحفظها عنده فيعرف نفسه انه من أئمة النار واصحابها ويعرف شركاءه في هذا الأمر انهم بأسرهم من رؤساء اهل النار وقضية الصحيفة معروفة مشهورة لا يناسب المقام التعرض لتفصيلها لطولها واجمالها انّ سبعين رجلاً من رؤوس المعاندين واصول الكفر والنفاق منهم الأول والثاني لما عرفوا هذا الأمر من رسول الله (ص) ورغبته في عليّ (ع) قالوا في أنفسهم وبعضهم انّا انّما آمنّا بمحمّد (ص) ظاهراً لجلب الرّياسة ونظم أمر دنيانا والآن قد تردّ الأمر على ابن عمّه وقطع رجاءنا فما الحيلة ولا يسعنا طاعة عليّ (ع) فتوطئوا أو تحالفوا على دفع هذا الأمر وعلاجه ولو تقبل رسول الله (ص) حتى اذا دفعوا السّم اليهما فدسّتا في اللبن واستقاه واجتمعوا في السقيفة وأوحى اليهم الشّيطان وافسدُوا ما افسدوا قال يعني الإمام محمّد بن علي الباقر فذهب على الناس الاشرذمة منهم آه يعني ضاع واختفى عليهم أمر الصحيفة فلم يدروا ما في الصحيفة ولم يعرفوا ارباها فاغترّوا بهم بعد وفاة النبيّ (ص) واما الشرذمة فهؤلاء المتحالفون وبعض خواصّ النبيّ (ص) الذين اعلمهم النبيّ بفعل هؤلاء وما عقدوا عليه وما يريدون وسيركبونه في تخريب الدّين وافساد أمور المسلمين.

النَّاسِ قدْ ضَلَّ قَبْلَكُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ وَاللهُ لَقَدْ أَهْلَكَ الأَوَّلِينَ وَهُوَ مُهْلِكُ الآخِرِينَ .

مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنِي وَنَهَانِي وَقَدْ أَمَرْتُ عَلِيّاً وَنَهَيْتُهُ فَعَلِمَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْمَعُوا لأَمْرِهِ تَسْلَمُوا وَأَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ تَرْشُدُوا وَصِيرُوا إِلَىٰ مُرَادِهِ وَلاَ تَتَفَرَّقَ بِكُمُ السُّبُلُ عَنْ سَبِيلِهِ أَنَا صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ثُمَّ قَرَأَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ آخِرِهَا وَقَالَ فِيَّ نَزَلَتْ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ وَلَهُمْ عَمَّتْ وَإِيَّاهُمْ خَصَّتْ أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ أَلاَ إِنَّ أَعْدَاءَ عَلِيٍّ هُمْ أَهْلُ الشِّقَاقِ وَهُمُ الْعَادُونَ وَاخْوَانُ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ تَعَالَىٰ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ آمِنِينَ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ بِالتَّسْلِيمِ انْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَلاَ إِنَّ أَعْدَائَهُمُ الَّذِينَ يَصْلَوْنَ سَعِيراً أَلاَ إِنَّ أَعْدَائَهُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ لِجَهَنَّمَ شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ وَلَهَا زَفِيرٌ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا الآيَةَ أَلاَ إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ الآيَةَ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ مَعَاشِرَ النَّاسِ شَتَّانَ مَا بَيْنَ السَّعِيرِ وَالْجَنَّةِ عَدُوُّنَا مَنْ ذَمَّهُ اللهُ وَلَعَنَهُ وَوَلِيُّنَا مَنْ أَحَبَّهُ اللهِ وَمَدَحَهُ مَعَاشِرَ النَّاسِ أَلاَ وَإِنِّي مُنْذِرٌ عَلِيٌّ هَادٍ مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنِّي نَبِيٌّ وَعَلِيٌّ وَصِيِّي أَلاَ وَإِنَّ خَاتَمَ الأَئِمَّةِ مِنَّا الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ أَلاَ إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ أَلاَ إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ أَلاَ إِنَّهُ فَاتِحُ الْحُصُونِ وَهَادِمُهَا أَلاَ إِنَّهُ قَاتِلُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ أَلاَ إِنَّهُ مُدْرِكُ كُلِّ ثَارٍ لأَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلاَ إِنَّهُ نَاصِرُ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلاَ إِنَّهُ

الْغَرَافُ[١] مِنْ بَحْرٍ عَمِيقٍ أَلاَ إِنَّهُ يَسِمُ[٢] كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَكُلَّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ أَلاَ إِنَّهُ خِيرَةُ اللهِ وَمُخْتَارُهُ أَلاَ إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالْمُحِيطُ بِهِ أَلاَ إِنَّهُ الْمُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَبِّهُ بِأَمْرِ إِيمَانِهِ أَلاَ إِنَّهُ الرَّشِيدُ السَّدِيدُ أَلاَ إِنَّهُ الْمَفْوَضُ إِلَيْهِ أَلاَ إِنَّهُ قَدْ بُشِّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلاَ إِنَّهُ الْبَاقِي حُجَّةً وَلاَ حُجَّةَ بَعْدَهُ وَلاَ حَقَّ إِلاَّ مَعَهُ وَلاَ نُورَ إِلاَّ عِنْدَهُ أَلاَ إِنَّهُ لاَ غَالِبَ لَهُ وَلاَ مَنْصُورَ عَلَيْهِ أَلاَ إِنَّهُ وَلِيُّ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَحَكَمُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ مَعَاشِرَ النَّاسِ قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ وَهٰذَا عَلِيٌّ يُفْهِمُكُمْ بَعْدِي أَلاَ وَإِنَّ عِنْدَ إِنْقِضَاءِ خُطْبَتِي أَدْعُوكُمْ إِلَى مُصَافَقَتِي عَلَىٰ بَيْعَتِهِ وَالإِقْرَارِ بِهِ ثُمَّ مُصَافَقَتِهِ مِنْ بَعْدِي أَلاَ وَإِنِّي قَدْ بَايَعْتُ اللهَ وَعَلِيٌّ قَدْ بَايَعَنِي وَأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الآية مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ الْحَجَّ وَالصَّفَا وَالْمَرْوَةَ وَالْعُمْرَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ الآيَةَ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ حِجُّوا الْبَيْتَ فَمَا وَرَدَهُ أَهْلُ بَيْتٍ إِلاَّ اسْتَغْنَوْا وَلاَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ إِلاَّ افْتَقَرُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤْمِنٌ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَىٰ وَقْتِهِ ذٰلِكَ فَإِذَا انْقَضَتْ حَجَّتُهُ إِسْتُأْنِفَ عَمَلُهُ مَعَاشِرَ النَّاسِ الْحُجَّاجُ مُعَانُونَ وَنَفَقَاتُهُمْ مُخَلَّفَةٌ وَاللهُ لاَ يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ حِجُّوا الْبَيْتَ بِكَمَالِ الدِّينِ وَالتَّفَقُّهِ وَلاَ تَنْصَرِفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ إِلاَّ بِتَوْبَةٍ وَاقْلاَعٍ مَعَاشِرَ النَّاسِ أَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لَئِنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَقَصُرْتُمْ أَوْ نَسِيتُمْ فَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَمُبَيِّنٌ لَكُمُ الَّذِي نَصَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدِي وَمَنْ خَلَفَهُ اللهُ مِنِّي وَمِنْهُ يُخْبِرُكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُ لَكُمْ مَا لاَ تَعْلَمُونَ أَلاَ إِنَّ الْحَلاَلَ وَالْحَرَامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُمَا وَأُعَرِّفَهُمَا فَآمُرُ بِالْحَلاَلِ وَأَنْهَىٰ عَنِ الْحَرَامِ فِي مَقَامٍ[٣] وَاحِدٍ فَأَمَرْتُ أَنْ آخُذَ الْبَيْعَةَ عَلَيْكُمْ وَالصَّفْقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا

---

١ ـ الغراف كشداد نهر بين واسط والبصرة عليه كورة كبيرة وفرس البرّاء بن قيس ومن الأنهر الكثير الماء قاله الفيروز أبادي والمراد به هنا المعنى الأخير أي هو النهر العظيم المنشق من عميق بحر الولاية.

٢ ـ قوله تعالىٰ سَنَسِمُهُ على الخرطوم أي سنجعل له سمة أهل النّار وهي أن سودّ وجهه وقوله انّه يسم . . . يمكن ان يكون من هٰذا القبيل بأن يجعل سمة الفضل والجهل على اربابهما ووسمه وسماً وسِمَة اذا اثر فيه بسمة وكي ووسمت في الشيء وسماً من باب وعد علميّة ومن هٰذين أيضاً يناسب اخذه. ٣ ـ قوله في مقام واحد أي في مرتبةٍ واحدة.

جِئْتُ بِهِ عنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي عَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ وَمِنْهُمُ الْمَهْدِيّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ مَعَاشَرَ النَّاسِ وَكُلُّ حَلَالٍ دَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ وَكُلّ حَرَامٍ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنِّي لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذٰلِكَ وَلَمْ أُبَدِّل ألا فاذْكُرُوا ذٰلِكَ[1] وَاحْفَظُوهُ وَتَوَاصَوْا بِهِ وَلا تُبَدِّلُوهُ وَلاَ تُغَيِّرُوهُ أَلاَ وإِنِّي أُجَدِّدُ الْقَوْلَ أَلاَ فَأَقِيمُوا الصَلوٰةَ وَآتُوا الزَّكوٰةَ وأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ أَلاَ وإِنَّ رأْسَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَن تَنْتَهُوا إِلَىٰ قَوْلِي وَتُبَلِّغُوهُ مَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ وَتَنْهَوْهُ عَنْ مُخَالَفَتِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي وَلاَ أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ نَهْيَ عَنْ مُنْكَرٍ إِلاَّ مَعَ إِمَامٍ مَعْصُومٍ

مَعَاشَرَ النَّاسِ الْقُرْآنُ يُعَرِّفُكُمْ أَنَّ الأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدُهُ وَعَرَّفْتُكُمْ أَنَّهُمْ مِنِّي وَمِنْهُ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ وَقُلْتُ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا مَعَاشَرَ النَّاسِ التَّقْوَىٰ التَّقْوَىٰ احْذَرُوا السَّاعَةَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ أُذْكُرُوا الْمَمَاتَ وَالْحِسَابَ وَالْمَوَازِينَ وَالْمُحَاسَبَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ أُثِيبَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْجِنَانِ نَصِيبٌ .

مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَن تُصَافِقُونِي بِكَفٍ وَاحِدَةٍ وَأَمَرَنِي اللهُ أَنْ آخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الإِقْرَارَ بِمَا عَقَدْتُ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الأَئِمَّةِ مِنِّي وَمِنْهُ عَلَىٰ مَا أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّ ذُرِّيَتِي مِنْ صُلْبِهِ فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ إِنَّا سَامِعُونَ مُطِيعُونَ رَاضُونَ مُنْقَادُونَ لِمَا بَلَّغْتَ عَنْ رَبِّنَا وَرَبِّكَ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ وَأَمْرِ وُلْدِهِ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ نُبَايِعُكَ عَلَىٰ ذٰلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَأَيْدِينَا عَلَىٰ ذٰلِكَ نَحْيَىٰ وَنَمُوتُ وَنُبْعَثُ وَلاَ نُغَيِّرُ وَلاَ نُبَدِّلُ وَلاَ نَشُكُّ وَلاَ نَرْتَابُ وَلاَ نَرْجِعُ عَنْ عَهْدٍ وَلاَ نَنْقُضُ الْمِيثَاقَ وَنُطِيعُ اللهَ وَنُطِيعُكَ وَعَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوُلْدَهُ الأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ صُلْبِهِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الَّذِينَ قَدْ عَرَّفْتَنَا مَكَانَهُمَا مِنِّي وَمَحَلَّهُمَا عِنْدِي وَمَنْزِلَتَهُمَا مِنْ رَبِّي فَقَدْ أَدَّيْتُ ذٰلِكَ

---

١ ـ أي يوصي بعضكم إلى بعض.

إِلَيْكُمْ وَإِنهما سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُمَا الإِمَامَانُ بَعْدَ أَبِيهِمَا عَلِيٍّ وَأَنَا أَبُوهُمَا قَبْلَهُ وَقُولُوا أَطَعْنَا اللهَ بِذٰلِكَ وَإِيَّاكَ وَعَلِيّاً وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالأَئِمَّةَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ ذَكَرْتَ عَهْداً وَمِيثَاقاً مَأْخُوذاً لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ مِنْ قُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَمُصَافَقَةِ أَيْدِينَا مَنْ أَدْرَكَهُمَا بِيَدِهِ وَأَقَرَّ بِهِمَا بِلِسَانِهِ لاَ نَبْتَغِي بِذٰلِكَ بَدَلاً وَلاَ نَرَىٰ مِنْ أَنْفُسِنَا عَنْهُ حِوَلاً أَبَداً أَشْهَدْنَا اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً وَأَنْتَ بِهِ عَلَيْنَا شَهِيدٌ وَكُلُّ مَنْ أَطَاعَ مِمَّنْ ظَهَرَ وَاسْتَتَرَ وَمَلاَئِكَةِ اللهِ وَجُنُودِهِ وَعَبِيدِهِ وَاللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَهِيدٍ .

مَعَاشَرَ النَّاسِ مَا تَقُولُونَ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ وَخَافِيَةَ كُلِّ نَفْسٍ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَنْ بَايَعَ فَإِنَّمَا يُبَايِعُ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مَعَاشَرَ النَّاسِ فَاتَّقُوا اللهَ وَبَايِعُوا عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمَ كَلِمَةً بَاقِيَةً يُهْلِكُ اللهُ مَنْ غَدَرَ وَيَرْحَمُ اللهُ مَنْ وَفَىٰ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الآية .

مَعَاشَرَ النَّاسِ قُولُوا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ وَسَلِّمُوا عَلَىٰ عَلِيٍّ عَلَيْهِ الصَّلْوٰةُ وَالسَّلاَمُ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ وَقُولُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ مَعَاشَرَ النَّاسِ إِنَّ فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ أَنْزَلَهَا عَلِيٌّ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ فَمَنْ أَنْبَاكُمْ بِهَا وَعَرَفَهَا فَصَدِّقُوهُ مَعَاشَرَ النَّاسِ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَلِيّاً وَالأَئِمَّةَ الَّذِينَ ذَكَرْتُمْ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً مَعَاشَرَ النَّاسِ السَّابِقُونَ إِلَىٰ مُبَايَعَتِهِ وَمُوَالاَتِهِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ أُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَاشَرَ النَّاسِ قُولُوا مَا يَرْضَى اللهُ بِهِ عَنْكُمْ مِنَ الْقَوْلِ فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاغْضَبْ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَنَادَاهُ الْقَوْمُ نَعَمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ بِقُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَأَيْدِينَا

وتداكوا [١] على رسولِ اللهِ صلىّ اللهُ عليه وآله وسلم وعلىٰ عَلِيّ وصَافَقُوا [٢] بأيديهم فكان أوّل من صافق رسول اللهِ الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناسِ عن آخرهم على طبقاتهم وقدر منازلهم الى أن صلّيت العشاء والعتمة في وقت واحد وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً ورسولُ الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يقول كلّما بايع قوم **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ** وصارت المصافقة سنّة ورسماً يستعملها من ليس له حقّ فيها .

والقميّ قال : نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله من حجّة الوداع وحجّ رسو الله صلىّ الله عليه وآله وسلم حجّة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة وكان من قوله في خطبته بمنىٰ أن أحمد لله وأثنىٰ عليه ثم قال :

أيّها النّاس اسمعوا قولي واعقلوه عنّي فانّي لا أدري لعليّ لا القاكم بعد عامي هذا ثمّ قال هل تعلمون أيّ يوم أعظم حرمة .

قال النّاس هذا اليوم .

قال فأيّ شهر .

قال النّاس هٰذا الشهر .

قال : وأيّ بلد أعظم حرمة ؟

قالوا بلدنا هذا .

قال : فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الى يوم تلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم ألا هل بلّغت أيها الناس قالوا نعم .

قال اللّهُمَّ اشهد ثمّ قال ألاكلّ مأثرة [٣] أو بدع كانت في الجاهلية أو دم أو مال فهو

---

١ ـ تداك عليه الناي أي اجتمعوا.

٢ ـ يقال صفقت له بالبيعة صفقاً أي ضربت بيدي على يده وكانت العرب إذا وجب البيع ضربت أحدهما يده على يد صاحبه ثم انتقلت الصفقة في العقد فقيل بارك الله لك في صفقة يدك.

٣ ـ المأثرة بضم الثاء المكرمة لأنها تؤثر وتتحدّث بها.

تحت [١] قدميّ هاتين ليس أحدكم أكرم من أحد الاّ بالتّقوىٰ ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم .

قال :اللّهم اشهد ثم قال : ألا وكلّ رباً [٢] كان في الجاهلية فهو موضوع وأوّل موضوع منه رباء العبّاس بن عبد المطّلب الاوكلّ دمٍ كان في الجاهلية فهو موضوع وأوّل موضوع منه دم ربيعة ألاهل بلّغت قالوا نعم قال اللّهمّ اشهد ثم قال ألا وانّ الشّيطانَ قَدْ يئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم ألا وانّه اذا اطيع فقد عبد ألاّ أيها الناس انّ المسلم أخ المسلم حقّاً ولا يحلّ لامرىء مسلم دم أمرء مسلم وماله الاّ ما أعطاهُ بطيبة نفس منه وانّي أمرت أن أقاتل النّاس حتّىٰ يقولوا لاَ إله إلا الله فاذا قالوها فقد عصمُوا منّي دماءهم وأموالهم الاّ بحقّها وحسابهم على الله ألا فهل بلّغت أيها الناش قالوا نعم قال اللّهم اشهد ثم قال أيها الناس احفظوا قولي تنتفعُوا به بعدي وافقهوه تنتعشوا [٣] الا لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسّيف على الدنيافان أنتم فعلتم ذلك ولتفعلنّ لتجدوني في كتيبة [٤] بين جبرئيل وميكائيل اضرب وجوهكم بالسّيف .

ثم التفت عن يمينه وسكت ساعة ثم قال انشاء الله أو عليّ بن أبي طالب ثم قال ألا وانّي قد تركت فيكم أمرين إنْ أخذتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي صلوات الله عليهم فانّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ومن خالفهما فقد هلك ألا هل بلّغت قالوا نعم قال اللّهم اشهد ثم قال ألا وانّه سيرد عليّ الحوض منكم رجال فيعرفون فيدفعون عني فأقول ربّ

---

١ - قوله تحت قدمي أي مضمحلّ ومشفٍ وموهون كالشّيء الّذي يقع تحت القدمين فانّه ليس شيء أهون منه ونسبه الى نفسه لأنّه الّذي أزال حرمته .

٢ - لما تعارف بينهم في الجاهلية أكل الربا وممّن كان يكثر هذه المعاملة العبّاس عمّه أو كان ذمّة كثير منهم مشغولة بالمنافع الربويّة للعبّاس بمقتضى المعاملات الصّادرة منه معهم في الجاهلية وقد حرّمها الله فحينئذٍ اذا سرى العبّاس ومنّ عليه النّبي بالفداء شرط عليه بخصوصه وان كان من لوازم الإسلام أيضاً ان لا يطالب بها ويقنع بالأصل ويترك الفرع فأشار (ص) في خطبته الى هذا الأمر وإلى أنّه لا خصوصية في هذا للعباس بل هو حكم عام للمسلمين .

٣ - وفي الدعاء أسألك نعمةً تنعشني بها وعيالي أي ترفعني بها عن مواطن الذلّ من قولهم نعشه الله ينعشه نعشاً رفعه .

٤ - الكتيبة على فعيلة الطّائفة من الجيش والجمع الكتائب .

أصحابي فيقال يا محمّد إنّهم قد أحدثوا بعدك وغيّروا سنّتك فأقول سحقاً[١] سحقاً فلمّا كان آخر يوم من أيّام التّشريق أنزل الله تعالىٰ إذا جَاءَ نصر الله والفتح فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم نُعيتُ[٢] إلى نفسي ثم نادىٰ الصّلوٰة جامعة في مسجد الخيف فاجتمع الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال نضر الله[٣] امرءً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها لمن لم يسمعها فربّ حامل فقه غير فقيه وربّ حامل فقه إلىٰ من هو افقه منه ،ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب أمرىء مسلم اخلاص العمل لله والنّصيحة[٤] لأئمّة المسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوته[٥] محيطة من ورائهم المؤمنون اخوة تكافي دماءهم يسعىٰ بذمتهم أدناهم وهم يد علىٰ من سواهم أيّها النّاس إنّي تارك فيكم الثقلين .

قالوا : يا رسول الله وما الثّقلان ؟

فقال كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض كاصبعيّ هاتين وجمع بين سبابتيه ولا أقول كهاتين وجمع بين سبابتيه والوسطىٰ فتفضل هذه علىٰ هذه فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم أن يجعل الإمامة في أهل بيته فخرج منهم أربعة نفر إلىٰ مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً إنْ أمات الله محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم أو قتله ان لا يردّ هذا الأمر في أهل بيته أبداً فأنزل اللهُ علىٰ نبيّه في ذٰلك أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ أَم يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوٰهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ فَخَرَج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من مكّة يريد المدينة حتّىٰ نزل منزلاً يقال له

---

١ - قوله تعالى فسُحقاً لأصحاب السعير أي بعداً يقال سحق المكان فهو سحيق مثل بعد فهو بعيد لفظاً ومعنىً.

٢ - يقال نعيت الميت من باب نفع اذا اخبر بموته وهو منعيّ ونعى إليه نفسه أخبر بموته.

٣ - نضر وجهه من باب قتل أي حسن ونضّر الله وجهه يتعدى ولا يتعدى ويقال نضّر الله وجهه بالتشديد وانضر الله وجهه بمعناه وفي الخبر نضّر الله امرء سمع مقالتي . . . أي حسنه بالسّرور والبهجة لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين النّاس ونعمة في الأخرىٰ حتى يرى عليه رونق الرخاء ورفيق النعمة أي ثلث خصال لا يضيق منها أو معها.

٤ - أي ترك الغش وركوب الصّفا والصدق واخلاص لطاعة.

٥ - أي دعوة الله وهي الموت محيطة من ورائهم أي محيطة بالناس بعد انقضاء اجالهم أي من كان عاقبة أمره الموت ينبغي أن لا يترك هذه الخصال الثلاث.

غدير خمّ وقدعلّم الناس مناسكهم وأوعز[١] إليهم وصيّته إذ أنزل الله عليه هذه الآية يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الآية فقام رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال تهديد ووعيد فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال :

أيها الناس هل تعلمون من وليّكم ؟ قالوا : نعم الله ورسوله .

قال ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بكم منكم بأنفسكم ؟ قالوا : بلىٰ قال : اللّهم اشهد فأعاد ذٰلك عليهم ثلاثاً كلّ ذٰلك يقول مثل قوله الأوّل ويقول النّاس كذلك ويقول اللّهم اشهد ثم أخذ بيد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فرفعه حتىٰ بدا للنّاس بياض ابطيه ثم قال ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحبّ من أحبّه ثم قال: اللهمّ اشهد عليهم وأنا من الشاهدين فاستفهمه عمر بين أصحابه فقال: يا رسول الله هذا من الله أو من رسوله؟

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم نعم هٰذا من الله ومن رسوله إنّه آمير المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغُرّ المحجّلين يقعده الله يوم القيامة على الصرّاط فيدخل أولياءه الجنّة وأعداءه النّار فقال أصحابه الذين ارتدّوا بعده قال محمد صلىّ الله عليه واله وسلم في مسجد الخيف ما قال وقال هٰهنا ما قال وان رجع الى المدينة يأخذنا بالبيعة له فاجتمع أربعة عشر نفراً وتوامروا علىٰ قتل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقعدوا له في العقبة وهي عقبة هرشى[٢] بين جحفة والابواء فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فلّما جنّ عليه الليل تقدّم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة العسكر فاقبل ينعس علىٰ ناقته فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل يا محمّد إنّ فلاناً وفلاناً قعدوا لك فنظر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال من هٰذا خلفى فقال حذيفة بن اليمان أنا حذيفة بن اليمان يا رسول الله قال سمعت ما سمعت قال بلىٰ قال فاكتم ثم دنا رسول الله صلىّ الله عليه

---

١ ـ اوعزت إليه بكذا تقدّمت وكذلك وعزّت اليه توعيزاً قال في ص وقد يخفّف.

٢ ـ هرشى كسكرى ثنية قرب الجحفة

وآله وسلم منهم فناداهم بأسمائهم فلما سمعوا نداءَ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم مرّوا ودخلوا في غمار الناس وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله صلىّ الله عليه واله وسلم وطلبوهم وانتهىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى رواحلهم فعرفها فلما نزل قال ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن أمات الله محمّداً أو قتله ان لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً فجاؤا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه ولم يهمّوا بشيء في رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ان لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا من قتل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ اَغْنٰىهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ فرجع رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وبقي بها المحرّم والنّصف من صفر لا يشتكي شيئاً ثمّ ابتدأ به الوَجَعَ الّذي توفّي فيه .

وفي المجمع روي أنّ النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم لمّا نزلت هٰذه الآية قال لحرّاس من أصحابه يحرسونه الحقوا بملاحقكم فإنّ الله عصمني من النّاس .

(٦٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ على دين يعتدّ به حتّىٰ يسمّىٰ شيئاً لفساده وبطلانه حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ بالتصديق لما فيها من البشارة بمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم والاذعان بحكمه وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ .

العياشي عن الباقر عليه السلام هو ولاية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فلا تتأسّف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فانّ ضرر ذلك يرجع إليهم لا بتخطّاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم .

(٦٩) انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ يعني منهم

بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ قد سبق تفسيرها في سورة البقرة .

(٧٠) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بالتوحيد والنبوّة والولاية وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً ليذكّروهم وليبيّنوا لهم أمر دينهم ويقفوهم على الأوامر والنواهي كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ من التكاليف فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ قيل حكى الحال الماضية استحضاراً لها واستفظاعاً[1] للقتل وتنبيهاً على أنّ ذلك ديدنهم ماضياً ومستقبلاً ومحافظة على رؤس الآي .

(٧١) وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ أن لا يصيبهم من الله بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم وقرء لا تكون بالرّفع أي أنه لا يكون فَعَمُوا عن الدينِ وَصَمُّوا عن استماع الحق ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كرة أخرى كَثِيرٌ مِنْهُمْ بدل من الضمير وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ في الكافي عن الصادق عليه السلام وَحَسِبُوا أن لا تكون فتنة قال حيث كان النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم فعموا وصمّوا حيث قبض رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ثم تاب الله عليهم حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام ثم عموا وصمّوا الى الساعة[2] .

(٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ أي إنّي عبد مربوب لا فرق بيني وبينكم احتجّ الله تعالىٰ عليهم بقوله إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ في عبادته أو فيما يختصّ به من صفاته وأفعاله فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ لأنها دار الموحدين وَمَأْوَيْهُ النَّارُ لأنها معدّة للمشركين وَمَا لِلظَّالِمِينَ

---

١ ـ فظع الأمر ككرم فظاعة فهو فظيع اي شديد شنيع جاوز المقدار في ذلك كافظع وافظعه واستفظعه وجده فظيعاً .

٢ ـ لعلّ المراد بالسّاعة في هذه الرواية ساعة غلبة الحق بظهور القائم عليه السلام جمعاً بينها وبين سائر الرّوايات فانّ غلبة الحق على الكفر في ثلاث دورات الأولى في زمان الرسول صلّى الله عليه وآله بحيث انقطع العذر عن كلّ احد والثانية في زمان أمير المؤمنين عليه السلام والثالثة في زمان القائم عليه السلام فحسب اهل الكتاب في الأولين انّهم لم يغتنوا بما وعدوا في كتبهم فلم يؤمنوا حتى غلب الحق وانقطع عذرهم واختفى ظهور الحق فعموا وصمّوا لكن في الثالثة يؤمنون به كما فسّر سابقاً قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته .

مِنْ انصارٌ وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً على أن الشرك ظلم وهو إما من كلام عيسى على نبيّنا وعليه السلام أو من كلام الله عزّ وجلّ .

(٧٣) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ أي أحد ثلاثة قيل القائلون بذلك جمهور النصارى يقولون ثلاثة أقانيم [١] جوهر وأحداب وابن وروح القدس إله واحد ولا يقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة وان كان يلزمهم ذلك لأنهم يقولون الإبن إله والأب له وروح القدس إله والإبن ليس هو الأب .

القميّ عن الباقر عليه السلام في حديث أما المسيح فعصوه وعظّموه في أنفسهم حتى زعموا أنه إله وأنه ابن الله وطائفة منهم قالوا ثالث ثلاثة وطائفة منهم قالوا هو الله وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وهو الله وحده لا شريكَ له ومن مزيدة لتأكيد النفي وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ اقسم لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ من دام على كفره ولم ينقلع عنه عَذَابٌ أَلِيمٌ .

(٧٤) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ فيه تعجيب من اصرارهم وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يستر الذنوب على العباد ويرحمهم إذا تابُوا .

(٧٥) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا قبله أتى بمعجزات باهرة من قبل الله تعالى كما أتوا فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا على يد موسى وجعلها حيّةً تسعى وهو اعجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأمّ وهو أغرب وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ صدقت بكلمات ربها وكتبه كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ في العيون عن الرضا عليه السلام معناه أنهما كانا يتغوّطان والقمي قال كانا يحدثان فكنى عن الحدث وكل من أكل الطعام يحدث .

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق قال له لولا ما في القرآن من الإختلاف والتناقض لدخلت في دينكم ثم ذكر من ذلك أن الله شهر هفوات

---

١ ـ الأقانيم الأصول واحد في اقنوم أحسبها روميّة .

أنبيائه وكنىٰ عن أسماء أعدائه قال عليه السلام وأمّا هفوات الأنبياء وما بيّن الله في كتابه فان ذلك من أدل الدلائل على حكمة الله الباهرة وقدرته القاهرة وعزته الظاهرة لأنه علم أنّ براهين الأنبياء تكبر في صدور أممهم وان منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم فذكر دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي كان انفرد به عز وجل ألم تسمع الى قوله في صفة عيسى على نبينا وعليه السلام حيث قال فيه وفي أمّه كانا يأكلان الطعام يعني أنّ من أكل الطعام كان له ثفل ومن كان له ثفل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم **أُنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين يعني أن بياننا للآيات عجيب واعراضهم عنها أعجب .

(٧٦) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً يعني عيسى عليه السلام فانه كان لا يملك شيئاً من ذلك من ذاته وان ملك شيئاً منه فانما هو باذن الله وتمليكه إيّاه **وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ** لما يقولون **الْعَلِيمُ** بما يعتقدون .

(٧٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ غُلُوّاً باطلاً يعني لا تتجاوزوا الحد الذي حدّه الله لكم ولا ترفعوا عيسى عليه السلام من حد النبوّة الى حد الألوهية **وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ** هم أئمتهم في النصرانية الذين كانوا في الضلال قبل مبعث النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم **وَأَضَلُّوا كَثِيراً** ممن بايعهم على التثليث **وَضَلُّوا** لمّا بعث رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم **عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** حين كذبوه وبغوا عليه .

(٧٨) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ في الكافي والقميُّ عَنِ الصادق عليه الصلوٰة والسلام الخنازير على لسان داود عليه السلام والقردة على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أما داود فإنّه لعن أهل أيلة [1] لما اعتدوا في سبتهم

---

١ ـ أيلة جبل بين مكّة والمدينة قرب ينبع وموضع بين ينبع ومصر وعقبتها.

وكان اعتداؤهم في زمانه فقال اللهم البسهم اللعنة مثل الرداءِ على المنكبين ومثل المنطقة على الحَقْوين فمسخهم الله قردةً وأما عيسى عليه السلام فانه لعن الذين أنزلت عليهم المائِدة ثم كفرُوا بعد ذلك ورواه في الجوامع مقطوعاً وزاد فقال عيسى عليه السلام اللهم عذّب من كفر بعدما أكل من المائِدة عذاباً لا تعذّبُهُ أحداً من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فصاروا خنازير، وكانوا خمسة الآف رجل **ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** .

(٧٩) **كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ** هذا بيان عصيانهم واعتدائهم يعني لا ينتهون أو لا ينهىٰ بعضهم بعضاً عن المنكر.

القمي قال كانوا يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور ويأتون النساء أيام حيضهنّ .

وفي ثواب الأعمال عن أمير المؤمنين عليه السلام لما وقع التقصير في بني اسرائيل جعل الرجل منهم يرىٰ أخاه في الذنب وينهاه فلا ينتهي فلا يمنعه ذٰلك من أن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتىٰ ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول جلّ وعزّ **لُعِنَ الّذين كفروا** الآية.

والعياشي عن الصادق عليه السلام أما أنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم وَلا يجلسُون مجالسهم ولكنهم كانوا اذا لقوهم أنسوا بهم **لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** تعجيب من سوءِ فعلهم مؤكداً بالقسم .

القميّ عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان ويعملون لهم ويجبون لهم ويوالونهم قال ليس هم من الشيعة ولكنهم من أولٰئك ثم قرء لعن الذين كفرُوا الآية .

(٨٠) **تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الذِينَ كَفَرُوا** يوالوهم ويصادقونهم **لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ** لبئس زادهم الى الآخرة **أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** في المجمع عن الباقر عليه السلام يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم أهوائهم ليصيبُوا من دنياهم .

(٨١) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ فإن الإيمان يمنع من ذٰلك وَلٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن دينهم .

(٨٢) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا لشدة شكيمتهم [١] وتضاعف كفرهم وانهماكهم [٢] في اتباع الهوىٰ وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم إياهم وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ رؤساء في الدين والعلم وَرُهْبَاناً عباداً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عن قبول الحق إذا فهموه ويتواضعون .

(٨٣) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ من الذين شهدوا بأنه حق .

(٨٤) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط [٣] مع الصالحين والدخول مداخلهم .

(٨٥) فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا عن اعتقاد واخلاص كما دل عليه قوله مما عرفوا من الحق والقول إذا اقترن بالمعرفة كمل الإيمان جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبدا وَذٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ .

العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ ذٰلك بانَّ منهم قسّيسين ورهباناً قال أولٰئِكَ كانوا بين عيسىٰ ومحمّد عليهما السلام ينتظرون مجيء محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم القمي كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله صلىّ الله

---

١ ـ فلان شديد الشكيمة اذا كان لا ينقاد لأحد لما فيه من الصلابة والصعوبة على العدوّ وغيره.

٢ ـ يقال انهمك الرّجل في الشيء اي جدّ ولجّ وفي ق الإنهماك التمادي في الشيء واللجاج فيه

٣ ـ والانخراط معهم امّا بمعنى الأستصلاح اي نصلح حالنا ونعالج انفسنا بمرافقتهم وبمعنى الأنسلال أي نلقى انفسنا بينهم فالأول من خرط العود قشر وسوّاه والثاني من اخترط السّيف استلّه ومن خرط البعير في المرعىٰ أو الدلو في البئر أرسلها.

عليه وآله وسلم وأصحابه الذين آمنُوا بمكّة قبل الهجرة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرجوا الى الحبشة وأمر جعفر بن أبي طالب أن يخرج معهم فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتىٰ ركبوا البحر فلما بلغ قريشاً خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد الى النجاشي ليردهم اليهم وكان عمرو وعمارة متعاديين فقالت قريش كيف نبعث رجلين متعاديين فبرأت بنو مخزوم من جناية عمارة وبرأت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً مترفاً فأخرج عمرو بن العاص أهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلني فقال عمرو أيجوز هٰذا سبحان الله فسكت عمارة فلما انتشىٰ[1] عمرو وكان على صدر السفينة فدفعه عمارة والقاه في البحر فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه وأخرجوه فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا اليه هدايا فقبلها منهم فقال عمرو بن العاص أيها الملك إن قوماً خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا إليك فردّهم إلينا فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه فقال يا جعفر ما يقول هٰؤلاء فقال جعفر أيها الملك وما يقولون قال يسألون أن أردّكم إليهم.

قال أيها الملك سلهم أعبيد نحن لهم ؟ فقال عمرو لا بل احرار كرام.

قال فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها ؟ فقال لا ما لنا عليكم ديون.

قال فلكم في أعناقنا دماء تطالبونها ؟ فقال عمرو: لا قال : فما تريدون منا ؟ أذيتمونا فخرجنا من بلادكم ؟

فقال عمرو بن العاص : أيها الملك خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وأفسدُوا شبابنا وفرقوا جماعتنا فردّهم الينا لنجمع أمرنا فقال جعفر نعم أيها الملك خالفناهم بعث الله فينا نبيّاً أمر بخلع الأنداد وترك الإستقسام بالأزلام وأمرنا بالصّلوٰة والزّكوٰة وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقها والزّناء والرّباء والميتة والدم ولحم الخنزير وأمرنا بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بهذا

---

١ - نشئ نشوءاً ونشوة مثلثة سكر

بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام ثم قال النجاشي يا جعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيّك شيئاً قال نعم فقرء عليه سورة مريم عليها السلام فلما بلغ قوله وَهُزّي إليك بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرّي عَيْناً .

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً وقال : هٰذا والله هُو الحق فقال عمرو بن العاص أيها الملك إنّ هذا مخالف لنا فردّه الينا فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو ثم قال اسكت والله لأن ذكرته بسُوءٍ لأفقدنّك نفسك فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول إن كان هذا كما تقول أيها الملك فانّا لا نتعرّض له وكانت على رأس النجاشي وصيفةً [1] له تذب [2] عنه فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتىً جميلاً فأحبّته فلما رجع عمرو بن العاص الى منزله قال لعمارة لو راسلت جارية الملك فراسلها فأجابته فقال عمرو قل لها تبعث اليك من طيب الملك شيئاً فقال لها فبعثت اليه فأخذ عمرو من ذٰلك الطّيب وكان الذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر فأدخل الطّيب على النجاشي فقال : أيها الملك إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يلزمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه ان لا نغشه ولا نريبه وان صاحبي هٰذا الذي معي قد راسَل حرمتك وخدعها وبعثت إليه من طيبك ثم وضع الطّيب بين يديه فغضب النجاشي وهم بقتل عمارة ثم قال لا يجوز قتله فانهم دخلوا في بلادي بأمان فدعا النجاشي السّحرة فقال لهم اعملوا به شيئاً أشدّ به من القتل فأخذوه ونفخوا في أحليله الزيبق فصار مع الوحش يغدو ويروح وكان لا يأنس بالناس .

فبعثت قريش بعد ذٰلك فكمنوا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش فأخذوه فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات ورجع عمرو الى قريش فأخبرهم أن جعفراً في أرض الحبشة في أكرم كرامة ولم يزل بها حتى هادن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قريشاً وصالحهم وفتح خيبر فوافى بجميع من معه وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس عبد الله بن جعفر وولد للنجاشي ابن فسماه النجاشي محمداً وكانت أم حبيب

---

١ - الوصيف كأمير الخادم والخادمة ج وصفاء كالوصيفة ج وصائف.

٢ - تطرد الذّباب عنه.

بنت أبي سفيان تحب عبد الله فكتب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الى النجاشي يخطب أم حبيب فبعث إليها النجاشي فخطبها لرسُول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأجابته فخطبها فزوّجها منه وأصدقها أربعمأة دينار وساقها عن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وبعث إليها بثياب وطيب كثير وجهزها وبعثها إلى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وبعث اليه بمارية القبطية أمّ ابراهيم وبعث اليه بثياب وطيب وفرس وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين فقال لهم انظروا الى كلامه والى مقعده ومشربه ومصلاه فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام وقرء عليهمُ القرآن وإذ قال اللهُ يا عيسى بن مريم اذكر نِعمتي التي آنعمت عَلَيْكَ وعلى والدتك الى قوله فقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سِحر مبين فلما سمعوا ذٰلك من رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بكوا وآمنوا ورجعُوا الى النجاشي وأخبروه خبر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقرؤا عليه ما قرأ عليهم فبكىٰ النجاشي وبكىٰ القسّيسون وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة اسلامه وخافهم على نفسه وخرج من بلاد الحبشة يريدُ النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم فلّما عبر البحر توفى فأنزل الله على رسوله لتجدنّ أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود إلى قوله وذٰلك جزاء المحسنين .

(٨٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيم

(٨٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا لا تمنعوا أنفسكم طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ما طاب منه ولذ وَلاَ تَعْتَدُوا عما حدّ اللهِ إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ في المجمع والقميّ عن الصادق عليه السلام نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون فأما أمير المؤمنين عليه السلام فحلَفَ أن لا ينام بالليل أبداً وأمّا بلال فانّه حَلَفَ أن لا يفطر بالنهار أبداًوأمّاعثمان[1] بن مظعون فانه حلف أن لا ينكح أبداً وزاد القميّ فدخلت امرأة عثمان على عائشة وكانت امرأة جميلة فقالت عائشة مالي أراك متعطلة فقالت ولمن أتزيّن فوالله ما قربني زوجي منذ كذا وكذا فانّه قد ترهّب ولبس

---

١ ـ عثمان بن مظعون أوّل صحابي مات بالمدينة.

المسوح [١] وزهد في الدنيا فلما دخل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أخبرته عائشة بذلك فخرج فنادىٰ الصّلوٰة جامعه فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطّيّبات انّي أنام بالليل وأنكح وأفطر بالنهار فمن رغب عن سنّتي فليس مني فقام هٰؤلاء فقالوا يا رسول الله فقد حلفنا علىٰ ذٰلك فأنزل الله لا يؤاخذكم اللهُ باللغو في أيمانكم الآية .

أقولُ : ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب منقصة علي المخاطب والمعاتب ان لم يكن محمدة نظيره قوله تعالىٰ يا أيُّها النبيُّ لم تُحَرِّمُ ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله موليكم وهو العليم الحكيم وقد ورد القرآن كله تقميع وباطنه تقريب .

وفي الاحتجاج عن الحسن بن علي صلوات الله وسلامه عليهما في حديث أنه قال لمعوية وأصحابه أنشدكم بالله أتعلمون أن عليّاً عليه السلام أوّل من حرّم الشّهوات على نفسه من أصحاب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم .

(٨٨) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّبًا مباحاً لذيذاً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ استدعاء الى التقوىٰ بألطف الوجوه .

(٨٩) لاَيُؤَاخِذُكُمْ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ مما يبدو من غير قصد في الكافي والفقيه والعياشي عن الصادق عليه السلام هو قول الرجل لا والله وبلىٰ والله ولا يعقد علىٰ شيء وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية يعني إذا حنثتم فحذف للعلم به وقرء عقدتم بالتخفيف وعاقدتم فَكَفَّارَتُهُ فكفارة نكثه أي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره إِطْعَامُ عَشَرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ .

في المجمع عن الصادق عليه السلام أنه قرء أهاليكم أَوْ كِسْوَتُهُمْ في الكافي عنه عليه السلام الوسط الخلّ والزّيتون وارفعه الخبز واللحم والصدقة مدّ من حنطة لكل

---

١ ـ المسح بالكسر فالسّكون واحد والمسوح ويعبّر عنه بالبلاس وهو كساء معروف .

مسكين والكسوة ثوبان وعنه عليه السلام هو كما يكون أنه يكون في البيت من يأكل أكثر من المدّ ومنهم من يأكل أقل من المدّ فبين ذٰلك وان شئت جعلت له أدماً والأدم أدناه ملح وأوسطه الخلّ والزّيت وارفعه اللحم .

وعن الباقر عليه السلام ما تقوتون به عيالكم من أوسط ذٰلك قيل وما أوسط ذٰلك قال الخلّ والزّيت والتّمر والخبز تشبعهم به مرّة واحدة قيل كسوتهم قال ثوب واحد وفي روايةٍ ثوب يواري به عورته .

أقول : فيحمل الثوبان في الرواية المتقدمة على ما إذا لم يوارها الواحد أو **تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** عتق عبد أو أمة ويجوز المولود كما في الكافي عن الصادق عليه السلام وعنه عليه السلام كل شيء في القرآن أو (أي لفظة أو) فصاحبه فيه بالخيار ويختار ما يشاء والعياشي عن الباقر عليه السلام مثله **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ** .

في الكافي عن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن كفّارة اليمين ما حَدُّ من لم يجد وانّ الرّجل يسأل في كفِّهِ وهو يجد فقال إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله فهو ممن لا يجد وعن الصادق عليه السلام كل صوم يفرق فيه الا ثلاثة أيام في كفّارة اليمين وعنه عليه السلام صيام ثلاثة أيام في كفّارة اليمين متتابعات لا يفصل بينهن **ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ** أي حلفتم وحَنَثتم[1] **وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ** بَرّوا[2] فيها ما استطعتم ولا تحنثوا ولا تبذلوها لكل أمرٍ أو كفّروا إذا حنثتم أو الجميع **كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ** أعلام شرايعه **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** نعمة التّعليم والتّبيين .

في الكافي عن الصادق عليه السلام الأيمان ثلاثة يمين ليس فيها كفّارة ويمين[3] فيها

---

١ ـ الحِنث بالكسر الاثم والخلف في اليمين.

٢ ـ البرّ الصّدق في اليمين ويكسر وقد بِررتَ وبَرَرت وبرّتِ اليمين يَتبر وتَبِرّ كيملُ ويحل بَرّاً وبِرّاً وبُرُوراً وأبَرَّها امضاها على الصّدق.

٣ ـ في الحديث اليمين الغموس هي التي تذر الدّيار بلاقع اليمين الغَموس بفتح الغين هي اليمين الكاذبة الفاجرة التي يقطع بها الحالف ما لغيره مع علمه انّ الأمر بخلافه وليس فيها كفّارة لشدّة الذّنب فيها سمّيت بذلك لأنّها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النّار فهي فعول للمبالغة وفيه اليمين الغموس هي التي عقوبتها دخول النّار وهي أن يحلف الرّجل على مال امرء مسلم أو على حقّه ظلماً.

كفّارة ويمين غموس توجب النّار فاليمين التي ليس فيها كفّارة يحلف على باب برّأن لا يفعله وكفّارته أن يفعل واليمين الّتي تجب فيها الكفّارة الرّجل يحلف على باب معصية أن لا يفعله فيفعله فتجب عليه الكفّارة واليمين الغموس التي توجب النار الرّجل يحلف على حقّ امرىء مسلم على حبس ماله وعنه عليه السلام من حلف على يمين فرأىٰ غيرها خيراً منها فأتىٰ ذٰلك فهو كفّارة يمينه .

وعنه عليه السلام ما حلفت عليه مما فيه البرّ فعليك الكفّارة إذا لم تف به وما حلفت عليه ممافيه المعصية فليس عليك فيه الكفّارة إذا رجعت عنه وما كان سوىٰ ذٰلك مما ليس فيه برّ ولا معصية فليس بشيء وفي الخصال عنه عليه السلام لا حنث ولا كفّارة علىٰ من حلف تقيّة يدفع بذٰلك ظلماً عن نفسه وعن أمير المؤمنين عليه السلام لا يمين لولد مع والده ولا للمرأة مع زوجها .

(٩٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ في الكافي عن الباقر عليه السلام لما نزلت هٰذه الآية قيل يا رسول الله ما الميسر فقال كلّ ما تقوم عليه حتى الكعاب والجوز قيل فما الأنصاب قال ما ذبحوا لآلهتهم قيل فما الأزلام قال قداحهم التي يستقسمون بها .

أقول : قد مضى في تفسير الأنصاب والأزلام حديث آخر في أول السورة وفي الآية ضروب من التأكيد في تحريم الخمر والميسر وقد مضت أخبار في ذٰلك عند قوله تعالىٰ ويسألونك عن الخمر والميسر من سورة البقرة .

والقمي عن الباقر عليه السلام في هٰذه الآية أما الخمر فكل مسكر من الشراب إذا خمر[1] فهو خمر وما أسكر كثيره فقليله حرام وذٰلك أنّ أبا بكر شرب قبل أن يحرم الخمر فسكر فجعل يقول الشعر ويبكي على قتلىٰ المشركين من أهل بدر فسمع النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال اللهم امسك على لسانه فامسك فلم يتكلم حتى ذهب عنه السكر

---

١ ـ عن ابن الأعرابي انما سمي الخمر خمراً لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغيّر ريحها ويقال سمّيت بذلك لمخامرتها العقل والتخمير التغطية .

فأنزل الله تحريمها بعد ذلك وانما كانت الخمر يوم حرّمت بالمدينة فضيخ البُسر والتمر فلما نزل تحريمها خرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقعد بالمسجد ثم دعا بآنيتهم التي كانوا ينبذون فيها فكفأها[1] كلها وقال هذه كلها خمر فقد حرّمها الله فكان أكثر شيء كفى في ذلك يومئذ من الأشربة الفضيخ ولا أعلم كفى يومئذ من خمر العنب شيء الاّ اناء واحد كان فيه زبيب وتمر جميعاً فأمّا عصير العنب لم يكن يومئذ بالمدينة منه شيء حرّم الله الخمر قليلها وكثيرها وبيعها وشرائها والإنتفاع بها وقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فاجلدوه فان عاد فاجلدوه فان عاد في الرابعة فاقتلوه وقال حقّ على الله أن يسقى من شرب الخمر مما يخرج من فروج الموسمات المومسات والمومسات الزّواني يخرج من فروجهن صديد والصديد قيح ودم غليظ مختلط يؤذي أهل النار حرّه ونتنه وقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من شرِبَ الخمر لم تقبل منه صلوة أربعين ليلة فان عاد فأربعين ليلة من يوم شربها فان مات في تلك الأربعين من غير توبة سقاه الله يوم القيامة من طينة خبال (الخبال الفساد) وسمّي المسجد الذي قعد فيه رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يوم أكفيت الأشربة مسجد الفضيخ من يومئذ لأنّه كان أكثر شيء اكفأ من الأشربة الفضيخ فأما الميسر فالنّرد والشطرنج وكل قمار ميسر وأما الأنصاب فالأوثان التي كان يعبدهَا المشركون وأما الأزلام فالقداح التي كانت يستقسم بها مشركو العرب في الأمور في الجاهلية كل هذا ببيعه وشراؤه والإنتفاع بشيء من هذا حرام من الله محرّم وهو رجس من عمل الشيطان وقرن الله الخمر والميسر مع الأوثان .

وفي الخصال عن الباقر لعن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في الخمر عشرة غارسها وحارسها وعاصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمول اليه وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها .

(٩١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وعَنِ الصَّلٰوةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ قيل انما خصّ الخمر والميسر

---

١ ـ كفأه كمنعه صَرَفه وكبّه وقلّبه كاكفأه واكفأه.

باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهاً على أنهما المقصود من البيان وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة والشرارة كقول النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وخصّ الصّلوٰة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بأن الضاد عنها كالصادّ عن الإيمان من حيث أنها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحثّ على الإنتهاءِ بصيغة الإستفهام مرتباً علىٰ ما تقدم من أنواع الصوارف إيذاناً بأنّ الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الأعذار قد انقطعت .

(٩٢) **وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ واحْذَرُوا** عمّا نهيا عنه أو عن مخالفتهما **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** في الكافي عن الصادق عليه السلام في هٰذه الآيـة أمـا والله ما هلك مـن كان قبلكم وما هلك من هلك حتى يقوم قائمنا إلا في ترك ولايتنا وجحود حقنا وما خرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من الدنيا حتىٰ الزم رقاب هذه الأمّة حقنا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(٩٣) **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** من المستلذات أكلاً كان أو شرباً فان الطعم يعمّهما

في المجمع في تفسير اهل البيت عليهم السلام فيما طعموا من الحلال **إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** القمي لما نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما قال الناس من المهاجرين والأنصار يا رسول الله قتل أصحابنا وهم يشربون الخمر وقد سمّاه الله تعالىٰ رجساً وجعلها من عمل الشيطان وقد قلت ما قلت أفيضرّ أصحابنا ذلك شيئاً بعدما ماتوا فأنزل الله هٰذه الآية فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر والجناح هو الاثم وهو على من شربها بعد التحريم وقيل فيما طعموا أي ممّا لم يحرم عليهم إذا ما اتّقوا أي المحرم وآمنوا وعملوا الصالحات أي ثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحات ثم اتّقوا أي ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتّقوا أي استمرّوا وثبتوا على اتّقاءِ المعاصي وأحسنوا أي وتحرّوا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها.

أقول : لما كان لكل من الإيمان والتقوىٰ درجات ومنازل كما ورد عنهم عليهم السلام لم يبعد أن يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدرجات والمنازل ففي

الكافي عن الصادق عليه السلام للإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البينّ نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه .

وعن الباقر عليه السلام أن المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ومنهم على أربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو وساق الحديث ثم قال وعلىٰ هذه الدرجات .

وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام التقوى على ثلاثة أوجه تقوى في الله وهي ترك الحلال فضلاً عن الشبهة وهي تقوىٰ خاصّ الخاصّ وتقوىٰ من الله وهي ترك الشبهات فضلاً عن الحرام وهي تقوىٰ الخاصّ وتقوىٰ من خوف النار والعقاب وهي ترك الحرام وهي تقوىٰ العام ومَثَل التقوىٰ كماء يجري في نهر ومَثَل هذه الطبقات الثلاث في معنىٰ التقوىٰ كأشجار مغروسة على حافة ذٰلك النهر كل لون وجنس وكل شجرة منها يستمصّ الماء من ذٰلك النهر على قدر جوهره وطبعه ولطافته وكثافته ثم منافع الخلق من تلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالىٰ صنوان وغير صنوانٍ يسقىٰ بماءٍ واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل فالتقوىٰ للطاعات كالماءِ للأشجار ومَثَل طبائع الأشجار في لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان فمن كان أعلى درجة في الإيمان وأصفىٰ جوهراً بالرّوح كان أتقىٰ ومن كان أتقىٰ كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذٰلك كان من الله أقرب وكل عبادة غير مؤسّسَة على التقوىٰ فهي هباء منثور وقال الله تعالىٰ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ على تقوىٰ من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسّسَ بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم انتهىٰ كلامه عليه السلام فنقول في بيان ذٰلك :

إنّ أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشّبه والشكوك على اختلاف مراتبها ويمكن معها الشرك كما قال سبحانه وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ويعبّر عنها بالإسلام كما قال الله عزّ وجلّ قالت الأعراب آمَنّا قل لم تؤمنوا ولٰكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم والتّقوىٰ المتقدمة عليها هي تقوىٰ العامّ وأوسطها تصديقات لا يشوبها شكّ ولا شبهة كما قال عزّ وجلّ الّذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وأكثر

اطلاق الإيمان عليها خاصة كما قال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجِلَتْ قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون والتقوىٰ المتقدمة عليها هي تقوىٰ الخاص وأواخرها تصديقات كذلك مع شهود وعيان ومحبة كاملة للهِ عزّ وجلّ كما قال يحبهم ويحبونه ويعبر عنها تارة بالإحسان كما ورد في الحديث النبوي صلىّ الله عليه وآله وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه وأخرىٰ بالايقان كما قال وبالآخرة هم يوقنون والتقوىٰ المتقدمة عليها هي تقوىٰ خاصّ الخاصّ وانما قدّمت التقوىٰ على الإيمان لأنّ الإيمان إنّما يتحصّل ويتقوّىٰ بالتقوىٰ لأنها كلما ازدادت ازداد الإيمان بحسب ازديادها وهذا لا ينافي تقدم أصل الإيمان على التّقوىٰ بل ازديادها بحسب ازدياده أيضاً لأنّ الدرجة المتقدّمة لكل منها غير الدرجة المتأخّرة ومَثَل ذٰلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما أضاء له من الطريق قطعة مشىٰ فيها فيصير ذٰلك المشي سبباً لإضاءة قطعة أخرىٰ منه وهكذا .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال أتىٰ عمر بقدامة بن مظعون قد شرب الخمر وقامت عليه البيّنة فسأل أمير المؤمنين عليه السلام فأمره أن يجلد ثمانين فقال قدامة يا أمير المؤمنين ليس عَلَيَّ حدٌّ أنا من أهل هٰذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جناح فيما طعمُوا قال قال عليّ صلوات الله وسلامه عليه لست من أهلها انّ طعام أهلها لهم حلال ليس يأكلون ولا يشربون الا ما أحلّه الله لهم ثم قال عليّ عليه السلام انّ الشارب إذا شرب لم يدر ما يأكل ولا ما يشرب فاجلدوه ثمانين جلدة .

أقول : في قوله عليه السلام إلاّ ما أحلّه الله لهم تنبيه على أنهم يحترزون عن الشّبهات بل عن كل ما يمنعهم من الشهود مع الله والجناح في الآية نكرة في سياق النفي يعمّ أدنىٰ مراتبه كاستحقاق العقاب والسر فيه أنّ شكر نعم الله تعالىٰ أن تصرف في طاعة الله سبحانه علىٰ وجهها فليتدبّر فيه وعلىٰ ما حققناه إنّ صحّ أنّ سبب نزول هٰذه الآية ما ذكره القمي موافقاً لطائفة من المفسّرين فمعنىٰ الآية أنّ الذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحريمها إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتقوىٰ والعمل الصالح فلا جناح عليهم في شربها .

(٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ يعني في حال احرامكم نبّه بقوله بشيء على تحقيره بالإضافة الى الإبتلاءِ بِبَذْلِ الأنفس والأموال .

القمي قال : نزلت في عمرة الحديبية جَمَعَ الله عليهم الصيد فدخلوا بين رحالهم .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام حشر عليهم الصيد في كل مكان حتىٰ دنا منهم ليبلوهم الله به .

وعنه عليه السلام حشر لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في عمرة الحديبية الوحوش حتىٰ نالتها أيديهم ورماحهم .

وفي رواية ما تناله الأيدي البيض والفراخ وما تناله الرّماح فهو ما لا تصل إليه الأيدي،وفي المجمع عنه عليه السلام الذي تناله الأيدي فراخ الطير وصغار الوحش والبيض والذي تناله الرّماح الكبار من الصيد لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ليتميّز من يخاف عقاب الآخرة وهو غائب منتظر فيتّقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيم .

(٩٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ محرمون،في التهذيب.عن الضادق عليه السلام إذا حرمت فاتّق قتل الدواب كلها إلا الأفعى والعقرب والفأرة فانّها[1] توهي السقاء وتضرم على أهل البيت البيت وأما العقرب فإنَّ نبيّ الله مدّيده إلى الحجر فلسعته عقرب فقال لعنك الله لا تدعين برّاً ولا فاجراً والحيّة إذا أرادتك فاقتلها وان لم تردك فلا تردها والكلب العقور والسبع إذا أراداك فاقتلهما فإن لم يريداك فلا تردهما والأسود[2] العِذْر فاقتله على كل حال ارم الغراب رمياً والحدأة[3] على ظهر بعيرك وفي الكافي ما في معناه.

---

١ ـ اي تخرقه وتضعفه عن امساك الماء.

٢ ـ الأسود الحيّة العظيمة ومنه المحرم يقتل الأسود العذرو هو بمعنى البالغ فمعناه الأسود البالغ في السّواد والأسود العظيم الجوف فانّ العِذر جاء بهذا المعنى ايضاً.

٣ ـ الحِدأة كعنبة وهو طائر خبيث ويجمع بحذف الهاء وفي الخبر لا بأس بقتل الحدأ للمحرم.

وعنه عليه السلام يقتل المحرمُ الزّنبور والنسر والأسود العِذر والذّئب وما خاف أن يعدو عليه وقال الكلب العقور هو الذّئب،وعنه عليه السلام كل ما خاف المحرم على نفسه من السباع والحيّات فليقتله وان لم يردك فلا ترده **وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ** وقرء فجزاء بالإضافة،في التهذيب عن الصادق عليه السلام في تفسيرها في الظبي شاة وفي حمار وحش بقرة وفي النعامة جزور وزاد في رواية أخرى وفي البقرة بقرة والعياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه **يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** في المجمع عن الباقر والصادق عليهما السلام ذو عدل وفي الكافي عنهما عليهما السلام والعياشي عن الباقر عليه السلام العدل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والإمام من بعده ثم قال هذا مما أخطأت به الكتاب وزاد العياشي يعني رجلاً واحداً يعني الامام .

أقول : يعني أنّ رسم الألف في ذو اعدل من تصرّف نساخ القرآن خطأ والصواب عدم نسخها وذلك لأنّه يفيد أنّ الحاكم اثنان والحال أنّه واحد وهو الرّسول في زمانه ثم كلّ إمام في زمانه علىٰ سبيل البدل .

وفي التهذيب عن الباقر عليه السلام العدل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والامام من بعده يحكم به وهو ذو عدل فاذا علمت ما حكم به رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام فحسبُك ولا تسأل عنه **هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ** .

في الكافي عن الصادق عليه السلام من وجب عليه هدي في احرامه فله أن ينحره حيث شاء الاّ فداء الصيد فانّ الله يقول هدياً بالغ الكعبة وعنه عليه السلام من وجب عليه هدي فداء صيد أصابه وهو محرم فان كان حاجّاً نحر هديه الذي يجب عليه بمنىٰ وان كان معتمر انحر بمكّة قبالة الكعبة .

وعن الباقر عليه السلام مثله وزاد وان شاء تركه الى أن يقدم فيشتريه فانّه يجزي عنه **أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ** وقرء كفارة طعام بالإضافة **أَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِيَاماً** .

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن محرم أصاب نعامة أو حمار وحش قال عليه بدنة قيل فان لم يقدر على بدنة قال فليطعم ستين مسكيناً قيل فان لم يقدر

على أن يتصدّق قال فليصم ثمانية عشر يوماً والصدقة مدّ على كلّ مسكين وسئل عن محرم أصاب بقرة قال عليه بقرة قيل فان لم يقدر على بقرة قال فليطعم ثلاثين مسكيناً قيل فان لم يقدر على أن يتصدّق قال فليصم[1] تسعة أيّام قيل فان أصاب طيباً قال عليه شاة قيل فان لم يقدر قال فاطعام عشرة مساكين فان لم يجد ما يتصدّق به فعليه صيام ثلاثة أيّام .

وفي الفقيه والقميّ عن السجّاد عليه السلام في حديث الزّهري اوتدري كيف يكون عدل ذٰلك صياماً يا زهري قال لا أدري قال يقوم الصيد قيمة ثم تفض[2] تلك القيمة على البرّ ثمّ يكال ذٰلك البرّ أصواعاً فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ يعني هٰذا الجزاء ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ يعني الدّفعة الأُولى وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ .

في الكافي عن الصادق عليه السلام في محرم أصاب صيداً قال عليه الكفّارة قيل فان أصاب آخر قال فان أصاب آخر فليس عليه كفّارة وهو ممّن قال الله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وفي معناه أخبار أخر وفي التهذيب عنه عليه السلام إذا أصاب المحرم الصّيد خطأً فعليه الكفّارة فإن أصاب ثانية خطأً فعليه الكفّارة أبداً إذا كان خطأ فان أصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة فإن أصابه ثانية متعمّداً فهو ممّن ينتقِم الله منه ولم يكن عليه الكفّارة .

وفي الكافي عنه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ومن عاد فينتقم الله منه قال انّ رجلاً انطلق وهو محرم فأخذ ثعلباً فجعل يقرّب النّار الى وجهه وجعل الثّعلب يصيح ويحدث من استِهِ[3] وجعل أصحابه ينهونه عمّا يصنع ثم أرسله بعد ذٰلك فبينا الرّجل نَائِم إذ جاءت حيّة فدخلت فى فيه فلم تدعه حتى جعل يحدث كما أحدث الثّعلب ثم خلّت عنه .

---

١ ـ قوله فليصم تسعة أيام طلاقه مقيد بصورة العجز عن صوم الثلثين أو ما وافق قيمة طعام الصّدقة بالإجماع المنقول وقاعدة معادلة الصوم لعدد المطعمين المستفادة من الآية وغير ذلك من الأخبار فهو بظاهره غير معمول به عند الأصحاب .

٢ ـ الفضّ الكسر التّفرقة وقد فضّه يفضه .

٣ ـ الإست، العجز وقد يراد به حلقة الدّبر واصلة ستَه على فَعَل بالتحريك يدل على ذٰلك ان جمعه استاه مثل حمل واحمال .

(٩٦) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ولسيارتكم يتزوّدنه قديداً[١] وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً في الكافي عن الصادق عليه السلام لا بأس أن يصيد المحرم السّمك ويأكل مالحه[٢] وطريه[٣] ويتزوّد وقال أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسّيّارة قال مالحه الذي يأكلون وفصّل ما بينهما كل طير يكون في الأجام[٤] يبيض في البرّ ويفرخ في البرّ فهو من صيد البرّ وما كان من صيد البرّ يكون في البرّ ويبيض في البحر فهو من صيد البحر وعنه عليه السلام كل شيء يكون أصله في البحر ويكون في البرّ والبحرِ فلا ينبغي للمحرم أن يقتله فان قتله فعليه الجزاء كما قال الله تعالىٰ وعن أحدهما عليهما السلام قال لا يأكل المحرم طير الماءِ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

(٩٧) جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً وقرء قيماً بغير الف لِلنَّاسِ لمعايشهم ومكاسبهم يستقيم به أمور دينهم ودنياهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح عنده التجار باجتماعهم عنده من سائر الأطراف ويغفر بقصده المذنب ويفوز حاجّه بالمثوبات .

في المجمع عن الصادق عليه السلام من أتى هذا البيت يريد شيئاً في الدّنيا والآخرة أصابه والقميّ قال ما دامت الكعبة قائمة ويحجّ النّاس اليها لم يهلكوا فاذا هدمت وتركوا الحجّ هلكوا وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ مضى تفسيرها ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يعني إذا أطّلعتم على الحكمة في جعل الكعبة قياماً وما في الحجّ ومناسكه من الحكم علمتم أنّ الله يعلم الأشياءَ جميعاً وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق .

(٩٨) اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها، في التّوحيد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام قال قال الله تعالىٰ من

---

١ - القديد اللحم المقدّد أي المشرّح طولاً . ٢ - ملح السّمك والقدر طرح فيه الملح.

٣ - والطري الغضّ.

٤ - الأجمة محرّكة الشجر الكثير الملتف جمع اجم بالضم وبضمّتين وبالتحريك واجام وإجام وأجمات ٤٤ .

أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً وهو يعلم أنّ لي أن أعذّبه وان أعفو عنه عفوت عنه .

(٩٩) مَا عَلَى الرَّسُولِ الاَّ الْبَلاَغُ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة .

(١٠٠) قُلْ لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ انساناً كان أو عملاً أو مالاً أو غير ذلك وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فانّ العبرة بالجودة والرّداءة لا الكثرة والقلّة فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ في تحرّي [١] الخبيث وان كثر وآثروا [٢] الطّيب وان قلّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

(١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ في الكافي عن الباقر عليه السلام لا تسألوا عن أشياء لم تبد لكم ان تبد لكم تسؤكم.

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام خطب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال إنّ الله كتب عليكم الحجّ فقال عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن مالك أفي كل عام يا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأعرض عنه حتىٰ عاد مرتين أو ثلاثاً فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم كفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه .

والقمي عن الباقر عليه السلام أن [٣] صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها فأقبلت فقال لها عمر غطّي قرطك [٤] فانّ قرابتك من رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لا تنفعك شيئاً فقالت له هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللّخناء [٥] ثم دخلت على رسول الله صلىّ الله

---

١ - التحرّي القصد والإجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول.

٢ - قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدّنيا ان تقدّموها وتفضلوها على الآخرة.

٣ - صفيّة بنت عبد المطّلب والدة الزّبير ولذا كان علي ابن خاله.

٤ - القرط بالضمّ فالسكون هو الذي يعلق في شحمة الأذن والجمع قرطة وقراط أيضاً كرمح ورماح.

٥ - لخن السّقاء وغيره كفَرِح أنتن والجوزة فسدت ورجل الخن وامّة لخناء لم يختنا واللخن محركة قبح ريح الفرج والارفاغ وقبح الكلام.

عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك وبكت فخرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فنادىٰ الصّلوٰة جامعة فاجتمع الناس فقال ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم لا يسألني اليوم أحد من أبوه إلاّ أخبرته .

فقام إليه رجل فقال من أبي يا رسول الله ؟ فقال أبوك غير الذي تدعى له أبوك فلان بن فلان فقام آخر فقال من أبي يا رسول الله قال أبوك الذي تدعي له ثم قال رسولِ الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه فقام إليه عمر فقال له أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أعف عنّي عَفَا الله عنك فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا الآية عَفَا اللهُ عَنْهَا قيل استئناف أي عَفَا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها وقيل بل صفة أخرى أي عن أشياء عَفَا الله عنها ولم يكلف بها وكفّ عن ذكرها ويؤيّده قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أنّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحَدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهىكم عن أشياء فلا تنتهكوها[1] وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرّط منكم ويعفو عن كثير .

(١٠٢) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ حيث لم يأتمروا وجحدُوا .

(١٠٣) مَا جَعَلَ اللهُ ما شرع الله مِنْ بَحِيْرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ[2] وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ في المعاني عن الصادق أنّ أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن واحد قالوا وصلت فلا يستحلّون ذبحها ولا أكلها وإذا ولدت عشراً جعلوها سائبة ولا يستحِلّون ظهرها ولا أكلها والحام فحل الإبل لم يكونوا يستحلّون فأنزل الله عزّ وجلّ أنّه لم يحرمْ شيئاً من ذلك قال وقد روى أنّ البحيرة الناقة إذا انتجت خمسة ابطن فان كان

---

١ - نهكت من الطعام بالغت في أكله يقال أنهك من هذا الطّعام وكذلك انهك عرضه أي بالغ في شتمه.

٢ - السّائبة المهملة والعبد يعتق على أن لا ولاء له والبعير يدرك نتاج نتاجه فيسيّب اي يترك لا يركب والناقة كانت تسيّب في الجاهلية لنذر ونحوه او كانت اذا ولدت عشرة ابطن كلّهن اناث سيّبت.

الخامس ذكراً نحروه فأكله الرّجال وان كان الخامس أنثىٰ بحروا اذنها أي شقّوه وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها فاذا ماتت حلّت للنّساءِ والسّائبة البعير يسيّب بنذر يكون على الرجل ان سلّمه الله من مرض أو بلّغه منزله أن يفعل ذٰلك وَالوصيلة من الغنم كانوا إذا ولدت الشّاة سبعة أبطن فان كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرّجال وَالنّساء وان كان أنثىٰ تركت في الغنم وان كان ذكراً وأنثىٰ قالوا وصلت أخاها فلم تذبح وكان لحومها حراماً على النساءِ إلاّ أن يموت منها شيء فيحل أكلها للرّجال والنّساءِ والحام الفحل إذا ركب ولد ولده قالوا قد حمىٰ ظهره .

وقد يروى أنّ الحام هو من الإبل إذا انتج عشرة أبطن قالوا قد حمىٰ ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأٍ ولا ماءٍ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ بتحريم ذٰلك ونسبته إليه وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ إنّ ذٰلك افتراء وكذب يعني الأتباع الذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم الذين يمنعهم حبّ الرّياسة عن الإعتراف به .

في المجمع عن النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّ لحُىٰ بن قمعة بن جندب كان قد ملك مكّة وكان أوّل من غيرّ دين إسمٰعيل فاتخّذ الأصنام ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيّب السّائبة ووصل الوصيلة وحمىٰ الحامي قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فلقد رأيته في النّار يؤذي أهل النّار ريح قصبه[1] ويروي تجر قصبه في النار .

(١٠٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقاليد وان لا سند لهم سواه أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ يعني أوجبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلةً ضالّين .

(١٠٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ احفظوها والزموا صلاحها لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ قيل نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسرّون على الكفرة ويتمنّون إيمانهم .

---

١ ـ القصب محرّكة عظام الأصابع وشعب الحلق ومخارج الأنفاس والقصب بالضم الظهر والمِعىٰ والمراد هنا الأمعاء روى عن ابن عبّاس وروى مكان ريح حرّ فيناسب الظّهر أيضاً.

والقميّ قال اصلحُوا أنفسكم ولا تتّبعوا عورات النّاس ولا تذكروهم فانّه لا يضرّكم ضلالتهم إذا كنتم صالحين .

وفي المجمع أنّ أبا ثعلبة سأل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم عن هٰذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحّاً مطاعاً وهوىٰ متّبعاً واعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بخويصّة[1] نفسك وذرعوامهم **إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** وعد ووعيدٌ للفريقين علىٰ أنّ أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره .

(١٠٦) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ** الأشهاد الذي شرع بينكم فيما أمرتم به **إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ** إذا شارفه وحضرت إماراته **حِينَ الْوَصِيَّةِ** قيل فيه تنبيه على أنّ الوصيّة مما لا ينبغي أن يتهاون فيه **إِثْنَانِ** شهادة اثنين **ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** من المسلمين **أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ** من أهل الكتاب والمجوسُ كما يأتي **إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ** سافرتم **فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ** قاربكم الأجل **تَحْبِسُونَهُمَا** تقفونهما **مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ** لتغليظ اليمين بشرف الوقت ولأنّه وقت اجتماع الناس **فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ** أي الآخران **إِنِ ارْتَبْتُمْ**[2] ارتاب الوارث منكم وهو اعتراض **لَا نَشْتَرِي بِهِ** بالقسم أو بالله **ثَمَناً** عوضاً من الدُّنيا **وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** أي ولو كان المقسم له ذا قربىٰ **وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ** الّتي أمر الله باقامتها **إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ** أي إن كتمنا .

(١٠٧) **فَإِنْ عُثِرَ** فان اطّلع وحصل العلم **عَلَىٰ أَنَّهُمَا** أي الآخرين **إِسْتَحَقَّا إِثْماً** استوجبا عقوبته بسبب تحريف في الشهادة أو خيانة **فَآخَرَانِ** فشاهدان آخران **يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ إِسْتُحِقَّ عَلَيْهِمْ** أي الذين حقّ عليهم يعني بهم الورثة **الْأَوْلَيَانِ** الأحقّان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وقرء عليهم اسْتَحَقَّ على البناء للفاعل والأوّلين بالجمع على أنّه صفة للذين **فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا** أي يميننا أصدق

---

١ ـ الخويصة تصغير الخاصة ياؤها ساكنة لأنّ ياء التّصغير لا يتحرّك.

٢ ـ أي ان ارتبتم اعتراض والضّمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدّنيا ولو كان من نقسم له قريباً منّا أراد أنّ هٰذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبداً كقوله شهداء لله ولو علىٰ انفسكم وخصّ ذا القربى بالذكر لأن الميل اليهم اتمّ والمداهنة بينهم اكمل قاله النيسابوري.

سمّىٰ اليمين شهادة لوقوعها موقعها كما في اللعان وَمَا اعْتَدَيْنَا وما تجاوزنا فيها الحقّ انّا إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ .

(١٠٨) ذٰلِكَ أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهدين أَدْنَىٰ أقرب أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا على نحو ما تحملونها من غير تحريف ولا خيانة فيها أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ أي تردّ اليمين على المدّعين بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ فيفتضِحُوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة جمع اليَمين ليعمّ الشّهود كلّهم .

في الكافي والفقيه والتّهذيب عن الصادق عليه السلام في تفسير هٰذه الآية اللذان منكم مسلمان واللذان من غيركم من أهل الكتاب فان لم تجدوا من أهل الكتاب فمن المجوس لأنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم سنّ في المجوس سنّة أهل الكتاب في الجزية وذٰلك إذا مات الرجّل في أرض غربة فلم يجد مسلمين أشهد رجلين من أهل الكتاب يحبسان بعد العصر فيقسمان بالله لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربىٰ ولا نكتم شهادة الله إنّا إذاً لمن الآثمين قال وذٰلك أن ارتاب وليّ الميّت في شهادتهما فان عُثر علىٰ أنهما شهدا بالباطل فليس له أن ينفض شهادتهما حتىٰ يجيء بشاهدين فيقومان مقام الشاهدين الأوّلين فيقسمان بالله لشهادتنا أحقّ من شهادتهما وما اعتدينا إنّا إذاً لمن الظّالمين فاذا فَعَلَ ذٰلك نقض شهادة الأوّلين وجازت شهادة الآخرين يقول الله تعالىٰ ذٰلك أدنىٰ أن يأتوا الآية .

وَفي الكافي مرفوعاً خرج تميم الدّاري وابن بيدي وابن أبي مارية في سفر وكان تميم الدّاري مسلماً وابن بيدي وابن أبي مارية نصرانيّين وكان مع تميم الدّاري خُرْجٌ[1] له فيه متاع وآنية منقوشة بالذّهب وقلادة أخرجها إلى بعض أسواق العَرَب للبيع واعتلّ تميم الدّاري علّة شديدة فلّما حضره الموت دفع ما كان مَعَه إلىٰ ابن بيدي وابن أبي مارية وأمرهما أن يوصلاه إلى ورثته فقدمَا المدينة وقد أخَذَا من المتاع الآنية والقلادة وأوصلا سائر ذٰلك الى ورثته فافتقد القوم الآنية والقلادة فقالَ أهل تميم أهَل مَرَض صاحبنا

---

١ ـ الخُرج بالضمّ الجوالق ذو اذنين وهو عربيّ.

مرضاً طويلاً أنفق فيه نفقة كثيرة فقالا لا ما مرض الاّ أيّاماً قلائل قالوا فهل سرق منه شيء في سفره هٰذا قالا لا قالوا فهل اتجّر تجارة خسر فيها قالا لا قالوا افتقدنا أفضل شيء كان معه آنية منقوشة مكلّلة بالجوهر وقلادة فقالا ما دفع الينا فقد أدّينا اليكم فقدموها الى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأوجب عليهما اليمين فحلفا فخلىّ عنهما ثم ظهرت تلك الآنية والقلادة عليهما .

فجاء أولياء تميم إلى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله قد ظَهرَ علىٰ ابن بيدي وابن أبي مارية ما ادّعيناه عليهما فانتظر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من الله الحكم في ذٰلك فأنزل الله تعالىٰ يا أيّها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية فأطلق الله تعالىٰ شهادة أهل الكتاب علىٰ الوصية فقط إذا كان في سفر ولم يجد المسلمين فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصّلوٰة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربىٰ ولا نكتم شهادة الله إنّا إذاً لمن الآثمين فهذه الشهادة الأولىٰ التي جعلها رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فان عُثِر علىٰ أنهما استحقا إثماً أي إنهما حلفا على كذب فآخران يقومان مقامهما يعني من أولياءِ المدّعي من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله يحلفان بالله إنهما أحقّ بهذه الدّعوىٰ منهما وانهما قد كذبا فيما حلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذاً لمن الظالمين فأمر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أولياء تميم الدّاري أن يحلفوا بالله علىٰ ما أمرهم به فحلفوا فأخذ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم القلادة والآنية من ابن بيدي وابن أبي مارية وردّهما إلىٰ أولياءِ تميم الدّاري والقميّ ما يقرب منه .

وفي الكافي عن عدة أخبار عن الصادق عليه السلام إذا كان الرجل في أرض غربة لا يوجد فيها مسلم جاز شهادة من ليس بمسلم على الوصيّة **وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا** سمع اجابة وقبول **وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** الى طريق الجنة .

(١٠٩) **يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ** اذكره **فَيَقُولُ** لهم **مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** في الجوامع السؤال توبيخ ولذٰلك قالوا لا علم لنا ووكلوا الأمر الى علمه بسُوءِ اجابتهم ولجأوا إليه في الإنتقام منهم .

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام يقولون لا علم لنا بسواك وقال القرآن كلّه تقريع وباطنه تقريب .

وفي الكافي عن الباقر إنّ لهذا تأويلاً يقول ماذا اجبتم في أوصيائكم الّذين خلفتموهم على أممكم فيقولون لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا

والقمي عنه عليه السلام مثله من دون أن يسمّيه تأويلاً .

(١١٠) إِذْ قَالَ اللهُ بدل من يوم يجمع يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ قويتك بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً تكلمهم في جميع أحوالك على سواء وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي مضى تفسيرها في سورة آل عمران وقرء طائراً وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ يعني اليهود حين همّوا بقتله إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ وقرء ساحر .

(١١١) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ العياشي عن الباقر عليه السلام الهموا أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ مخلصون قد مضى الوجه في تسمية الحواريين وذكر عددهم في سورة آل عمران .

(١١٢) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ وقرء بالخطاب والعياشي مقطوعاً قراءتها هل يستطيع أن تدعو ربّك وقيل هذه الإستطاعة بناءً على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمَآءِ المائدة الخوان إذا كان عليه الطعام قَالَ اتَّقُوا اللهَ من أمثال هذا السؤال إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ بكمال قدرته .

(١١٣) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَّأْكُلَ مِنْهَا تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا بالمشاهدة وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا في ادعاء النبوّة وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ

قيل نشهد عليها عند الذين لم يحضروها.

(١١٤) قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا انْزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً قيل يكون يوم نزولها عيداً نعظّمه وكان يوم الأحد ولهذا اتخذه النصارى عيداً وقيل بل العيد السرور العايد ومنه يوم العيد لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا نأكل منها جميعاً وقيل لمن في زماننا ولمن بعدنا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

(١١٥) قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ اجابة الى سؤالكم وقرء منزلها بدون التشدّد فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ في المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ عيسى بن مريم عليهما السلام قال لبني إسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلاثين فلّما فرغُوا قالوا إنّا لو عملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً وإنّا صمنا وجُعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدةً من السَّمَاءِ فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أخوان(١) حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم .

وعن عمار بن ياسر عن النّبي صلىّ الله عليه واله وسلم نزلت المائدة خبزاً ولحماً وذلك أنهم سألوا عيسى عليه السلام طعاماً لا ينفد يأكلون منه قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم مالم تخونوا(٢) وتخبأوا وترفعوا فان فَعَلتم ذلك عذّبتكم قال فما مضى يومهم حتّى خبأوا وترفّعوا وخانوا .

وعن سلمان الفارسي رضِي الله عنه أنه قال والله ما تبع عيسى عليه السلام شيئاً من المساوىء قطّ ولا انتهز شيئاً ولا قهقه ضحكاً ولا ذبّ ذباباً عن وجهه ولا أخذ على أنفه من نتن شيء قطّ ولا عبث قطّ ولما سأله الحواريّون أن ينزّل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكىٰ قال اللّهُمَّ رَبَّنَا انزل علينا مائدة من السّماءِ الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين

---

١ - الخُوان كغُراب وكتاب ما يؤكل عليه الطّعام كالاخوان.

٢ - قوله ما لم تخونوا وتخبأوا يمكن أخذه من خبأ بالجيم الموحّدة من باب منع وفرح أي لم تدعوا وتكرهوا او تبغضوا ومن خبأ بالخاء المعجمة والباء الموحدّة من باب منع اي ما لم تستروا وتخفوا امرها وخبأتم فيها من كيد خائبى أي خائب أو التّاء المثنّاة من ختاه كمنعه كفّه عن الأمر اختتاً له اي خدعه.

وهم ينظرون إليها وهي تهوي مُنْقَضَّةً حتّىٰ سقطت بين أيديهم فبكى عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام وقال اللّهُم اجعلني من الشاكرين اللّهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها فتلة[1] مثلة وعقوبةً واليهود ينظرون إليها ينظرون الى شيء لم يروا مثله قطّ ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه .

فقام عيسىٰ عليه السلام فتوضّأ وصلّىٰ صلوٰة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بِسْم الله خير الرّازقين فاذا هو سمكة مشوّية ليس عليها فلوس تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خلّ وحولها من الوان البقول ما عدا الكرّاث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد .

فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدّنيا هٰذا أم من طعام الآخرة فقال عيسىٰ عليه السلام ليس شيء مما ترون من طعام الدّنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا ما سألتم يمددكم ويرزقكم من فضلِهِ فقال الحواريّون يا روح الله لو أريتنا من هٰذه الآية اليوم آية أخرى فقال عيسىٰ عليه السلام يا سمكة احيى باذن الله تعالىٰ فاضطربت السمّكة وعاد عليها فلوسها وشوكها وفرّقوا منها فقال ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تعذّبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمّكة مشويّة كما كانت فقالوا يا روح الله كن أوّل من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسىٰ عليه السلام معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسىٰ عليه السلام أهل الفاقة والزّمني[2] والمرض والمبتلين فقال كلوا منها ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكل منها ألف وثلثماة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلي وكلّهم شبعان تتجشّأ[3] .

ثمّ نظر عيسىٰ عليه السلام إلى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السّماء ثم

---

١ ـ قوله فتلة يقال فتله عن وجهه فانفتل أي صرفه فانصرف والمراد لعلّه لا تجعله سبباً لانصراف النّعمة.

٢ ـ الزّمانة العاهة وآفة في الحيوان يقال زمن الشخص زمناً وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زماناً طويلاً.

٣ ـ التجشّؤ تنفس المعدة.

طارت المائدة صعداء وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم يأكل يومئذ منها زمن إلاّ صحّ ولا مريض إلاّ برء ولا فقير إلاّ استغنىٰ ولم يزل غنيّاً حتى مات وندم الحواريّون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصّغار والكبار يتزاحمون عليها فلما رأى ذٰلك عيسٰى عليه السلام جعلها نوبةً بينهم فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحىً فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتىٰ إذا فاء الفيء طارت صعداء وهم ينظرون في ظلّها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبّاً يوماً ويوماً لا فأوحىٰ الله تعالىٰ إلى عيسٰى عليه السلام أجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياءِ فعظم ذٰلك على الأغنياء حتّىٰ شكّوا وشككوا النّاس فيها فأوحىٰ الله تعالىٰ إلى عيسىٰ أنّي شرطت على المكذّبين شرطاً أن من كفر بعد نزولها أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين فقال عيسٰى عليه السلام إن تعذّبهم فانّهم عبادك وان تغفر لهم فانّك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمأة وثلاثة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش [1] فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى (ع) وبكوا وبكىٰ على المسوخين أهلوهم فعاشوا ثلاثة ايّام ثمّ هلكوا قال وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام كانت المائِدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترفع فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها فرفع الله المائِدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير.

والقمي اقتصر على ما نسبه إلى تفسير أهل البيت عليهم السلام مقطوعاً والعياشي عن الباقر عليه السلام المائدة التي نزلت على بني اسرائيل كانت مدلاةً [2] بسلاسل من ذهب عليها تسعة أخْوِنَة وتسعة أرغفة وفي رواية أخرى تسعة الوان أرغفة .

وفي المجمع عن الكاظم عليه السلام أنهم مسخوا خنازير والعياشي مثله .

---

١ - الحشّ بالفتح والتشديد والفتح اكثر من الضمّ والكسر المخرج وموضع الحاجة واصله من الحش البستان لأنهم كانوا كثيراً ما يتغوّطون في البساتين فلمّا اتخذوا الكنيف وجعلوها خلفاً عنها اطلقوا عليها الاسم مجازاً وجمع الحش حشان مثل ضيف وضيفان.

٢ - ادليتها ارسلتها ، تدلّى من الشجرة تعلّق.

وفي التهذيب عن الرضا عليه السلام والجريث والضب فرقة من بني إسرائيل حيث نزلت المائدة على عيسى بن مريم عليهما السلام لم يؤمنوا فتاهوا[1] فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البرّ وفي الخصال عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث المسوخات وأما الخنازير فقوم نصارى سألوا ربهم انزال المائدة عليهم فلما أنزلت عليهم كانوا أشدّ ما كانوا كفراً وأشدّ تكذيباً .

(١١٦) وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ العياشي عن الباقر عليه السلام لم يقله وسيقوله إنّ الله إذا علم شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان ءَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ توبيخ للكفرة وتبكيت لهم .

القميّ وذلك أنّ النصارى زعموا أنّ عيسى عليه السلام قال لهم إنّي وأمّي إلهين[2] من دون الله فاذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النصارى وبين عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام فيقول ءَأَنْتَ قلت الآية قَالَ سُبْحَانَكَ انزّهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ما لا يحق لي أن أقوله إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه .

والعياشي عن الباقر عليه السلام في تفسيرها أنّ الاسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً فاحتجبَ الرّب تعالىٰ بحرف فمن ثمّة لا يعلم أحد ما في نفسه عزّ وجلّ أعطىٰ آدم اثنين وسبعين حرفاً فتوارثها الأنبياء حتىٰ صارت عند عيسى فذلك قول عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر يقول أنت علّمتنيها فانت تعلمها ولا أعلم ما في نفسك يقول لأنّك احتجبت من خلقك بذلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك انَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ .

(١١٧) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ انِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً رقيباً مطّلعاً أمنعهم من أن يقولوا ذلك و يعتقدوه مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

---

١ - تاه في الأرض اي ذهب متحيّراً يتيه تيهاً وتَيَهاناً.

٢ - لعلّ التقدير انّى وامّى اتخذوا الهين ولا يستقيم حكاية عن الآية كما لا يخفى.

بالرّفع إلى السّماء من قوله أنّي متوفّيك ورافعك إليك والتوفّي أخذ الشيء وافياً والموت نوع منه قال الله عزّ وجلّ يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المراقب لأحوالهم وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ مطّلع مراقب له .

(١١٨) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ تملكهم وتطّلع علىٰ جرائمهم قيل فيه تنبيه على أنهم استحقّوا ذٰلك لأنهم عبادُك وقد عبدوا غيرك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ القادر القويّ على الثواب والعقاب الّذي لا تثيب ولا تعاقب إلاّ عن حكمة وصواب فانّ المغفرة حسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل .

(١١٩) قَالَ اللهُ هٰذَا يَوْمُ [1] يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وقرء يومَ بالنّصب ولا يخلو من تكلّف لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

(١٢٠) لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيه تنبيه علىٰ كذب النصارى وفساد دعوٰهم في المسيح وأمه .

القميّ والدّليل على أنّ عيسٰى عليه السلام لم يقل لهم ذٰلك قوله تعالىٰ هٰذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم .

ثم روىٰ باسناده عن الباقر عليه السلام في هٰذه الآية إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرّون بأهوال يوم القيامة فلا ينتهون الى العرصة حتىٰ يجهدوا جهداً شديداً قال يقفون بفناء العَرْصَة ويشرف الجبّار عليهم وهو على عرشه فأوّل من يدعىٰ بنداءٍ يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمّد بن عبد الله صلىّ الله عليه وآله وسلم النّبيّ القرشي العَرَبيّ قال فيتقدم حتىٰ يقف على يمين العرش .

قال ثمّ يدعىٰ بصاحبكم فيتقدّم حتى يقف على يسار رسول الله صلىّ الله عليه

---

١ ـ قوله تعالى هٰذا يوم ينفع هٰذا مبتدأ ويوم خبره وهو معرب لأنّه مضاف الى معرب فيبقى على حقّه من الأعراب ويقرء يوم بالفتح وهو منصوب على الظّرف وهٰذا فيه وجهان احدهما هو مفعول قال الله هٰذا القول في يوم والثّاني ان هٰذا مبتدء ويوم ظرف للخبر المحذوف أي هٰذا يقع او يكون يوم ينفع وقال الكوفيّون يوم في موضع رفع خبر هٰذا ولكنه بنيَ على الفتح لاضافته الى الفعل وعندهم يجوز بناؤه وان اضيف الى معرب وعندنا لا يجوز الاّ اذا اضيف الى مبنيّ.

وآله وسلم ثمّ يدعىٰ بأمّة محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم فيقفون على يسار عليّ ثمّ يدعىٰ بنبيّ نبيٍّ وأمّته معه من أوّل النبيين إلى آخرهم وأمتهم معهم فيقفون على يسار العرش .

قال ثم أوّل من يدعىٰ للمسائلة القلم قال فيتقدّم فيقف بين يدي الله في صورة الآدميّين فيقول الله هل سطرت في اللّوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي فيقول القلم نعم يا ربّ قد علمت أنّي قد سطرت في اللّوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك فيقول الله فمن يشهد لك بذٰلك فيقول يا ربّ وهل أطّلع علىٰ مكنون سرّك خلق غيرك قال فيقول له أفلجت حجّتك .

قال ثم يدعى باللوح فيتقدم في صورة الآدميّين حتّىٰ يقف مع القلم فيقول له هل سطر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحي فيقول اللّوح نعم يا ربّ وبلّغته اسرافيل ثمّ يدعى باسرافيل فيتقدم اسرافيل مع اللّوح والقلم في صورة الآدميّين فيقول الله له هل بلّغك اسرافيل ما بلّغ فيقول يا ربّ وبلّغته جميع أنبيائك وأنفذت اليهم جميع ما انتهى إليّ من أمرك وأدّيت رسالاتك إلى نبيّ نبيّ ورسول رسول وبلّغتهم كلّ وحيك وحكمتك وكتبك وانّ آخر من بلّغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمّد بن عبد الله صلىّ الله عليه وآله وسلم العربيّ القرشّي الحرميّ حبيبك قال أبو جعفر عليه السلام فأوّل من يدعىٰ من ولد آدم للمسائلة محمّد بن عبد الله فيدنيه الله حتىٰ لا يكون خلق أقرب إلى الله يومئذ منه فيقول الله يا محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم هل بلّغك جبرئيل ما أوحيت إليك وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي وهل أوحىٰ ذٰلك إليك فيقول رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم نعم يا ربّ قد بلّغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك وأوحاه إليّ فيقول الله لمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم هل بلّغت لأمّتك ما بلّغك جبرئيل من كتابي وحكمتي وعلمي فيقول رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم نعم يا ربّ قد بلّغت أمتي جميع ما أوحيت إليّ من كتابك وحكمتك وعلمك وجاهدت في سبيلك .

فيقول الله لمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم فمن يشهد لك بذٰلك فيقول محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم يا ربّ أنت الشّاهد لي بتبليغ الرّسالة وملائكتك والأبرار من أمتي

وكفىٰ بك شهيداً فيدعىٰ بالملائكة فيشهدون لمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم بتبليغ الرّسالة ثمّ يدعىٰ بأمّة محمدّ فيسألون هل بلّغكم محمدّ صلىّ الله عليه وآله وسلم رسالتي وكتابي وحكمتي وعلمي وعلّمكم ذٰلك فيشهدون لمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم فيقول الله لمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم فهل استخلفت في أمّتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي ويفسرّ لهم كتابي ويبينّ لهم ما يختلفون فيه من بعدك حجّة لي وخليفة في الأرض فيقول محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم نعم يا ربّ قد خلّفت فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أخي ووزيري ووصيي وخير أمّتي ونصبته لهم علماً في حيوتي ودعوتهم إلى طاعته وجعلته خليفتي في أمّتي إماماً يقتدى به الأمّة من بعدي إلى يوم القيامة فيدعىٰ بعليّ بن أبي طالب فيقال له هل أوصى إليك محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم واستخلفك في أمّته ونصبك علماً لأمّته في حيوته وهل قمت فيهم من بعده مقامه فيقول له عليّ نعم يا ربّ قد أوصى اليّ محمّد وخلّفني في أمّته ونصبني لهم علماً في حيوته فلّما قبضت محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم إليك جحدتني أمّته ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني وقدّموا قدّامي من أخّرت وأخّروا من قدّمت ولم يسمعوا منّي ولم يطيعوا أمري فقاتلتهم في سبيلك حتىٰ تقتلوني فيقال لعليّ هل خلّفت من بعدك في أمّة محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم حجّة وخليفة في الأرض يدعو عبادي إلى ديني والىٰ سبيلي فيقول عليّ نعم يا ربّ قد خلّفت فيهم الحَسن ابني وابن بنت نبيّك فيدعىٰ بالحسن بن علي صلوات الله عليهما فيسأل عمّا سئل عنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال ثمّ يدعىٰ بامام إمام وبأهل عالمه فيحتجّون بحجّتهم فيقبل الله عذرهم ويجيز حجّتهم قال ثمّ يقول الله هٰذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وانّما يؤخذ من أمر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بآخره وكان آخر ما نزل عليه سورة المائِدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء لقد نزلت عليه وهو علىٰ بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلّىٰ بطنها حتّىٰ رأيت سرّتها تكاد تمسّ الأرض وأغمي علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حتّىٰ وضع يده علىٰ ذوابة شيبة بن وهب الجحميّ ثم دفع ذٰلك علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقرأ علينا سورة

المائِدة فعمِلَ رسول الله صلّى الله عليه واله وسلم وعملنا.

وعن الصّادق عليه السّلام نزلت المائدة كملاً ونزلت معها سبعون ألف ألف ملك وفي ثواب الأعمال عن الباقر عليه السلام من قرء سورة المائدة في كلّ يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولم يشرك به أبَدَاً انشاء الله تعالىٰ

سورة الأنعام

هي مكية غير ست آيات وما قَدَروا الله حَقّ قَدره إلى آخر ثلاث آيات قُلْ تَعالوا أُتل ما حرّم عليكم ربّكم إلى آخر ثلاث آيات فانّهُن نَزَلنَ بالمدينة وعدد آيها مائة وخمس وستون آية .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْم .

(١) الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وصف نفسه بما نبّه به على أنّه المستحقّ للحمد حُمِد أو لم يحمد ليكون حجّة على العادلين به وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ انشأهما والفرق بين الخلق والجعل أنّ الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التصيير كانشاءِ شيء من شيء ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ يعني أنّه خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يسوّون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنىٰ ثمّ استبعاد عدولهم[1] بعد هٰذا الوضوح .

في الإحتجاج عن الصادق عليه السلام في حديث في نزول هٰذه الآية أنّها ردّ على ثلاثة أصناف لما قال الحمد لله الذي خلق السّمٰوات والأرض كان ردّاً على الدّهرية الّذين قالوا إنّ الأشياءَ لا بدْولها وهي قائمة ثم قال وجعل الظّلمات والنّور فكان ردّاً على الثنويّة[2] الذين قالوا إنّ النّور والظّلمة هما المدّبران ثم قال ثمّ الذين كفروا بربهم

---

١ ـ وعدلوا بالله أشركوا به وجعلوا له مثلاً ومنه حديث علي (ع) كذب العادلون بك اذ شبّهوك بأصنامهم.

٢ ـ الثّنويّة من يثبت مع القديم قديماً غيره قيل وهم فرق المجوس يثبتون مبدئين مبدئ للخير ومبدء للشرّ وهما النّور والظلمة ويقولون بنبوة إبراهيم وقيل هم طائفة يقولون انّ كلّ مخلوق مخلوق للخلق الأوّل وقد شهد ببطلان قولهم قوله (ع) في وصف الحقّ تعالى لا من شيءٍ كان ولا من شيء خلق ما كان فبهٰذا يدفع جميع حجج الثنويّة وشبههم.

يعدلون فكان رداً على مشركي العرب الذين قالوا إنّ أوثاننا آلهة .

(٢) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ أي ابتدأ خلقكم منه ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً كتب وقدّر أجلاً محتوماً لموتكم لا يتقدم ولا يتأخر وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ لموتكم أيضاً يمحوه ويثبت غيره لحكمة الصدقة والدّعاءِ وصلة الرحم وغيرها مما يحقق الخوف والرّجاء ولوازم العبودية فان بها وبأضدادها يزيد العمر وينقص وفيه سرّ البداءِ وقد بيّناه في كتابنا المسمّىٰ بالوافي مستوفى. في الكافي عن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال أجلان أجل محتوم وأجل موقوف .

والقمي عن الصادق عليه السلام الأجل المقضيّ هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه والمسمّىٰ هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ تشكّون فيه وفي بعثه إيّاكم استبعاد لأمترائهم بعدما ثبت أنّه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلىٰ آجالهم فانّ من قدر على خلق الأصول وجمعها وابداع الحيوٰة فيها وابقائها ما يشاء وتوقيفهم في الأجل بعد حتمه إيّاه في الخوف والرّجاءِ بعد قضائه الأمر كان حقيقاً بأن يعبد وكان أقدر على جمع الأصول واحيائها ثانياً فالآية الأولىٰ دليل التوحيد والثانية دليل التوحيد والبعث جميعاً .

(٣) وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوٰاتِ وَفِي الْأَرْضِ هو المعبود فيهما والمعروف بالإلٰهية والوحدانية مثل قوله وهو الذي في السّماءِ إله وفي الأرض إله في التوحيد عن الصادق عليه السلام في هٰذه الآية كذٰلك هو في كلّ مكان قيل بذاته قال ويحك ! لاماكن اقدار فاذا قلت في مكان بذاته لزمك ان تقول في اقدار وغير ذٰلك ولكن هو باين من خلقه محيط بما خلق علماً وقدرةً واحاطةً وسلطاناً وليس علمه بما في الارض بأقل مِمّا في السّماءِ لا يبعد عنه شيء وا لاشياء عنده سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً واحاطةً يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ .

القميّ قال السرّ ما أسرّ في نفسه والجهر ما أظهره وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ من خير وشرٍّ فيثيب عليه ويعاقب .

(٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ تاركين النّظر

فيها غيرَ ملتفتين إليها .

(٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ بما جاء به محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ فسيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم .

(٦) أَلَمْ يَرَوْاكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ من أهل زمان مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أعطيناهم من البسطة في الأجسام والسّعة في الأموال مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ما لم نعطكم يا أهل مكة وفي الكلام التفات وَأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ المطر عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً مغزاراً[1] وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فعاشوا في الخصب[2] بين الأنهار والثمار فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ولم يغن ذلك عنهم شيئاً وَأَنشَأْنَا وأحدثنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ بدلاً منهم يعني إنّا كما قدّرنا أن نهلك من قبلكم كعاد وثمود وننشىء مكانهم آخرين قدّرنا أن نفعل ذلك بكم .

(٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ مكتوباً في ورق فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ولم يقتصر بهم على الرّؤية لئلاّ يقولوا سكّرت أبصارنا لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ لعظم عنادهم وقسوة قلوبهم .

(٨) وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ يصدقه ويكلمنا أنه نبّي لقوله لولا أنزل عليه ملك فيكونَ معه نذيراً وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ لحقّ اهلاكهم فان سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين .

(٩) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً جواب ثان أو جواب لاقتراحٍ ثان فانهم كانوا تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة والمعنىٰ لو جعلنا قريناً لك ملكاً يصدّقك ويعاينوه أو جعلنا مكانك ملكاً كما اقترحوه لمثلناه رجلاً كما مثّل جبرئيل في صورة دحية فانّ القوّة البشريّة لا تقوىٰ على رؤية الملك في صورته وَلَلَبَسْنَا

---

١ ـ في الحديث الإمام كالعين الغزيرة يقال غزر الماء بالضمّ غزاراً وغزارة كثر فهو غزير أي كثير والمراد شدّة النّفع وعمومه. والمدرار الكثير الدّر مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنّث.

٢ ـ الخصب بالكسر كحِمل: النماء والبركة والمرعىٰ الخصب كثير العشب.

عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ولخلطنا عليهم ما يخلطُون على أنفسهم فيقولون ما هذا إلاّ بشر مثلنا وكذّبوه كما كَذَبُوك في تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة .

وفي الإحتجاج عنه عليه السلام قال قلت لأبي عليّ بن محمد عليهما السلام هل كان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يناظِرُ اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم قال مراراً كثيرة إنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم كان قاعداً ذات يوم بفناءِ الكعبة إذ ابتدأ عبد الله بن أبي أميّة المخزوميّ فقال يا محمّد لقد ادّعيت دعوىً عظيمة وقلت مقالاً هائلاً زعمت أنّك رسول ربّ العالمين وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده بل لو أراد الله أن يبعث الينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا ما أنت يا محمّد الاّ مسحوراً ولست بنبيّ فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم اللّهم أنت السّامع لكل صوت والعالم بكلّ شيء تعلم ما قاله عبادك فأنزل عليه يا محمّد وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر إلى قوله تعالىٰ وللبسنا عليهم ما يلبسون ثم قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وأمّا قولك لي ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده بل لو أراد أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا فالملك لم تشاهده حواسّكم لأنّه من جنس هذا الهواءِ لا عيان منه ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوىٰ أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي الفتمُوه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وانّ ما يقوله حقّ بل إنّما بعث الله بشراً رسولاً وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبايع البشر الذين قد علمتم ضماير قلوبكم فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به إنّه معجزة وانّ ذٰلك شهادة من الله بالصّدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر علىٰ يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذٰلك ما يدلكم إنّ ذٰلك ليس في طبايع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذٰلك معجزاً الا ترون أنّ الطّيور التي تطير ليس ذٰلك منها بمعجز لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها ولو أنّ آدميّاً طار كطيرانها كان ذٰلك معجزاً فالله عزّ وجلّ سهّل عليكم الأمر وجعله مثلكم بحيث يقوم عليكم حجتّه وانتم تقترحون عمل الصّعب الذي لا

حجّة فيه الحديث ويأتي نبذ منه في سورة الفرقان وآخر في سورة زخرف انشاء الله .

(١٠) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم على ما يرىٰ من قومِهِ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ فأحاط بهم الذي يستهزؤن به من العذاب .

(١١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ قيل أي سافروا فيها ثُمَّ انْظُرُوا بأبصاركم وتفكروا بقلوبكم

والقمي أي انظروا في القرآن وأخبار الأنبياء فانظروا وقد مضى نظيره عن الصادق عليه السلام في سورة آل عمران كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ المستهزئين بالرّسل من الأمم السالفة حيث استأصلهم بالعذاب .

(١٢) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ سؤال تبكيت[1] قُلْ لله تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم في ذٰلك ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه الى غيره كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الأدّلة وانزال الكتب والإمهال على الكفر والذنوب لتدارك ما فرط لَيَجْمَعَنَّكُمْ قرناً بعد قرن إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ قيل استيناف ووعيد على اشراكهم واغفالهم النظر وقيل بدل من الرّحمة فانّه منها الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بتضييع رأس مالهم الّذي هو الفطرة الأصليّة فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ فانّ ابطال الفطرة ادّاهم الى الإصرار على الكفر .

(١٣) وَلَهُ وَللهِ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ما تمكنَ وحلّ من السّكنىٰ ذكر في الاوّل السَّمٰوٰاتِ والأرض المشتملتين على الأمكنة جميعاً وهنا الليل والنهار المشتملين على الأزمنة جميعاً ليعمّ الموجودات التي تندرج تحت الظّرفين وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ لا يخفى عليه شيء .

(١٤) قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً انكار لاتخّاذ غير الله ولياً لا لإتخّاذ الوليّ ولذٰلك قدّم غير وأوْلِيَ الهمزة فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ منشؤهما ومبدعهما ابتدأ بقدرته وحكمته من

---

١ ـ التّبكيت التقريع والتوبيخ كما يقال له يا فاسق أما استحييت أما خفت الله .

غير احتذاءٍ مثال وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ يرزق ولا يرزق يعني أنّ المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الإنتفاعُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أي أمرني ربّي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لأنّ النّبي سابق أمّته في الإسلام وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وقيل لي ولا تكوننّ من المشركين ويجوز عطفه على قل .

(١٥) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مبالغة أخرى في قطع أطماعهم وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب .

العياشي عن الصادق عليه السلام ما ترك رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إنّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم حتى نزلت سورة الفتح فلم يعد الى ذٰلك الكلام .

(١٦) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ يعني العذاب وقرءَ بالبناءِ للفاعل فَقَدْ رَحِمَهُ وتفضّل عليه، في المجمع عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم والذى نفسي بيده ما من الناس أحديدخل الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ .

(١٧) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ببلية كمرض وفقر فَلا كاشِفَ لَهُ فلا قادر على كشفِهِ إلاّ هو وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ بنعمة كصحة وغنىً فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقدر على إدامته وازالته .

(١٨) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ تصوير لقهره وعلّوه بالغلبة والقدرة يعني أنهم تحت تسخيره وتذليله وَهُوَ الحَكِيمُ في أمره وتدبيره الْخَبِيرُ بالعباد وخفايا أحوالهم وبكل شيء

(١٩) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً أعظم شهادة وأصدق قُلِ اللهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قيل الله جواب وشهيد مستأنف بتقدير هو وقيل بل الله شهيد سادّ مسدّ الجواب .

أقولُ : لعلّه أريد أنه لا يحتاج إلى الجواب ويكون معنى السّؤال أنّه غير خاف أنّ الله هو أكبر شيء شهادة وأنتم أيضاً تعلمون ذٰلك ومعنىٰ الله شهيد أن الله الذي هو أكبر شيء شهادة هو الذي يشهد لي بالنبوّة وانّما جاز اطلاق الشّيء على الله تعالىٰ لإخراجه

عن حدّ التعطيل ولكنه شيء بخلاف الأشياءِ كذا في الكافي عن الصادق عليه السلام .

القميّ عن الباقر عليه السلام إن مشركي أهل مكّة قالوا يا محمّد ما وجد الله رسولاً يرسله غيرك ما نرىٰ أحداً يصدّقك بالذي تقول وذٰلك في أوّل ما دعاهم وهو يومئذ بمكّة قالوا ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعمُوا أنّه ليس لك ذكر عندهم فأتانا بأمر يشهد أنّك رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الله شهيد بيني وبينكم **وَاوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** قيل يعني انذركم وأنذر سائر من بلغه الى يوم القيامة .

وفي المجمع والكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام في هٰذه الآية ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد صلوات الله عليهم فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم .

والقميّ ما في معناه **أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرىٰ** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قُلْ لاَ أَشْهَدُ** بما تشهدون **قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ** بل اشهد أن لا إله إلا هو **وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** به من الأوثان وغيرها .

(٢٠) **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ** يعرفون رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل **كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** بحِلاهم[1].

القميّ نزلت في اليهود والنصارى لأنّ الله قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم وصفة أصحابه ومهاجره وهو قوله تعالىٰ محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله الى قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل فهذه صفة رسول الله صلّى الله عليه وآله في التّوراة والإنجيل وصفة أصحابه فلمّا بعثه الله عزّ وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جلّ جلاله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** من أهل الكتاب والمشركين **فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان .

---

١ ـ الحلية بالكسر بمعنى الصّفة.

(٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاءِ شفعاؤنا عند الله أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ كأن كذّبوا القرآن والمعجزات وسمّوها سحراً وانما أَوْ وهم قد جمعوا بين الأمرين. تنبيهاً علىٰ أنّ كلاًّ منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظّلم إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ فضلاً عمّن لا أحد أظلم منه .

(٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعاً منصوب بمضمر تهويلاً للأمر ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ قيل أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله تعالىٰ ويأتي ما ورد فيه وانّ المراد بها شركاؤهم في الولاية وقرىء يحشر ويقول بالياءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أي تزعمونهم شركاء توبيخ لهم بعدم انتفاعهم بها .

(٢٣) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ في المجمع عن الصادق عليه السلام يعني معذرتهم .

أقول : يعني معذرتهم الّتي يتوهّمون أن يتخلّصوا بها من فتنت الذّهب إذا خلصته وقرء لم تكن بالتّاءِ وفتنتهم بالرّفع وبالياءِ والنّصب إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنّه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة وقرىء ربّنا بالنّصب .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام والقميّ عن الصادق عليه السلام يعنون بولاية عليّ صلوات الله وسلامه عليه .

(٢٤) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلىٰ انْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الشركاءِ .

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أهوال يوم القيامة ثم يجتمعون في موطن آخر ويستنطقون فيه فيقولون والله ربّنا ما كنّا مشركين وهؤلاءِ خاصة هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد فلم ينفعهم إيمانهم بالله تعالىٰ مع مخالفتهم رسله وشكّهم فيما أتوا به عن ربهم ونقضهم عهودهم في أوصيائهم واستبدالهم الذي هو

---

١ ـ قوله ويوم نحشرهم اه هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم وجميعاً حال من ضمير المفعول ومفعولا تزعمون محذوفان اي تزعمونهم شركاء ودل على المحذوف ما تقدّم.

أدنىٰ بالذي هو خير فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله انظر كيف كذبوا علىٰ أنفسهم .

والقميّ مقطوعاً قال انها في قدريّة [١] هذه الأمّة يحشرهم الله تعالىٰ يوم القيامة مع الصائبين والنّصارى والمجوس فيقولون والله ربّنا ما كنّا مشركين يقول الله تعالىٰ انظر كيف كذبُوا علىٰ أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون قال وقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إنّ لكلّ أمّة مجوساً ومجوس هٰذه الأمّة الّذين يقولون لا قَدَر ويزعمون أنّ المشيئة والقدرة اليهم ولهم .

(٢٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حين تتلو القرآن وَجَعَلْنَا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة أن يفقهوه وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً [٢] يمنع من استماعه كناية عن نبوّ [٣] قلوبهم واسماعهم عن قبوله وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حَتّىٰ إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يخاصمونك يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ الأساطير الأباطيل وأصله السطر بمعنى الخطّ والمعنىٰ بلغ تكذيبهم الآيات الى أنّهم يجادلونك ويناكرونك ويجعلون كلام الله الذي هو أصدق الحديث خرافات الأوّلين وهي غاية التكذيب وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ القميّ قال بنو هاشم كانوا ينصرون رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ويمنعون قريشاً عنه وينأون عنه أي يباعدونه ولا يؤمنون به وَإِنْ يُهْلِكُونَ وما يهلكون بذٰلك إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ انّ ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم .

(٢٧) وَلَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ جوابه محذوف يعني لو تراهم حين يوقفون على النار حتّى يعاينوها أو حين يطّلعون عليها بالدّخول لرأيته أمراً فظيعاً [٤] .

---

١ ـ في الحديث ذكر القدريّة وهم المنسوبون الى القدر ويزعمون أنّ كل عبد خالق فعله ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيّته فنسبوا الى القدر لأنّه بدعتهم وضلالتهم . وفي شرح المواقف قيل القدريّة هم المعتزلة لإسناد أفعالهم الى قدرتهم وفي الحديث لا يدخل الجنّة قدري وهو الذي يقول لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس.

٢ ـ الوقر بالفتح الثّقل في الأذن.

٣ ـ نبا السّيف ينبو من باب قتل نبوا على فعول: كلّ ورجع من غير قطع.

٤ ـ فظع الأمر بالضمّ فهو فظاعة فهو فظيع أي شديد شنيع جاوزا المقدار.

القمّي قال نزلت في بني أميّة فَقالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ تمنّوا أن يرجعوا الى الدنيا وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عطف على نردّ أو ابتداء كلام وقرىء بالنصب فيهما على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراء لها مجرى الفاء وبرفع الأول ونصب الثاني .

(٢٨) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ من نفاقهم وقبايح أعمالهم فتمنّوا ما تمنّوا ضجراً لا عزماً على أنهم لو ردّوا لآمَنُوا وَلَوْ رُدُّوا أي الى الدّنيا بعد الوقوف والظّهور لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ من الكفر والمعاصي وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنهم ملعونون في الأصل .

(٢٩) وَقَالُوا عطف على عادوا أو ابتداء إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَوٰتُنَا الدُّنْيَا الضّمير للحيوة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ .

(٣٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ للتوبيخ والسّؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه كناية عن اطّلاعهم على الربّ وجزائه والوقوف بمعنى الإطّلاع قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا اقروا وأكدّوا باليمين لانجلاء الأمر غاية الجلاء قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم .

(٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ ببلوغ الآخرة وما يتصل به من الجزاء إذ فاتهم النّعيم واستوجبُوا العذاب المقيم حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ غاية لكذّبوا لا لخسر لأنّ خسرانهم لا غاية له بَغْتَةً فجأة قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا أي تعالي فهذا أو انك عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا قصّرنا فيها قيل أي في الدّنيا وان لم يجر لها ذكر للعلم بها أو في السّاعة أي في شأنها والإيمان بها أو في الجنّة يعني في طلبها والعمل لها لما روي عن النّبي صلّى الله عليه وآله في هٰذه الآية يرى أهل النّار منازلهم من الجنّة فيقولون يا حَسْرَتَنَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ تمثيل لاستحقاقهم آصار[1] الآثام أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ بئس شيئاً

---

١ ـ الوَضرُ بالتحريك الدّرن والدّسم يقال وضرت القصعة أي دسمت ووضره وضراً فهو وضِر مثل وسخ وسخاً فهو

يزرونه وزرهم .

(٣٢) وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عمّا يعقب منفعة دائمة ولذّة حقيقية وهي جواب قولهم ان هي إلاّ حيوتنا الدّنيا وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ لدوامها وخلود لذّاتها ومنافعها وقرئ ولدار الآخِرة أَفَلاَ يَعْقِلُونَ أيّ الأمرين خير وقرئ على الخطاب .

(٣٣) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَانَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ فِي الحقيقة وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذّبونه والباء لتضمّن الجحود معنى التكذيب وقرأ بالتخفيف من اكذبه إذا وجده كاذباً أو نسبه إلى الكذب

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام قرىء رجل على أمير المؤمنين عليه السلام فانّهم لا يكذّبونك فقال لي والله لقد كذّبوه أشدّ التّكذيب ولكنّها مخففة لا يكذبونك ولا يأتون بباطل يكذبون به حقّك.

ونسبه القميّ الى الصادق عليه السلام إلا أنّه قال لا يأتون بحقّ يبطلون حقّك ويؤيّد هذا ثبوت التّكذيب والعياشي عنه عليه السلام أي لا يستطيعون ابطال قولك .

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه كان يقرأ لا يكذّبونك ويقول انّ المراد بها أنّهم لا يأتون بحقّ أحقّ من حقّك .

وقيه عن أكثر المفسرّين لا يكذّبونك بقلوبهم اعتقاداً قال ويشهد لهذا ما روي أن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لقي أبا جهل فصافحه فقيل له في ذلك فقال والله إنّي لأعلم أنه صادق ولكنّا متىٰ كنّا تبعاً لعبد مناف فأنزل الله تعالىٰ الآية .

(٣٤) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسُول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فَصَبَرُوا عَلىٰ مَا كُذِّبُوا وَاوُذُوا حَتّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنا في الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ من صَبَرَ صَبَرَ قليلاً وانّ من جزع جزع قليلاً ثمّ قال وعليك بالصّبر في جميع أمورك فانّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم وأمره بالصّبر والرّفق قال فصبر

حتّىٰ نالوه [١] بالعظائم ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله عزّ وجلّ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك وكن من السّاجدين ثم كذّبوه ورموه فحزن لذٰلك فأنزل الله قد نعلم أنّه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذّبونك ولكن الظّالمين بآيات اللهِ يجحدون ولقد كذّبت رسلٌ من قبلك فَصَبَرُوا على ما كذّبوا وأوذوا حتّىٰ أتىٰهم نصرنا فالزم النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم نفسه الصّبر الحديث .

والقميّ عنه عليه السلام ما يقرب منه وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ قيل أي لمواعيده من قوله وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ من قصصهم وما كابدوا [٢] من قومهم .

(٣٥) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ عظم وشقّ إِعْرَاضُهُمْ عنك وعن الإيمان بما جئت به .

القمي عن الباقر عليه السلام كان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يحبّ اسلام الحرث بن نوفل بن عبد مناف دعاه وجهد به أن يسلم فغلب عليه الشّقاءِ فشقّ ذٰلك على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأنزل الله هٰذه الآية فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ منفذاً تنفذ فيه إلىٰ جوف الأرض أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ أو مصعداً تصعد به إلى السماء فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ فتطلع لهم آية من الأرض أو تنزل آية من السّماءِ يؤمنون بها وجوابه محذوف أي فافعل والجملة جواب الشرط الأوّل والمقصود بيان حرصه البالغ على إيمان قومه وأنّه لو قدر علىٰ ذٰلك لفعل ولكنه لا يقدر نظيره فلعلّك باخع [٣] نفسك وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ بأن تأتيهم آية يخضعوا لها ولكن لا يفعل لخروجه عن الحكمة .

في الإكمال عن النبى صلىّ الله عليه وآله وسلم يا عليّ إنّ الله قد قضى الفرقة والإختلاف علىٰ هٰذه الأمّة فلو شاء الله لجمعهم على الهدىٰ حتىٰ لا يختلف اثنان من هٰذه الأمّة ولا ينازع في شيء من أمره ولا يجحد المفضول لذي الفضل فضله فَلاَ

---

١ ـ قوله نالوه بالعظائم يعني نسبوه الى الكذب والجنون والسّحر وغير ذٰلك وافتروا عليه.

٢ ـ الكَبَد بالتحريك: الشدّة والمشقّة من المكابدة للشيء وهو تحمّل المشاق في شيء.

٣ ـ أي قاتل نفسك بالغمّ والوجد عليهم.

تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

القميّ مخاطبة للنّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم والمعنيّ النّاس .

(٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بتفهم وتدبّر يعني أنّ الذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتىٰ الّذين لا يسمعون وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ فيحكم فيهم ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ فحينئذ يسمعون وأمّا قبل ذٰلك فلا سبيل إلىٰ اسماعهم .

(٣٧) وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ مّما اقترحوه تركوا الإعتداد بما نزلت عليه من آيات الله والمعجزات مع كثرتها كأنّه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً يخضعوا لها وقرئ أن ينزل بالتّخفيف وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ إنّه يقدر عليه وان حكمته لا يقتضي ذلك .

القميّ قال لا يعلمون أنّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها هلكوا وعن الباقر عليه السلام في هٰذه الآية سيريكم في آخر الزّمان آيات منها دابّة الأرض والدّجّال ونزول عيسى بن مريم وطلوع الشمس من مغربها .

(٣٨) وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ تدبّ علىٰ وجهها وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ في الهواء قيل وصفه به قطعاً لمجاز السّرعة ونحوها إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظة أحوالها مقدّرة أرزاقها مكتوبة آجالها مخلوقة أبدانها مربوبة أرواحها كما انتم كذلك .

القميّ يعني خلق مثلكم قال وقال كل شيء مما خلق خلق مثلكم ، قيل المقصود من ذٰلك الدّلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره وليكون كالدّليل على أنه قادر على أن ينزّل آية مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ شيئاً من التّفريط لأنّ فرط لا يتعدّى بنفسه وقد عدّى بفي الى الكتاب وقرىء بالتخفيف ويعني بالكتاب القرآن كما يستفاد من كثير من الأخبار كحديث اختلاف العلماء في الفتيا في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم علىٰ اتمامه أم كانوا شركاءَ له فعليهم أن يقولوا وعليه أن يرضىٰ أم أنزل الله ديناً تامّاً فقصّر الرّسُول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول ما فرّطنا في الكتاب من شيء وفيه

تبيان كلّ شيءٍ وحديث وصف الإمامة عن الرّضا عليه السّلام في العيون وغيره جهل القوم وخدعوا عن أديانهم إنّ الله لم يقبض نبيّه حتّىٰ أكمل الدّين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شي ء بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجمع ما يحتاج إليه كملاً فقال عزّ وجلّ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ يعني الأمم كلّها في الفقيه عن الصادق عليه الصّلوٰة والسّلام أيّ بعير حجّ عليه ثلاث سنين جعل من نَعَمِ الجنّة قال وروي سبع سنين .

وفيه أنّ النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال أين صاحبها مُروه فليستعدّ غداً للخصومة .

وفي الخصال عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم في حديث القيامة قال لن يركب يومئذ إلاّ أربعة أنا وعليّ وفاطمة وصالح نبيّ الله فأمّا أنا فعلى البراق وأمّا فاطمة ابنتي فعلىٰ ناقتي العَضباء وأمّا صالح فعلىٰ ناقة الله الّتي عقرت وأمّا عليّ فعلىٰ ناقة من نور زمامها من ياقوت عليه حلّتان خضراوان .

(٣٩) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ عن الهدىٰ وَبُكْمٌ لا يتكلّمون بخير فِي الظُّلُمَاتِ يعني ظلمات الكفر كذا رواه القميّ عن الباقر عليه السّلام في تفسير الآية مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ يخذله فيضلّ لأنّه ليس من أهل الهدىٰ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يرشده الى الهدىٰ بلطفه لأنّه من أهل الهدىٰ واللّطف .

القميّ عن الباقر عليه السّلام نزلت في الذين كذّبوا الأوصياءَ هم صمّ وبُكمٌ كما قال الله في الظّلمات من كان من ولد إبليس فانّه لا يصدق بالأوصياءِ ولا يؤمن بهم أبداً وهم الّذين أضلّهم الله ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياءِ وهم على صراط مستقيم

(٤٠) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ أرأيت أنفسكم معناه أخبروني إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللهِ فِي الدّنيا أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ يعني القيامة من تدعون أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ تبكيت لهم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بأنّ الأصنام آلهة .

(٤١) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ بل تخصّون الله بالدعاءِ دون الآلهة فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ

إِلَيْهِ ما تدعُون إلى كشفه إِنْ شَآءَ أن يتفضّل عليكم بكشفه وَتَنْسَوْنَ مَا تُشرِكُونَ وتتركون آلهتكم لما ركز في العقول إنّه القادر على كشف الضرّ دون غيره أو لا تذكرونها في ذٰلك الوقت من شدّة الأمر وهوله .

(٤٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ يعني الرّسل فكذّبوهم فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَآءِ بالشدّة والفقر وَالضَّرَّآءِ والمرض ونقصان الأنفس والأموال لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ لكي يتضرّعوا ويخضعُوا ويتذلّلوا أو يتوبُوا عن ذنوبهم .

(٤٣) فَلَوْلاَ إِذْ جَآئَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ معناه نفي تضرّعهم في ذٰلك الوقت جاء بلولا ليدلّ على أنّه لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع الاّ عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التي زيّنها الشّيطان لهم في نهج البلاغة من كلامه ولو أنّ النّاس حين ينزل بهم النّقم ويزول عنهم النّعم فزعوا الىٰ ربّهم بصدق من نياتهم ووَلَهٍ من قلوبهم لردّ عليهم كلّ شارد وأصلح لهم كلّ فاسِدٍ .

(٤٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ من البأساءِ والضرّاءِ يعني تركوا الاتّعاظ به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ من الصحّة والتّوسعة في الرّزق وقرئ فتّحنا بالتّشديد حيث وقع حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا من الخير والنّعم واشتغلوا بالنّعم عن المنعم أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً مفاجأة من حيث لا يشعرون فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ آيسون من النّجاة والرّحمة متحسّرون.

(٤٥) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الذين ظَلَمُوا أي اخرهم لم يترك منهم احد من دبره اذا تبعه وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على اهلاك اعدائه واعلاء كلمته فان تخليص أهل الارض في سوء عقايد الكفار وقبيح اعمال العصاة والفجار نقمة جليلة يحق ان يحمد عليها .

في المجمع عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم إذا رأيت الله تعالىٰ يعطي على العاصي فانّ ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الآية وعن أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن آدم إذا رأيت ربّك تتابع عليك نعمه فاحذره .

القميّ عن الباقر عليه السلام فلمّا نَسُوا ما ذكروا به يعني فلمّا تركوا ولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وقد أمروا بها فتحنا عليهم أبواب كل شيء دولتهم في الدنيا وما يسط لهم فيها أخذناهم بغتة يعني بذلك قيام القائم صلوات الله عليه حتى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قطّ

والعياشي عنه عليه السلام لمّا تركوا ولاية عليّ صلوات الله عليه وقد أمروا بها أخذناهم بغتة الآية قال نزلت في ولد العباس .

(٤٦) **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ** بأن يصمّكم ويعميكم **وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ** بأن يغطي عليها ما يذهب عقلكم ويسلب تميزكم **مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ** بذلك .

القميّ عن الباقر عليه السلام إن أخذ الله منكم الهدى **أُنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ** قال يعرضون .

(٤٧) **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً** من غير مقدمة وظهور امارة **أَوْ جَهْرَةً** بتقدم امارة قابل البغتة بالجهرة لما في البغتة من معنى الخفية **هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ** ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الذين ظلموا بكفرهم وفسادهم.

القميّ نزلت لمّا هاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض فشكوا ذلك إليه يعني لا يصيبكم إلاّ الجهد والضرّ في الدّنيا فامّا العذاب الأليم الذي هو الهلاك فلا يصيب إلاّ القوم الظّالمين .

العيّاشي عن الصادق عليه السلام يؤاخذ بني أميّة بغتة وبني العباس جهرة .

(٤٨) **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ** المؤمنين بالجنّة **وَمُنْذِرِينَ** الكافرين بالنار **فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ** من العذاب **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** بفوتِ الثواب .

(٤٩) **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ** جعل العذاب ماسّاً لهم كأنّه الطّالب للوصول إليهم يفعل بهم ما يريد **بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** بسبب خروجه عن التّصديق والطّاعة .

(٥٠) قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَآئِنُ اللهِ في التوحيد والمعاني والمجالس عن الصادق عليه السلام لما صعد موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام إلى الطّور فنادى ربّه عزّ وجلّ قال يا ربّ أرني خزائنك فقال تعالىٰ يا موسى إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ الذي اختصّ الله بعلمه وانّما أعلم منه ما يعلّمني الله وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ من جنس الملائكة أقدر على ما يقدرون عليه إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحى إِلَيَّ ما انبّئكم بما كان وما يكون إلاّ بالوحي تبرّأ من دعوى الألوهية والملكيّة وادّعى النّبوّة الّتي هي من كمالات البشر ردّاً لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدّعاه .

في العيون عن الرّضا عليه السّلام أنّه سئل يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في الشّيء الواحد فقال إن الله عزّ وجلّ حرّم حراماً وأحلّ حلالاً وفرض فرائض فما جاء في تحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحلّ الله أو رفع فريضة في كتاب الله رسمها قائم بلا نسخ نسخ ذلك فذلك شيء لا يسع الأخذ به لأنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لم يكن ليحرّم ما أحلّ الله ولا ليحلّل ما حرّم الله ولا ليغيّر فرائض الله وأحكامه وكان في ذلك كلّه متّبعاً مسلّماً مؤدّياً عن الله عزّ وجلّ وذلك قول الله عزّ وجلّ إن اتّبع إلاّ ما يوحىٰ إليّ فكان متّبعاً لله مؤدّياً عن الله ما أمر به من تبليغ الرّسالة قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمى وَالْبَصِيرُ قيل الضالّ والمهتدي .

والقميّ من لا يعلم ومن يعلم .

ونسبه في المجمع الى أهل البيت عليهم السّلام أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ فلا تكونوا ضالّين أشباه العميان وتنصفوا من أنفسكم .

(٥١) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

في المجمع عن الصّادق عليه السلام وانذر بالقرآن الّذين يرجون الوصول إلى

ربهم ترغبهم فيما عنده فانّ القرآن شافع مشفّع .

(٥٢) وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاوَةِ وَالْعَشِيِّ يعبدونه على الدوام يُرِيدُونَ وَجْهَهُ يبتغون مرضاته مخلصين له وقرىء بالغدوة مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ جواب النفي فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ جواب النهي .

القميّ قال كان سَبَب نزولها أنّه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمّون أصحاب الصّفّة وكان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يكونوا في صفّة يأوون إليها وكان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يتعاهدهم بنفسه وربّما يحمل إليهم ما يأكلون وكانوا يختلفون إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فيقرّبهم ويقعد معهم ويؤنسهم وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه ينكرون عليه ذٰلك ويقولون اطردهم عنك فجاء يوماً رجل من الأنصار إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وعنده رجل من أصحاب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من أصحاب الصّفّة قد لزق برسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ورسول الله يحدّثه فقعد الأنصاري بالبعد منهما فقال له رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم تقدّم فلم يفعل فقال له رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لعلّك خفت أن يلزق فقره بك فقال الأنصاري اطرد هٰؤلاءِ عنك فأنزل الله ولا تطرد الّذين يدعون ربهم الآية .

(٥٣) وَكَذٰلِكَ مثل ذٰلك الفتن وهو اختلاف أحوال النّاس في أمور الدّنيا فَتَنَّا ابتلينا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ في أمر الدين فقدمنا هؤلاءِ الضّعفاءِ على أشراف قريش بالسّبق إلى الإيمان لِيَقُولُوا أَهٰؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أي هٰؤلاءِ من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعده دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يخص هؤلاءِ من بينهم باصابة الحقّ والسّبق الى الخير كقولهم لو كانوا خيراً ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفّقه وبمن لا يقع منه فيخذله .

(٥٤) وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ قيل نزلت في الّذين نهى الله عزّ وجلّ نبيّه عن طردهم وكان النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم إذا رآهم بدأهم بالسّلام وقيل نزلت في حمزة وجعفر وعمّار ومصعب بن عمير وغيرهم .

وقيل أنّ جماعةً أتوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وقالوا انّا أصبنا ذنوباً كثيرة فسكت عنهم فنزلت .

وفي المجمع عن الصّادق عليه السلام أنّها نزلت في التائبين ويؤيّده تمام الآية ولا تنافي بين الرّوايات إنّهُ استيناف يفسّر الرّحمة وقرىء بالفتح على البدل منها مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ بالتدارك فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وقرىء بالفتح .

(٥٥) وَكَذٰلِكَ ومثل ذٰلك التفصيل الواضح نُفَصِّلُ الآياتِ آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمينَ المصرّين منهم والأوّابين وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ قرىء بالتّاءِ ونصب السّبيل على الخطاب وبالياءِ ورفعها .

(٥٦) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلّة وأنزل عليّ من الآيات في أمر التوحيد أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ تعبدون مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لاَ أَتَّبِعُ أَهْوَائَكُمْ تأكيد لقطع أطماعهم واشارة إلى الموجب للنّهي وعلّة الإمتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان مبدأ ضلالهم وانّ ما هم عليه هوىً وليس بهدىً وتنبيه لمن تحرّى الحقّ على أن يتّبع الحجّة ولا يقلّد قَدْ ضَلَلْتُ إذاً أي اتّبعت أهواءكم فقد ضللت وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أي في شيء من الهدى حتّىٰ أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنّهم كذٰلك .

(٥٧) قُلْ إِنِّي عَلىٰ بَيِّنَةٍ على حجة واضحة مِنْ رَبِّي من معرفة ربّي وانّه لا معبود سواه أو صفة لبيّنة وَكَذَّبْتُمْ بِهِ أنتم حيث أشركتم به غيره مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ قيل يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السّماءِ أو ائتنا بِعذابٍ أليم إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ في تعجيل العذاب وتأخيره يَقْضِي الْحَقَّ قضاء الحقّ

في كلّ ما يقضي من التأخير والتعجيل وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ القاضين وقرىء يقصّ الحقّ أي يتبعه من قصّ أثره .

(٥٨) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ من العذاب لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وانقطع ما بيني وبينكم وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ في معنى استدراك كأنه قال ولكنّ الأمر إلى الله وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل كذا قيل .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث وقال الله عزّ وجلّ لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلم قل لو أنّ عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم قال لو أنّي أمرت أن أعلمكم الّذي أخفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتي لتظلموا أهل بيتي من بعدي فكان مثلكم كما قال الله عزّ وجلّ كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله يقول أضاءت الأرض بنور محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم كما تضيء الشمس الحديث .

(٥٩) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خزائنه إن كان جمع المفتح بفتح الميم بمعنى المخزن أو مفاتيحه إن كان جمع المِفتح بكسر الميم بمعنى المفتاح أي ما يتوصّل به إلى المغيبات وقرىء مفاتيح لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ فيظهرها على ما اقتضته حكمته وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ معطوفات على ورقة إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ قيل أي علم الله أو اللّوح المحفوظ او القرآن بدل من الإستثناء الأوّل وقرئت المعطوفات بالرّفع عطفاً على محلّ من ورقة أو على الإبتداء والخبر إلاّ في كتاب ، في الفقيه في خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام وما تسقط من ورقة من شجرة .

وفي الكافي والمعاني والعياشي عن الصّادق عليه السّلام والقميّ الورقة السّقط والحبّة الولد وظلمات الأرض الأرحام والرّطب ما يحيى واليابس ما يغيض وكلّ ذلك في كتاب مبين والعياشي عن الكاظم عليه السّلام الوَرَقة السقط يسقط من بطن أمّه من

قبل أن يهلّ الولد والحبّة الولد في بطن أمّه إذا هلّ وسقط من قبل الولادة والرطب المضغة إذا استكنت في الرّحم قبل أن يتّم خلقها قبل أن تنتقل واليابس الولد التّام والكتاب المبين الإمام المبين .

وفي الإحتِجاج عن الصادق عليه السّلام في حديث وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السّلام قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال الله عزّ وجل ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وعلم هذا الكتاب عنده .

أقول : قد مضى معنى الكتاب من جهة التّأويل في أوّل سورة البقرة .

(٦٠) **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفّيكُمْ بِاللَّيْلِ** يقبض أرواحكم عن التصرّف بالنّوم كما يقبضها بالموت **وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ** أي ما كسبتم من الأعمال **بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ** ثم ينبّهكم من نومكم في النّهار **لِيُقْضىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى** لتستوفوا آجالكم .

القميّ عن الباقر عليه السّلام في قوله ليقضى أجل مسمىً قال هو الموت **ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ** بالموت **ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** بالمجازاة .

(٦١) **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** المقتدر المستعلي على عباده **وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً** يحفظونكم ويحفظون أعمالكم ويذبّون عنكم مردة الشّياطين وهوامّ الأرض وسائر الآفات ويكتبون ما تفعلون قيل الحكمة في كتابة الأعمال انّ العباد إذا علموا أنّ أعمالهم تكتب عليهم وتعرض على رؤوس الأشهاد كانوا أزجر من القبائح وانّ العبد إذا وثق بلطف سيّده واعتمد على عطفه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمة المتطلّعين عليه ويأتي ما يقرب منه عن الصادق عليه السّلام في سورة الإنفطار إنشاء الله **حَتّىٰ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا** ملك الموت وأعوانه كما سبق بيانه في سورة النّساء وقرء توفّاه بألف[1] ممالة **وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ** لا يقصّرون بالتّواني والتأخير .

(٦٢) **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ** إلى حكمه وجزائه **مَوْلىٰهُمُ** الذي يتولى أمرهم **الْحَقِّ**

---

١ ـ بأن يشبع الفتحة حتّى يحصل منها نصف ألف وتميل الى الألف.

العدل الذي لا يحكم إلا بالحقّ الاٰ لَهُ الْحُكْمُ يومئذ لا حكم لغيره وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر كما مرّ في سورة البقرة

وفي الإعتقادات أنّ الله تعالىٰ يخاطب عباده من الأولين والآخرين يوم القيامة بمجمل حسابٍ عَمَلهم مخاطبة واحدة يسمع منها كل واحد قضيته دون غيره ويظنّ أنّه المخاطب دون غيره لا يشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة ويفرغ من حساب الأولين والآخرين في مقدار نصف ساعة من ساعات الدّنيا .

(٦٣) قُلْ مَنْ يُنَجّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً متضرعين بألسنتكم وَخُفْيَةً ومسرين في أنفسكم لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هٰذِهِ على ارادة القول أي قائلين لئن انجيتنا من هذه الظلمة والشدة لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

(٦٤) قُلِ اللهُ يُنَجّيكُمْ مِنْهَا وقرىء بالتخفيف وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ غمٍ سواها ثُمَّ أَنْتُم تُشرِكُونَ تعودون إلى الشرك ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجّة عليكم .

(٦٥) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ يرسل عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ كما أمطر علىٰ قوم لوط وعلىٰ أصحاب الفيل الحجارة وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ كما أغرق فرعون وخسف بقارون أَوْ يلْبِسَكُمْ يخلطكم شِيَعاً فرقاً مختلفي الأهواء كلّ فرقة منكم مشايعة الامام ومعنى خلطهم أن يختلطوا أو يشتبكوا في ملاحم القتال وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ يقتل بعضكم بعضاً أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ بالوعد والوعيد لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ

العياشي والقميّ عن الباقر عليه السلام عذاباً من فوقكم هو الدّخان والصّيحَة أو من تحت أرجلكم هو الخسف أو يلبسكم شيعاً هو الاختلاف في الدين وطعن بعضكم علىٰ بعض ويذيق بعضكم بأس بعض هو أن يقتل بعضكم بعضاً وكلّ هذا في أهل القبلة يقول الله أُنظر كيف نصرّف الآيات لعلّهم يفقهون، وفي المجمع عن الصّادق عليه السّلام من فوقكم من السّلاطين الظّلمة ومن تحت أرجلكم العبيد السّوء ومن لا خير فيه أو يلبسكم شيعاً يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة

والعَصَبية ويُذيق بعضكم بأس بعض هو سوء الجوار.

وعن النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم سألت ربّي أن لا يظهر علىٰ أمّتي أهل دين غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم جوعاً فأعطاني وسألته أن لا يجمعهم علىٰ ضلال فأعطاني وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعني قال

وفي الخبر أنّه قال إذا وضع السّيف في أمّتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة.

(٦٦) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ قيل أي بالقرآن وقيل أي بالعذاب وَهُوَ الْحَقُّ الصّدق أو الواقع لا بدّ أن ينزّل قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ بحفيظٍ

(٦٧) لِكُلِّ نَبَإٍ خبر مُسْتَقَرٌ وقت استقرار ووقوع وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عند وقوعه.

(٦٨) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا بالتكذيب والإستهزاء بها والطعن فيها فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ فلا تجالسهم وقم من عندهم.

العياشي عن الباقر عليه السّلام في هٰذه الآية قال الكلام في الله والجدال في القرآن قال منه القُصّاص حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ غير ذٰلك وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ النّهي وقرىء ينسينك بالتخفيف فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ [1] بعد أن تذكر مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أي معهم فوضع الظاهر موضعه تنبيهاً علىٰ أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

في العلل عن السجاد ليس لك أن تقعد مع من شئت لأنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول وإذا رأيت الذين الآية.

والقميّ عن النبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن باللهِ واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم إنّ الله تعالىٰ يقول في كتابه وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية.

---

١ - ودفعاً لتوهّم رجوع الضّمير الى خصوص هؤلاء المكذّبين المعهودين بل النّهي عام لكلّ من فعل مثل فعلهم.

(٦٩) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ مما يحاسبون عليه من قبائح أعمالهم وأقواهم وَلَٰكِنْ ذِكْرَى ولكن عليهم ذكرى أو عليهم أن يذكروهم ذكرىٰ ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ يجتنبون ذٰلك حبّاً أو كراهةً لمسائتهم .

في المجمع عن الباقر عليه السلام لمّا نزل فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم فلا ندخل إذاً المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا .

(٧٠) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً حيث سخروا به واستهزؤا منه وبنوا أمر دينهم على التشهّي أو جعلوا عيدهم الّذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب ولهو .

والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فألهتهم عن العقبىٰ وَذَكِّر بِهِ أي بالقرآن أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ مخافة أن تسلّم إلى الهلاك وترتهن بسوءِ عملها واصل البَسْل المنع لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ يدفع عنها العذاب وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ وان تفد كل فداءٍ والعدل الفدية لأنّها تعادل المفدي أزيد به هيهنا الفداء لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا أى سلّموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزّايفة لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ تأكيد وتفصيل لذٰلك والمعنى هم بين ماءٍ مغلىّ يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم .

(٧١) قُلْ أَنَدْعُوا نعبد مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا لا يقدر علىٰ نفعنا وضرّنا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ونرجع عن دين الإسلام إلى الشّرك بَعْدَ إِذْ هَدَيٰنَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامة [1] من هوى إذا ذهب

---

١ ـ المهامة امّا من الهومة بمعنى الفلاة ولذا يلقّب الأسد بالهوامّ لاتخاذه المسكن في الهومة فيكون الهومة والمهامة بمعنى أو يأتي من الهيماء بمعنى المفازة بلا ماء.

وقرىء استهواه بألف ممالة فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ متحيراً ضالاً عن الطريق لَهُ أَصْحَابٌ لهذا المستهوى رفقة يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إلى الطريق المستوى أو إلى أن يهدوه الطريق المستقيم ائْتِنَا يقولون له ائتنا وقد اعتسف التيه تابعاً للجنّ لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب أنّ الجنّ يستهوي الإنسان كذلك قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ الذي هو الإسلام هُوَ الهدىٰ وحده وما سواه ضلال وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ من جملة المقول .

(٧٢) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاتَّقُوهُ أي أمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا يعني للإسلام ولإقامة الصلوة وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجازي كلّ عامل منكم بعمله .

(٧٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ قائماً بالحق والحكمة وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ .

(٧٤) قَوْلُهُ الْحَقُّ قيل أي قوله الحقّ يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه الخالق للسّموات والأرض وقوله الحق نافذ في الكائنات أو يوم معطوف على السّموات وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون علىٰ معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون والمراد حين يكوّن الأشياء ويحدثها وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والصّور قرن من نور التقمه اسرافيل فينفخ فيه كذا عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم .

وروي أن فيه بعدد كلّ انسان ثقبة فيها روحه ووصف بالسّعة والضّيق واختلف في أنّ أعلاه ضيّق وأسفله واسع أو بالعكس ولكل وجه ويأتي في بيانه وصفة النفخ فيه حديث في سورة الزّمر انشاء الله عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أي هو عالم الغيب والشهادة وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وهٰذا كالفذلكة [1] للآية .

(٧٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ.

في المجمع قال عن الزّجّاج ليس بين النّسابين اختلاف في أنّ اسم أبي

---

١ ـ فذلك حسابه انهاه وفرغ منه مخترعه من قوله اذا اجمل حسابه فذلك كذا وكذا.

ابراهيم تارح [١] قال وهذا يقوي ما قاله أصحابنا أنّ آزر كان جد ابراهيم عليه السلام لأمه أو كان عمّه من حيث صحّ عندهم أنّ آباء النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السّلام كان كلّهم موحّدينَ وأجمعت الطائفة علىٰ ذٰلك ورووا عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّه قال لم يزل ينقلني الله تعالىٰ من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام المطهّرات.حتى أخرجني في عالمكم هٰذا لم يدنّسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطّهارة مع قوله إِنَّما الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ آزر أبا إبراهيم عليه السّلام كان منجّماً لنمرود وساق الحديث إلى أن قال ووقع آزر بأهله فعلقت بابراهيم الحديث .

والعياشي عنه عليه السّلام أنّه سئل عن قوله تعالىٰ وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر قال كان اسم أبيه آزر والعلمُ عند الله أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرٰيكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ عن الحقّ مُبِينٍ ظاهر الضلالة .

(٧٦) وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مثل هذا التبصير نبصّره وهو حكاية حال ماضيه مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ ربوبيّتها وملكها والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ أي ليراه وليكون أو وفعلنا ذٰلك ليكون .

في المجمع عن الباقر عليه السلام كشط [٢] الله عن الأرضين حتّى رآهنّ وما تحتهنّ وعن السّموات حتّى رآهنّ وما فيهنّ من الملائكة وحملة العرش .

والعياشي والقميّ عن الصادق عليه السّلام كشط له عن الأرض ومن عليها وعن السّماءِ ومن فيها والمَلَك الذي يحملها والعرش ومن عليه .

وزاد القميّ وفعل ذٰلك برسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السّلام وفي رواية والأئمّة عليهم السّلام .

---

١ ـ تارح بالتاء المثنّاة من فوق والمهملتين منه.

٢ ـ الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غشاه.

وفي رواية العياشي عن الباقر عليه السلام وفعل بمحمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم كما فعل بابراهيم عليه السّلام وإنّي لأرىٰ صاحبكم قد فعل به مثل ذٰلك .

وعنه عليه السلام قال أعطىٰ بصره من القوّة ما نفذ السموات فرأى ما فيها ورأى العرش وما فوقه ورأى ما في الأرض وما تحتها وفي المناقب عنه عليه السّلام أنه سأله جابر بن يزيد عن هٰذه الآية فرفع بيده وقال ارفع رأسك قال فرفعته فوجدت السّقف متفرقاً ورمق [1] ناظري في ثلم [2] حتّى رأيت نوراً حار عنه بصري فقال هكذا رأى إبراهيم عليه السّلام ملكوت السموات والأرض وانظر إلى الأرض ثم ارفع رأسك فلما رفعته رأيت السقف كما كان ثم أخذ بيدي وأخرجني من الدّار والبَسَني ثوباً وقال غمض عينيك ساعة ثم قال أنت في الظلمات التي رأى ذو القرنين ففتحت عينيّ فلم أر شيئاً ثم اخطا خُطاً فقال أنت على رأس عين الحيوٰة للخضر عليه السلام ثم خرجنا من ذٰلك العالم حتى تجاوزنا خمسة أقاليم فقال هذا ملكوت الأرض ثم قال غمّض عينيك واخذ بيدي فاذا نحن بالدار التي كنا فيها وخلع عنّي ما كان البست قلت جعلت فداك كم ذهب من اليوم فقال ثلاث ساعات .

وفي الكافي والمجمع والقمي والعياشي عن الصادق عليه السلام لما رأى ابراهيم عليه السّلام ملكوت السموات والأرض رأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثةً فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله إليه يا إبراهيم أنّ دعوتك مستجابة فلا تدع علىٰ عبادي فاني لو شئت أن أميتهم لدعائك ما خلقتهم فاني خلقت خلقي على ثلاثة أصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني .

(٧٦) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أظلم عليه وستره بظلامه **رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هٰذَا رَبِّي**

---

١ ـ رمقه بعينه رمقاً من باب قتل اطال النظر اليه مـ.

٢ ـ ثلم الاناء والسّيف ونحوه كضرب وفرح وثلمه فانثلم وتثلم كسر حرفه فانكسر والثلمة بالضم فرجة المكسور والمهدوم

علىٰ سبيل الإنكار والإستخبار لأنّ قومه كانوا يعبدون الكواكب أو علىٰ وجه النّظر والإستدلال لأنّه كان طالباً في حداثة سنه **فَلَمَّا أَفَلَ** غاب **قَالَ إِنِّي لاَ أُحِبُّ الْآفِلِينَ** فضلاً عن عبادتهم فانّ الإنتقال والإحتجاب والإستتار دليل الحدوث والفقر.

(٧٧) **فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغاً** مبتدءاً في الطلوع **قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ** استعجز نفسه واستعان بربّه في درك الحقّ فانّه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه ارشاداً لقومه وتنبيهاً لهم على أن القمر أيضاً لتغيّر حاله لا يصلح للألوهية وانّ من اتخذه إلٰهاً فهو ضال.

العياشي عنهما عليهما السّلام لأكوننّ من القوم الضّالين ناسياً للميثاق

(٧٨) **فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي** قيل ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانةً للربّ عن شبهة التّأنيث **هٰذَا أَكْبَرُ** كبّره اظهاراً لشبهة الخصم أو استدلالاً **فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** من الأجرام المحدثة المفتقرة إلى محدث يحدثها ويخصّ أحوالها بما خصّت به ثم لما تبرأ عنها توجه إلىٰ موجدها ومبدعها الذي دلّت هي عليه فقال

(٧٩) **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** في العيون عن الرضا عليه السّلام أنّه سأل المأمون فقال له يا ابن رسول الله أليس من قولك أن الأنبياء معصومون قال بلىٰ قال فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ فلمّا جنّ عليه اللّيل رأى كوكباً قال هٰذا رَبّي فقال الرضا عليه السّلام انّ ابراهيم عليه السّلام وقع إلىٰ ثلاثة أصناف صنف يعبد الزّهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذٰلك حين خرج من السَّرَب[1] الذي أخفى فيه فلمّا جنّ عليه اللّيل رأى الزّهرة قال هٰذا ربّي على الانكار والإستخبار فلمّا أفل الكوكب قال لأ أحبّ الآفلين لأنّ

---

١ ـ السَّرَب بالتحريك جحر الوحشي والحفير تحت الأرض والقناة التي يدخل منها الماء الحائط والمراد الغار الذي ولد فيه هربت اليه امّها من خوف النمرودية وولدها فيه وربته باعانة جبرئيل حتى مرّ عليه سنوات فخرج من الغار وبرز وشرع في الدعوة.

الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم فلمّا رأى القمر بازغاً قال هٰذا ربي على الإنكار والإستخبار فلمّا أفل قال عليه السلام لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضّالّين فلمّا أصبح ورأى الشّمس بازغة قال هٰذا ربّي هٰذا أكبر من الزّهرة والقمر على الإنكار والإستخبار لا على الإخبار والإقرار فلمّا أفلت قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشّمس يا قوم انّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّموٰات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين وانّما أراد ابراهيم عليه السّلام بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أنّ العبادة لخالقها وخالق السّموٰات والأرض وكان ما احتج به علىٰ قومه ما ألهمه الله وآتاه كما قال تعالىٰ وتلك حجّتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء فقال المأمون لله درّك يا ابن رسول الله .

والقمّي عن الصادق عليه السّلام أنّ آزر أبا ابراهيم عليه السّلام كان منجّماً لنمرود بن كنعان فقال له إنّي أرى في حساب النّجوم أنّ هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هٰذا الدين ويدعو إلى دين آخر فقال له نمرود في أي بلاد يكون قال في هٰذه البلاد وكان منزل نمرود بكوثاريا فقال له نمرود قد خرج إلى الدّنيا قال آزر لا قال فينبغي أن يفرّق بين الرّجال والنّساء فحملت أمّ ابراهيم بابراهيم عليه السّلام ولم يتبيّن حملها فلمّا حان ولادتها قالت يا آزر إنّي قد اعتللت وأريد أن اعتزل عنك وكان في ذٰلك الزمان المرأة إذا اعتلت اعتزلت عن زوجها فخرجت واعتزلت في غار ووضعت إبراهيم عليه السّلام وهيّئته وقمطته ورجعت إلى منزلها وسدّت باب الغار بالحجارة .

فأجرى الله لإبراهيم عليه السّلام لبناً من ابهامه وكانت أمّه تأتيه ووكل نمرود بكلّ امرأة حامل وكان يذبح كلّ ولد ذكر فهربت أمّ إبراهيم بابراهيم عليه السّلام من الذّبح وكان يشبّ إبراهيم في الغار يوماً كما يشبّ غيره في الشّهر حتى أتىٰ له في الغار ثلاث عشرة سنة .

فلمّا كان بعد ذٰلك زارته أمّه فلمّا أرادت أن تفارقه تشبّث بها فقال يا أمّي أخرجيني فقالت له يا بنيّ إنّ الملك إن علم أنّك ولدت في هذا الزمان قتلك فلمّا خرجت

أمّه خرج من الغار وقد غابت الشّمس نظر إلى الزّهرة في السّماءِ فقال هٰذا ربي فلمّا غابت الزّهرة قال لو كان ربّي ما تحرّك وما برح ثم قال لا أحبّ الآفلين والآفل الغائب فلمّارأى القمر بازغاً قال هٰذا ربّي هٰذا أكبر وأحسن فلمّا تحرّك وزال قال لئن لم يهدني ربيّ لأكونَنّ من القومِ الضّالّين فلمّا أصبح وطلعت الشّمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الدّنيا لطلوعها قال هٰذا ربّي هٰذا أكبر وأحسن فلمّا تحركت وزالت كشط الله له عن السّمٰوات حتّى رأىٰ العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السّمٰوات والأرض فعند ذٰلك قال يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهيَ للّذي فطر السمٰوات والأرضَ حَنِيفاً وما أنا من المشركين فجاء إلىٰ أمّه وأدخلته إلىٰ دارها وجعلته بين أولادها قال وسئل أبو عبد الله عليه السّلام عن قول إبراهيم عليه السّلام هٰذا ربّي أشرك في قوله هٰذا ربّي قال من قال هذا اليوم مشرك ولم يكن من إبراهيم عليه السّلام شرك وإنّما كان في طلب ربّه وهو من غيره شرك .

والعياشي مثْله وزاد عن أحدهما عليهما السّلام انّما كان طالباً لربّه ولم يبلغ كفراً وانّه من فكّر من النّاس في مثل ذٰلك فانّه بمنزلته .

(٨٠) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ وخاصموه في التوحيد قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ في وحدانيته وقرئ بتخفيف النون وَقَدْ هَدَانِ إلى توحيده وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ أي لا أخاف معبوداتكم قط لأنّها لا قدرة لها علىٰ ضرّ أو نفع إِلاَّ أَنْ يَشَآءَ رَبِّي شَيْئاً أن يصيبني بمكروه وكأنه جواب لتخويفهم إياه من جهة آلهتهم وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال مخوف لي أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ فتميّزوا بين القادر والعاجز .

(٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ولا يتعلق به ضرر وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ وهو حقيق بأن يخاف منه كلّ الخوف لأنه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضّارّ النّافع مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً حجّة والمعنى وما لكم تتكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولا تتكرون علىٰ أنفسكم الأمن في موضع الخوف فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ الموحدون أو المشركون إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

(٨٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ولم يخلطوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ في المجمع عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه انّه من تمام قول إبراهيم عليه السّلام .

وعن ابن مسعود لمّا نزلت هذه الآية شقّ على النّاس وقالوا يا رسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه فقال انّه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح عليه السّلام يا بنيّ لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلمٌ عظيم .

والعياشي عن الصادق عليه السّلام في هذه الآية قال الظلم الضّلال فما فوقه .

وعنه عليه السّلام أنّه سئل الذين آمنوا ولم يلبسُوا ايمانهم بظلم الزّنا منه قال أعوذ بالله من أولئك لا ولكنه ذنب إذا تاب تاب الله عليه وقال مدمن الزّناءِ والسّرقة وشارب الخمر كعابد الوثن وفي رواية قال أولئك الخوارج وأصحابهم .

وفي الكافي والعياشي عنه عليه السلام أنّ الظلم هنا الشّكّ .

وعنه عليه السّلام ولم يلبسُوا ايمانهم بظلم قال آمنوا بما جاء به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم من الولاية ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان .

(٨٣) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ أرشدناه إليها وعلّمناه إياها عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ في العلم والحكمة وقرئ بالتّنوين إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ في رفعه وخفضه عَلِيمٌ بحال من رفعه واستعداده له .

(٨٤) وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا أي كلاً منهما وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ يعني هديناهم لنجعل الوصيّة في أهل بيتهم كذا عن الباقر عليه السّلام رواه في الكافي والإكمال في حديث اتصال الوصيّة من لدن ادم وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

(٨٥) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ العياشي عن الصادق عليه السّلام والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى ابراهيم عليه السّلام من قبل النّساءِ ثم تلا هذه الآية .

وفي العيون عن الكاظم عليه السّلام انما أُلحِقَ عيسى عليه السلام بذراري الأنبياءِ من طريق مريم وكذلك الحقنا بذراري النّبي صُلىّ الله عليه وآله وسلم من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام في جواب هٰرون عن هذه المسألة وَالْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ .

(٨٦) وَاسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعَالَمِينَ .

(٨٧) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ واخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

(٨٨) ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا مع فضلهم وعلوّ شأنهم لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فكانوا كغيرهم .

(٨٩) أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يريد به الجنس وَالْحُكْمَ والحكمة والحكم بين النّاس وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا أي بالنبوة أو الثلاثة هٰؤُلاَءِ يعني قريشاً فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ .

في المحاسن عن الصادق عليه السلام قوماً يقيمون الصلوٰة ويؤتون الزّكوٰة ويذكرون الله كثيراً .

(٩٠) أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ يريد الأنبياء المقدّم ذكرهم فَبِهُدٰيهُمُ اقْتَدِهْ فاقتصّ طريقتهم بالإقتداءِ والهاء للوقف في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الإقتداءِ لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ قال الله لأعزّ خلقه محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم أُولٰئك الذين هَدَى الله فبهديهم اقتده فلو كانَ لدين الله مسلك أقوم من الإقتداءِ لندب أنبياءه وأولياءه إليه .

والقميّ عن النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم وأحسن الهدى هدى الأنبياءِ .

وفي نهج البلاغة اقتدوا بهدى نبيّكم فانه أفضل الهدى قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ على التبليغ أَجْراً جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من كان قبلي من النّبيين وهذا من جملة

ما أمر بالإقتداءِ بهم إنْ هُوَ أي التبليغ الاَّ ذِكْرىٰ لِلْعَالَمِينَ تذكيراً و عظةً لهم .

(٩١) وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وما عرفوه حق معرفته وما عظّموه حق عظمته وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به من الرحمة على عباده واللطف بهم .

في الكافي عن الصادق عليه السلام إن الله لا يوصف وكيف يوصف وقد قال في كتابه وما قدروا الله حق قدره فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذٰلك ويأتي فيه حديث آخر في سورة الزّمر انشاء الله تعالىٰ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل وذٰلك من أعظم رحمته وأجلّ الطافه .

القميّ هم قريش واليهود قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً الزموا بما لا بدّ لهم من الاقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بابداءِ بعض واخفاءِ بعض وجعلها ورقات متفرقة ليتمكّنوا بما حاولوه .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هٰذه الآية قال كانوا يكتمون ما شاؤا ويبدون ما شاؤا وفي رواية كانوا يكتبونه في القراطيس ثم يبدون ما شاؤا ويخفون ما شاؤا .

والقميّ يخفون يعني من أخبار رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقرئ بالياءِ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَآؤُكُمْ قُلِ اللهُ أي أنزله الله قيل أمره بأن يجيب عنهم اشعاراً بأنّ الجواب متعيّن لا يمكن غيره وتنبيهاً علىٰ أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ القمي يعني ما خاضوا فيه من التكذيب .

(٩٢) وَهٰذا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير النّفع والفائِدة مُصَدِّقُ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ الكتب التي قبله وَلِتُنْذِرَ وقرئ بالياءِ أي الكتاب أُمَّ الْقُرىٰ يعني مكة سمّيت بها لأنه دحيت الأرض من تحتها فكأنها تولّدت منها .

والقميّ قال سمّيت أمّ القرىٰ لأنّها أوّل بقعة خلقها الله من الأرض وَمَنْ

حَوْلَها أهل الشرق والغرب وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلىٰ صَلَوٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ فانّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبّر حتّى يؤمن به ويحافظ على الطّاعة وتخصيص الصلوٰة لأنّها عماد الدين وعلم الايمان

(٩٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ في الكافي والعياشي عن أحدهما عليهما السلام نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مضر وهو ممّن كان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكّة هدر دمه وكان يكتب لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فاذا أنزل الله عزّ وجلّ إنَّ اللهَ عزيزحكيم كتب انّ الله عليم حكيم فيقول له رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم دعها فانّ الله عليم حكيم وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين إنّي لأقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ فأنزل الله تبارك وتعالىٰ فيه الذي أنزل .

والقميّ عن الصادق عليه السلام قال انّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفان من الرّضاعة أسلم وقدم المدينة وكان له حسن وكان إذا نزل الوحي علىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم دعاه فكتب ما يمليه رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فكان إذا قال له رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم سميع بصير يكتب سميع عليم واذا قال والله بما تعملون خبير يكتب بصير ويفرّق بين التّاءِ والياءِ وكان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يقول هو واحد فارتدّ كافراً ورجع إلى مكة وقال لقريش والله ما يدري محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم ما يقول أنا أقول مثل ما يقول فلا ينكر عليَّ ذٰلك فأنا أنزل مثل ما ينزل فأنزل الله على نبيّه في ذٰلك ومن أظلم ممّن افترىٰ على الله كذباً أو قال أوحِيَ إليَّ ولم يُوحَ إليه شيء ومن قالَ سأنزل مثل ما أنزل اللهفلما فتح رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم مكّة أمر بقتله فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول الله صلىّ اللهعليه وآله وسلم في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ثم أعاد فسكت ثم أعاد فقال هولك فلمّا مرّ قال

رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال رجل كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فأقتله فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إنّ الأنبياء لا يقتلون بالاشارة فكان من الطّلقاءِ والعياشي عن الباقر عليه السلام في تأويله من ادّعى الامامة دون الامام عليه السلام وَلَوْ تَرىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ شدائده من غمره الماء إذا غشيه وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ لقبض أرواحهم كَالمتقاضي المتسلّط اخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ يقولون لهم تغليظاً وتعنيفاً[1] الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ الهوان، القميّ قال العطش، والعياشي عن الباقر عليه السلام العطش يوم القيامة بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ لا تؤمنون بها .

(٩٤) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادىٰ عن أموالكم وأولادكم وأوثانكم كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ على الهيئة التي ولدتم عليها، في الخرايج عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّه قرأ علىٰ فاطمة بنت أسد هٰذه الآية فقالت وما فرادىٰ فقال عراة قالت واسوأتاه فسأل الله أن لا يبدي عورتها وان يحشرها بأكفانها وفي معناها حديث في الكافي عن الصادق عليه السلام .

وعنه عليه السلام تنوقوا[2] في الأكفان فانكم تبعثون بها .

وفي الإحتجاج عنه عليه السلام أنّه سئل عن النّاسِ أيحشرون عراة قال بل يحشرون في أكفانهم قيل انّي لهم بالأكفان وقد بليت قال انّ الذي أحيى أبدانهم جدّد أكفانهم قال فمن مات بلا كفن قال يستر الله عورته بما يشاء من عندد وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ما ملكناكم به في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ لم تحتملوا منه شيئاً وَمَا نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ أي شركاء الله في

---

١ ـ يقال عنفه تعنيفاً أي لامه وعتب والتعنيف التعيير واللوم وعنف به وعليه من باب قرب اذا لم يرفق به وأعنف الأمر اذا اخذ به بعنف.

٢ ـ في الحديث تنوّقوا بأكفانكم فانّكم تبعثون بها أي اطلبوا أحسنها وجودتها من قولهم تنوّق وتنيّق في مطعمه وملبسه تجود وبالغ والإسم النيقة بالكسر.

ربوبيّتكم واستحقاق عبادتكم **لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ** أي تقطع وصلكم وتشتّت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل وقرئ بالنّصب على اضمار الفاعل أي ما بينكم **وَضَلَّ عَنْكُمْ** ضاع وبطل **مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** القمي عن الصادق عليه السلام نزلت هذه الآية في معاوية وبني أمّية وشركاؤهم أئمّتهم لقد تقطع بينكم يعني المودّة .

(٩٥) **إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى** بالنّبات والشجر **يُخْرِجُ الْحَيَّ** مِنَ **الْمَيِّتِ** ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو كالنّطفة والحبّ **وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ** ما لا ينمو مما ينمو ، في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث الطّينة الحبّ طينة المؤمنين القى الله عليهَا المحبّة والنّوىٰ طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وانما سمّيَ النّوىٰ من أجل أنه نأىٰ عن كل خير وتباعد منه فقال الله يُخرجُ الحيّ من الميّت ومخرج الميّت من الحيّ فالحيّ المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحيّ هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن .

والقميّ قال الحبّ ما أحبّه والنّوىٰ ما نأىٰ [1] عن الحق وقال أيضا فالقُ الحبّ أي يفلق العلم عن الأئمّة والنّوىٰ ما بعد عنه [2] والعياشي عن الصادق عليه السلام الحبّ المؤمن وذٰلك قوله وألقيت عليك محبّة منيّ والنّوىٰ الكافر الذي نأىٰ عن الحق فلم يقبله **ذٰلِكُمُ اللَّهُ** أي الذي يحق له العبادة **فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ** تصرفون عنه إلى غيره .

(٩٦) **فَالِقُ الإِصْبَاحِ** شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل **وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً** يسكن فيه الخلق كما قال لتسكنوا فيه في نهج البلاغة ولا تسر أوّل اللّيل فانّ الله جعله سكناً وقدّره مقاماً لا ظعناً [3] فأرح فيه بدنك وروّح ظهرك وفي الكافي عن الباقر عليه السلام تزوّج باللّيل فانّ الله جعله سكناً .

والعياشي مثله وفي رواية ولا تطلبوا الحوائج باللّيل فانّه مظلم .

---

١ ـ النأي البعيد يقال نأيت عنه نأياً أي بعدت.

٢ ـ فلقته من باب ضرب شققته والفلق بالسّكون الشّق.

٣ ـ ظعن كجعل ظعناً سار.

وفي الكافي كان عليّ بن الحسين عليهما السّلام يأمر غلمانه أن لا يذبحوا حتى يطلع الفجر ويقول انّ الله جعل اللّيل سكناً لكلّ شيء وقرىء وجاعل اللّيل وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقاتُ ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الذي قهرهما وسيّرهما على الوجه الخاصّ الْعَلِيمِ بتدبيرهما .

(٩٧) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [1] في ظلمات اللّيل في البرّ والبحر وأضافتها اليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق أو الأمور سماها ظلمات على الاستعارة القميّ قال النجوم آل محمد عليهم السلام قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ بيّناها فصلاً فصلاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانّهم منتفعون به .

(٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وهو آدم عليه السلام فَمُسْتَقَرٌّ وقرء بكسر القاف أي قارّ وَمُسْتَوْدَعٌ والعياشي عن الباقر عليه السلام انّه قال لأبي بصير حين سأله عن هٰذه الآية ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه قال يقولون مستقرّ في الرّحم ومستودع في الصّلب فقال كذبوا المستقرّ من استقر الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثم يسلبه وقد كان الزبير منهم .

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عنها فقال مستقر في الرَّحِم ومستودع في الصلب وقد يكون المستودع الايمان ثم ينزع منه ولقد مشى الزبير في ضوء الإيمان ونوره حين قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حتّى مشى بالسّيف وهو يقول لا نبايع إلاّ عليّاً وفي رواية قال المستقرّ الثابت والمستودع المعار .

وعن الكاظم عليه السلام في هٰذه الآية ما كان من الإيمان المستقر فمستقر إلىٰ

---

١ ـ لأنّ من النّجوم مٰا يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدي بها في الأسفار وفي البلاد وفي القبلة وأوقات الليل وإلى الطريق في مسالك البراري والبحار وقال البلخي ليس في قوله لتهتدُوا مٰا يدل على أنّه لم يخلقها لغير ذٰلك بل خلقها سبحانه لأمور جليلة عظيمة ومن فكّر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشو الحيوان والنبات علم أنّ الأمر كذلك .

يوم القيامة أبداً وما كان مستودعاً سلبه الله قبل الممات .

وفي الكافي عنه عليه السّلام أنّ الله خلق النّبيينّ على النبوّة فلا يكونون إلاّ أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلاّ مؤمنين وأعار قوماً إيماناً فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم إيّاه قال وفيهم جرت فمستقر ومستودع وقال انّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذٰلك .

أقول : كنّي بفلان عن أبي الخطاب محمد بن مقلاص الغالي كما يستفاد من حديث آخر **قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** قيل ذكر مع ذكر النّجوم يعلمون لأنّ أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر .

(٩٩) **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا** على تلوين [١] الخطاب **بِهِ بالماءِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** نبت كل شيء من أصناف النبات والمعنىٰ اظهار القدرة في انبات الأنواع المختلفة بماءٍ واحدكما قال يسقى بماءٍ واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل **فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً** نبتاً غضاً أخضر وهو الخارج من الحبّة المتشعّب **نُخْرِجُ مِنْهُ** من الخضر **حَبّاً مُتَراكِباً** قد ركّب بعضه على بعض وهو السّنبل **وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ** أعذاق [٢] جمع قنو كصنوان جمع صنو **دَانِيَةٌ** قريبة من التناول **وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ** بعضها متشابه في الهيئة والمقدار واللّون والطّعم وبعضها غير متشابه **أُنْظُرُوا إِلىٰ ثَمَرِهِ** إلى ثمر كل واحد من ذلك وقرىء بضم الثاء على الجمع **إِذَا أَثْمَرَ** إذا أخرج ثمره كيف يكون صغيراً حقيراً لا يكاد ينتفع به **وَيَنْعِهِ** والى حال نضجه أو إلى نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذّة مصدر ينعت [٣] الثمرة إذا

---

١ ـ تلوين الخطاب لغيره من اسلوب الى آخر وهو من البلاغة.

٢ ـ العَذق النّخلة بحملها وبالكسر والقنو منها والعنقود من العنب واذا اكل ما عليه اعذاق.

٣ ـ ينع الثمر كمنع وضرب ينعاً ويُنعاً وينوعاً بضمّهما خان قطافه كأينع واليانع الأحمر من كل شيء والثمر الناضج كالينع جمع ينع

أدركت أو جمع يانع إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآيَاتٍ على وجود صانع عليم حكيم قدير يقدره ويدبّره وينقله من حال إلى حال لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فانهم المنتفعون .

(١٠٠) وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ الملائكة جعلوهم أنداداً لله فعبدوهم وقالوا إنهم بنات الله سمّاهم جنّاً لاجتنانهم [١] وتحقيراً لشأنهم ونحوه وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً .

وقيل بل أريد بالجنّ الشياطين لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وقالوا أنّ الله خالق الخير وابليس خالق الشرّ وَخَلَقَهُمْ وقد خلقهم [٢] أي وقد علموا أن الله خالقهم دون الجنّ وليس من يخلق كمن لا يخلق وَخَرَقُوا [٣] لَهُ واختلقوا لله بَنِينَ وَبَنَاتٍ فانّ المشركين قالوا الملائكة بنات الله وأهل الكتابين عُزَيْرٌ ابن الله والمسيح ابن الله وقرء وخرّقوا للتكثير بِغَيْرِ عِلْمٍ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه ولكن جهلاً منهم بعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ وهو أنّ له شريكاً وولداً .

(١٠١) بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أي هو مبدعها ومنشؤها بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام أَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ من أين وكيف يكون له ولد وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ يكون منها الولد وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ومن كان بهذه الصفات فهو غنيّ عن كل شيء

(١٠٢) ذٰلِكُمُ الموصوف بهذه الصفات اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ .

في الخصال عن الباقر عليه السلام .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين والله خالق كل شيء ولا نقول بالجبر والتفويض فَاعْبُدُوهُ فانّ من استجمع هٰذه الصفات استحق العبادة وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ حفيظ مدبّر وقيل هو مع تلك الصفات متولّي فكلوها [٤] إليه وتوسّلوا بعبادته إلى انجاح مأربكم ورقيب على

---

١ - أي لإستتارهم من جنة الليل.

٢ - خلق الإفك افتراه كاختلقه وتخلّقه.

٣ - خرق، الرجل كذب.

٤ - وَكَلَ بالله يكل وتوكّل عليه فأوكل واتّكل استسلم إليه ووكل إليه الأمر وكلا ووكولاً سلّمه وتركه.

أعمالكم فيجازيكم عليها .

(١٠٣) لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ .

في الكافي والتوحيد عن الصادق عليه السلام في هذه الآية يعني احاطة الوهم الا ترى إلىٰ قوله وقد جاءكم بصائر من ربّكم ليس يعني بصر العيون فمن أبصر فلنفسه ليسَ يعني من البصر بعينه ومن عمي فعليها لم يعن عمي العيون انّما عني احاطة الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدّراهم وفلان بصير بالثياب الله أعظم من أن يرى بالعين .

وعن الباقر عليه السلام في هٰذه الآية أوهام القلوب أدق من أبصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولم تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد سأله رجل عماّ اشتبه عليه من الآيات وأما قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فهو كما قال لا تدركه الأبصار لا تحيط به الأوهام وهو يدرك الأبصار يعني يحيط بها.

وفي المجمع والعياشي عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عماّ اختلف النّاس من الرؤية فقال من وصف الله سبحانه بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله لا تدركه الأبصار وهذه الأبصار ليست هٰذه الأعين انّما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الأوهام وَهُوَ اللَّطِيفُ [1] الْخَبِيرُ .

في الكافي والتوحيد والعيون عن الرضا عليه السلام وامّا اللطيف فليس علىٰ قلة وقصافة وصغر ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والإمتناع من أن يدرك كقول الرجل لطف عني هذا الأمر ولطف فلان في مذهبه وقوله يخبرك أنّه غمّض فيه العقل

---

١ ـ في الحديث إن الله لطيف ليس على قلة وقضافة صغر للقضافة بالضمّ والقضف محركة النحافة والقضف الدّقة ، قد قضف بالضّم قضافة فهو قضيف اي نحيف والجمع قضاف.

وفات الطلب وعاد متعمقاً متلطفاً لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالىٰ عن أن يدرك بحدّ أو يحدّ بوصف واللطافة منّا الصِّغر والقلّة فقد جمعنا الأسم واختلف المعنىٰ قال:

وأمّا الخبير فالذي لا يغرب عنه شيء ولا يفوته شيء ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والاعتبار علماً ولولاهما ما علم لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً والله لم يزل خبيراً بما يخلق والخبير من النّاس المستخبر عن جهل المتعلم فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

(١٠٤) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَآئِرُ[1] مِنْ رَبِّكُمْ البصيرة للقلب كالبصر للبدن فَمَنْ أَبْصَرَ الحق وآمن به فَلِنَفْسِهِ أبصر لأن نفعه لها وَمَنْ عَمِيَ عن الحق وضلّ فَعَلَيْهَا وباله وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وانّما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد علىٰ لسان الرسول صلىّ الله عليه وآله وسلم .

(١٠٥) وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ مثل ذٰلك التصريف نصرّف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال إلى حال وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ أي ليقولوا درست صرفنا واللام للعاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرىء دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ودرست من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين .

القمي كانت قريش تقول لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إنّ الذي تخبرنا من الأخبار تتعلمه من علماءِ اليهود وتدرسه وَلِنُبَيِّنَهُ اللاّم هنا على أصله لأنّ التّبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانهم المنتفعون به .

---

١ ـ قوله بصائر من ربكم أي حجج بيّنة واحدها بصيرة وهي الدّلالة الّتي يستبصرها الشيء على ما هو به وهو نور القلب.

وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ولا تحتفل [1] بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم .

(١٠٧) وَلَوْ شَآءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا .

في المجمع في تفسير أهل البيت عليهم السلام ولو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنة ولا الى نار ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ما له عليهم به الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثواب والعقاب .

القميّ ما يقرب منه وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً رقيباً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ تقوم بأمورهم .

(١٠٨) وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً تجاوزاً عن الحق الى الباطل بِغَيْرِ عِلْمٍ علىٰ جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به .

في المجمع والقميّ عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّ الشرك أخفى من دبيب [2] النمل على صفا [3] سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون فنهىٰ الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّوا الكفار إلٰه المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون .

وفي الكافي عنه عليه السلام في حديث وإياكم وسبّ أعداءِ الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم .

والعياشي عنه عليه السلام أنه سئل عن هٰذه الآية فقال رأيت أحداً يسبّ الله فقيل لا وكيف قال من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله وفي الاعتقادات عنه عليه السلام أنّه

---

١ ـ أي لا تعتن كمال الإعتناء بأقوالهم من الإحتفال بمعنى حسن القيام بالامور.

٢ ـ دبّ يدبّ دبّاً ودبيباً مشى على هيئته وهو خفيّ.

٣ ـ الصّفا والصّفاة صخرة ملساء.

قيل انّا نرىٰ في المسجد رجلاً يعلن بسبّ أعدائكم ويسبّهم فقال ما له لعنه الله تعرّض بنا قال الله ولا تسبّوا الذين يدعون الآية .

قال وقال الصادق عليه السلام في تفسير هٰذه الآية لا تسبّوهم فانهم يسبّون عليكم وقال من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله وقال النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم لعليّ صلوات الله عليه من سبّك فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله فقد كبّه[1] الله علىٰ منخريه في نار جهنم كَذٰلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ في الخير والشر .

والقميّ يعني بعد اختبارهم ودخولهم فيه فنسبه الله الىٰ نفسه والدليل علىٰ ذٰلك لفعلهم المتقدم قوله بما كانوا يعملون ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بالمحاسبة والمجازاة .

(١٠٩) وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ حلفوا به مجدّين مجتهدين القميّ يعني قريشاً لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ من مقترحاتهم لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ هو قادر عليها يظهرُ منها ما يشآء علىٰ مقتضى الحكمة ليس شيء مِنها بقدرتي وارادتي وَمَا يُشْعِرُكُمْ وما يدريكم استفهام إنكار أَنَّهَا أن الآية المقترحة إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ بها يعني أنا أعلم انهّا إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذٰلك قيل وذٰلك أنّ المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم عند مجيء الآية يتمنّون مجيئها فأخبرهم الله سبحانه أنهم ما يدرون ما سبق علمه به من أنّهم لا يؤمنون ألا ترىٰ إلىٰ قوله كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة وقيل لا مزيدة .

وقيل أنّ بمعنىٰ لعلّ ويؤيده قراءة أبيّ لعلّها وقرىء إنّها بالكسر علىٰ أنّ الكلام قد تمّ قبله ثم أخبرهم بعلمه فيهم وهٰذا أوضح ولا تؤمنون بالتاءِ على أنّ الخطاب للمشركين .

(١١٠) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم انّا

---

١ ـ كببت فلاناً كباً ألقيته على وجهه فاكبّ سو بالألف وهي من النوادر الّتي يعدّى ثلاثيها دون رباعيها.

حينئذٍ نقلّب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ أي بما أنزل الله من الآيات والقميّ يعني في الذرّ والميثاق وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وندعهم متحيّرين ولا نهديهم هداية المؤمنين .

القميّ عن الباقر عليه السلام ونقلّب أفئدتهم يقول ننكّس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها وتعمى أبصارهم فلا يبصرون الهدى وقال عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه إنّ أوّل ما تقلّبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر منكراً انكس قلبه وجعل أعلاه أسفله فلم يقبل خيراً أبداً .

(١١١) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً[1] كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً .

القمي قبلاً أي عياناً وفسّر بمعان أخروقرىء قِبَلاً بكسر القاف وفتح الباء وهو بمعناه المذكور مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَآءَ اللهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسُمونَ بالله جهد ايمانهم علىٰ ما لا يشعرون ولذٰلك أسند الجهل إلىٰ أكثرهم مع أنّ مطلق الجهل يعمهم ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنّون نزول الآية طمعاً في إيمانهم كذا قيل .

(١١٢) وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً أي كما جعلنا لك عدوّاً جعلنا لكل نبي سبقك عدوّاً بمعنى التخلية بينهم وبين أعدائهم للامتحان .

القميّ عن الصادق عليه السلام ما بعث الله نبيّاً إلاّ وفي أمّته شيطانان يؤذيانه ويضلاّن الناس بعده فأمّا صاحبا نوح ففيطيقوس وحزام وامّا صاحبا ابراهيم فمكمّل ورزام وامّا صاحبا موسىٰ فالسّامريّ ومرعقيبا واما صاحبا عيسىٰ فبوليس

---

١ ـ أي قبيلاً قبيلا وقيل عياناً وقبلاً أي أصنافاً جمع قبيل أي صنف.

ومرينون وامّا صاحبا محمد صلّى الله عليه وآله وسلم فحبتر وزريق بتقديم الزّاي على الراءِ مصغّر زرق والحبتر بالمهملة ثم الموحدة ثم المثناة من فوق ثم الراء على وزن جعفر الثعلب وانما كنّى عنهما لـزرق عين أحدهما وتشبيه الآخر بالثعلب في حيلته شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مردتهما يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً الأباطيل المموهة[1] من زخرفة إذا زينه .

القمي يقول بعضهم إلى بعض لا تؤمنوا بزخرف القول فهذا الوحي كذب .

في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فاولئك شياطين الإنس والجنّ .

وفي الخصال عنه عليه السلام الإنس على ثلاثة أجزاء فجزء تحت ظل العرش يوم لا ظِلّ إلا ظله وجزء عليهم الحساب والعذاب وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .

(١١٣) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ تميل أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ لأنفسهم وَلِيَقْتَرِفُوا وليكتسبوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ من الآثام .

(١١٤) أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً يعني قل لهم أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ القرآن مُفَصَّلاً مبيناً فيه الحقّ والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ التورات والإنجيل يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لتصديق ما عندهم إيّاه ولتصديقه وما عندهم مع أنّه صلّى الله عليه وآله وسلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ في أنهم يعلمون ذلك أوفي انه منزّل بجحود أكثرهم فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكوننّ من المشركين من قبيل إيّاك أعني واسمعي يا جارة .

---

١ ـ موّهت الشيء بالتّشديد اذا طليته بفضّة أو ذهب وتحت ذلك نحاس او حديد ومنه التمويه وهو التلبيس وقول ممّوه اي مزخرف مزخرف او ممزوج من الحقّ والباطل.

(١١٥) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ما تكلّم به من الحجة وقرأت كلمات ربّك يعني بلغت الغاية اخباره وأحكامه ومواعيده صِدْقاً في الأخبار والمواعيد وَعَدْلاً في الأقضية والأحكام لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل وَهُوَ السَّمِيعُ بما يقولون الْعَلِيمُ بما يضمرون .

في الكافي عن الصادق عليه السلام أن الإمام يسمع في بطن أمّه فاذا ولد خطّ بين كتفيه وفي رواية بين عينيه وفي أخرىٰ على عضده الأيمن وتمت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً الآية فاذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كلّ بلدة .

وفي رواية فبهذا[1] يحتج الله علىٰ خلقه .

والقميّ والعياشي ما يقرب منه .

(١١٦) وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لأنّ الأكثر في الغالب يتبعون الأهواء إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وهو ظنهم أنّ آباءهم كانوا محقين وهم يقلدونهم أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ يقولون عن تخمين .

(١١٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ أي بمن يضل أو استفهام وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أي أعلم بالفريقين .

(١١٨) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام وذلك انهم قالوا للمسلمين أتأكلون ممّا قتلتم أنتم ولا تأكلون ممّا قتل ربّكم فقيل كلوا ممّا ذكر اسم الله علىٰ ذبحه خاصة دون ما يذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ فان الايمان بها يقتضي استباحة ما أحلّه الله واجتناب ما حرّمه .

(١١٩) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وأي غرض لكم بأن تتحرّجوا عن أكله وما يمنعكم منه وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ممّا لم يحرّم بقوله

---

١ ـ أي فبمن يكون على هذه الصفة.

حرّمت عليكم الميتةوقرىءفُصّل على البناءِ للمفعول وحرّم على البناءِ للفاعل **إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** ممّا حرّم عليكم فانه أيضاً حلال حال الضرّورة **وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ** بتحليل الحرام وتحريم الحلالوقرىءبضمّ الياءِ **بِأَهْوَآئِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ** المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال إلى الحرام .

(١٢٠) **وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ** ما يعلن وما يسر .

القميّ قال الظاهر من الإثم المعاصي والباطن الشرك والشكّ في القلب **إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** يعملون .

(١٢١) **وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ** في الفقيه والتهذيب عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن مجوسّي قال بسم الله وذبح فقال كل فقيل مسلم ذبح ولم يسمّ فقال لا تأكل إنّ الله يقول فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن ذبائح أهل الكتاب فقال لا بأس إذا ذكر اسم الله عليه ولكني أعني منهم من يكون على أمر موسى وعيسى عليهما السلام .

وعنه عليه السّلام أنّه سئل عن ذبائح اليَهود والنصارى فقال الذبيحة اسم ولا يؤمن على الاسم الا مسلم .

وفي التهذيب عن الباقر عليه السلام في ذبيحة الناصب واليهودي والنصراني قال لا تأكل ذبيحته حتى تسمعه يذكر اسم الله عليه أما سمعت قول الله ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه .

أقول : هذا الحديث يوضح سابقه ويحكم عليهما ويفصل اجمالها كما أنّ أولهما يحكم عليه والثلاثة توفق بين كل ما ورد في هذا المعنى مع كثرته واختلافه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن رجل ذبح ولم يسمّ فقال

ان كان ناسياً فليسمّ حين يذكر ويقول بسم الله علىٰ أوّله وآخره .

وعنه عليه السلام إذا ذبح المسلم ولم يسمّ ونسي فكل من ذبيحته وسمِّ الله علىٰ ما تأكل .

وعنه عليه السلام أنّه سئل عن رجل ذبح فسبّح أو كبّر أو هلّل أو حمد الله قال هٰذا كله من أسماء الله تعالىٰ ولا بأس به **وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** وانّ الفسق ما أهل لغير الله به لقوله تعالىٰ أو فسقاً أهل لغير الله به **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ** [1] **لَيُوحُونَ** ليوسوسون **إِلىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ** من الكفار **لِيُجَادِلُوكُمْ** بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ** في استحلال ما حرّم **إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** فانّ من ترك طاعة الله إلىٰ طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك بالله .

(١٢٢) **أَوَ مَنْ كَانَ** مَيْتاً وقرىء بالتشديد **فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** يعني مثل من هداه الله وأنقذه من الضلالة وجعل له حجة يهدي بنورها كمن صفته البقاء في الضلالة لا يفارقها بحال أبداً .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام ميتاً لا يعرف شيئاً ونوراً يمشي به في الناس اماماً يؤتم به كمن مَثَلَهُ في الظلمات الذي لا يعرف الإمام والعياشي مثله .

وعنه عليه السلام الميت الذي لا يعرف هذا الشأن يعني هذا الأمر وجعلنا له نوراً اماماً يأتمّ به يعني عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه كمَن مَثله في الظلمات قال بيده هكذا هذا الخلق الذين لا يعرفون شيئاً وفي المناقب عن الصادق عليه السلام كان ميتاً عنّا فأحييناه بنا .

والقميّ كان جاهلاً عن الحق والولاية فهديناه إليها قال النور الولاية في

---

١ ـ يعني علماء الكافرين ورؤساؤهم المتمرّدين في كفرهم وقال ابن عبّاس معناه وإنّ الشياطين من الجنّ وهم ابليس وجنوده ليوحون إلى أوليائهم من الإنس والوحي القاء المعنى الى النّفس من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب أهل الشرك.

الظلمات يعني ولاية غير الأئمّة عليهم السلام .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث قال الله تعالى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ فالحيّ المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر والميّت الذي يخرج من الحيّ هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي المؤمن والميّت الكافر وذلك قوله عزّ وجلّ أو من كان ميتاً فأحييناه فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر وكان حيوته حين فرق الله بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عزّ وجلّ المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ويخرج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله الى النور وذلك قوله عزّ وجلّ لينذر من كان حيّاً وَيَحِقَّ القول على الكافرين كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

في المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر وأبي جهل .

(١٢٣) وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا أي كما جعلنا في مكة والمعنى خلّيناهم وشأنهم ليمكروا ولم نكفّهم عن المكر وانّما خصّ الأكابر لأنّهم أقوىٰ على استتباع الناس والمكر بهم وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ لأنّ وباله يحيق[1] بهم وَمَا يَشْعُرُونَ ذٰلك .

(١٢٤) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا القميّ قال الأكابر لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ روى أنّ أبا جهل قال زاحمنا[2] بنو عبد مناف في الشرف حتىٰ إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منّا نبيّ يوحىٰ إليه والله لا نرضىٰ به ولا نَتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوه قوله عزّ وجلّ بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى

---

١ ـ قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أي احاط بهم وحلّ يقال حاق بهم العذاب حيقاً اذا نزل والحيق نزول البلاء .

٢ ـ قوله لع تزاحمنا أي ضايقنا الأمر عليهم من كلّ وجه ولم نقصر عنهم في شرف حتّى صرنا كالفرسين المتسابقين في ميدان الإستباق يهم في سبق كل منهما على الآخر فلا نسلم أبداً لهم شرفاً لا يكون مثله لنا فلا نؤمن بالآيات المنزلة فيهم إلاّ أن ينزل مثلها فينا حتى لا نقصر عنهم .

صحفاً منشرة اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ استيناف للردّ عليهم بأنّ النبوّة ليست بالنّسب والمال وانّما هي بفضائل نفسانيّة يخصّ الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انّه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرىء رسالاته سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ ذل وحقارة بعد كبرهم عِنْدَ اللهِ يوم القيامة وقيل من عند الله وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ القميّ أي يعصون الله في السرّ.

(١٢٥) فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يعرفه الحق ويوفقه للايمان يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فيتّسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل القلب قابلاً للحق مهيّئاً لحلوله فيه مصفّى عمّا يمنعه وينافيه.

في المجمع قد وردت الرواية الصحيحة أنّه لمّا نزلت هٰذه الآية سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عن شرح الصّدر وما هو قال نور يقذفه الله تعالىٰ في قلب المؤمن فينشرح صدره وينفسح قالوا فهل لذٰلك من امارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والإستعداد للموت قبل نزول الموت وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ[1] يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً بحيث ينبو عن قبول الحقّ فلا يدخله الإيمان وقرىء ضَيْقاً بالتخفيف وحَرِجاً بالكسر أي شديد الضّيق.

في المعاني عن الصادق عليه السلام في هٰذه الآية قال قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر والحَرِج هو الملتأم الذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه.

والعياشي عنه عليه السلام أنّه قال لموسى بن أسمر أتدري مَا الحرج قال قلت لا فقال بيده وضمّ أصابعه كالشيء المصمت[2] الذي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ يتصعّد وقرىء بالتخفيف ويصاعد بمعنى يتصاعد مبالغة في ضيق

---

١ ـ لا يجوز ان يكون المراد بالاضلال في الآية الدّعاء الى الضّلال ولا الأمر به ولا اجبار عليه لإجماع الأمة على أنّ الله تعالى لا يأمر بالضلال ولا يدعوا إليه فكيف يجبر عليه والدعاء اليه أهون من الإجبار عليه وقد ذمّ الله فرعون والسّامري على إضلالهما عن دين الهدى في قوله وأضل فرعون قومه وما هدى وقوله فاضلهم السامري ولا خلاف في أن اضلالهما اضلال أمر واجبار ودعاء وقد ذمهما الله تعالى عليه مطلقاً فكيف بما ذمّ عليه غيره.

٢ ـ المصمت الذى لا جوف له.

صدره بتشبيهه بمن يزاول ما لا يقدر عليه فانّ صعود السّماءِ مثل فيما يبعد عن الإستطاعة ويضيق عند القدرة كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ .

العياشي عن الصادق عليه السلام هو الشك .

وفي الكافي عنه عليه السلام أنّ القلب ليتخلخل [١] في الجوف يطلب الحق فاذا أصابَه اطمأن به وقرّ ثمّ تلا فمن يرد الله أن يهديه الآية .

والعياشي مثله وفي رواية قال انّ القلب ينقلب عن موضعه إلىٰ حنجرته ما لم يصب الحق فاذا أصاب الحق قرّ ثم تلا هٰذه الآية .

وفي المجمع عنه عليه السلام مثله .

أقول : يتخلخل بالخاءين المعجمتين أو الجيمين أي يتحرّك .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت [٢] في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه وقلبه حتّىٰ يكون أحرص علىٰ ما في أيديكم منكم وإذا أراد بعبد سوءً نكت في قلبه نكتة سوداء فأظلم لها سمعه وقلبه ثم تلا فمن يرد الله أن يهديه الآية .

وفيه وفي التوحيد والعياشي عنه عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالىٰ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكّل به ملكاً يسدّده وإذا أراد بعبد سوءً نكت في قلبه نكتة سوداء سدّ مسامع قلبه ووكّل به شيطاناً يضلّه ثمّ تلا هٰذه الآية .

وفي الكافي عنه عليه السلام في حديث واعلموا أنّ الله إذا أراد بعبد خيراً شرح الله صدره للإسلام فإذا أعطاه ذٰلك نطق لسانه بالحقّ وعقد قلبه عليه فعمل به فإذا جمع الله له علىٰ ذٰلك تمّ له اسلامه وكان عند الله ان مات علىٰ ذٰلك الحال من المسلمين حقّاً واذا لم يرد الله بعبد خيراً وكّله إلىٰ نفسه فكان صدره ضيّقاً حرجاً فان

---

١ ـ ليتخلخل اي يتحرّك ويضطرب كالخلخال الملبوس.

٢ـ النكتة في الشيء كالنقطة والجمع نقط.

جرىٰ علىٰ لسانه حقّ لم يعقد قلبه عليه وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به فاذا اجتمع ذٰلك عليه حتّىٰ يموت وهو علىٰ تلك الحال كان عند الله من المنافقين وصار ما جرىٰ علىٰ لسانه من الحقّ الذي لم يعطه الله أن يعقد قلبه عليه ولم يعطه العمل به حجة [1] عليه فاتّقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام وان يجعل ألسنتكم تنطق بالحكمة حتّىٰ يتوفّاكم وأنتم علىٰ ذٰلك .

وفي التوحيد والمعاني والعيون عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل عن هٰذه الآية فقال من يرد الله أن يهديه بايمانه في الدنيا وإلىٰ جنّته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتّسليم لله والثّقة به والسّكون إلىٰ ما وعده من ثوابه حتّىٰ يطمئن به إليه ومن يرد أن يضلّه عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدّنيا يجعل صدره ضيّقاً حرجاً حتّىٰ يشكّ في كفره ويضطرب من اعتقاد قلبه حتّىٰ يصير كأنّما يَصَّعَّدُ في السّماءِ كذٰلك يجعل الله الرّجس على الذين لا يؤمنون .

(١٢٦) **وَهٰذَا صِرَاطُ** [2] **رَبِّكَ** قيل يعني طريقته وعادته في التوفيق والخذلان **مُسْتَقِيماً** عادلاً مطّرداً لا اعوجاج فيه القمّي يعني الطريق الواضح **قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ** فيعلمون أنّ القادر هو الله وأنّ كلّ ما يحدث من خير أو شرٍّ فهو بقضائه وانّه عليم بأحوال العباد حكيم عدل فيما يفعل بهم .

(١٢٧) **لَهُمْ** للّذين تذكروا وعرفوا الحق **دَارُ السَّلَامِ** دار الله أو دار السّلامَة من كلّ آفة وبليّة .

القميّ يعني في الجنّة والسّلام الأمان والعافية والسّرور ويأتي في سورة يونس فيه حديث بالمعنى الأوّل **عِنْدَ رَبِّهِمْ** في ضمانه يوصلهم إليها لا محالة **وَهُوَ وَلِيُّهُمْ** قيل مولاهم ومحبّهم القمّي أي أولىٰ بهم **بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** بسبب أعمالهم .

---

١ - فإن العلم اذا لم يقارن العمَل فهو مخاصِم صاحبه.

٢ - وصف الصراط الّذي هو ادلة الحق بالإستقامة مع اختلاف وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكأنما طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد.

(١٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً واذكر يوم نحشرهم أو يوم يحشرهم وقرىء بالياء ثم نقول يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ يعني الشياطين قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ أضللتم منهم كثيراً .

القميّ قال كلّ من والىٰ قوماً فهو منهم وان لم يكن من جنسهم وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ الذين اتبعوهم وأطاعوهم رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أي انتفع الانس بالشّياطين حيث دلّوهم على الشهوات وما يوصل إليها وانتفع الشياطين بالإنس حيث أطاعوهم وحصلوا مرادهم وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا .

القميّ يعني القيامة قَالَ قال الله لهم النَّارُ مَثْوٰيكُمْ مقامكم خَالِدِينَ فِيهَا مؤبّدين إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ في أفعاله عَلِيمٌ بأعمال الثقلين[1] وأحوالهم .

(١٢٩) وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ نكل بعضهم إلى بعض .

القميّ قال نوليّ كلّ من يوليّ أولياءهم فيكونون معهم .

وفي الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام ما انتصر الله من ظالم إلاّ بظالم وذٰلك قوله عزّ وجلّ وكذٰلك نوليّ بعض الظالمين بعضاً .

(١٣٠) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذا يعني يوم القيامة ، في العيون في خبر الشّامي أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام هل بعث الله نبيّاً إلى الجنّ فقال نعم بعث الله نبيّاً يقال له يوسف فدعاهم إلى الله فقتلوه .

وعن الباقر عليه السلام في حديث إن الله عزّ وجلّ أرسل محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى الجنّ والإنس .

أقول : وعموم رسالته الثقلين مستفيض قَالُوا شَهِدْنَا عَلىٰ أَنْفُسِنَا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا

---

١ ـ الثقل محركة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون ومنه الحديث إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي والثقلان الإنس والجنّ .

عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذمّ لهم علىٰ سوءِ نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغترّوا بالحيوٰة الدّنيا واللذات المخدجة [1] وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطرّوا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والإستسلام للعذاب المخلّد تحذيراً للسامعين من مثل حالهم .

(١٣١) ذٰلِكَ أي ارسال الرسل انْ لَمْ يَكُنْ لأن لم يكن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ ظالماً أو بسبب ظلم فعلوه وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ لم ينبّهوا برسول .

(١٣٢) وَلِكُلٍّ من المكلفين دَرَجَاتٌ مراتب مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب وقرء بالخطاب .

(١٣٣) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ عن عباده وعن عبادتهم ذُو الرَّحْمَةِ يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم [2] للمنافع العظيمة التي لا يحسن ايصالهم اليها إلا بالإستحقاق إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيها العُصاة وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَآءُ وينشىء من بعد هلاككم وَ اذهابكم خلقاً غيركم يطيعونه يكونوا خلفاً لكم كَمَآ أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ قرناً بعد قرن .

(١٣٤) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ من الحشر والثواب والعقاب لَآتٍ لكائن لا محالة وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ بخارجين من ملكه يقال أعجزني كذا أي فاتني وسبقني .

(١٣٥) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكَانَتِكُمْ قيل علىٰ غاية تمكّنكم واستطاعتكم أو علىٰ حالكم التي أنتم عليها وقرىء مكاناتكم حيث ما وقع إِنِّي عَامِلٌ على مكانتي التي أنا عليها وهو تهديد والمعنىٰ اثبتوا علىٰ كفركم وعداوتكم فانّي ثابت

---

١ ـ في الخبر كلّ صلاة لا يقرء فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج أي نقصان وصف بالمصدر للمبالغة يقال خدجت النّاقة فهي خادج إذا ألقت ولدها قبل تمام الأيام وان كان تمام الخلق وفي حديث علي (ع) في ذي الثدية مخدج اليد أي ناقص اليد

٢ ـ قوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً أي اظهرناها حتى يراها الكفار يقال عرضت الشيء فأعرض أي أظهرته فظهر.

على الاسلام وعلىٰ مصابرتكم **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ** أيّنا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار وقرىء يكون بالياء والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد وتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلاّ الشرّ وهٰذا كقوله تعالىٰ اعملوا ما شئتم **إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعمّ وأكثر فائدة .

(١٣٦) **وَجَعَلُوا لِلَّهِ** يعني مشركي العرب **مِمَّا ذَرَأَ** مما خلق الله **مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ** من غير أن يؤمروا به **وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا** أصنامهم التي اشركوها في أموالهم وقرىء بضمّ الزّاي وكذا فيما يأتي **فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** حكمهم هٰذا ، روي أنهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما لآلهتهم وينفقون على سَدَنتها[1] ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عيّنوا لله أزكىٰ بدّلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم أزكىٰ تركوه لها حبّاً لآلهتهم واعتلّوا لذٰلك بأنّ الله غنيّ .

وفي المجمع عن أئمّتنا عليهم السلام كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه وإذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه وقالوا الله غنيّ واذا انخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدّوه واذا انخرق[2] من الذي للأصنام في الذي لله سدّوه وقالوا إنّ الله غنيّ قيل وفي قوله ممّا ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانّهم اشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر علىٰ شيء ثمّ رجّحوه عليه بأن جعلوا الزّاكي له .

(١٣٧) **وَكَذٰلِكَ** ومثل ذٰلك التزيين **زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ** بالوأد[3] خيفة العيلة أو العار أو بالنحر لآلهتهم **شُرَكَاؤُهُمْ** من الشياطين أو السدنة **لِيُرْدُوهُمْ** ليهلكوهم بالإغواء **وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ** وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** .

---

١ ـ سدن سدناً وسدانة خدم الكعبة أو بيت الصّنم وعمل الحجابة فهو سادن.

٢ ـ قوله اذا انخرق أي انفتح وخرج.

٣ ـ وأدبنته يئدها دفنها حية فهي وئيد ووئيدة وموؤدة.

(١٣٨) وَقَالُوا هٰذِهِ اشارة إلى ما جعل لآلهتهم أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ حرام لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَشَآءُ بِزَعْمِهِمْ من غير حجة .

القمي قال كانوا يحرمونها على قوم وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ حرام ظُهُورُهَا قال يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وَأَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا في الذبح والنحر وقيل لا يحجّون عليها ولا يلبّون على ظهورها والمعنى أنهم قسّموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذا انعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناساً بدعوهم الباطلة ونسبوا ذلك التقسيم إلى الله افْتِرَاءً عَلَيْهِ أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .

(١٣٩) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ .

القمي كانوا يحرمون الجنين الذي يخرجونه من بطون الأنعام على النساء فاذا كان ميّتاً يأكله الرجال والنساء قيل وأنث خالصة لأنّ ما في معنى الأجنّة والتّاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقرىء تكن بالتاء وميتة بالنصب بوجوه أُخر سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

(١٤٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ كانوا يقتلون بناتهم مخافة السّبي والفقر وقرىء قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ لخفّة عقلهم وجهلهم بأنّ الله رازق أولادهم لا هم وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ من البحاير ونحوها افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ الى الحق والصواب .

(١٤١) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ من الكروم مَعْرُوشَاتٍ مرفوعات على ما يحملها وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ملقيات على وجه الأرض وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ أكل ذلك أي ثمره الذي يؤكل في اللون والطعم والحجم والرائحة وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ يتشابه بعض أفرادها في الطعم واللون والحجم ولا يتشابه بعضها **كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ** من ثمر كل واحد من ذلك **إِذَا أَثْمَرَ** وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداءِ حق الله .

أقول : وانما يصح ذلك إذا خرص ما يأكل **وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ** وقرىء بكسر الحاءِ في قرب الاسناد إنه قرء عند الرضا عليه السلام فقال للقارىء هكذا يقرؤها من كان قبلكم قال نعم قال افتح الفم بالحاءِ كأنه كان يقرؤها بالكسر وكأن القمي أيضاً بهذا أشار حيث قال كذا نزلت قيل يريد بالحق ما يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لأنّ الزكوة فرضت بالمدينة والآية مكّية وقيل بل هي الزّكوة أي لا تؤخروه عن أوّل وقت يمكن فيه الايتاء والآية مدنيّة .

والمرويّ عن أهل البيت عليهم السلام أنّه غير الزّكوة ففي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام في الزّرع حقان حق تؤخذ به وحق تعطيه أمّا الذي تؤخذ به فالعشر ونصف العشر وامّا الذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ واتوا حقه يوم حصاده فالضغث [1] نعطيه ثم الضغث حتى تفرغ .

وعن الباقر عليه السلام هذا من الصدقة تعطي المسكين القبضة بعد القبضة ومن الجذاذ [2] الحفنة بعد الحفنة [3].

والقمي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال الضغث من السنبل والكف من التمر إذا خرص

والعياشي عنه عليه السلام فيها قال اعط من خضرك من مشرك وغيره

---

١ ـ الضغث بالكسر والفتح قبضة الحشيش المختلط رطبها ويابسها ويقال ملأ الكف من القضبان والحشيش والشماريخ .

٢ ـ جذذت الشيء جذاً من باب قتل كسرته وقطعته فهو مجذوذ والجذاذ ضمّاً وكسراً والضّم أفصح قطع ما يكسر . الجداد بالفتح والكسر صرام النخل وهو قطع ثمرتها .

٣ ـ الحفنة بالفتح فالسّكون ملأ الكفين من طعام والجمع حفنات كسجدة وسجدات وحفنت لفلان من باب ضرب أعطيته قليلاً .

والأخبار في هٰذا المعنى كثيرة .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام لا تصرم [1] بالليل ولا تحصد بالليل ولا تضح بالليل ولا تبذر بالليل إلى قوله وان حصدت بالليل لم يأتك السّؤال وهو قول الله وآتوا حقه يوم حصادِهِ يعني القبضة بعد القبضة إذا حصدته فاذا خرج فالحفنة بعد الحفنة وكذٰلك عند الصرام وكذلك عند البذر ولا تبذر بالليل لأنك تعطي من البذر كما تعطي في الحصاد .

وعنه عليه السلام في هٰذه الآية تعطي المسكين يوم حصادك الضغث ثم إذا وقع في البيذر ثم إذا وقع في الصّاع العشر ونصف العشر .

والقمي قال فرض الله يوم الحصاد من كل قطعة أرض قبضة للمساكين وكذا في جذاذ النخل وفي التمر وكذا عند البذر وانّ الرضا عليه السلام سئل ان لم يحضر المساكين وهو يحصد كيف يصنع قال لس عليه شيء وانّ الصادق عليه السلام سئل هل يستقيم اعطاؤه إذا أدخله قال لا هو أسخىٰ لنفسه قبل أن يدخله بيته **وَلاَ تُسرِفُوا** في التصدق كقوله ولا تبسطها كلّ البسط **انَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُسرِفِينَ** لا يرتضي فعلهم .

في الكافي والعياشي عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عن هٰذه الآية فقال كان أبي يقول من الاسراف في الحصاد والجذاذ ان يتصدق الرجل بكفيه جميعاً وكان أبي إذا حضر شيئاً من هٰذا فرأىٰ أحداً من غلمانِهِ يتصدق بكفّيه صاح به اعط بيد واحدة القبضة بعد القبضة والضّغث بعد الضّغث من السّنبل .

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال كان فلان بن فلان الأنصاري وسمّاه كان له حرث وكان إذا أخذه تصدق به ويبقى هو وعياله بغير شيء فجعل الله عزّ وجلّ ذٰلك سرفاً وفي الكافي عنه عليه السلام في حديث قال وفي غير آية من كتاب الله يقول انّه لا يحب المسرفين فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير لكن

---

١ ـ الصرام وجذاذ النخل وهذا أول الصرام بالفتح والكسر والصرمة القطعة من النخل نحواً من ثلاثين .

أمر بين أمرين لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيبُ له .

(١٤٢) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً وأنشأ من الأنعام ما تحمل الأثقال وما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ منها وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ في تحريم شيء منها من عند أنفسكم انَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة .

(١٤٣) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ بدل من حمولة وفرشاً أو مفعول كلوا ولا تتبعُوا معترض والزّوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ الأهليّ والوحشي وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ الأهلي والوحشيّ وقرىء بفتح العين قُلْ آلذَّكَرَيْنِ ذكر الضأن وذكر المعز حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أم انثييهما أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أو ما حملته أناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ بأمر معلوم يدل على أنّ الله حرّم شيئاً من ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في دعوى التحريم عليه .

(١٤٤) وَمِنَ الْابِلِ اثْنَيْنِ العراب [١] والبخاتي [٢] وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ الأهليّ والوحشي وقيل أريد بالاثنين الذكر والأنثى من كل صنف والصواب ما قلناه كما يأتي بيانه قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ كما مر والمعنى انكار انّ الله حرّم من الأجناس الأربعة أهليّاً كان أو وحشيّاً ذكراً كان أو أنثى وما تحمل اناثها ردّاً عليهم فانهم كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارةً واناثها تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أنّ الله حرّمها أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ بل كنتم حاضرين شاهدين إِذْ وَصَّكُمُ اللهُ بهذا حين وصكم بهذا التحريم فانكم لا تؤمنون بالرسل فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة أو السماع فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فنسب إليه تحريم ما لا يحرم والمراد كبراؤهم المقرّرون لذلك أو عمرو بن لحيّ المؤسّس له الذي بَحَر البحاير وسيّب السّوائب لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ انَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

القميّ فهذه التي أحلها الله في كتابه في قوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية

---

١ ـ الإبل العراب خلاف البخاتي ٢ ـ البخت بالضم الإبل الخراسانية كالبختية ج بخاتي وبخاتى وبخات.

أزواج ثم فسرها في هذه الآية فقال من الضّأن اثنين عنى الأهليّ والجبليّ ومن المعز اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ الجبليّ ومن البقر اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ الجبليّ ومن الابل اثنين يعني البخاتيّ والعراب فهذه أحلّهَا الله .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام حمل نوح عليه السلام في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله عزّ وجلّ ثمانية أزواج من الضّأن اثنين الآية فكان من الضّأن اثنين زوج داجنة[1] يربيها الناس والزوج الآخر الضّأن التي تكون في الجبال الوحشية أحلّ لهم صيدها ومن المعز اثنين زوج داجنة يربيها الناس والزوج الآخر الضّباء التي تكون في الغار ومن الايل اثنين البخاتي والعراب ومن البقر اثنين زوج داجنة للناس والزوج الآخر البقر الوحشية وكل طير طيب وحشي وانسيّ .

وفيه وفي الفقيه عن داود الرقيّ قال سألني بعض الخوارج عن هٰذه الآية من الضّأن اثنين الآية ما الذي أحلّ الله من ذٰلك وما الذي حرّم فلم يكن عندي فيه شيء فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا حاجّ فأخبرته بما كان فقال انّ الله تعالى أحلّ في الأضحية بمنىٰ الضّأن والمعز الأهليّة وحرّم أن يضحىٰ بالجبليّة وأمّا قوله ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فانّ الله تعالىٰ أحلّ في الأضحيّة الابل العراب وحرّم منها البخاتي[2] وأحلّ البقر الأهليّة أن يضحىٰ بها وحرّم الجبلية فانصرفت إلى الرجل فأخبرته بهذا الجواب فقال هذا شيء حملته الابل من الحجاز .

أقول : لعل الخارجي كان قد سمع تحريم الأضحية ببعض هذه الأزواج الثمانية مع حلّها كلّها فأراد أن يمتحن بمعرفته داود ولعل علة تحريم الأضحية بالجَبَليّة منها بمنىٰ كونها صيداً وتحريمها بالبخت لعلةٍ أخرى .

(١٤٥) قُلْ لَآ أَجِدُ فِيمَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً طعاماً محرماً عَلىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ فيه ايذان بأن التحريم انّما يثبت بالوحي لا بالهوى **إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الطعام مَيْتَةً أَوْ دَماً**

---

١ ـ دجن بالمكان دجناً من باب قتل ودجوناً: أقام فيه، وأدجن مثله.

٢ ـ الظاهران المراد بالبخاتي في هذا الخبر هو الوحشي من الإبل.

مَسْفُوحاً مصبوباً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال أو المختلط باللحم لا يمكن تخليصه منه أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ قذر أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ سمّي ما ذبح على اسم الصنم فسقاً لتوغله[1] في الفسق فَمَنِ اضْطُرَّ فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذٰلك غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا يؤاخذه بأكله وقد مضى تفسير الباغي والعادي في سورة البقرة فان قيل لم خصّ هذه الأشياء الأربعة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها محرّم أيضاً فانه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها وقد ورد الأخبار الصحيحة بتحريم كل ذي مخلب[2] من الطير وكل ذي ناب من الوحش وما لا قشر له من السمك الى غير ذٰلك قلنا أمّا المذكورات في المائدة فكلها يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجمل هيهٰنا وفصل هناك وأمّا غيرها فليس بهٰذه المثابة في الحُرمة فخصّ هذه الأشياء بالتحريم تعظيماً لحرمتها وبين تحريم ما عداها رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم .

وورد أنّه مما يعاف عنه وأمّا ما قيل أنّ هذه السّورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في هٰذه الآية من المحرمات انما حرّم فيما بعد فلا تساعده الأخبار الواردة في ذٰلك عن أهل البيت عليهم السلام وكذا ما قاله القميّ فانه قال :

قد احتج قوم بهذه الآية على أنّه ليس شيء محّرم إلا هذا وأحلّوا كل شيء من البهائم القردة والكلاب والسباع والذئاب والأسد والبغال والحمير والدّواب وزعموا أنّ ذلك كله حلال وغلطوا في ذٰلك هذا غلطاً بيّناً وانّما هٰذه الآية ردّ على ما أحلت العرب وحرمت لأنّ العرب كانت تحلّل علىٰ نفسها وتحرم أشياء فحكى الله ذٰلك لنبيه صلىّ الله عليه وآله وسلم ما قالوا فقال وقالوا ما في بطون هٰذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا الآية. فكان إذا سقط الجنين أكله الرجال وحرم على النّساءِ وإذا كان ميّتاً أكله الرجال والنساء انتهى كلامه.

---

١ ـ أوغل في البلاد والعلم ذهب وبالغ وأبعد كتوغّل.

٢ ـ مخلب الطائر بكسر الميم وفتح اللام بمنزلة الظفر للإنسان.

انتهى كلامه وانّما قلنا أن القولين لا يساعده الأخبار لأنّها وردت بأنّ الحرام ليس إلا ما حرم الله وتليت هذه الآية وذلك حين سألوا عن حرمة غير المذكور فيها من الحيوان ففي التهذيب عن الصادق عليه السلام والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن الجرّي[١] والمار[٢] ماهي والزّمّير[٣] وما ليس له قشر من السمك حرام هو فقال لي يا محمد اقرأ هذه الآية التي في الأنعام قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه فقال فقرأتها حتى فرغت منها فقال-انّما الحرام ما حرم الله ورسوله في كتابه ولكنهم قد كانوا يعافون عن أشياءٍ فنحن نعافها .

وعن الباقر والعياشي عن الصادق عليهما السلام أنّه سئل عن سباع الطير والوحش حتى ذكر له القنافذ والوطواط[٤] والحمير والبغال والخيل فقال ليس الحرام الا ما حرم الله في كتابه وقد نهى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يوم خيبر عن أكل لحوم الحمير وانّما نهاهم من أجل ظهورهم أن يفنوها وليست الحمير بحرام ثم قال اقرأ هذه الآية قل لا أجد الآية وعنه عليه السلام أنّه سئل عن الجرّيث فقال وما الجّريث فنعت له فقال لاأجدالآية ثم قال لم يحرم الله شيئاً من الحيوان في القرآن الا الخنزير بعينه ويكره كل شيءٍ من البحر ليس له قشر مثل الورق وليس بحرام وانّما هو مكروه وعن أحدهما عليهما السلام أنّ أكل الغراب ليس بحرام انّما الحرام ما حرّم الله في كتابه ولكن الأنفس تتنزّه عن كثير من ذلك تقززاً[٥] قال صاحب التهذيب قوله ليس الحرام إلا ما حرم الله في كتابه المعنى فيه أنّه ليس الحرام المخصوص المغلظ الشديد الخطر إلا ما ذكره الله في القرآن وان كان فيما عداه أيضاً محرمات كثيرة إلا أنّها دونه في التغليظ .

(١٤٦) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ من دابة أو طير وَمِنَ الْبَقَرِ

---

١ ـ الجري بالجيم والراء المشدّدة المكسورة والياء المشددة اخيراً ضرب من السّمك عديم الفلس ويقال له الجريث بالثاء

٢ ـ المارماهي بفتح الراء معرب وأصله حيّة السّمك. ٣ ـ الزمير كسكّيت نوع من السمك.

٤ ـ الوطواط الخطاف وقيل الخفاش والجمع الوطاوط

٥ ـ التقزز بالقاف والزائين المعجمتين التباعد عن الدّنس والمبالغة في التّطهير .

وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا الثروب وشحوم الكلى إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أي ما علقت بظهورهما أو الْحَوَايَا[1] أو ما اشتمل على الأمعاء أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ وهو شحم الالية فانه متصل بالعصعص[2] ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ بسبب ظلمهم وَإِنَّا لَصَادِقُونَ في الأخبار والوعد والوعيد .

(١٤٧) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فيما تقول فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ لا يعجل بالعقوبة فلا تغتروا بامهاله لا يمهل إذا جاء وقته وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ حين ينزل .

(١٤٨) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَآؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ حَذَّرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ من أمر معلوم يصح الإحتجاج به على ما زعمتم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا فتظهروه لنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ما تتبعون في ذلك إلاّ الظن وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ تكذبون على الله تعالى .

(١٤٩) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ[3] البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات فَلَوْ شَآءَ لَهَدَيٰكُمْ أَجْمَعِينَ بالتوفيق لها والحمل عليها .

القمي قال لو شاء لجعلكم كلكم على أمر واحد ولكن جعلكم على الاختلاف .

وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام إن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة امّا الباطنة فالعقول وعن الباقر عليه

---

١ ـ الحوية كغنيّة استدارة كل شيء كالتحوي وما تحوى من الامعاء كالحاوية والحاوياء ج حوايا.

٢ ـ العُصعُص بضم عينيه عظم الذّنب وهو عظم يقال له أول ما يخلق وآخر ما يبلى.

٣ ـ الحجّة البالغة التي تبلغ الجاهل آه لعل المقصود انها ما تساوي في معرفتها الجاهل والعالم وان افترقا في ان العالم يعرفها بحقيقة الإيمان والجاهل بالإلزام والغلبة عليه والإعجاز والإذلال وان انكرها في قلبه بمعنى حَسَده عليه وعدم رضاه وتسليمه لها مثل معرفة ابليس بالمعارف الحقة فان الحسَد والجحود والعداوة والكبر يمنعه عن الرضاء بها وتسليمه لها.

السلام نحن الحجة البالغة علىٰ من دون السماء وفوق الأرض .

والعياشي عنه عليه السلام مثله وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى فلله الحجة البالغة فقال إنّ الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة عبدي أكُنت عالماً فان قال نعم قال له أفلا عملت بما علمتِ وان كان جاهلاً قال له أفلا تعلّمت حتى تعمل فيخصمه فتلك الحجة البالغة .

وفي رواية عن الصادق عليه السلام الحجة البالغة التي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمه العالم بعلمه .

(١٥٠) **قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ** احضروهم **الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذَا** يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسّك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم **فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ** فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده **وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** فيه اشعار بأنّ التكذيب مُسَبَّب عن متابعة الهوى والتصديق مسبب عن متابعة الحجة **وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** كعَبَدة الأصنام **وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** يجعلون له عديلاً

(١٥١) **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ** أقرء **مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** لما أوجب ترك الشّرك والاحسان الى الوالدين فقد جزّم الشرك والاساءة اليهما لأنّ ايجاب الشيء نهي عن ضدّه فيصحّ ان يقع تفصيلاً لما جزّم **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْساناً** وضعه موضع النّهي عن الإساءة اليهما للمبالغة والدلالة على انّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف .

القمّي مقطوعاً قال الوالدين رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ** من أجل فقر أو من خشية فقر لقوله خشية املاق **نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَايَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ** كبائر الذّنوب او الزنا **ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** في الكافي والعيّاشي عن السجّاد ما ظهر نكاح امرأة الأب وما بطن الزنا .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام ما ظهر هو الزّنا وما بطن المخالة[1] **وَلاَ تَقْتُلُوا**

---

١ ـ المخالة بالتشديد من الخلّة يعني اتخاذ الخليل قال الله تعالى ولا متخذان منه رحمه الله وخاله مخالة وخلالاً ويفتح وانه الكريم الخلّ والخلّة بكسرهما أي المصادقة والإخاء والخلة ايضاً الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع .

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ كالقود وقتل المرتدّ ورجم المحصن ذٰلِكُمْ إشارة إلى ما ذكر مفصلاً وَصيكُمْ بِهِ بحفظه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

(١٥٢) وَلَا تَقْرَبُوا مٰالَ الْيَتِيمِ الّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ الّا بالخصلة الّتي هي احسن مما يفعل بما له كحفظه وتثميره حَتّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ قوّته وهو بلوغ الحلم وكمال العقل .

في الفقيه والتهذيب عن الصادق انقطاع يُتْم اليتيم الاحتلام وهو اشدّه وان احتلم ولم يونس منه رشده وكان سفيهاً او ضعيفاً فليمسك عنه وليّه مٰاله .

وفيهما وفي الكافي عنه عليه السلام اذا بلغ اشدّه ثلاث عشرة سنة ودخل في الأربع عشرة وجب عليه ما وجب على المحتلمين احتلم او لم يحتلم وكتبت عليه السيّئات وكتبت له الحسنات وجاز له كلّ شيء الّا ان يكون ضعيفاً او سفيهاً وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْميزانَ بِالْقِسْطِ بالعدل والتسوية لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلّا وُسْعَهٰا الا ما يسعها ولا يعسر عليها في اتّباع ايفاء الكيل والوزن بذلك تنبيه على تعسيره وانّ ما وراء الوسع فيه معفوّ وَاِذا قُلْتُمْ في حكومة ونحوها فَاعْدِلُوا فيه وَلَو كٰانَ ذَا قُرْبىٰ ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وَبِعَهْدِ اللّٰهِ أَوْفُوا يعني مٰا عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذٰلِكُمْ وَصّيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتّعظون به وقرء بتخفيف الذّال .

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام انه كان متكئاً على فراشه اذ قرء الآيات المحكمات التي لم ينسخهن شيء من الأنعام فقال شيّعهن سبعون ألف ملك قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شيئاً الآيات .

وفي المجمع عن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن أُم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار ، وقال كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذا لأول شيء في التورية

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالوا اتل ما حرم عليكم ربكم الآيات .

(١٥٣) وَأَنَّ ولأنّ تعليل للأمر باتّباعه هٰذَا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً قيل الاشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة وقرء إِنَّ

بالكسر على الاستيناف وبالفتح والتخفيف وصراطي بفتح الياءِ وبالسّين **فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ** الأديان المختلفة المتشعبة عن الأهوية المتباينة **فَتَفَرَّقَ بِكُمْ** فتفرّقكم **وتُزِيلَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** الذي هو اتّباع الوحي واقتفاء البرهان **ذٰلِكُمْ** الإتباع **وَصَيٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** الضّلال والتفرّق عن الحق .

في روضة الواعظين عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم في هٰذه الآية سألت الله أن يجعلها لعليّ عليه السلام ففعل .

وفي الاحتِجاج عنه عليه السلام في خطبة الغدير معاشر الناس إنّ الله قد أمرني ونهاني وقد أمرت عليّاً ونهيته فعلم الأمر والنّهي من ربّه فاسمعوا لأمره تسلموا وأطيعوه تهتدوا وانتهوا نهيه ترشدوا وصيروا الى مراده ولا تتفرق بكم السّبل عن سبيله معاشر الناس أنا الصراط المستقيم الذي آمركم باتباعه ثمّ عليّ من بعدي ثم ولدي من صلبه أئمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون .

والعياشي عن الباقر عليه السلام أنه قال لبريد العجليّ تدري ما يعني بصراطي مستقيماً قال قلت لا قال ولاية عليّ والأوصياء عليهم السلام قال وتدري ما يعني فاتّبعوه قال قلت لا قال يعني عليّ بن أبي طالب قال وتدري ما يعني ولا تتّبعوا السبل قال قلت لا قال ولاية فلان وفلان والله قال وتدري ما يعني فتفرق بكم عن سبيله قال قلت لا قال يعني سبيل عليّ عليه السلام .

(١٥٤) **ثُمَّ آتَيْنَا مُوسى الْكِتَابَ** عطف على وصّكم وثمّ للتراجي في الأخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنّه قيل ذٰلكم وصيكم به قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك إنّا آتَيْنَا موسى الكتاب **تماماً** للكرامة والنعمة **عَلى الَّذِي أَحْسَنَ** على من أحسن القيام به **وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ** وبياناً مفصّلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين **وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ** لعل بني اسرائيل **بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** بلقائه للجزاءِ .

(١٥٥) **وَهٰذا كِتَاب** يعني القرآن **أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** كثير النفع **فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** باتباعه والعمل بما فيه .

(١٥٦) أَنْ تَقُولُوا أنزلناه كراهة أن تقولوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا اليهود والنصارى وَإِنْ كُنَّا وانه كنّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ قرائتهم لَغَافِلِينَ لا ندري ما هي .

(١٥٧) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا امّيّون فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ حجة واضحة تعرفونها وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لمن تأمل فيه وعمل به فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها وَصَدَفَ أعرض و صد[1] .

القمّي أي دفع عَنْهَا فضل واضلّ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوْءَ الْعَذَابِ شدته بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ باعراضهم وصدهم .

(١٥٨) هَلْ يَنْظُرُونَ انكار يعني ما ينتظرون إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ملائكة الموت أو العذاب أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أي أمره بالعذاب أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ .

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى هذه الآية انما خاطب ببينا هل ينتظر المنافقون والمشركون الاّ أن تأتيهم الملائكة فيعاينوهم أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربك يعني بذلك أمر ربّك والآيات هي العذاب في دار الدنيا كما عذب الأمم السالفة والقرون[2] الخالية .

وفيه وفي التوحيد عنه عليه السلام يخبر محمداً صلىّ الله عليه وآله وسلم عن المشركين والمنافقين الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة حيث لم يستجيبوا لله ولرسوله أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربّك يعني بذلك العذابَ يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأولىٰ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً كان المعنى

---

١ ـ صدّ عنه صدوداً أعرض وفلاناً عن كذا صداً منعه وصرفه.

٢ ـ قوله تعالى وقد خلت القرون أي مضت.

انّه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة ايمانها أو مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيراً .

في التوحيد في الحديث السابق من قبل يعني من قبل أن تجيء هٰذه الآية وهذه الآية طلوع الشّمس من مغربها ومثله في الإحتجاج عنه عليه السلام .

والقمي عن الباقر عليه السلام نزلت أو اكتسبت في إيمانها خيراً قال اذا طلعت الشمس من مغربها من آمن في ذٰلك اليوم لم ينفعه إيمانه أبداً .

وفي الخصال عنه عليه السلام فاذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم في ذٰلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفساً ايمانها .

ومثله في الكافي والعياشي عنهما عليهما السلام في قوله يوم يأتي بعض آيات ربّك قال طلوع الشمس من المغرب وخروج الدّجال والدخان والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل عمل الإيمان ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه .

وعن أحدهما عليهما السلام في قوله أو كسبت في إيمانها خيراً قال المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلّة حَسَناته فلم يكسب في إيمانه خيراً .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام من قبل يعني في الميثاق أو كسبت في ايمانها خيراً قال الإقرار بالأنبياء والأوصياءِ وأمير المؤمنين عليهم السلام خاصة قال لا ينفع إيمانها لأنّها سلبَت .

وفي الإكمال عنه عليه السلام في هٰذه الآية يعني خروج القائم المنتظر .

وعنه عليه السلام قال الآيات هم الأئمّة عليهم السلام والآية المنتظرة القائم عليه السلام فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه خروج الدجال وقاتله يقول في آخره إلاّ أنّ بعد ذٰلك الطّامّة الكبرى قيل وما ذٰلك يا أمير المؤمنين قال خروج دابّة الأرض من عند الصّفا معها خاتم سليمان وعصا موسى عليه السلام تضع الخاتم

على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقّاً وتضعه على وجه كل كافر فينكت هذا كافر حقّاً حتّى أنّ المؤمن لينادي الويل لك يا كافر وانّ الكافر لينادي طوبىٰ لك يا مؤمن وددت أنّي كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً ثم ترفع الدابّة رأسها فيراها من بين الخافقين[١] باذن الله جلّ جلاله وذٰلك بعد طلوع الشّمس من مغربها فعند ذٰلك ترفع التوبة فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمَنَتْ من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً ثم فسرّ صعصعة راوي هذا الحديث طلوع الشمس من مغربها بخروج القائم عليه السلام **قُلِ انْتَظِرُوا**[٢] **إِنَّا مُنْتَظِرُونَ** وعيد لهم وتهديد أي انتظروا اتيان أحد الثلاثة انّا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز ولكم الويل .

(١٥٩) **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ** بددوه[٣] فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه وقرىء فارقوا أي باينوا ونسبها في المجمع الى أمير المؤمنين عليه السلام .

والعياشي عن الصادق عليه السلام قال كان عليّ عليه السلام يقرؤها فارقوا دينهم قال فارق والله القوم **وَكَانُوا شِيَعاً** فرقاً يشيع كل فرقة اماماً .

في المجمع عن الباقر عليه السلام أنّهم أهل الضّلال وأصحاب الشبهات والبدع من هٰذه الأمّة .

والقمي قال فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً .

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية فارق القوم والله دينهم .

وفي الحديث النبوي ستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي التي تتبع وصيّي عليّاً **لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** قيل أي من السؤال عنهم وعن

---

١ ـ الخافقان جانبا الجو من المشرق الى المغرب والخافقان السّماء والأرض.

٢ ـ قوله تعالى قل انتظروا أي اتيان الملائكة ووقوع هٰذه الآيات انا منتظرون بكم وقوعها في هٰذه الآية حث على المسارعة إلى الإيمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها أيضاً حجة على من يقول إنّ الإيمان اسم لاداء الواجبات او للطاعات فإنه سبحانه قد صرح فيها بان اكتساب الخيرات غير الإيمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الإيمان على الإيمان فكأنّه قال لا ينفع نفساً لم تؤمن قبل ذٰلك اليوم وكذا لا ينفع نفساً لم تكن كاسبةً خيراً في ايمانها قبل ذٰلك كسبها الخيرات ذٰلك اليوم .

٣ ـ بددت الشيء بدّاً من باب قتل فرقته واستعمل مبالغة وتكثيراً وبدد الله عظامه يوم القيامة فرقها.

تفرقهم وقيل معناه أنك على المباعدة التامة من الاجتماع معهم في شيء من مذاهبهم الفاسدة. **إِنَّمَا أَمْرُهُمْ** والحكم بينهم في اختلافهم **إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** بالمجازاة .

(١٦٠) **مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** أي عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله تعالى .

في المجمع عن الصادق عليه السلام لما نزلت هٰذه الآية من جاء بالحَسَنة فله خير منها قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ربّ زدني فأنزل الله سبحانه من جاء بالحَسَنة فله عشر أمثالها الحديث .

القمّيّ فهذه ناسخة لقوله من جاء بالحسنة فله خير منها .

أقول : هذا أقل ما وعد من الإضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبع مائة وبغير حساب .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام انّه سئل هل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذٰلك فقال لا هما يجريان في ذٰلك مجرى واحد ولٰكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالها وما يتقربان به الى الله عزّ وجلّ قيل أليس الله عزّ وجلّ يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وزعمت أنهم مجتمعون على الصلوٰة والزكوٰة والصوم والحجّ مع المؤمن قال أليس قد قال الله يضاعفه له أضعافاً كثيرة فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله لهم حسناتهم لكل حسنة بسبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحة ايمانه اضعافاً كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير .

والقميّ عنه عليه السلام في هٰذه الآية هي للمسلمين عامّة قال فان لم يكن ولاية دفع عنه بما عمل من حسنة في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق **وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا** عدلاً من الله سبحانه **وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** بنقص الثواب وزيادة العقاب .

القمي عن الصادق عليه السلام لما أعطى الله سبحانه إبليس ما أعطاه من القوّة قال آدم يا ربّ سلطته على ولدي وأجريته فيهم مجرى الدّم في العروق وأعطيته ما أعطيتَه فما لي ولولدي فقال لك ولولدك السّيئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها قال ربّ زدني قال التوبة مبسوطة الى أن تبلغ النّفس الحلقوم فقال يا ربّ زدني قال اغفر ولا أبالي قال حسبي .

أقول : لعلّ السرّ في كون الحسنة بعشر أمثالها والسّيئة بمثلها انّ الجوهر الإنساني المؤمن بطبعه مائل الى العالم العلوّي لأنه مقتبس عنه وهبوطه الى القالب الجسماني غريب من طبيعته والحسنة انما ترتقي الى ما يوافق طبيعة ذلك الجوهر لأنّها من جنسه والقوة التي تحرك الحجر الى ما فوق ذراعاً واحداً هي بعينها ان استعملت في تحريكه الى أسفل حركتَه عشرة أذرع وزيادة فلذلك كانت الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمأة ضعف ومنها ما يوفى أجرها بغير حساب والحسنة التي لا يدفع تأثيرها سمعة أو رياء أو عجب كالحجر الذي يدور من شاهق لا يصادفه دافع لأنه لا يتقدر مقدار هويته بحساب حتى تبلغ الغاية .

(١٦١) **قُلْ إِنَّني هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** بالوحي والإرشاد **دِيناً** هداني ديناً **قَيِّماً** فَيْعِل من قام كالسيد والهَيِّن وقرىء قيماً بكسر القاف خفيفة الياءِ على المصدر **مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** هداني وعرّفني ملّة ابراهيم في حال حنيفيته[1] **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** العياشي ، عن الباقر عليه السلام ما أبقت الحنيفية شيئاً حتى أنّ منها قص الأظفار والأخذ من الشارب والختان .

وعنه عليه السلام ما من أحد من هذه الأمة يدين بدين ابراهيم غيرنا وغير شيعتنا وعن السجاد عليه السلام ما أحد على ملّة ابراهيم عليه السلام إلاّ نحن وشيعتنا وسائر الناس منها بَرَآء.

---

١ ـ الحنيف : المسلم المايل الى الدّين المستقيم والجمع حنفاء والحنيف المسلم لأنه لا تحنّف أي تحرى الدين المستقيم والحنف محركة الإستقامة.

(١٦٢) قُلْ إِنَّ صَلَوٰتِى وَنُسُكِى عبادتي وقرباني وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي وما أنا عليه في حيوتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خالصة له .

(١٦٣) لاَ شَرِيكَ لَهُ لا أشرك فيها غيره وَبِذٰلِكَ أي الإخلاص لِلَّهِ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قيل لأنّ اسلام كل نبيّ متقدم على اسلام أمته .

أقول : بل لأنه أول من أجاب في الميثاق في عالم الذر كما ورد عنهم عليهم السلام فاسلامه متقدم علىٰ اسلام الخلايق كلهم .

العياشي عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم في حديث قد ذكر فيه إبراهيم عليه السلام فقال دينه ديني وديني دينه وسنّته سنّتي وسنّتي سنّته وفضلي فضله وأنا أفضل منه .

(١٦٤) قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ والحال أنّ كل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ جزاء عمل من طاعة أو معصية إِلاَّ عَلَيْهَا فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ لا تحمل نفس اثم نفس أخرى جواب عن قولهم اتّبعوا سُبلنا ولنحمل خطاياكم .

في العيون عن الرضا عليه السلام أنّه سئل ما تقول في حديث يروى عن الصادق عليه السلام أنّه اذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم فقال عليه السلام هو كذلك فقيل قول الله تعالىٰ ولا تزر وازرة وزر أخرى ما معناه قال صدق الله في جميع أقواله ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل وانّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم .

وفيه فيما كتبه عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين ولا يأخذ

الله البريء بالسقيم ولا يعذب الله الأطفال بذنوب الآباء ولا تزرُ وازرة أُخرى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ يوم القيامة فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ بتبيين الرشد من الغيّ وتميز المحق من المبطِل .

(١٦٥) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَآئِفَ الْأَرْضِ قيل أي يخلف بعضكم بعضاً كلما مضى قرن خلفهم قرن يجزي ذٰلك على انتظام واتساق إلىٰ يوم القيامة أو خلفاء الله في أرضه تتصرّفون فيها وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ في الشرف والغنى والعقل وغير ذٰلك لِيَبْلُوَكُمْ ليختبركم فِيمَآ آتيٰكُمْ من الجاه والمال كيف تشكرون نعمه إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ لمن كفر نعمه وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لمن قام بشكرها .

في الكافي وثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام أنّ سورة الأنعام نزلت جملة واحدة شيّعها سبعون ألف ملك حتى نزلت على محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم فعظّموها وبجّلوها فانّ اسم الله فيها في سبعين موضعاً ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها .

والقميّ عن الرّضا عليه السلام نزلت الأنعام جملة واحدة وشيّعها سبعون ألف ملك لهم زَجَلٌ [1] بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبّحوا له الىٰ يوم القيامةِ .

---

١ ـ الزَّجل بالتحريك الصّوت يقال سحاب زَجِل أي ذو رعد ومنه لهم زَجَل بالتسبيح.

سورة الأعراف

مكية عدد آيها مأتان وست آيات

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) المّصّ قد مضى الكلام في تأويله في أوّل سورة البقرة .

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام في حديث والمّصّ معناه أنا الله المقتدر الصادق .

وفيه والعياشي عنه عليه السلام أنّه أتاه رجل من بني أُميَّة وكان زنديقاً فقال له قول الله عزّ وجلّ في كتابه المّصّ أي شيء أراد بهذا وأيّ شيء فيه من الحَلال والحرام وأيّ شيء فيه ممّا ينتفع به الناس قال فاغتاظ من ذلك فقال امسك ويحك الألف واحد واللاّم ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون كم مَعَك فقال الرجل مأة وواحد وستون فقال إذا انقضت سنة احدى وستين ومأة ينقضي ملك أصحابك قال فنظر فلما انقضت أحدى وستين ومأة يوم عاشوراء دخل المسودة[1] الكوفة وذهب ملكهم

(٢) كِتَابٌ هو كتاب أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ضيق من تبليغه قيل كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلم يخاف تكذيب قومه واعراضهم عن قبول قوله واذاهمّ له فكان يضيق صدره في الأداءِ ولا ينبسط له فأمّنه الله بهذه الآية وأمره بترك مبالاته لِتُنْذِرَ بِهِ أي أنزل إليك لإنذارك بِهِ وَذِكْرَىٰ وتذكيراً لِلْمُؤْمِنِينَ .

(٣) إِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ من القرآن والوحي وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ

---

١ ـ المسوِّدة بكسر الواو أي لابسي السّواد ومنه الحديث فدخلت علينا المسوّدة يعني اصحاب الدعوة العباسية لأنهم كانوا يلبسون ثياباً سوداء وعيسى بن موسى أوّل من لبس لباس العبّاسيين من العلويّين استحوذ عليهم الشياطين وأغمرهم لباس الجاهلية .

أَوْلِيَآءَ شياطين الإنسِ والجنّ فيحملوكم على الأهواءِ والبدع ويضلّوكم عن دين الله وعمّا أُمِرْتم باتباعه قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ تذكراً قليلاً تتذكرون وقرء خفيفة الذال ويتذكرون وبالغيبة خطاباً مع النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم .

(٤) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ وكثيراً من القرىٰ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا فجاء أهلها بَأْسُنَا عذابنا بَيَاتاً بايتين كقوم لوط أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ[1] أو هم قائلين نصف النهار كقوم شعيب يعني أخذهم في غفلة منهم وأمن وفي وقتي دعة واستراحة .

(٥) فَمَا كَانَ دَعْوٰهُمْ ما كانوا يدّعونه من دينهم أو دعائهم واستغاثتهم إِذْ جَآئَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ الاّ اعترافهم ببطلانه وبظلمهم فيما كانوا عليه وتحسّرهم على ما كان منهم .

(٦) فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ يعني الأمم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ يعني الأنبياء عن تأدية ما حملوا من الرسالة .

في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث فيقام الرّسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها الى أممهم فيخبرون أنهم قد أدّوا ذٰلك إلى أممهم وتسأل الأمم فيجحَدون كما قال الله فلنسئلنّ الذين أرسل إليهم ولنسئلنّ المرسلين .

الحديث وقد مضى تمامه في سورة النساءِ عند تفسير فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد .

(٧) فَلَنَقُصَنَّ عَلَيْهِمْ على الرسل والمرسَل اليهم ما كان منهم بِعِلْمٍ عالمين بأحوالهم الظاهِرة والباطنة وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ عنهم وعن أفعالهم وأحوالهم والغرض من السؤال التوبيخ والتقرير عليهم وازدياد سرور المثابين بالثناءِ عليهم وغمّ المعاقبين باظهار قبايحهم .

(٨) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ أي وزن الأعمال والتميّز بين خفيفها وراجحها .

---

١ ـ قوله تعالى وأحسن مقيلاً هو من القائلة وهو استكنان في وقت نصف النهار وفي التفسير إنّه لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار بالنار.

القمّي قال المجازاة بالأعمال إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً قال وهو قوله فمن ثقلت الآية .

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ حسناته جمع موزون .

في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام إنما يعني الحسنات توزن الحسنات والسيئات والحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان .

وفي الإحتجاج عنه عليه السلام هي قلة الحسنات وكثرتها **فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** الفائزون بالنجاة والثواب .

(٩) **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب **بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ** فيكذبون مكان التصديق، والقمي قال بالأئمة يجحدون .

في الإحتجاج عن الصادق عليه السلام أنّه سئل أو ليس توزن الأعمال قال : لا لأنّ الأعمال ليس أجساماً وإنّما هي صفة ما عملوا وانّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها وانّ الله لا يخفى عليه شيء قيل فما معنى الميزان قال العدل قيل فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه قال فمن رجح عمله .

أقول : وسرّ ذلك أنّ ميزان كل شيء هو المعيار الذي به يعرف قدر ذلك الشيء فميزان الناس يوم القيامة ما يوزن به قدر كل انسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله لتجزى كلّ نفسٍ بما كسبت وليس ذلك إلّا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إذ بهم وباتباع شرايعهم واقتفاء آثارهم وترك ذلك وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم وسيئاتهم فميزان كل امة هو نبيّ تلك الأمة ووصيّ نبيها والشريعة التي أتى بها فمن ثقلت حسناته وكثرت فأُولئك هم المفلحون ومن خفّت وقلت فأُولئك الذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء والأوصياء أو عدم اتباعهم .

في الكافي والمعاني عن الصادق أنّه سئل عن قول الله عزّ وجل ونضع الموازين

القسط ليوم القيامة قال هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

وفي رواية أُخرى نحن الموازين القسط وقد حققنا معنى الميزان وكيفية وزن الأعمال ووقفنا بين الأخبار المتعارضة في ذلك والأقوال بما لا مزيد عليه في كتابنا الموسوم بميزان القيامة وهو كتاب جيد لم يسبق بمثله فيما أظنّ يوفق لمطالعته وفهمه من كان من أهله إن شاء الله .

(١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ تعيشون بها قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ فيما خلقنا لكم .

(١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ .

القمّي عن الباقر عليه السلام امّا خلقناكم فنطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثمّ لحماً وامّا صورناكم فالغين والأنف والاذنين والفم واليدين والرجلين صور هذا ونحوه ثم جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا .

أقول : الإقتصار على بيان الخلق والتصوير لبني آدم في الحديث لا ينافي شمول الآية لآدم فانه خلقه طيناً غير مصوّر ثم صوره فلا ينافي الحديث تمام الآية ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ أي بعد خلق آدم وتصويره فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ممّن سجد لآدم .

(١٢) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ أي أن تسجد يزاد لا في مثله لتأكيد معنى الفعل الذي دخلت عليه نظيره لئلّا يعلم وفيه تنبيه على أن الموبّخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنّه قيل ما اضطرك الى أن لا تسجد إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ في الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال خلقتني من نار وخلقته من طين فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنّار كان ذلك أكثر نوراً وضيئاً من النار، وعنه عليه السلام أن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم وكان في علم الله أنّه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه من الحمية فقال خلقتني من نار وخلقته من طين .

وفي الكافي والإحتجاج والعلل عنه عليه السلام أنّه دخل عليه أبو حنيفة فقال له يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس قال نعم أنا أقيس قال لا تقس فانّ أول من قاس إبليس حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر .

وعنه عليه السلام في حديث طويل أن أوّل معصية ظهرت الأنانية من إبليس اللعين حين أمر الله ملائكته بالسجود لآدم فسجدوا وأبى اللعين أن يسجد فقال الله عز وجل ما منعك الا تسجد الآية فطرده الله عزّ وجلّ عن جواره ولعنه وسماه رجيماً واقسم بعزته لا يقيس احدٌ في دينه الا قرنه مع عدوه إبليس في أسفل درك من النار .

والقمي عنه عليه السلام كذب إبليس ما خلقه الله الا من طين قال الله عزّ وجل . الذي جعل لكم من الشجَرَ الأخضر ناراً قد خلقه الله من تلك الشجرة والشجرة أصلها من طين .

(١٣) **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا** من المنزلة التي أنت عليها في السماء وزمرة الملائكة **فَمَا يَكُونُ لَكَ** فما يصح لك **أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا** وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع قيل فيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وانه تعالى انما طرده وأهبطه للتكبر لا لمجرد عصيانه قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله **فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ممن أهانه الله تعالى لكبره .

(١٤) **قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** أمهلني الى يوم القيامة فلا تمتني ولا تعجل عقوبتي .

(١٥) **قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ** أجابه الله إلى ما سأله من الإمهال ولم يجبه الى ما سأله من غايته لأنّ الله يقول في موضع آخر فانّك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى ويوم البعث والقيامة هو النفخة الثانية في العلل عن الصادق عليه السلام يموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية .

والعياشي عنه عليه السلام انظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا ويأتي الخبران في سورة

الحجر انشاء الله تعالى وفي اسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته .

(١٦) **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي** أي فبسبب إغوائك ايّاي وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة فانّه لما أمره الله بالسجود حملته الأنفة على معصيته **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمَ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** لأجتهدنّ في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم بأن اترصد لهم على طريق الإسلام كما يترصد القطاع على الطريق ليقطعه على المارة .

العياشي عن الصادق عليه السلام الصراط هنا علي عليه السلام .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام يا زرارة انما عمد لك ولأصحابك فامّا الآخرون فقد فرغ منهم وفي رواية العياشي عنه عليه السلام انما صمد[١] .

(١٧) **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ** من الجهاتِ الأربع جمع .

في المجمع عن الباقر عليه السلام ثم لآتينّهم من بين أيديهم معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم أمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعنِ شمائلهم بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم[٢] والقمّي ما يقرب منه ببيان أبسط **وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** مطيعين قاله تظنّناً لقوله سبحانه ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه .

(١٨) **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُمَاً** مذموماً من ذامه اذا ذمه **مَدْحُوراً** مطروداً **لَمَنْ تَبِعَكَ**

---

١ ـ يصمد في الحوائج يقصد والصمد القصد يقال صمده يصمده صمداً.

٢ ـ قيل المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عبّاس وتلخيصه إني ازين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر وأقول لهم لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها واحبّب اليهم السّيئات واحثهم عليها قال ابن عبّاس وانما لم يقل من فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرّحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يكن من تحت ارجلهم لأن الإتيان به يوحش انتهى وانما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لأن في القدّام والخلف . معنى طلب النّهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة .

مِنْهُم اللاّم فيه لتوطئة القسم وجوابه لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ أي منك ومنهم فغلّب المخاطب .

القمّي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى اخرج منها فانّك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين فقال إبليس يا ربّ فكيف وانت العدل الذي لا يجور فثواب عملي بطل قال لا ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك أعطك فأوّل من سئل البقاء الى يوم الدين فقال الله قد أعطيتك قال سلطني على ولد آدم قال سلطتك قال أجرني فيهم مجرى الدم في العروق قال قد أجريتك قال لا يولد لهم ولد الا ولد لي اثنان وأراهم ولا يروني واتصور لهم في كل صورة شئت فقال قد أعطيتك قال يا رب زدني قال قد جعلت لك ولذريتك في صدورهم أوطاناً قال يارب حسبي قال إبليس عند ذلك فبعزّتك لأغوينّهم الى قوله شاكرين قال له جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله ان أعطاه ما أعطاه فقال لشيء كان منه شكره الله عليه قيل وما كان منه جعلت فداك قال ركعتين ركعهما في السماء في أربعة آلاف سنة .

(١٩) وَيَا آدَمُ وقلنا يا آدم اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ قد مضى تفسيرها في سورة البقرة .

(٢٠) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ الفرق بين وسوس إليه ووسوس له انّ الاول بمعنى الأصل الصوت الخفي لِيُبْدِيَ لَهُمَا ليظهر لهما مَا وُرِيَ [1] غطى عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا عوراتهما قيل وكان لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وَقَالَ مَا نَهٰيكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا كراهة أن تكونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ .

(٢١) وَقَاسَمَهُمَا اقسم لهما إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ .

(٢٢) فَدَلّٰيهُمَا فدلهما إلى الأكل من الشجرة نبّه به على أنّه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فانّ التدلية والإدلاء ارسال الشيء من أعلى إلى أسفل بِغُرُورٍ بما

١ ـ قيل تكتب بواو واحدة وتلفظ بواوين مثل داود.

غرهما به من القسم فانهما ظنا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا فلمّا وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما .

القميّ والعياشي عن الصادق عليه السلام كانت سوآتهما لا تبدو لهما فبدت يعني كانت داخلة وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ[١] وأخذا يرقعان[٢] ويلزقان ورقة فوق ورقة عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ يغطيان سواتهما به .

القمي عن الصادق عليه السلام لما أسكنه الله الجنّة وأباحها له الا الشجرة لأنه خلق الله خلقة لا تبقى الا بالأمر والنهي والغذاء واللباس والأكنان[٣] والتناكح ولا يدرك ما ينفعه مما يضره الا بالتوقيف فجائه إبليس فقال له انكما إن اكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنة أبداً وان لم تأكلا منها أخرجكما من الجنة وحلف لهما أنه لهما ناصح فقبل آدم عليه السلام قوله فأكلا من الشجرة وكان الأمر كما حكى الله بدت لهما سواتهما وسقط عنهما ما البسهما الله من لباس الجنة واقبلا يستران من ورق الجنّة وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ انْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الإغترار بقول العدوّ .

(٢٣) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(٢٤) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قد مضى تفسيرها مع تمام القصة في سورة البقرة .

---

١ ـ أي يلزقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما من الخصف وهو ضمّ الشيء الى الشيء والإلصاق به.

٢ ـ رقع الثوب أصلحه بالرقاع.

٣ ـ الكن بالكسر وقا كلّ شيء وستره كالكنة والكنان بكسرهما والبيت ج اكنان واكنة.

(٢٥) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ بالجزاء للجزاء وقرء بفتح التاء .

(٢٦) يَا بَنِي آدَمَ العياشي عنهما عليهما السلام قالا هي عامة قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ويغنيكم عن خصف الورق وَرِيشاً تتجمّلون به والريش ما يتجمل به استعير من ريش الطائر لأنه لباسه وزينته وَلِبَاسُ[1] التَّقْوَىٰ خشية الله ذٰلِكَ خَيْرٌ وقرء لباسَ بالنّصب .

القميّ قال لباس التقوى ثياب البياض .

وعن الباقر عليه السلام وأما اللباس فالثياب التي تلبسون وأما الرياش فالمتاع والمال وأما لباس التقوى فالعفاف ان العفيف لا تبدو له عورة وان كان عارياً من الثياب والفاجر بادي العورة وان كان كاسياً من الثياب ذٰلك خير يقول والعفاف خير ذٰلِكَ أي انزال اللباس مِنْ آيَاتِ اللهِ الدالة على فضله ورحمته لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون على القبايح .

(٢٧) يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ لا يمتحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوائكم والمعنى نهيهم عن اتباعه والإفتتان به كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا أسند النزع اليه للتسبب إِنَّهُ يَرٰيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده وفي الحديث أنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم منه إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ لما بينهم من التناسب .

(٢٨) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم والإيتام بامام الجور والطواف بالبيت عرياناً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ .

---

١ ـ قوله ولباس التقوى خشية الله وقيل السّمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالإبتداء وخبره ذٰلك خيراً أو خير وذٰلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وَلباس بالنصب عطفاً على لباساً .

القمي قال الذين عبدوا الأصنام فردّ الله عليهم .

وفي الكافي مضمراً والعياشي عن عبد صالح قال : هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمرنا بالزنا وشرب الخمر وشيء من هذه المحارم فقيل لا قال ما هذه الفاحشة التي يدعون أنّ الله أمرهم بها قيل الله أعلم ووليه فقال فان هذا في أئمّة الجور ادعوا أن الله أمرهم بالإيتام بقوم لم يأمرهم الله بالإيتام بهم فرد الله ذٰلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليه الكذب وسمّى ذٰلك منهم فاحشة والعياشي عن الصادق عليه السلام قال من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب علىٰ الله ومن زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب علىٰ الله .

(٢٩) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ بالعدل والإستقامة وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ توجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلوٰة .

في التهذيب عن الصادق عليه السلام هٰذه في القبلة وعنه عليه السلام مساجد محدثة فأُمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام .

والعياشي مثل الحديثين وزاد في الأول ليس فيها عبادة الأوثان خالصاً مخلِصاً وعنه عليه السلام عند كل مسجد يعني الأئمّة وَادْعُوهُ واعبدوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أي الطاعة فإنَّ إليه مصيركم كَمَا بَدَأَكُمْ كما انشأكم ابتداءً تَعُودُونَ باعادته فيجازيكم علىٰ أعمالكم .

القمي عن الباقر عليه السلام في هٰذه الآية خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وسقيّاً وسعيداً وكذٰلك يعودون يوم القيامة مهتد وضالّ

(٣٠) فريقا هَدَىٰ بأن وفقهم للإيمان وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ أي الخذلان إذ لم يقبلوا الهدىٰ فضلوا إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ أطاعوهم فيما أمروهم به وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ .

القميّ وكأنّه تمام الحديث السابق وهم القدرية الذين يقولون لا قدر ويزعمون

أنهم قادرون علىٰ الهدى والضلال وذٰلك اليهم إن شاؤا اهتدوا وان شاؤا ضلّوا وهم مجوس هذه الأمّة وكذب أعداء الله المشيئة والقدرة لله كما بدأهم يعودون من خَلَقَه شقيّاً يوم خلقه كذلك يعود إليه ومن خَلَقَه سعيداً يوم خَلَقَه كذٰلك يعود إليه سعيداً قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الشقيّ من شقِى في بطن امّه والسّعيد من سعد في بطن أمّه .

وفي العلل عنه عليه السلام أنّهم اتخذوا الشياطين أولياءَ من دون الله يعني أئمّة دون أئمّة الحقّ .

(٣١) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ القمي قال في العيدين والجمعة يغتسل ويلبس ثياباً بيضاً .

وروي أيضاً المشط عند كل صلٰوة .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام يعني في العيدين والجمعة .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أي خذوا ثيابكم التي تتزيّنون بها للصّلٰوة في الجمعات والأعياد .

والعياشي عن الرضا عليه السلام هي الثياب .

وعن الصادق عليه السلام هِيَ الأردية في العيدين والجمعة .

وفي الجوامع والعياشي كان الحَسَن بن عليّ عليهما السلام إذا قام الى الصلٰوة لبس أجود ثيابه فقيل له في ذٰلك فقال إنّ الله جميل يحبّ الجمال فأتجمّل لربي وقرء الآية .

وفي الفقيه عن الرضا عليه السلام من ذٰلك التمشّط عند كل صلٰوة

والعياشي عن الصادق عليه السلام مثله .

وفي الخصال عنه عليه السلام في هٰذه الآية تمشّطوا فانّ التمشّط يجلب الرزق ويحسن الشّعر وينجز الحاجة في ماءِ الصّلب ويقطع البلغم وكان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يسرّح تحت لحيته أربعين مرّة ويمرّ فوقها سبع مرّات ويقول انّه يزيد في الرّزق ويقطع البلغم .

وفي التّهذيب عنه عليه السلام في هٰذه الآية قال الغسل عند لقاء كل إمام .

والعياشي عنه عليه السلام يعني الأئمّة عليهم السلام وقيل هو أمر بلبس الثياب في الصّلوٰة والطّواف وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نعبد في ثياب اذنبنا فيها .

القميّ أنّ أناساً كانوا يطوفون عراة بالبيت الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرهم الله بلبس الثياب وكانوا لا يأكلون الا قوتاً فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا .

أقول : يعني في أيّام حجهم يعظّمون بذٰلك حجهم وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ما طاب لكم وَلاَ تُسرِفُوا بالافراط والإتلاف وبالتعدي الى الحرام وبتحريم الحلال وغير ذٰلك قيل[1] لقد جمع الله الطبّ في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا وهو ناظر إلى الإفراط في الأكل وهو مذموم في اخبار كثيرة إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسرِفِينَ لا يرضى فعلهم .

العياشي عن الصادق عليه السلام قال أترىٰ الله اعطىٰ من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه لا ولكنّ المال مال الله يضعه عند الرّجُل ودايع وجوزلهم أن يأكلوا قصداً ويشربوا قصداً ويلبسوا قصداً وينكحوا قصداً ويركبوا قصداً ويعودوا بما سوىٰ ذٰلك علىٰ فقراءِ المؤمنين ويلمّوا به شعثهم فمن فعل ذٰلك كان ما يأكل حلالاً ويشرب حلالاً ويركب حلالاً وينكح حلالاً ومن عدا ذٰلك كان عليه حراماً ثم قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين أترى الله ائتمن رجلاً علىٰ مال خوّل[2] له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم ويجزيه فرس بعشرين درهماً ويشتري جارية بألف دينار ويجزيه بعشرين ديناراً وقال لا تسرفوا أنّه لا يحبّ المسرفين وعنه عليه السلام قال من سأل الناس شيئاً وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين .

---

١ ـ وقد حكى انّ الرّشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن راقد ليس في كتابكم من علم الطبّ شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له عليّ قد جمع الله الطبّ كلّه في نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبيّنا (ص) الطبّ في قوله : المعدة بيت الأدواء والحمية رأس كل دواء واعط كلّ بدن ما عوّدته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبّاً.

٢ ـ خوّله الله المال أعطاه إياه متفضلاً.

(٣٢) قُلْ مَنْ حَرَّم زِينَةَ اللهِ من الثياب وسائر ما يتجمّل به الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ من الأرض كالقطن والكتان والأبريسم والصوف والجواهر وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ المستلذات من المآكل والمشارب وهو انكار لتحريم هذه الأشياءِ .

في الكافي عن الصادق عليه السلام بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس الى ابن الكوّا وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة فلما نظروا إليه قالوا يا ابن عباس انت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس فقال : هذا أوّل ما اخاصمكم فيه قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيباتِ من الرزق وقال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد .

والعياشي عنه عليه السلام ما في معناه .

وفي الكافي عنه عليه السلام أنّه رآه سفيان الثوري وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان فقال والله لآتينّه ولأوبخنّه فدنا منه فقال يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم مثل هٰذا اللباس ولا عليّ عليه السلام ولا أحد من آبائك فقال له كان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في زمانٍ قَتِرٍ [1] مُقْتِرٍ وكان يأخذ لقتره واقتاره وانّ الدنيا بعد ذٰلك ارخت عزاليها [2] فأحق أهلها بها ابرارها ثم تلا قُل مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الآية فنحن أحقّ من أخذ منها ما أعطاه الله غير أنّي يا ثوريّ ما ترىٰ عليّ من ثوب انمّا لبسته للنّاس ثم اجتذب يد سفيان فجرها اليه ثم رفع الثوب الأعلىٰ وأخرج ثوباً تحت ذلك علىٰ جلده غليظاً فقال هٰذا لبسته لنفسي وما رأيته للناس ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظ خشن وداخل ذٰلك الثوب ثوب لينّ فقال لبست هذا الأعلىٰ للناس ولبستَ هذا لنفسك تسرّها .

---

١ ـ قتر قتراً وقتوراً من بابي ضرب وقعد ضيق عليه في النّفقة ومنه قتر على عياله اذا ضيّق عليهم وأقتر اقتاراً وقتر تقتيراً مثله .

٣ ـ في الحديث فأرسلت السّماء عزاليها أي افواهها والعزالى بفتح اللام وكسرها جمع العزلاء مثل الحمراء وهو فم المزادة فقوله أرسلت السماء عزاليها يريد شدة وقع المطر على التشبيه نزوله من افواه المزادة ومثله وانّ الدّنيا بعد ذلك ارخت عزاليها .

وعنه عليه السلام أنّه كان متّكئاً علىٰ بعض أصحابه فلقيه عبّاد بن كثير وعليه ثياب مروية حسان فقال يا أبا عبد الله انّك من أهل بيت نبوّة وكان أبوك [١] وكان فما لهذه الثياب المرويّة عليك فلو لبست دون هٰذه الثياب المرويّة عليك فقال له ويلك يا عبّاد من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيّبات من الرزق انّ الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبد نعمة أحبّ أن يراها عليه ليس بها بأس ويلك يا عبّاد انّما أنا بضعة من رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فلا تؤذوني وكان عبّاد يلبس ثوبين من قطن .

وعنه عليه السلام انه قيل له أصلحك الله ذكرت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذٰلك ونرى عليك اللباس الجيد فقال له إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذٰلك في زمان لا ينكر ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به فخير لباس كلّ زمان لباس أهله غير أنّ قائمنا اذا قام لبس لباس عليّ وسار بسيرته .

أقول : وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه علّل خشونة مطعمه وملبسه بأن الله فرض علىٰ أئمّة العدل أن يقدروا أنفسهم بضَعَفَة الناس كيلا يتبيغ [٢] بالفقير فقره قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا بالأصالة وامّا مشاركة الكفار لهم فيها فتبعٌ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يشاركهم فيها غيرهم وقرء بالرّفع .

في الكافي عن الصادق عليه السلام بعد أن ذكر أنهار الأرض فما سقت واستقت فهو لنا وما كان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدوّنا منه شيء إلاّ ما غصب عليه وانّ وليّنا لفي أوسع فيما بين ذه وذه يعني فيما بين السّماءِ والأرض ثم تلا هٰذه الآية قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا المغصوبين عليها خالصةً لهم يوم القيامة بلا غصب .

---

١ ـ وكان أبوك وكان يعني كان زاهداً وكان يلبس الخشن وكان تاركاً لنعم الدّنيا يعني بأبيه امير المؤمنين (ع) وفي بعض النسخ قطوتين مكان قطن في آخر الحديث وهو بالمهملة ضرب من البرود منه.

٢ ـ في الحديث انّ الله فرض على أئمّة العدل «الخ» اي تهيّج به، تبيّغ عليه الأمر اختلط والدم هاج وغلب واللّبن كثر .

وفي الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث واعلموا يا عباد الله انّ المتقين حازوا عاجل الخير وآجله شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم أباحهم الله في الدنيا ما كفاهم به وأغناهم قال الله قل من حرّم زينةَ الله الآية سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت وأكلوها بأفضل ما أُكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا من أفضل ما يسكنون وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون وركبوا من أفضل ما يركبون وأصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من اللذة فالى هذا يا عباد الله يشتاق اليه من كان له عقل **كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصّل سائر الأحكام لهم .

(٣٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ .

في الكافي والعياشي عن الكاظم عليه السلام فامّا قوله ما ظهر منها يعني الزّنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر الفواحش في الجاهلية وامّا قوله عزّ وجلّ وما بطن يعني ما نكح من أزواج الآباءِ لأنّ الناس كانوا قبل أن يبعث النبي صلّى الله عليه وآله اذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوّجها ابنه من بعده اذا لم تكن امّه فحرّم الله عزّ وجلّ ذٰلك وامّا الإثم فانّها الخمر بعينها وقد قال الله عزّ وجلّ في موضع آخر يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس فامّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر واثمهما كبير .

وزاد العياشي بعد قوله والميسر أخيراً فهي النّرد قال واثمهما كبير وامّا قوله والبغي فهي الزّنا سرّاً .

أقول : وربما يعمم الفواحش لكل ما تزايد قبحه ما علن منها وما خفى ويعمّم الإثم لكل ذنب ويفسرّ البغي بالظلم والكبر ويجعل بغير الحقّ تأكيداً وما لم يُنَزِّلْ

به سلطاناً تهكّماً اذ لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمّة الجور وجميع ما أحلّ الله في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمّة الحقّ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أي تتقوّلوا وتفتروا .

وفي الخصال عنه عليه السلام إيّاك وخصلتين فيهما هلك من هلك إيّاك أن تفتي الناس برأيك وتدين بما لا تعلم وفي رواية أخرىٰ أن تدين الله بالباطل وتفتي الناس بما لا تعلم .

وفيه وفي التوحيد عن الباقر عليه السلام أنه سئل ما حجّة الله على العباد فقال أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون .

وفي الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفيّة يا بنيّ لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم .

وفي العيون عنه عليه السلام عن النبّي صلىّ الله عليه وآله وسلم من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض .

(٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ مدة أو وقت لنزول الموت أو العذاب فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ انقرضت مدتهم أو حان وقتهم لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ العياشي عن الصادق عليه السلام هو الذي سميّ لملك الموت في ليلة القدر [1] .

وفي الكافي عنه عليه السلام تعدّ السنين ثم تعدّ الشّهور ثم تعدّ الأيام ثم تعدّ النّفس فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

(٣٥) يَا بَنِي آدَمَ أمّا يَأْتِيَنَّكُمْ ضمت ما الى انِ الشرطية تأكيداً لمعنى الشرط رُسُلٌ مِنْكُمْ من جنسكم يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ التكذيب منكم وَأَصْلَحَ

---

١ ـ لعلّ مرجع الضّمير المستتر الملائكة الموكّلون بالآجال وهم ملك الموت وأعوانه المعبّر عنهم بالرسل.

عمله فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ .

(٣٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ قيل ادخال الفاءِ في الجزاءِ الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد .

(٣٧) فَمَنْ أَظْلَمُ أشنع ظلماً مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ تقول عليه ما لم يقله أو كذّب ما قاله أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ مما كتبت لهم من الأرزاق والآجال .

والقمّي أي ينالهم ما في كتابنا من عقوبات المعاصي حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ حتّى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم إيّاه أي الى وقت وفاتهم وهي التي يبتدء بعدها الكلام والمراد بالرسل هنا ملك الموت وأعوانه قَالُوا أي الرسل أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي الآلهة التي تعبدونها قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا غابوا عنا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ اعترفوا بأنهم لم يكونوا على شيءٍ فيما كانوا عليه .

(٣٨) قَالَ أي قال الله تعالى لهم ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ يعني كفّار الأمم الماضية من النوعين في النَّارِ متعلق بادخلوا كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ في النارِ لَعَنَتْ أُخْتَهَا التي ضلّت بالإقتداء بها حَتَّىٰ إِذَا أَدَّارَكُوا[1] فِيهَا جَمِيعاً أي تداركوا أو تلاحقوا في النار .

في الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث برأ بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضاً يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظم ما نزل بهم وليس بأوان بلوىً ولا اختبار ولا قبول معذرة ولات حين نجاة قَالَتْ أُخْرَاهُمْ منزلة وهم الأتباع والسّفلة لِأُولَاهُمْ منزلة أي لأجلهم اذ الخطاب مع الله لا معهم وهم القادة والرؤساء .

---

١ ـ إدرك بعضهم بعضاً أي خاصمه وجادله رجاء الفلج محرّكة أي الفوز والتخلص من العذاب فيفلتوا أي يطر عقلهم بغتة ويزلّون ويسلب تدبيرهم فلا يهتدون سبيلاً.

في المجمع عن الصادق عليه السلام يعني أئمة الجور رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا دعونا إلى الضّلال وحملونا عليه فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ مضاعفاً لأنهم ضلّوا وأضلّوا قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ أما القاد ة فبكفرهم وتضليلهم وامّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم وَلٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ما لكل وقرء بالياء على الإنفصال .

(٣٩) وَقَالَتْ أُولٰيهُمْ لِأُخْرٰيهُمْ مخاطبين لهم فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للاتباع لكل ضعف أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق الضعف فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ القمّي قال شماتة بهم .

(٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أي عن الإيمان بها لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لأدعيتهم وأعمالهم ولنزول البركة عليهم ولصعود أرواحهم إذا ماتوا .

في المجمع عن الباقر عليه السلام امّا المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها وامّا الكافر فيصعد بعمله وروحه حتىٰ إذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا الى سجّين وهو وادٍ بحضرموت[1] يقال له برهوت[2] وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ أي لا يدخلون الجنّة حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج الجمل الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الإبرة وَكَذٰلِكَ مثل ذلك الجزاء الفظيع نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ .

(٤١) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ فراش وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ أغطية وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ .

(٤٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم أُولٰئِكَ

---

١ ـ حضرموت بضم الميم بلد وقبيلة ويقال هٰذا حضرموت ويضاف فيقال حضرُمُوت بضم الراء وان شئت لا تنوّن الثاني والتصغير حضيرموت.

٢ ـ برهوت محرّكة وبالضمّ بئراوواد أو بلد.

أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ .

(٤٣) وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ على اخوانهم في الدنيا فسلمت قلوبهم وطهرت من الحقد والحسد والشحناء ولم يكن منهم الا التعاطف والتراحم والتوادّ .

القمّي عن الباقر عليه السلام العداوة تنزع منهم أي من المؤمنين في الجنة تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ وَقالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدانا لِهٰذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلا أَنْ هَدانَا اللّهُ في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية إذا كان يوم القيامة دعي بالنبي وأمير المؤمنين وبالأئمّة عليهم السلام فينصبون للنّاس فاذا رأتهم شيعتهم قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الآية في ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من ولده لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطاً وتبجّحاً[1] اذ صار علم يقينهم في الدنيا عين يقينهم في الآخرة وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةَ اذا رأوها أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

في المجمع عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ما من أحد إلا وله منزل في الجنّة ومنزل في النار فأمّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله أورثتموها بما كنتم تعملون .

(٤٤) وَنادىٰ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قالوا تبجّحاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسّراً لهم وانّما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم الجنّة لأهلها قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ وقرء أنّ بالتشديد لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ .

في الكافي والقمي عنَ الكاظم والعياشي عن الرضا عليهما السلام المؤذّن أمير المؤمنين وزاد القمّي يؤذّن أذاناً يسمع الخلائق .

---

١ ـ البَجَح بتقديم الباء ثم الجيم ثم الحاء محرّكة الفرح.

وفي المجمع والمعاني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذلك المؤذّن .

(٤٥) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً زيغاً وميلاً عمّا هو عليه وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ .

(٤٦) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ أي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور أو بين الجنة والنّار ليمنع وصول إحداهما إلى الاخرى وَعَلَى الْأَعْرَافِ اعراف الحجاب أي أعاليه رِجَالٌ من الموحّدين العارفين المعروفين يَعْرِفُونَ كُلًّا من أهل الجنّة والنّار بِسِيمَاهُمْ بعلامتهم التي أعلمهم الله بها لأنّهم من المتوسّمين أهل الفراسة .

في المجمع والجوامع عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار .

وفيهما والقمّي عن الصادق عليه السلام الأعراف كُثبان[1] بين الجنّة والنّار والرجال الأئمّة ويأتي تمام الحديث .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يوقفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار الّا من أنكرنا وأنكرناه .

ومثله في البصاير والإحتجاج الّا أنّه قال : نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنّار فلا يدخل الجنّة الحديث .

وزاد في آخره وذلك بأنّ الله تعالى لو شاء عَرَّفَ النّاس نفسه حتّى يعرفوا حدّه ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه .

---

١ ـ انكثب الرّمل أي اجتمع وكلّ ما انصبّ في شيء فقد انكثب فيه ومنه سمّي الكثيب من الرّمل لأنه انصبّ في مكان واجتمع فيه والجمع الكثبان وهي تلال الرّمل.

والعيّاشي ما يقرب منه .

وعن سلمان قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ عليه السلام أكثر من عشر مرّات يا عليّ إنّك والأوصياء من بعدك اعراف بين الجنّة والنّار ولا يدخل الجنّة الاّ من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار الا من أنكركم وانكرتموه .

وعن الباقر عليه السلام هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنّة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه .

ورواه في المجمع أيضاً وفي البصائر عنه عليه السلام الرجال هم الأئمة من آل محمد عليهم إلسلام والأعراف صراط بين الجنّة والنّار فمن شفع له الأئمة منّا من المؤمنين نجا ومن لم يشفعوا له هوىٰ فيه .

وعنه عليه السلام قال نحن أولئك الرجال الأئمّة منا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنة كما تعرفون في قبايلكم الرّجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح والأخبار في هذا المعنى كثيرة وزاد في بعضها لأنّهم عرفاء العباد عرّفهم الله ايّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطّاعة فوضعهم في كتابه فقال وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاّ بسيماهم وهم الشهداء على الناس والنبيّون شهداؤ هم بأخذهم[1] لهم مواثيق العباد بالطّاعة .

والقمّي عن الصادق عليه السلام كلّ أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعدائهم بسيماهم وهو قوله وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم فيعطوا[2] أوليائهم كتابهم بيمينهم فيمرّوا إلى الجنّة بلا حساب ويعطوا أعدائهم كتابهم بشمالهم فيمرّوا الى النار بلا حساب .

وفي البصائر والقمّي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال

---

١ ـ أي بأخذ النبيّين للأئمة عليهم السلام.

٢ ـ سقوط النون من يعطوا وما بعده من الأفعال لعلّه من جهة انجزامها جواباً لشرط مقدّر أي اذا عرفوا وحوسبوا فيعطوا.

انّهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الأعمال وأنّهم لَكَما قال الله عزّ وجل .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عنهم فقال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فان أدخلهم النار فبذنوبهم وان أدخلهم الجنّة فبرحمته .

وفي رواية العياشي وان أدخلهم الله الجنّة فبرحمته وان عذّبهم لم يظلمهم .

أقول : لا منافاة بين هاتين الروايتين وبين ما تقدمهما من الأخبار كما زعمه الأكثرون لأنّ هٰؤلاء القوم يكونون مع الرجال الذين على الأعراف وكلاهما أصحاب الأعراف يدل على ما قلناه صريحاً حديث الجوامع .

والقمّي الآيتان في آخر هذه الآيات فانّهما يدلان على أنه يكون على الأعراف الأئمة مع مذنبي أهل زمانهم من شيعتهم والوجه في اطلاق لفظ الأعراف على الأئمّة كما ورد في عدة من الأخبار التي سبقت أن الأعراف ان كان اشتقاقها من المعرفة فالأنبياء والأوصياء هم العارفون والمعروفون والمعرّفون الله والناس للناس في هٰذه النشأة وان كان من العرف[1] بمعنى المكان العالي المرتفع فهم الذين من فرط معرفتهم وشدة بصيرتهم كأنّهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى سائر الناس في درجاتهم ودركاتهم ويميزون السّعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هٰذه النشأة وكذلك بعض من سار سيرتهم من شيعتهم كما يدلّ عليه حديث حارثة بن النعمان الذي كان ينظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة والى أهل النار يتعاوون في النار وكان بعد في الدنيا وحديثه مرويّ في الكافي **وَنَادَوْا** يعني ونادى أصحاب الأعراف أريد بهم من كان من الأئمة عليهم السلام على الأعراف من مذنبي شيعتهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم **أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** أي اذا نظروا إليهم سلّموا عليهم **لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** .

---

١ ـ العرف الرّمل والمكان المرتفعان ويضمّ راؤه كالعرفة بالضم.

(٤٧) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا تعوُّذاً بالله رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أي في النار .

وفي المجمَع أنّ في قراءة الصادق عليه السلام قالوا ربّنا عائذاً بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين .

(٤٨) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أي الأئمة رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ من رؤساء الكفار قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ في الدنيا وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ عن الحق .

(٤٩) أَهؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ من تتمة قول الأئمة للرجال والإشارة إلى شيعتهم الذين كانوا معهم على الأعراف الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون أنّ الله لا يدخلهم الجنّة أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ أي فالتفتوا إلى أصحابهم وقالوا لهم ادخلوها لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

في الجوامع عن الصادق عليه السلام الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار يوقف عليها كل نبيّ وكلّ خليفة نبيّ مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام وينظر هؤلاء إلى أهل النار فيقولون ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين .

وينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء رجالاً من أهل النار ورؤساء الكفار يقولون لهم مقرّعين ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهن بفقرهم ويستطيلون عليهم بدنياهم ويقسمون أنّ الله لا يدخلهم الجنّة ادخلوا الجنة يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من أمر الله عزّ وجلّ لهم بذلك ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون أي لا خائفين ولا محزونين .

والقمّي عنه عليه السلام الأعراف كثبان بين الجنّة والنار والرجال الأئمة عليهم السلام يقفون على الأعراف مع شيعتهم وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة فيقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب انظروا إلى اخوانكم في الجنة قد سبقوا إليها بلا حساب وهو قول الله تعالى سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ثم يقال لهم انظروا إلى أعدائكم في النار وهو قوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادىٰ أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم في النار فقالوا ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا وما كنتم تستكبرون ثم يقولون لمن في النار من أعدائهم هؤلاء شيعتي واخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا لا ينالهم الله برحمة ثم يقول الأئمّة لشيعتهم ادخلوا الجنّة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون .

(٥٠) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أي صبوه وذلك لأنّ الجنّة فوق النار أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ من الأطعمة والفواكه .

العياشي عن أحدهما عليهما السلام قال انّ أهل النار يموتون عطاشاً ويدخلون قبورهم عطاشاً ويدخلون جهنّم عطاشاً فيرفع لهم قراباتهم من الجنة فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله ، وعن الصادق عليه السلام يوم التّناد يوم ينادي أهل النار أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا حرّم شراب الجنّة وطعامها عَلَى الْكَافِرِينَ .

(٥١) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ الذي كان يلزمهم التديّن به لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فحرموا ما شاؤا واستحلوا ما شاؤا فَالْيَوْمَ نَنْسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا في العيون عن الرضا عليه السلام في حديث أي نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا وقال انّما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم كما قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .

وفي التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره يعني بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياء الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه في الغيب وقد يقول العرب في باب النسيان قد نسينا فلان فلا يذكرنا أي أنّه لا يأمر لهم

بخير ولا يذكرهم به وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وكما كانوا منكرين لآياتنا .

(٥٢) وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ بيّنا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصّلة عَلَىٰ عِلْمٍ عالمين بوجه تفصيله حتى جاء[1] حكيماً هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

(٥٣) هَلْ يَنْظُرُونَ هل ينتظرون إلاَّ تَأْوِيلَهُ ما يؤل إليه أمره من تبيين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ قيل يوم القيامة والقمّي ذلك في قيام القائم ويوم القيامة يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ تركوه ترك الناسي قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ قد تبيّن أنهم جاؤ وا بالحقّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا اليوم أَوْ نُرَدُّ الى الدنيا فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بصرف أعمالهم في الكفر وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ بطل عنهم فلم ينفعهم .

(٥٤) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ القمّي قال في ستّة أوقات .

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام ولو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق ولكنه جعل الأناة والمداراة مثالاً لأمنائه وايجاباً للحجّة على خلقه .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ولكنه عز وجلّ خلقها في ستة أيام ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرة .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إنّ الله خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير وفي الأحد والاثنين خلق الأرضين وخلق أقواتها يوم الثلاثاء وخلق السموات يوم الأربعاء ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قوله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستّة أيام .

أقول : هذه الآية المشتملة على قوله وما بينهما انّما هي في سورة الفرقان وفي سورة

---

١ ـ أي محكماً وخالصاً من كلّ خلل وقدح ومعجزاً ثابتاً باقياً على وجه الدهر.

السجدة التالية للقمان ويستفاد منها ومن هذا الحديث وأمثاله مما ورد من هذا القبيل ان ما بينهما أيضاً داخل في المقصود من الآية التي نحن بصدد تفسيرها .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستة أيام ثم اختزلها[١] عن أيّام السنة والسنة ثلثمأة وأربعة وخمسون يوماً .

وفي الفقيه والتهذيب عنه عليه السلام أن الله تعالى خلق السنة ثلثمأة وستين يوماً وخلق السموات والأرض في ستة أيام فحجزها[٢] من ثلثمأة وستين يوماً فالسنة ثلثمأة وأربعة وخمسون يوماً الحديث .

وفي الخصال والعياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه أن قيل ان الأيام انما تتقدّر وتتمايز بحركة الفلك فكيف خلقت السموات والأرض في الأيام المتمايزة قبل تمايزها قلنا مناط تمايز الأيام وتقدّرها انّما هو حركة الفلك الأعلى دون السموات السبع والمخلوق في الأيام المتمايزة انّما هو السموات السبع والأرض وما بينهما دون ما فوقهما ولا يلزم من ذلك خلاء لتقدم الماء الذي خلق منه الجميع على الجميع .

وليعلم إنَّ هذه الآية وأمثال هذه الأخبار من المتشابهات التي تأويلها عند الراسخين في العلم ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام استوى تدبيره وعلا أمره .

وعن الكاظم عليه السلام استولى على ما دقّ وجلّ وفي الكافي عن الصادق عليه السلام استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء وفي رواية اخرى استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء .

وفي اخرى استوى في كل شيء فليس أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى في كلّ شيء .

أقول : قد يراد بالعرش الجسم المحيط بجميع الأجسام وقد يراد به ذلك الجسم

---

١ ـ انخزل الشيء أي انقطع والإختزال الإنقطاع.

٢ ـ أي فصلها عنها وجعل في طرف منها كالحاشية للشيء

مع جميع ما فيه من الأجسام أعني العالم الجسماني بتمامه وقد يراد به ذاك المجموع مع جميع ما يتوسط بينه وبين الله سبحانه من الأرواح التي لا تتقوّم الأجسام الّا بها أعني العوالم كلها بملكها وملكوتها وجبروتها .

وبالجملة ما سوى الله عز وجل وقد يراد به علم الله سبحانه المتعلق بما سواه وقد يراد به علم الله سبحانه الذي اطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه وقد وقعت الإشارة الى كل منها في كلامهم وربما يفسر بالملك والإستواء بالإحتواء كما يأتي في سورة طٰهٰ ويرجع إلى ما ذكر ، ثم أقول فسّر الصادق عليه السلام الإستواء في روايات الكافي باستواء النسبة والعرش بمجموع الأشياء وضمن الإستواء في الرواية الأُولى ما يتعدى بعلىٰ كالإستيلاء والإشراف ونحوهما لموافقة القرآن فيصير المعنى استوى نسبته إلى كل شيء حال كونه مستولياً على الكل ففي الآية دلالة على نفي المكان عنه سبحانه خلاف ما يفهمه الجمهور منها وفيها أيضاً اشارة الى معيّته القيّومية واتصاله المعنوي بكل شيء على السواء على الوجه الذي لا ينافي أحدّيته وقدس جلاله وإلى افاضة الرحمة العامة على الجميع على نسبة واحدة واحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد وقربه من كل شيء على نهج سواء وأتى بلفظة من في الرواية الثانية تحقيقا لمعنى الإستواء في القرب والبعد وبلفظة في الثالثة تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه وامّا اختلاف المقربين كالأنبياء والأولياء مع المبعّدين كالشياطين والكفار في القرب والبعد فليس ذٰلك من قبله سبحانه بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها .

وفي التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الجاثليق قال انّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما يظن كهيئة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر وربّك عزّ وجل مالكه لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** يغطيه به وقرء بالتشديد **يَطْلُبُهُ حَثِيثاً** يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء **وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ** وقرء برفع الكل **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ** عالم الأجسام **وَالْأَمْرُ** عالم الأرواح **تَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالفردانية في الربوبية .

(٥٥) أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ذوي تضرّع وخفية فان الإخفاء أقرب إلى

الإخلاص وقرء بكسر الخاءِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره .

في المجمع عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنه كان في غزاة فأشرف على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم فقال يا أيها الناس اربعوا[1] على أنفسكم أما أنّكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً انه معكم ، وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام استعن بالله في جميع أُمورك متضرّعاً إليه آناء الليل والنهار قال الله تعالى ادعو ربّك تضرّعاً وخفيةً انّه لا يحب المعتدين والإعتداء من صفة قرّاء زماننا هٰذا وعلامتهم .

(٥٦) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالكفر والمعاصي بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ببعث الأنبياء وشرع الأحكام .

في الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّ الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيّه فقال ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها .

والقمّي أصلحها برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ذوي خوف من الردّ لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعاً في اجابته تفضلاً واحساناً لفرط رحمته إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة .

في الفقيه في وصية النبي لعليّ صلوات الله وسلامه عليهما يا عليّ من يخاف ساحراً أو شيطاناً فليقرأ انّ ربّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام الآية .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام من بات بأرض قفر فقرأ هذه الآية انّ ربّكم الله إلى قوله تبارك الله ربّ العالمين حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين قال فمضى الرجل فاذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرء هذه الآية فتغشاه الشياطين فاذا

---

١ ـ ربع كمنع وقف وانتظر وتمكّث ومنه قولهم أربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك.

هو أُخِذَ بخطمه[١] فقال له صاحبه انْظِرْهُ واستيقظ الرجل فقرأ الآية فقال الشيطان لصاحبه أرغم الله أنفك احرسه الآن حتى يصبح فلما أصبح رجع إلى أمير المؤمنين فأخبره وقال له رأيت في كلامك الشفاء والصدق ومضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض الحديث.

(٥٧) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْراً جمع نشور بمعنى ناشر وقرء بالتخفيف وبفتح النون وبالباء مخففة جمع بشير بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ قدام رحمته يعني المطرفان الصبا[٢] تثير السحاب والشمال تجمعَهُ والجنوب يجلبه والدبور يفرقه حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ حملت سَحَاباً سحائب ثِقَالاً بالماء سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ لأحيائه وقرء بتخفيف الياء فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ من كل أنواعها كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ نحييهم ونخرجهم من الأجداث لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا.

(٥٨) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ الأرض الكريمة التربة يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ بأمره وتيسّره عبّر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة[٣] نفعه بقرينة المقابلة وَالَّذِي خَبُثَ كالحرة[٤] والسبخة[٥] لَا يَخْرُجُ نباته إِلَّا نَكِداً قليلاً عديم النفع كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ نرددها ونكررها لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، قيل الآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأساً ولم يتأثر بها.

والقمّي مثل للأئمة يخرج علمهم باذن ربّهم ولأعدائهم لا يخرج علمهم الا كدراً

---

١ ـ الخطم من كلّ دابة مقدّم أنفه وفمه ومن كل طاير منقاره.

٢ ـ الصّبا كعصا ريح تهبّ من مطلع الشمس وهي احد الأرياح الأربعة وقيل الصّبا الّتي من ظهرك اذا استقبلت القبلة والدّبور عكسها والعَرَب تزعم أنّ الدّبور تزعج السحاب وتشخصه في اهواء ثم تسوقه فاذا علا كشف عنه واستقبلته الصّبا فوزّعت بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً والجنوب تلحق روادفه وتمدّه والشّمال تزقّ السّحاب وعن بعض أهل التّحقيق الصّبا محلّها ما بين مطلع الشمس والجدى في الأعتدال والشمال محلها من الجدى الى مغرب الشمس في الأعتدال و الدّبور من سهيل الى المغرب والجنوب من مطلع الشمس اليه.

٣ ـ غزر الماء بالضّمّ غزاراً غُزارة كثر فهو غزير أي كثير.

٤ ـ الحرّة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنّها احرقت بالنّار والجمع الحِرار والحرّات.

٥ ـ السّبخة بالفتح واحدة السّباخ وهى ارض مالحة يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الّا بعض الأشجار.

فاسداً وفي المناقب قال عمرو بن العاص للحسين ما بال الحاكم أوفر من لحانا فقرء هذه الآية .

(٥٩) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ جواب قسم محذوف قيل هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن ادريس أوّل نبيّ بعده .

والقمّي روي في الخبر أن اسم نوح عبد الغفّار وانما سمّي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه .

وفي العلل عن الصادق عليه السلام مثله قال وفي رواية اسمه عبد الأعلى .

وفي اخرى عبد الملك قال وفي رواية انّما سمّي نوحاً لأنّه بكى خمسمأة عام .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث إنَّ آدم عليه السلام بشّر بنوح عليه السلام وانّه يدعو إلى الله ويكذبه قومه فيهلكهم الله بالطوفان وأوصى ولده أن من أدركه منكم فليؤمن به وليتّبعه فانه ينجو من الغرق وكان بينهما عشرة آباء أنبياء وأوصياء وكانوا مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن .

وفيه والعياشي عنه عليه السلام كانت شريعة نوح أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وأخذ الله ميثاقه على نوح والنبيين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام ولم يفرض عليهم احكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعته فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ اعبدوه وحده مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وقرء بالجرّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إن لم تؤمنوا واليوم يوم القيامة أو يوم الطوفان .

(٦٠) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ أي الأشراف إِنَّا لَنَرىٰكَ فِي ضَلاَلٍ متمكّناً في ذهاب عن الحق والصواب مُبِينٍ بيّن .

(٦١) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ شيء من الضلال بالغ في النّفي كما بالغوا في الإثبات وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ على غاية من الهدى .

(٦٢) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي ما أُوحيَ إليّ في الأوقات المتطاولة وفي المعاني المختلفة

وقرء ابلغكم بالتخفيف ورسالة بالوحدة وَأَنْصَحُ لَكُمْ في زيادة اللام دلالة على اخلاص النصيحة وَاعْلَمُ مِنَ اللّهِ من صفاته وشدّة بطشه أو من جهته بالوحي مَا لاَ تَعْلَمُونَ أشياء لا علم لكم بها .

(٦٣) أَوَعَجِبْتُمْ الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم أَنْ جَاءَكُمْ من ان جاءكم ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ موعظة منه عَلىٰ رَجُلٍ على لسان رجل مِنْكُمْ وذلك انهم تعجبوا من ارسال البشر لِيُنْذِرَكُمْ ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي وَلِتَتَّقُوا بسبب الإنذار وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بالتقوى .

(٦٤) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ وهم من آمن به فِي الْفُلْكِ وَاغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بالطوفان إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ عمي القلب غير متبصرين وأصله عميّين ويأتي قصة نوح عليه السلام في سورة هود إن شاء الله .

(٦٥) وَإِلَىٰ عَادٍ وأرسلنا إلى عاد أَخَاهُمْ هُوداً يعني بالأخ الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب للواحد منهم .

والعياشي عن السجاد عليه السلام أنّه قيل له أنّ جدك قال اخواننا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم فقال ويلك أما تقرأ القرآن والى عاد أخاهم هوداً والى مدين اخاهم شعيباً والى ثمود أخاهم صالحاً فهم مثلهم وكانوا اخوانهم في عشريتهم وليسوا اخوانهم في دينهم .

وفي رواية اخرى قال فأهلك الله عاداً وانجى هوداً وأهلك الله ثمود وأنجى صالحاً وفي الإحتجاج ما يقرب من الروايتين قيل انّما جعل واحداً منهم ليكونوا به أسكن وعنه أفهم وهو من ولد سام بن نوح كما أنّ عاداً كذلك وقيل عاد جدّ هود .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث وبشّر نوح ساماً بهود وقال إنّ الله باعث نبياً يقال له هود وانّه يدعو قومه إلى الله فيكذبونه فيهلكهم بالرّيح فمن أدركه منهم فليؤمن به وليتبعه وكان بينهما أنبياء .

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام لمّا حضرت نوحاً الوفاة دعا الشيعة فقال

لهم اعلموا أنّه سيكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت وانّ الله عزّ وجلّ سيفرّج عليكم بالقائم من ولدي اسمه هود له سمت[١] وسكينة ووقار يشبهني في خَلْقي وخُلْقي .

وعنه عليه السلام إنَّ هوداً لما بعث سلّم له العقب من ولد سام وامّا الآخرون فقالوا من أشدّ منّا قوة فاهلكوا بالريح العقيم وأوصاهم هود وبشّرهم بصالح .

وفيه عن الباقر عليه السلام أنّ الأنبياء بعثوا خاصّة وعامة وأما هود فانّه أرسل إلى عاد بنبوّة خاصة قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ عذاب الله .

(٦٦) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرٰيكَ فِي سَفَاهَةٍ متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

(٦٧) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(٦٨) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ فيما ادعوكم من توحيد الله وطاعته أمينٌ ثقة مأمون في تأدية الرّسالة فلا أكذب ولا أغيّر .

(٦٩) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ مضى تفسيره وفي اجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم بمثلها مع علمهم بأنّهم أضلّ الخلق وأسفههم أدَبٌ حسن وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطفون السفهاء ويداروهم .

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ أي خلفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً قامة وقوّة .

في المجمع عن الباقر عليه السلام كانوا كالنّخل الطوال وكان الرّجل منهم

---

١ ـ السّمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السّكينة والوقار وحسن السّيرة والطّريقة واستقامة النظر والهيئة .

ينحر[١] الجَبل بيده فيهدم منه قطعة فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكي يفضى بكم ذكر النعم الى الشكر المؤدي الى الفلاح .

في الكافي عن الصادق عليه السلام أتدري ما آلآء الله قيل لا قال هي أعظم نِعَم الله على خلقه وهي ولايتنا .

(٧٠) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤ هم وانهماكاً في التقليد وحبّاً لما ألفوه فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فيه .

(٧١) قَالَ قد وَقَعَ وجب عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ عذاب من الإرتجاس وهو الإضطراب وَغَضَبٌ ارادة انتقام أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ في أشياء ما هي الا أسماء ليس تحتها مسميات لأنّكم سمّيتموها آلهةً ومعنى الإلهيّة فيها معدوم ونحوه ما تدعون من شيء مَا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ من حجة ولو استحقت للعبادة لكان استحقاقها بانزال آية من الله ونصب حجة منه فَانْتَظِرُوا نزول العذاب إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ .

(٧٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ في الدّين بِرَحْمَةٍ مِنّا عليهم وَقَطَعْنَا دابرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ يعني استأصلناهم وكان ذلك بأن انشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنّها ممطرهم فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم .

وفي الكافي والقمّي عن الباقر عليه السلام الرّيح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريخ قطّ إلاّ على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم فعتت[٢] على الخزّان فخرج على مقدار منخر الثّور تغيّظاً منها على قوم عاد فضجّ الخزنة الى الله تعالى من ذلك فقالوا يا ربنا انّها قد عتت عن أمرنا

---

١ ـ انتحر القوم على الشيء اذا تشاحّوا عليه حرصاً وتنافروا في القتال أي تقابلوا.

٢ ـ أي جاوزت الرّيح حدّ سعة الخاتم وانسلب الأخيار من الخزّان

ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك فبعث الله إليها جبرئيل فردّها بجناحه فقال لها أخرجي على ما أمرتِ به وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم .

وفي المجمع عنه عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفّل لو فتحت لأذرئت[1] ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلّا على قدر الخاتم قال وكان هوذ وصالح وشعيب واسماعيل ونبيّنا يتكلمون بالعربية ويأتي تمام قصة هود في سورة هود انشاء الله .

(٧٣) وَإِلَىٰ ثَمُودَ وأرسلنا إلى ثمود أَخَاهُمْ صَالِحاً هم قبيلة أخرى من العرب سمّوا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن آدم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود .

وفي الإكمال عن الباقر عليه السلام واما صالح فانه أرسل إلى ثمود وهي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ معجزة ظاهرة الدلالة على صحّة نبوّتي هٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً أضافها الى الله لأنّها خلقت بلا واسطة ولذلك كانت آية فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ العشب وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

(٧٤) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً في المجمع يروى أنّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتُوا في الجبال بيوتاً لأنّ السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ أي ولا تبالغوا في الفساد .

(٧٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا انفوا من اتباعه مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا للذين استضعفوهم واستذلوهم لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بدل من الذين أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالوه على الإستهزاء قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ .

---

١ ـ ذررت الجسد والملح والدواء أذره ذرّاً فرقته ومنه الذّريرة.

(٧٦) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ .

(٧٧) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ اسند العقر إلى جميعهم وان لم يعقرها الا بعضهم لأنّه كان برضاهم وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ تولوا واستكبروا عن امتثاله عاتين وهو ما أمر به على لسان صالح فذروها تأكل في أرض الله وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ .

(٧٨) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة وفي سورة هود وأخذ الذين ظلموا الصيّحة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلّها كانت من مباديها .

القمّي فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ خامدين ميّتين لا يتحركون يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم وأصل الجثوم اللّزوم في المكان .

(٧٩) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ قال ذلك متحسراً على ما فاته من إيمانهم متحزّناً لهم بعدما أبصرهم موتى صرعى .

في الكافي عن الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سأل جبرئيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح فقال يا محمّد أنّ صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومأة سنة لا يجيبونه الى خير قال وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم إنّي بعثت اليكم وأنا ابن ستّ عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومأة سنة وأنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسئلوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما سألتموني الساعة وان شئتم سألت آلهتكم فان أجابتني بالذي أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتموني فقالوا قد أنصفت يا صالح فاتعدوا ليوم يخرجون فيه قال فخرجوا بأصنامهم الى ظهرهم ثم قربوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا فلما ان فرغوا دعوه وقالوا يا صالح سل فقال لكبيرهم ما اسم هذا ؟ قالوا فلان.

فقال له صالح يا فلان أجب فلم يجبه فقال صالح ما له لا يجيب قالوا ادع غيره

قال فدعاه كلها بأسمائها فلم يجبه منها شيء فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها ما لك لا تجيبين صالحاً فلم تجب فقالوا تنحّ عنّا ودعنا وآلهتنا ساعة ثم نحّوا بسطهم وفرشهم ونحّوا ثيابهم وتمرّغوا على التراب وطرحوا التراب على رؤوسهم وقالوا لأصنامهم لئن لم تجيبي صالحاً اليوم لنفضحنّ قال ثمّ دعوه فقالوا يا صالح ادعها فدعاها فلم تجبه .

فقال لهم : يا قوم قد ذهب صدر النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني فاسئلوني حتى أدعوا إلهي فيجيبكم الساعة فانتدب له منهم سبعون رجلاً من كبرائهم والمنظور إليهم منهم فقالوا يا صالح نحن نسألك فان اجابك ربّك اتبعناك واجبناك ويبايعك جميع أهل قريتنا .

فقال لهم صالح سلوني ما شئتم فقالوا تقدم بنا الى هذا الجبل وكان الجبل قريباً منهم فانطلق معهم صالح فلمّا انتهوا الى الجبل قالوا يا صالح ادع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء وبَرْاء وعَشْراء بين جنبيها ميل فقال لهم صالح لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربّي تعالى .

قال : فسأل الله تعالى صالح ذلك فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لما سمعوا ذلك ثم اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة اذا أخذها المخاض ثم لم يفجأهم الا رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمّت رقبتها حتى اجترت[1] ثم خرج سائر جسدها ثم استوت قائمة على الأرض فلما رأوا ذلك قالوا يا صالح ما أسرع ماأجابك ربك ادع لنا ربّك يخرج لنا فصيلها فسأل الله ذلك فرمت به فدب حولها .

فقال لهم يا قوم أبقي شيء ؟ قالوا لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا وهم يؤمنون بك .

قال فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتى ارتد منهم أربعة وستون رجلاً وقالوا

---

١ ـ اجترّ البعير بالجيم والراء المهملة اكل ثانياً ما اخرجه ممّا اكله أولاً منه رحمه الله .

سحر وكذب .

قال فانتهوا إلى الجميع وقال الستة حق وقال الجميع سِحر وكذب .

قال فانصرفوا على ذلك ثم ارتاب من الستّة واحد فكان فيمن عقرها ، قال الرّاوي فحدثت بهذا الحديث رجلاً من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد فأخبرني أنه رأى الجبل الذي خرجت منه بالشام فرأيت جنبها قد حك الجبل فأثر جنبها فيه وجبل آخر بينه وبين هذا ميل .

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى كذبت ثمود بالنّذر هذا فيما كذّبوا صالحاً وما أهلك الله تعالى قوماً قطّ حتّى يبعث اليهم قبل ذلك الرسل فيحتجّوا عليهم فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبُوا وعتوا عليه وقالوا لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عَشْرَاء وكانت الصخرة يعظمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كل سنة ويجتمعون عندها فقالوا له ان كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع لنا إلهك حتى يخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء فأخرجها الله كما طلبوا منهم .

ثم أوحى الله إليه أن يا صالح قل لهم : إنَّ الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم ولكم شرب يوم فكانت الناقة اذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير الا شرب من لبنها يومهم ذلك فاذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم .

فمكثوا بذلك ما شاء الله ثم أنهم عتوا على الله ومشىٰ بعضهم الى بعض فقالوا اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها لا نرضى أن يكون لها شرب يوم ولنا شرب يوم ثم قالوا من الذي يلي قتلها ونجعل له جعلاً ما أحبّ فجاء لهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد الزّنا لا يعرف له أب يقال له قدّار[1] شقيّ من الأشقياء مشوم عليهم فجعلوا له جعلاً فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء الذي كانت ترده تركها حتى شربت ذلك الماء وأقبلت راجعة فقعد

---

١ ـ قال في مجمع البحرين وفي الحديث بئس العبدُ القاذورة وان الله يبغض العبد القاذورة القاذورة من الرّجال =

لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً فضربها ضربة أُخرى فقتلها وخرّت إلى الأرض على جنبها وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل فرغا ثلاث مرات إلى السماء وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد منهم الا شركه في ضربته واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلاّ أكل منها .

فلمّا رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال يا قوم ما دعاكم الى ما صنعتم أعصيتم ربّكم فأوحى الله إلى صالح أنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجّة عليهم ولم يكن عليهم منها ضرر وكان لهم فيها أعظم المنفعة فقل لهم إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام فان هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث .

فأتاهم صالح فقال لهم يا قوم انّي رسول ربكم إليكم وهو يقول لكم إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم فلما قال لهم ذلك كانوا اعتى ما كانوا وأخبث وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني وجوهكم محمّرة واليوم الثالثة وجوهكم مسودّة .

فلما ان كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاة منهم لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وان كان عظيماً فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرة فمشى بعضهم الى بعض فقالوا يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاة منهم لو أُهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤ نا يعبدونها ولم يتوبوا ولم يرجعوا

فلما كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودة فمشى بعضهم الى بعض وقال يا قوم قد آتيكم ما قال لكم صالح فقال العتاة منهم قد أتانا ما قال لنا صالح فلما كان نصّف الليل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم وفلقت

= الّذي لا يبالي بما قال وما صنع والقاذورة السيء الخلق وكأنّ المراد به هنا الوسخ الذي لم يتنزّه عن الأقذار وقد يطلق القاذورة على الفاحشة ورجل مقذار بخسه النّاس انتهى والظّاهر انّ اسم هذا الملعون الشّقيّ من هذه المادة.

قلوبهم وصدعت أكبادهم وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعون في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعية ولا راعية [ثاغية ولا راغية خ ل] ولا شيء إلّا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصتهم .

والقمّي ما يقرب من بعضَ ما في الحديث في سورة هود .

(٨٠) وَلُوطاً وأرسلنا لوطاً أو واذكر لوطاً في الكافي عن الصادق عليه السلام أن امّ ابراهيم وأمّ لوط كانتا أختين وهما ابنتان للاّحج وكان اللاّحج نبيّاً منذراً ولم يكن رسولاً .

وفي العلل والعياشي عن الباقرَ عليه السلام وكان لوط ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم أخت لوط وكان لوط وابراهيم نبيّين منذرين ، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ ابراهيم خرج من بلاد نمرود ومعه لوط لا يفارقه وسارة الى أن نزل بأعلى الشامات وخلف لوطاً بأدنى الشامات إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ توبيخ وتقريع على تلك السيئة المتمادية في القبح مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ما فعلها قبلكم أحد قطّ ، في الكافي والعلل عن أحدهما عليهما السلام في قوم لوط إن إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث وعليه ثياب حسنة فجاء الى شبان منهم فأمرهم أن يقعوا به ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه ولكن طلب إليهم أن يقعوا به فلما وقعوا به التذّوا ثم ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض ، وفي العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام أن أوّل من عمل عمل قوم لوط إبليس فانه أمكن من نفسه .

(٨١) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ من أتى المرأة إذا غشيها شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَآءِ تاركين إتيان النساء اللاتي أباح الله إتيانهنّ، وقرءانكم على الأخبار المستأنف بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ستجاوزون الحد في الفساد حتى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد .

(٨٢) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ أي ما جاؤا بما

يكون جواباً عن كلامه ولكنهم جاؤ ا بما لا يتعلق بكلامه ونصيحته من اخراجه ومن معه من قريتهم إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ من الفواحش والخبائث .

(٨٣) فَأَنْجَيْنَاهُ خلصنا لوطاً وَأَهْلَهُ المختصّين به من الهلاك إِلَّا امْرَأَتَهُ وهي واهلةً فانها كانت تسرّ الكفر وتوالي أهل القرية كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فيها فهلكوا .

(٨٤) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً نوعاً من المطر عجباً وهي أمطار حجارة من سجيل كما يأتي في موضع آخر فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ في المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهيهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء أشحّاء على الطعام فأعقبهم البُخْلُ الداءِ الذي لا دواء له في فروجهم وذلك أنّهم كانوا على طريق السيارة الى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى أن كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحُوه وانما فعلوا ذلك لينكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخيّاً كريماً يقرى الضيف إذا نزل بهم فنهوه عن ذلك فقالوا لا تقرى ضيفاناً تنزل بك فانّك إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه وذلك انه لم يكن للوط عشيرة فيهم .

وفي العلل والعياشي عنه عليه السلام مثله ويأتي تمام القصة في سورة هود والحجر انشاء الله .

(٨٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ وأرسلنا إلى مدين أَخَاهُمْ شُعَيْباً قيل هم أولاد مدين بن ابراهيم وشعيب منهم وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه سمّوا باسم جدّهم وسمّيت به قريتهم ، والقمي قال بعث الله شعيباً الى مدين وهي قرية على طريق الشام فلم يؤمنوا به .

وفي الإكمال عن الباقر عليه السلام أمّا شعيب فانّه أرسل الى مدين وهو لا يكمل

أربعين نبيّاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ وحده مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ معجزة شاهدة بصحة نبوّتي وهي غير مذكورة في القرآن ولم نجدها في شيء من الأخبار فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ أريد بالكيل المكيال كما في سورة هود وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ لا تنقصوهم حقوقهم جيء بالأشياء للتعميم وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بالكفر والحيف بَعْدَ إِصْلاَحِهَا بعدما أصلح فيه الأنبياء وأتباعهم باقامة الشرايع والسنن ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ في الإنسانية وحُسن الأحدوثة وما تطلبونه من الربح لأنّ الناس اذا عرفوا منكم النّصفة والأمانة رغبوا في متاجرتكم إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ مصدقين لي في قولي .

(٨٦) وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ بكل منهج من مناهج الدين مقتدين بالشيطان في قوله لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم تُوعِدُونَ تتوعدون وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ قيل كانوا يجلسون على الطرق فيقولون لمن يمرّ بها إنّ شعيباً كذّاب فلا يفتننّكم عن دينكم كما كانت تفعل قريش بمكّة وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً تطلبون لسبيل الله عوجاً يعني تصفونها بأنّها سبيل معوجة غير مستقيمة بالقاء الشبه لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً عَدَدَكم أو عُدَدكم فَكَثَّرَكُمْ بالنسل والمال قيل إنّ مدين بن ابراهيم الخليل تزوج بنت لوط فولدت له فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بهم .

(٨٧) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وقبلوا قولي وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا فتربصوا وانتظروا حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا أي بين الفريقين بأن ينصر المحق على المبطل وهذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه .

(٨٨) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا أي ليكونن أحد الأمرين والعود اما بمعنى الصيرورة أو ورود الخطاب على تغليب الجماعة على الواحد أو ورد على زعمهم وذلك لأن شعيباً لم يكن على ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر قط قَالَ شعيب أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ

أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها .

(٨٩) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فيما دعيناكم اليه إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا بأن أقام لنا الدليل على بطلانها وأوضح الحق لنا وَمَا يَكُونُ لَنَا وما يصح لنا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا خذلاننا ومنعنا الإلطاف بأن يعلم أنه لا ينفع فينا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب ، وقيل أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لإزدياد الايقان رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ احكم بيننا فانّ الفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ على المعنيين .

(٩٠) وَقَالَ الْمَلَؤُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ أشرافهم لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً تركتم دينكم إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ لاستبدالكم الضلالة بالهدى قالوها لمن دونهم يثبطونهم عن الإيمان .

(٩١) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة وفي سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة وفي المجمع عن الصادق عليه السلام بَعَث الله عليهم الصيحة الواحدة فماتوا وقد سبق نظيره فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ خامدين .

(٩٢) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوا فِيهَا أي استأصلوا كأن لم يقيموا بها والمعنى المنزل الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ديناً ودنيا والمعنى أنّهم هم المخصوصون بالهلاك والإستيصال وبالخسران العظيم دون اتباع شعيب لأنّهم الرابحون .

وفي هذا الإبتداء والتكرير تسفيه لرأي الملأ ورد لمقالتهم ومبالغة في ذلك .

(٩٣) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فلم تصدقوني فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ فكيف أحزن على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم العذاب النازل بهم .

(٩٤ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ البؤس والفقر وَالضَّرَّاءِ الضرر والمرض لَعَلَّهُمْ يَضرَّعُونَ لكي يتضرعوا ويتوبوا ويتذلّلوا

(٩٥) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ أي رفعنا ما كانوا فيه من البلاء والمحنة ووضعنا مكانه الرخاء والعافية حَتَّى عَفَوْا أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات أي كثر ومنه إعفاء اللحى .

وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ بطرتهم النعمة فتركوا شكر الله ونسوا ذكر الله وقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين السرّاء والضرّاء وقد مسّ آباءنا نحو ذلك فلم ينتقلوا عما كانوا عليه فكونوا[1] على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فجأة عبرة لمن كان بعدهم وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ أنّ العذاب نازل بهم الا بعد حلوله .

(٩٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ولو أنّهم آمَنُوا بدل كفرهم وَاتَّقَوْا الشرك والمعاصي لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لوسعنا عليهم الخيرات ويسرناها لهم من كل جانب بانزال المطر واخراج النبات وغير ذلك وَلَكِنْ كَذَّبُوا الرسل فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بسوء كسبهم .

(٩٧) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ المكذبون لنبيّنا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا عذاباً بَيَاتاً ليلاً وقت بيات وَهُمْ نَائِمُونَ .

(٩٨) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً ضحوة النهار وهو في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت وقرء بسكون الواو وَهُمْ يَلْعَبُونَ يشتغلون بما لا ينفعهم .

---

١ ـ متفرّع على قولهم هذه عادة الدّهر أي قالوا هذه عادة الدّهر آه فكونوا.

(٩٩) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ مكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب .

والقمّي المكر من الله العذاب فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ بترك النظر والإعتبار فيه تنبيه على ما يجب أن يكون عليه العبد من الخوف لعقاب الله واجتناب المعصية .

(١٠٠) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم وانّما عدى يهد باللّام لأنّه بمعنى يبيّن أَنْ لَوْ نَشَاءُ أنه لو نشاء أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مستأنف يعني ونحن نطبع على قلوبهم فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سماع تفهم واعتبار .

(١٠١) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا بعض أنبائها وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عند مجيئهم بها بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ من قبل مجيئهم القمّي قال لا يؤمنون في الدنيا بما كذّبوا في الذرّ وهو ردّ على من أنكر الميثاق في الذّرّ الأوّل .

وفي الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّ الله خلق الخلق فخلق من أحبّ مما أحبّ وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ثم بعثهم في الظلال فقيل وأيّ شيء الظلال قال ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيء وليس بشيء ثم بعث منهم النبيّين فدعوهم الى الإقرار بالله وهو قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله ثمّ دعوهم الى الإقرار بالنبيّين فأقرّ بعضهم وأنكر بعض ثمّ دعوهم الى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض وهو قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به[1] من قبل ثم قال عليه السلام كان التكذيب ثمّ .

وفي رواية أخرى فمنهم من أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه فقال الله وما كانوا ليؤمنوا

---

١ ـ لفظة به في القرآن انما هي في سورة يونس وليست هنا. منه رحمه الله.

بما كذّبوا به من قبل .

والعياشي عنهما عليهما السلام أنّ الله خلق الخلق وهم أظلّة فأرسل إليهم رسوله محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلم فمنهم من آمن به ومنهم من كذّبه ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من آمن به في الأظلّة وجحده من جحده يومئذ فقال ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل .

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية بعث الله الرّسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء فَمَنْ صدّق حينئذ صدق بعد ذلك ومن كذّب حينئذٍ كذّب بعد ذلك كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ .

(١٠٢) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وفاء عهد فانّ أكثرهم نقضوا عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ وانه علمنا أكثرهم خارجين عن الطاعة .

في الكافي عن الكاظم عليه السلام أنّها نزلت في الشّاك .

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال لأبي بصير يا أبا بصير انّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا ولو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم حيث يقول جلّ ذكره وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين .

والعيّاشي عن أبي ذر والله ما صدق أحد ممّن أخذ ميثاقه فوفى بعهد الله غير أهل بيت نبيّهم وعصابته قليلة من شيعتهم وذلك قول الله وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .

(١٠٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ بِآيَاتِنَا بالمعجزات إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقّها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن مَلَكَ مصر ككِسرىٰ لمن ملك فارس وقيصر لمن ملك الرّوم وكان اسمه قابوس او الوليد بن مصعب بن الريّان فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ في الإكمال عن الباقر عليه السلام في حديث ثم أنّ الله تبارك وتعالى أرسل

الأسباط اثني عشر بعد يوسف ثم موسى وهٰرون إلى فرعون وملأه الى مصر وحدها .

والعيّاشي مرفوعاً أنّ فرعون بنى سبع مداين يتحصّن فيها من موسى وجعل فيما بينها آجاماً وغياضاً[1] وجعل فيها الأُسْدَ ليتحصن بها من موسى قال فلمّا بعث الله موسى إلى فرعون فدخل المدينة فلمّا رآهُ الأسد تبصبصت وولّت مدبرة ثم قال لم يأت مدينة الا انفتح له بابها حتى انتهى الى قصر فرعون الذي هو فيه قال فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه فلمّا خرج اذن قال له موسى استأذن لي على فرعون لم يلتفت إليه قال فمكث بذٰلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له قال فلمّا أكثر عليه قال له أما وجد ربّ العالمين من يرسل غيرك قال فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب الا انفتح حتى نظر إليه فرعون وهو في مجلسه فقال ادخلوه فدخل عليه وهو في قبّة له مرتفعة كثيرة الإرتفاع ثمانون ذراعاً قال فقال إنّي رسول ربّ العالمين اليك قال فقال فأت بآية إن كنت من الصادقين قال فألقى عصاه وكان له شعبتان قال فاذا حيّة قد وقع احدى الشعبتين في الأرض والشعبة الاخرى في أعلى القبّة قال فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً قال وأهوت إليه فأحدث وصاح يا موسىٰ خذها .

(١٠٤) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إليك حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وكان أصله حقيق عليّ أن لا أقول فقلب لأمن الإلتباس أو لأنّ ما ألزمك فقد لزمته أو للاغراق في الوصف بالصدق يعني أنّه حقّ واجب عليّ القول الحقّ أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي أو ضمّن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباءْ كقولهم رميت السّهم على القوس وقرء عليّ على الأصل وعن أُبيّ أنه قرء بالباء وقرء في الشواذ بحذف على قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فخلهم حتى يرجعوا معي الى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال الشاقة .

(١٠٦) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ من عند من أرسلك فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

---

١ ـ الغيضة الأجمة وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض واغياظ وغيّض الأسد اي ألف ألف الغضة.

الصَّادِقِينَ في الدعوى .

(١٠٧) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ظاهر أمره لا يشكّ في أنّه ثعبان وهي الحيّة العظيمة .

(١٠٨) وَنَزَعَ يَدَهُ من جيبه فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ بياضاً نوارانيّاً غلب شعاعه شعاع الشمس ، وكان موسى آدم شديد الأدمة فيما يروى .

(١٠٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ في سورة الشعراء قال للملأ حوله ولعلّه قاله وقالوه أو قالوه عنه .

(١١٠) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ تشيرون في أن نفعل .

(١١١) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ أخّرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبّر أمرهما .

العياشي مقطوعاً لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح ولو كان لأمَر بقتلهما قال وكذلك نحن لا يسرع الينا الا كل خبيث الولادة ، وقرء ارجه بحذف الهمزة الثانية وكسر الهاء مع الإشباع وبدونه وبسكون الهاء من غير همز وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

(١١٢) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وقرء سحّار .

(١١٣) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ .

(١١٤) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وقرء انّ لنا على الأخبار وايجاب الأجر .

(١١٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ خيّروه مراعاة للأدب ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبّهوا عليه بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ .

(١١٦) قَالَ أَلْقُوا كرماً وتسامحاً وقلّة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد الإلهي فَلَمَّا أَلْقَوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ بأن خيّلوا اليها ما الحقيقة بخلافه بالحيل

والشعوذة[١] وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وأرهبوهم ارهاباً شديداً كأنّهم طلبوا رهبتهم وَجَاؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ في فنه ، روى أنّهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنّها حيّات ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً .

(١١٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَأَلْقَيْها فصارت حيّة عظيمة فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ما يزّورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه وقرء تلقف بالتخفيف حيث كان روي أنّها لما تلقّفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا .

(١١٨) فَوَقَعَ الْحَقُّ فحصل وثبت لظهوره أمره وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من السحر والمعارضة .

(١١٩) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ صاروا أذلّاء منهزمين .

(١٢٠) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ وخرّوا سجّداً كأنّما القاهم مُلقٍ لشدة خرورهم ولعل الحق بَهَرهم[٢] واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك لينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليه .

(١٢١) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

(١٢٢) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ابدلوا الثاني من الأوّل لئلا يتوهّم أنّهم أرادوا به فرعون .

(١٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ وقرء بحذف الهمزة على الاخبار إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ إنّ هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل

---

١ ـ الشّعوذة خفّة في اليد واخذ كالسّحر يري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين وهو مشعَوذ ومشعوذ والأُخذة بالضّمّ رقية كالسّحر او خرزة يؤخذ بها.

٢ ـ بهَره بهراً أي غلبه.

أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء وتواطأتم على ذلك لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا يعني القبط وتخلّص لكم ولبني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وعيد مجمل يفصله ما بعده .

(١٢٤) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ أي من كل شق طرفاً ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم .

(١٢٥) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ أي لا نبالي بالموت والقتل لانقلابنا إلى لقاء ربّنا ورحمته وانا جميعاً ننقلب إلى الله فيحكم بيننا .

(١٢٦) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا أي وما تنكر منا وتعيّب الا الإيمان بآيات الله وهو أصل كل منقبة وخير رَبَّنَا أَفْرِغْ افض عَلَيْنَا صَبْرًا واسعاً كثيراً يغمرنا كما يفرغ الماء وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ثابتين على الإسلام .

(١٢٧) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ معبوداتك ، القمي قال كان فرعون يعبد الأصنام ثم ادعى بعد ذلك الرّبوبيّة .

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قرء ويدرك والا هتك يعني عبادتك وقيل انّ فرعون صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه ولذلك قال أنا ربّكم الأعلى قَالَ فرعون سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة وان غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا وقرء سنقتل بالتخفيف وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ غالبون وانهم مقهورون تحت أيدينا .

(١٢٨) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا تسكيناً لهم من ضجرهم بوعيد فرعون وتسلية لقلوبهم إِنَّ الْأَرْضَ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وعد لهم منه بالنصرة وتذكير لما كان قد وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له .

العياشي عن الصادق عليه السلام قال ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

قال فما كان لله فهو لرسوله وما كان لرسول الله فهو للإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم .

وعن الباقر عليه السلام قال وجدنا في كتاب عليّ أنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وأنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ونحن المتّقون والأرض كلها لنا فمن أحيىٰ أرضاً من المسلمين فعمرها فليؤد خراجها الى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها فان تركها وأخر بها بعدما عمرها فأخذها رجل من المسلمين بعده فعمرها وأحياها فهو أحق به من الذي تركها فليؤد خراجها الى الإمام من اهل بيتي وله ما اكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف فيحوزها ويمنعها ويخرجهم عنها كما حواها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ومنعها الا ما كان في أيدي شيعتنا فانه يقاطعهم ويترك الأرض في أيديهم .

(١٢٩) قَالُوا أي بنو إسرائيل أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا بالرسالة قيل أي بقتل الأنبياء وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا أي بإعادته .

والقمّي قال قال الذين آمنوا بموسى قد أوذينا قبل مجيئك يا موسى بقتل أولادنا ومن بعدما جئتنا لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ صرح بما كنّى عنه أوّلاً لما رأى أنهم لم يتسلّوا بذلك فَيَنْظُرَ فيرى كَيْفَ تَعْمَلُونَ من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم .

(١٣٠) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنين بالجدوب لقلّة الأمطار والمياه والقمّي يعني السنين المجدبة .

أقول : السنّة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرّخ به ثمّ اشتق منها فقيل أَسْنَتَ القوم اذا أقحطوا[1] وَنَقصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ بكثرة العاهات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

---

١ ـ القحط بالتحريك الجدب وقحط المطر يقحط من باب نفع اذا احتبس وحكى عن الفرّاء قحط المطر من باب تعب وقحط القوم أصابهم القحط وقحطوا على ما لم يسمّ فاعله

لكي يتنبهوا على أنّ ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا وليرق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده .

(١٣١) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ من الخصب والسعة قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ لأجلنا ونحن مستحقوها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ جدب وبلاء يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ يتشأموا بهم ويقولوا ما أصابتنا الا بشؤمهم ، القمّي قال الحسنة هيهنا الصحة والسلامة والأمن والسعة والسيئة هنا الجوع والخوف والمرض أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته كما قال قل كل من عند الله وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

(١٣٢) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ أي شيء تأتنا لتموّه علينا فما نحن لك بمصدقين أرادوا أنهم مصرون على تكذيبه وان أتى بجميع الآيات .

(١٣٣) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ما طاف بهم وغشيهم .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل ما الطوفان فقال هو طوفان الماء والطاعون وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ قيل هو كبار القِردان وقيل هو صغار الجراد وقيل[1] غير ذلك وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ مبيّنات لا يشكل على عاقل أنّها آيات الله ونقمته عليهم أو مفصلات لإمتحان أحوالهم إذ كان بين كل آيتين منها سنة وكان امتداد كل واحدة أسبوعاً فَاسْتَكْبَرُوا عن الإيمان وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ .

(١٣٤) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ العذاب ، العياشي عن الرضا عليه السلام الرّجز هو الثلج ثم قال خراسان بلاد رجز .

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام أنه أصابهم ثلج أحمر لم يروه قبل ذلك

---

(١) وقيل الدّبا الّذي لا أجنحة له قال بعض المفسّرين : اختلف العلماء في القمّل المرسل على بني اسرائيل فقيل هو السوس والّذي يخرج من الحنطة وقيل غير ذلك وروي أنّ موسى عليه السّلام مشى إلى كثيب أعفر كثيب مهيل فضربه بعصاه فانتثر كلّه قملاً في مصر فتتبّع حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضّه وكان أحدهم يأكل الطّعام فيمتلىء قملاً فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من القمّل فانّه أخذ شعورهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنّه الجدري ومنعهم النّوم والقرار.

فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ بعهده عندك لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

(١٣٥) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إلى حد من الزمان هم بالغوه إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه .

(١٣٦) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فاردنا الإنتقام منهم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ في البحر الذي لا يدرك قعره بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ القمّي مقطوعاً ونسب حديثه في المجمع إلى الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام قال لما سجد السحرة وآمن به الناس قال هامان لفرعون إنّ الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل فجاء إليه موسى فقال له خل عن بني إسرائيل فلم يفعل فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فخرّب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البريّة وضربوا الخيام .

فقال فرعون لموسى ادع لنا ربّك حتى يكف عنّا الطوفان حتى أخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطوفان وهمّ فرعون ان يخلّي عن بني إسرائيل فقال له هامان إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فجرّدت كل شيء كان بهم من النّبت والشجر حتى كانت تجرّد شعرهم ولحيتهم فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال :

يا موسى ادع ربّك أن يكفّ عنّا الجراد حتى أخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك فدعا موسى ربه فكف عنهم الجراد فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمّل فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة فقال فرعون لموسى إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرائيل فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل وقال أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزمان فلم يخلّ عن بني إسرائيل فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم ويقال أنها تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاؤا إلى موسى فقالوا :

ادع الله يذهب عنّا الضفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك من بني إسرائيل فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك فلما أبوا أن يخلّوا عن بني إسرائيل حوّل الله ماء النيل دماً فكان القبطي رآه دماً والإسرائيليّ رآه ماءً فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً وإذا شربه القبطي يشربه دماً وكان القبطي يقول للإسرائيلي خذ الماء في فمك وصبّه في فمي فكان إذا صبه في فم القبطي يحول دماً فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فقالوا لموسى لئن رفع عنا الدم لنرسلنّ معك بني اسرائيل فلما رفع الله عنهم الدم غدروا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الرّجز وهو الثلج ولم يروه قبل ذلك فما توافيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله فقالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرّجز لنؤمنن لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا ربّه فكشف عنهم الثلج فخليّ عن بني إسرائيل فلمّا خليّ عنهم اجتمعوا الى موسى وخرج موسى من مصر واجتمع إليه من كان هَرَب من فرعون وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل فقد استجمعوا إليه فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين وخرج في طلب موسى .

(١٣٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ يعني بني إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالإستعباد وذبح الأبناء مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يعني أرض مصر والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكّنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب والعيش وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ومضت عليهم واتصلت بانجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين وهي قوله عزّ وجلّ ونريد أن نمنّ على الذين اسْتُضْعِفُوا إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرء كلمات ربّك لتعدّد المواعيد بِمَا صَبَرُوا بسبب صبرهم على الشدائد وَدَمَّرْنَا وخربنا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ من القصور والعمارات وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ من الجنان أو ما كانوا يرفعون من البنيان وقرء بضمّ الراء .

(١٣٨) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ بعد مهلك فرعون فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ فمرّوا عليهم يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ يقيمون على عبادتها قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا صنماً

نعبده كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ يعبدونها قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ .

(١٣٩) إِنَّ هٰؤُلَاءِ اشارة الى القوم مُتَبَرٌّ مدمّر مكسّرٌ مَا هُمْ فِيهِ إنّ الله يهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم أصنامهم هذه ويجعلها رضاضاً وَبَاطِلٌ مضمحل مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من عبادتها لا ينتفعون بها وان قصدوا بها التقرب الى الله عزّ وجلّ .

(١٤٠) قَالَ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً أطلب بكم معبوداً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ والحال أنّه خصّكم بنعم لم يعطها غيركم .

(١٤١) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرء أنجيكم يَسُومُونَكُمْ سِوءَ الْعَذَابِ يبغونكم ويكلفونكم شدة العذاب يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وقرء بالتخفيف وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ في الإنجاء نعمة عظيمة أو في العذاب محنة عظيمة .

(١٤٢) وواعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ذا القعدة وقرء ووعدنا وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ من ذي الحجة فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً قد سبق تفسيره في سورة البقرة مبسوطاً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي كن خليفتي فيهم وَأَصْلِحْ ما يجب أن يصلح من أمورهم وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ولا تطع من دعاك إلى الإفساد ولا تسلك طريقه .

(١٤٣) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا لوقتنا الذي وقتناه له وحدّدناه وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ من غير واسطة كما يكلم الملائكة قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ أرني نفسك واجعلني متمكّناً من رؤيتك بأن تتجلّى لي فأنظر إليك وأراك قَالَ لَنْ تَرَانِي لن تطيق رؤيتي وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ لما تجليت عليه فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره جَعَلَهُ دَكّاً مدكوكاً مفتّتاً والدك والدق متقاربان وقرء دكّاء أي أرضاً مستوية وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً مغشياً عليه من هول ما رأى فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ تعظيماً لما رأى سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ من الجرأة والإقدام على مثل هذا السؤال وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بأنّك لا ترى .

في المجمع عن الصادق عليه السلام أنا أوّل من آمن وصدق بأنّك لا ترى .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام أنّه سئل كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى

ابن عمران لا يعلم ان الله لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال فقال عليه السلام إن كليم الله علم أنّ الله منزه عن أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلّمه الله وقربه نجيّاً[1] رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه فقالوا لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته وكان القوم سبعمأة ألف فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمأة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح[2] الجبل وصعد موسىٰ الى الطور وسأل الله أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأنّ الله أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن بأنّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرىٰ الله جهرةً .

فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عليهم صاعقة يعني ناراً وقع من السماء فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا فقال موسى يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنّك ذهبت بهم فقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك فأحياهم وبعثهم معه فقالوا إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك فتخبرنا كيف هو ونعرفه حقّ معرفته .

فقال موسى يا قوم إنّ الله لا يرىٰ بالأبصار ولا كيفية له وانّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله اليه يا موسى سلني ما سألوك فلم أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى ربّ أَرِني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فان استقرّ مكانه وهو يهوي فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل بآياته من آياته جعله دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً فلمّا افاق قال سبحانك تبت إليك يقول رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أوّل المؤمنين منهم بأنّك لا ترىٰ .

وفي الإكمال عن القائم عليه السلام في كلام فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفيه

---

١ ـ قوله تعالى قرّبناه نجيّاً أي مناجياً وهو مصدر كالصّهيل والنّعيق يقع على الواحد والجماعة.

٢ ـ سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء.

الله للنّبوة يعني موسى عليه السلام واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا اختيار الا لمن يعلم ما في الصدور وتكن الضمائر الحديث ويأتي تمامه في سورة القصص انشاء الله .

وفي التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وسأل موسى وجرى على لسانه من حمد الله عزّ وجلّ ربّ أرني انظر إليك فكانت مسألته تلك امراً عظيماً وسأل امراً جسيماً فعوتب فقال الله تعالى لن تراني في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فانظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فأبدى الله سبحانه بعض آياته وتجلّى ربّنا للجبل فتقطّع الجبل فصار رميماً وخرّ موسى صَعِقاً ثم أحياه الله وبعثه فقال سبحانك تبت إليك وأنَا أوّل المؤمنين يعني أوّل من آمن بك منهم انّه لن يراك .

والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّ موسى بن عمران لمّا سأل موسى ربّه النّظر إليه وعده الله أن يقعد في موضع ثم أمر الملائكة أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق فكلما مرّ به موكب ارتعدت فرائصه[1] فيرفع رأسه فيسأل أفيكم ربّي فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يا ابن عمران .

وعنه وعن الباقر عليهما السلام لما سأل موسى عليه السلام ربّه تعالى قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني قال فلما صعد موسى الجبل فتحت أبواب السماء وأقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العُمُد وفي رأسها النور يمرون به فوجاً بعد فوج يقولون يا ابن عمران أثبت فقد سألت عظيماً قال فلم يزل موسى عليه السلام واقفاً حتى تجلّى ربّنا جلّ جلاله فجعل الجبل دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً فلمّا أن ردّ الله إليه روحه وأفاق قالَ سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين .

---

١ ـ في الحديث ارتعدت فرائصه واصطكّت فرائص الملائكة هي جمع فريصة وهي اللّحمة بين جنب الدابة وكتفها لا تزال ترعد من الدّابة وجمعها ايضاً فريص وفريص العنق اوداجها الواحدة فريصة .

وفي رواية أنّ النار أحاطت بموسى عليه السلام لئلاّ يهرب لهول ما رأى وقال لمّا خرّ موسى صَعِقاً مات فلمّا أن ردّ الله روحه أفاق فقال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين .

والقمّي في قوله ولكن انظر الى الجَبَل قال فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجَبَل فساخ[1] الجبل في البحر فهو يهوي حتى الساعة ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السماء فأوحى الله إلى الملائكة ادركوا موسىٰ لا يهرب فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا اثبت يا ابن عمران فقد سألت الله عظيماً فلما نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه من خشية الله وهول ما رأى فرد الله عليه روحه فرفع رأسه وأفاق وقال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين أي أوّل من صدّق أنّك لا ترىٰ .

وفي البصائر عن الصادق عليه السلام أن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خَلْف العرش لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ثمّ قال انّ موسى عليه السلام لمّا سأل ربّه ما سأل أمر واحداً مِنَ الكروبيين فتجلى للجَبَل وجَعَله دكّاً ، قال في الجوامع وقيل في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بقوله أرني انظر إليك عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جَليّاً باظهار بعض آيات الآخرة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر إليك أعرفك معرفة ضرورية كأنّي أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جليّة هو في الجلاء مثل أبصاركم القمر إذا امتلى واستوى بدراً قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوّتك تلك الآية ولكن انظر إلى الجبل فانّي أورد عليه آية من تلك الآيات فان ثبت لتجلّيها واستقر مكانه فسوف تثبت بها وتطيقها فلما تجلى ربّه فلما ظهرت للجَبَل آية من آيات ربّه جعله دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وأنا أوّل المؤمنين بعظمتك وجلالك .

أقول : تحقيق القول في رؤية الله سبحانه ما أفاده مولانا أمير المؤمنين عليه

---

١ ـ ساخت قوائمه في الأرض تسوخ سوخاً وتسيخ سيخاً من باب قال وباع دخلت فيها وغابت وساخت فرسي غاصت في الأرض وساخت بهم الأرض بالوجهين خسفت ويعدى بالهمزة فيقال اساخه الله ـ

السلام لم تره العيون بمشاهدة الأبصار[1] ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس موصوف بالآيات معروف بالعلامات وقال عليه السلام لم اعبد رباً لم أره .

وفي التوحيد عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الله عزّ وجلّ هل يراهُ المؤمنين يوم القيامة قال نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقيل متى قال حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وانّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة ألست تراه في وقتك هذا قيل فأحدّث بها عنك فقال لا فانّك إذا حدّثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثم قدر انّ ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عمّا يصفه المشبهون والملحدُونَ .

(١٤٤) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ اخترتك عَلَى النَّاسِ أي الذين في زمانك وهُرون وان كان نبيّاً كان مأموراً باتباعه ولم يكن كليماً ولا صاحب شرع بِرِسَالَاتِي يعني أسفار التوراة وقرء برسالتي وَبِكَلَامِي وبتكليمي إيّاك فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ما أعطيتك من الرسالة وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ على النعمة فيه .

روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر .

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال أوحى الله تعالى إلى موسى ان يا موسى تدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال ربّ ولم ذاك قال فأوحى الله تعالى إليه يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك يا موسى إنّك إذاً صليت وضعت خدّك على التراب أو قال على الأرض ، وفي العلل عنه عليه السلام ما يقرب منه .

(١٤٥) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وما يحتاجون إليه من أمر الدين مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وكانت زبرجدة من الجنة كما رواه .

---

١ بالكسر على المصدر في مقابلة الإيمان وفي توحيد الصّدوق العيان مكان الأبصار وحقايق الايمان اركانه من التصديق بالله وبوحدانيته واعتبارات اسمائه وصفاته عزّ وجلّ ولرؤية الله سبحانه بالقلوب مراتب بحسب درجات الإيمان قوةً وضعفاً .

العياشي عن الصادق عليه السلام وفي البصائر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنها كانت من زمرّد أخضر فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ بجدّ وعزيمة القمّي أي قوة القلب وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة الى الانتقام والإقتصاص وهو مثل قوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم وقوله فيتبعون أحسنه سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله الخارجة عن طاعة الله ليعتبروا ، العياشي عن الصادق عليه السلام في الجفر أنّ الله عزّ وجلّ لما أنزل الألواح على موسى أنزلها عليه وفيها تبيان كل شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم الساعة فلما انقضت أيام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح وهي زبرجدة من الجنة جبلاً يقال له زينة فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة فلما جعلها فيه انطبق الجبل عليها فلم تزل في الجبل حتى بعث الله نبيه صلّى الله عليه وآله وسلم فأقبل ركب من اليمن يريدون الرسول .

فلما انتهوا الى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى فأخذها القوم فلما وقعت في أيديهم القى في قلوبهم أن لا ينظروا إليها وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله جبرئيل على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلم فأخبره بأمر القوم بالذي أصابوه فلما قدموا على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وسلموا عليه ابتدأهم فسألهم عمّا وجدوا فقالوا وما علمك بما وجدنا قال أخبرني به ربّي وهو الألواح قالوا نشهد أنّك لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخرجوها فوضعوها إليه فنظر إليها وقرأها وكانت بالعبراني .

ثم دعا أمير المؤمنين عليه السلام فقال دونك هذه ففيها علم الأولين والآخرين وهي ألواح موسى وقد أمرني ربّي أن أدفعها إليك فقال لست أحسن قرائتها قال إنّ جبرئيل أمرني أن آمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فانك تصبح وقد علمت قرائتها قال فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كلّ شيء فيها فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بنسخها فنسخها في جلد وهو الجفر وفيه علم الأولين والآخرين وهو عندنا والألواح عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثنا النّبيين أجمعين .

قال : قال أبو جعفر عليه السلام تلك الصخرة التي حفظت ألواح موسى تحت شجرة في وادٍ يعرف بكذا .

وفي البصائر أنّ الباقر عليه السلام عرّف تلك الصخرة ليماني دخل عليه وفيه هذا الخبر بنحو آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام وفي آخره فأخذ النبي صلّى الله عليه وآله وسلم واذا هو كتاب بالعبرانية وفتق فدفعه إليّ ووضعته عند رأسي فأصبحت بالغداة وهو كتاب بالعربية جليل فيه علم ما خلق الله منذ قامت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة فعلمت ذلك .

(١٤٦) سَأَصرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ منزلة أو معجزة لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لاختلاف عقولهم بسبب انهماكهم في التقليد والهوى في الحديث اذا عظّمت أمّتي الدنيا نزعت عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وقرىء الرشد بفتحتين وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .

القمّي قال إذا رأوا الإيمان والصدق والوفاء والعمل الصالح لا يتخذوه سبيلاً وان يروا الشرك والزنا والمعاصي يأخذوا بها ويعملوا بها ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات .

(١٤٧) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ لا ينتفعون بها هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إلّا جزاء أعمالهم .

(١٤٨) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ من بعد ذهابه للميقات مِنْ حُلِيِّهِمْ وقرء بكسر الحاء عِجْلًا جَسَداً خالياً من الروح لَهُ خُوَارٌ صوت كصوت البقر قد مضى قصة العجل مبسوطة في سورة البقرة .

العيّاشي عن الباقر عليه السلام أن في ما ناجى موسى ربه أن قال يا رب هذا السامري صنع العجل فالخوار من صنعه قال فأوحى الله إليه يا موسى إنّ تلك فتنتي فلا تفحص عنها .

وعن الصادق عليه السلام قال يا رب ومَنْ أَخارَ الصَّنَم فقال الله يا موسى أنا أخرتُه فقال موسى إن هي الا فتنتك تضلّ بها من تَشاء وتهدي من تشاء **أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا** تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر يعني أنه ليس كاحاد البشر فكيف يكون خالقُ القوى والقدر **اتَّخَذُوهُ إِلَٰهًا وَكَانُوا ظَالِمِينَ** واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً مِنهم .

(١٤٩) **وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ** كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها **وَرَأَوْا** وعلموا **أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا** باتخاذ العجل **قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا** بالتجاوز عن الخطيئة **لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** وقرء بالخطاب والنداء .

(١٥٠) **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ اسِفاً** شديد الغضب أو حزيناً **قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي** أي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله **أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ** يقال عجل من الأمر إذا تركه غير تام وأعجله عنه غيره ويضمّن معنى سبق فيقال عجل الأمر والمعنى اتركتم أمر ربّكم غير تام وهو انتظار موسى حافظين لعهده **وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ** طرحها من شدة الغضب لله وفرط الضجر حميّة للدين رُوي أنه لما ألقاها انكسرت فذهبت بعضها .

وفي البصائر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ منها ما تكسر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع .

وعن الباقر عليه السلام أنه عرف يمانياً صخرة باليمن ثم قال تلك الصخرة التي التقمت ما ذهب من التوراة حين القى موسى الألواح فلما بعث الله رسوله أدّته إليه وهي عندنا .

وفي المجمع عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم رحم الله أخي موسى عليه السلام ليس المخبر كالمعاين لقد أخبره الله بفتنة قومه ولقد عرف أنّ ما أخبره ربه حق وان على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع إلى قومه ورآهم فغضب والقى الألواح .

والعياشي عن الصادق عليه السلام ما في معناه وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ[١].

في العلل عن الصادق عليه السلام وذلك لأنّه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب قَالَ ابْنَ أُمَّ وقرء أمِّ بالكسر انما نسبه الى الأمّ لأنّه أقرب إلى الإستعطاف .

وفي العلل عنه ولم يقل يا ابن أبي لأن بني الأب اذا كانت أمهاتهم شتى لم يستبعد العداوة بينهم إلاّ من عصمة الله منهم وانما يستبعد بين بني أُمّ واحدة .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة أنّه كان أخاه لأبيه وأمّه .

والقمّي مثله عن الباقر والصادق عليهما السلام قيل وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وكان حمولاً[٢] ليّناً ولذلك كان احب إلى بني إسرائيل .

والقمّي عن الباقر عليه السلام أنّ الوحي ينزل على موسى وموسى عليه السلام يوحيه الى هارون وكان موسى الذي يناجي ربّه ويكتب العلم ويقضي بين بني إسرائيل قال ولم يكن لموسى ولد وكان الولد لهارون إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي قهروني واتخذوني ضعيفاً ولم آلِ جُهداً في كفّهم بالانذار والوعظ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي وقاربوا قتلي لشدة انكاري عليهم فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة عليّ ونسبة التقصير إليّ .

(١٥١) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

(١٥٢) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ قيل هو ما أمروا من قتل أنفسهم وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا قيل هي خروجهم من ديارهم وقيل هي الجزية

---

١ ـ قيل في معناه انّ موسى انّما فعل ذلك مستعظماً لفعلهم مفكّراً فيما كان منهم كما يفعل الإنسان بنفسه عند حالة الغضب وشدة الفكر مثل ذلك فيقبض على لحيته ويعضّ على شفتيه فاجرى موسى اخاه مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الإنسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر.

٢ ـ حَمَلَ عنه حَلُمَ فهو حمول ذو حلم .

وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وافتراؤهم قولهم هذا إلهكم وإله موسى .

في الكافي عن الباقر عليه السلام أنّه تلا هذه الآية فقال فلا ترى صاحب بدعة إلاّ ذليلاً ولا مفترياً على الله وعلى رسوله وأهل بيته إلا ذليلاً .

(١٥٣) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ من الكفر والمعاصي ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا من بعد السيئات وَآمَنُوا وعملوا بمقتضى الإيمان إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا من بعد التوبة لَغَفُورٌ رَحِيمٌ .

(١٥٤) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ عبّر عن سكون الغضب واطفائه بالسكوت تنبيهاً على أنّ الغضب كان هو الحامل له على ما فعل والأمر له به والمغرى عليه وهذا من البلاغة في الكلام أَخَذَ الْأَلْوَاحَ التي ألقيها وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً دلالة وبيان لما يحتاج إليه من أمر الدين وَرَحْمَةٌ نعمة ومنفعة لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ معاصي الله .

(١٥٥) وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ من قومه من باب الحذف والإيصال سَبْعِينَ رَجُلاً لميقاتِنَا سبقت قصتهم عند ذكر سؤال الرؤية فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ تمنّى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا من التجاسر على طلب الرّؤية في التوحيد عن الرضا عليه السلام أنّ السبعين لما صاروا معه الى الجبل قالوا له إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته فقال إنّي لم أره فقالوا لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة واحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وارجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرتهم به فلو شِئت أهلكتهم من قبل وايّاي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا فأحياهم الله بعد موتهم .

وفي العيون ما يقرب منه كما مرّ إِنْ هِيَ إِلاّ فِتْنَتُكَ ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرّؤية تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا القائم بأمرنا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة .

(١٥٦) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً حسن معيشة وتوفيق طاعة وَفِي الْآخِرَةِ

الجنة إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ تعذيبه وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ في الدنيا فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلّب في نعمتي أو في الدنيا والآخرة الا أن قوماً لم يدخلوها لضلالهم فَسَأَكْتُبُهَا فسأثبتها وأوحيها في الآخرة لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الشرك والمعاصي وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ فلا يكفرون بشيء منها .

(١٥٧) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ .

في الكافي عنهما عليهما السلام الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه والنبيّ هو الذي يرى في منامه وربّما اجتمعت النبوّة والرسالة لواحد الْأُمِّيَّ المنسوب الى ام القرى وهي مكة كذا في المجمع .

وعن الباقر والعياشي عنه عليه السلام أنّه سئل لم سمي النبيّ الامّي قال نسب إلى مكة وذلك من قول الله لتنذر أم القرى ومن حولها وامّ القرى مكة فقيل أمّي لذلك

وفي العلل عن الجواد عليه السلام أنّه سئل عن ذلك فقال ما يقول الناس قيل يزعمون أنّه انّما سمي الأمّي لأنه لم يحسن أن يكتب فقال كذبوا عليهم لعنة الله انّى ذلك والله يقول هو الذي بعثني في الأُمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقرء ويكتب باثنين وسبعين أو قال بثلاث وسبعين لساناً وانّما سمّي الأُمّي لأنّه كان من أهل مكة ومكة من أمّهات القرى وذلك قول الله عز وجلّ تنذر أمّ القرى ومن حولها الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ وَالْإِنْجِيلِ باسمه ونعته العياشي عن الباقر عليه السلام يعني اليهود والنصارى صفة محمّد واسمه صلّى الله عليه وآله وسلم .

وفي المجالس عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال يهوديّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إنّي قرأت نعتك في التوراة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلم مولده بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخاب[1] ولا مترنّن بالفحش

---

١ ـ في الحديث ايّاك ان تكون سخّاباً هو بالسّين المفتوحة والباء الموحّدة صيغة مبالغة من السّخَب بالتحريك وهو شدّة الصوت والخنا مرادف الفحش.

ولا قول الخنا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم هذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام لما نزلت التوريٰة على موسى بشر بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم قال فلم تزل الأنبياء تبشر به حتى بعث الله المسيح عيسى بن مريم فبشر بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم وذلك قوله يجدونه يعني اليهود والنصارى مكتوباً يعني صفة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم عندهم يعني في التوراة والإنجيل وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسى عليه السلام ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد .

وفيه مرفوعاً أنّ موسى ناجاه ربّه تعالى فقال له في مناجاته أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر فمثله في كتابك انه مهيمن على الكتب كلها وانه راكع ساجد راغب راهب اخوانه المساكين وانصاره قوم آخرون **يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَيٰهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** يستفاد من بعض الروايات تأويل الطيبات بأخذ العلم من أهله والخبائث بقول من خالف **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة وأصل الأصر الثقل وقد مضى حديث وضع الأصر عن هذه الأمة في آخر سورة البقرة وقرء أصارهم **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ** وعظّموه بالتقوية والذّبّ عنه وأصل التعزير المنع **وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ** قيل النور القرآن .

والعياشي عن الباقر عليه السلام النور عليّ عليه السلام .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام النور في هذا الموضع عليّ والأئمة عليهم السلام **أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** .

(١٥٨) **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** في المجالس عن الحسن المجتبى عليه السلام قال جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد أنت الذي تزعم أنّك رسول الله وأنّك الذي يوحى إليك كما يوحى إلى موسى بن عمران فسكت النبيّ ساعة ثم قال نعم أنا سيّد ولد آدم ولا فخر وأنا خاتم

النبيينّ وإمام المتّقين ورسول ربّ العالمين قالوا إلى من إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا فأنزل الله هذه الآية **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ** يريد بها ما أنزل الله عليه وعلى من تقدمه من الرسل **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** .

أقول : يعني إلى العلم اللّدنيّ الموصل الى محبّة الله وولايته فانّه لا يحصل إلا بالإيمان واتباع النبيّ ومن أمر النبي باتباعه[1] .

(١٥٩) وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ بكلمة الحق **وَبِهِ** وبالحق **يَعْدِلُونَ** بينهم في الحكم .

العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قوم موسى هم أهل الإسلام .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ هذه الأُمّة قوم من وراء الصين بينهم وبين الصين واد حارّ من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا ليس لأحدهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون[2] بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منّا أحد ولا منهم الينا وهم على الحق قال وقيل أنّ جبرئيل انطلق بالنبيّ صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج إليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدّقوا وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال وروى أصحابنا أنّهم يخرجون مع قائم آل محمد عليهم السلام .

وروي أنّ ذا القرنين رآهم وقال لو أمرت بالمقام لسرّني أن أُقيم بين أظهركم .

(١٦٠) وَقَطَّعْنَاهُمْ وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض **إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ**

---

١ ـ العيّاشي عن الصّادق عليه السلام قال اذا قام قائم آل محمّد عليهم السلام استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً خمسة عشر يعدلون وسبعة من اصحاب الكهف ويوشع وصّي موسى ومؤمن آل فرعون وسلمان الفارسيّ وابا دجّانة الأنصاري ومالك الأشتر وعن أمير المؤمنين عليه السلام انّ بني اسرائيل بعد موسى افترقت على احدى وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة فانّ الله يقول ومن قوم موسى امه يهدون بالحقّ وبه يعدلون فهذه التي تنجو «منه رحمه الله» اقول ولا يبعد ان يكونوا هم المقصودون بالآخرين في الرّواية المتقدّمة .

٢ ـ ضحى ضحواً وضحيّاً اصابته الشّمس وارض مضحاة لا تكاد تغيب عنها الشّمس ويضحون مبني للمفعول امّا من باب نصر او من باب الأفعال .

أَسْبَاطاً أُمَماً والأسباط ولد الأولاد والأسباط في ولد يعقوب بمنزلة القبايل في ولد اسماعيل وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسىٰ إِذِ اسْتَسْقَيٰهُ قَوْمُهُ في التيه أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ أي فضرب فانبجست وفي حذفه اشارة الى أنّه لم يتوقف في الإمتثال مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كلّ سبط مشربهم وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ليقيهم حرّ الشمس وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا أي وقلنا لهم كُلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ مضى تفسيره في سورة البقرة .

(١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ .

(١٦٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ مضى تفسيره فيها وقرء تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئتكم بالتوحيد وخطاياكم .

(١٦٣) وَاسْأَلْهُمْ واسأل اليهود وهو سؤال تقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله عَنِ الْقَرْيَةِ عن خبرها وما وقع بأهلها الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ قريبة منه إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت وقد نهوا عنه إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ يوم تعظيمهم أمر يوم السبت مصدر سبت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة شُرَّعاً ظاهرة على وجه الماء من شرع عليه إذا دنا منه وأشرف وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ .

(١٦٤) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ جماعة من أهل القرية لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ مخترمهم أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً لتماديهم في العصيان قَالُوا مَعْذِرَةً وقرء معذرة بالرفع إِلَىٰ رَبِّكُمْ يعني موعظتنا أنها عذراً إلى الله حتى لا تنسب إلى تفريط في النهي عن المنكر وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ إذ اليأس لا يحصل إلا باهلاك .

(١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا تركوا ترك الناسي مَا ذُكِّرُوا بِهِ ما ذكرهم به الواعظون أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ شديد من بَؤُسَ يَبْؤُسُ

بأساً إذا اشتدّ وقرء على وزن ضيغم وبكسر الباء وسكون الهمزة وبكسرها وقلب الهمزة ياءً **بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** بسبب فسقهم .

(١٦٦) **فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ** تكبّروا عن النهي أو عن ترك ما نهوا عنه وهذا مثل قوله تعالى وعتوا عن ربّهم **قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** مطرودين مبعدين من كل خير كقوله انما قلنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون .

في تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة عند قوله ولقد علمتم الذين اعتَدَوا منكم في السّبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : كان هؤلاء قوماً يسكنون على شاطىء بحر نهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت فتوصلوا إلى حيلة ليحلّوا بها لأنفسهم ما حرّم الله فخدّوا أخاديد[1] وعملوا طرقاً تؤدي إلى حياض تتهيّأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيأ لها الخروج إذ همّت بالرجوع فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان لها فدخلت الأخاديد وحصلت في الحياض والغُدران فلما كانت عشية اليوم همّت بالرجوع منها إلى اللّجَج لتأمن من صايدها فرامت الرجوع فلم تقدر وبقيت ليلها في مكان يتهيّؤ أخذها بلا اصطياد لإسترسالها فيه وعجزها عن الإمتناع لمنع المكان لها وكانوا يأخذون يوم الأحد ويقولون ما اصطدنا في السبت إنما اصطدنا في الأحد وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك ما لهم وثراهم وتنعموا بالنساء وغيرهم لإتساع أيديهم به .

وكانوا في المدينة نيفاً وثمانين ألفاً فعل هذا منهم سبعون ألفاً وأنكر عليهم الباقون كما قص الله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية وذلك أنّ طائفة منهم وعظوهم وزجروهم ومن عذاب الله خوفوهم ومن انتقامه وشدائد بأسه حذروهم فأجابوهم من وعظهم لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم بذنوبهم هلاك الإصطلام[2] أو معذبهم عذاباً شديداً أجاب القائلين هذا لهم معذرة إلى ربكم هذا القول منا لهم معذرة

---

١ ـ الأخدود شق في الأرض مستطيل جمعه أخاديد وخدّ الأرض من باب مدّ شقّها.

٢ ـ الإصطلام الإستيصال وهو افتعال من الصّلم وهو القطع المستأصل وصلمت الأذن من باب ضرب استأصلتها قطعاً مـ

إلى ربكم إذ كلفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم قالوا ولعلهم يتقون ونعظهم أيضاً لعلّهم ينجع فيهم المواعظ فيتّقوا هذه الموبقة[1] ويحذروا عقوبتها .

قال الله تعالى فلما عَتَوا حادوا واعرضوا وتكبّروا عن قبول الزّجر عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قِرَدَةً خاسئين مبعدين من الخير مبغضين فلما نظر العشرة الآلاف والنيف انّ السبعين ألفاً لا يقبلون مواعظهم ولا يخافون بتخويفهم إيّاهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية اخرى وانتقلوا الى قرية من قريتهم وقالوا نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلهم قردة وبقي باب المدينة مغلقاً لا يخرج منه أحد ولا يدخله أحد وتسامع بذلك أهل القرى فقصدوهم وسَمَوا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم فاذا هم كلّهم رجالهم ونساؤهم قردةً يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرين معارفهم وقراباتهم وخلطائهم فيقول المطلع لبعضهم أنت فلان وأنت فلانة فتدمع عينه ويؤمي برأسه أو بفمه بلىٰ أو نعم فما زالوا كذلك ثلاثة أيام ثم بعث الله تعالى مطراً وريحاً فجرفهم الى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام وإنما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فانما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها .

والقمّي والعياشي عن الباقر عليه السلام قال وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أن قوماً من أهل أيْلَة من قوم ثمود وانّ الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك فشرعت إليهم يوم سبتهم في ناديهم وقدام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها فلبثوا في ذلك ما شاءَ الله لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها ثم ان الشيطان أوحى الى طائفة منهم انما نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام فقالت طائفة منهم الآن نصطادها فعتت وانحازت طائفة اخرى منها ذات اليمين فقالوا ننهيكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا بخلاف أمره واعتزلت طائفة منهم ذات الشمال وسكتت فلم يتعظهم فقالت للطائفة التي وعظتهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً فقالت الطائفة التي وعظتهم معذرةً إلى ربّكم ولعلهم يتّقون .

---

١ ـ وَبَق كوعد ورجل وورث وبوقاً وموبقاً هلك كاستوبق وكمجلس المهلك .

قال فقال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به يعني لما تركوا ما وعظوا به مضوا على الخطيئة فقالت الطائفة التي وعظتهم لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمنا معكم قال فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله تعالى غدوا[1] لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة فاذا هو مصمت فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حس أحد فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثمّ أصعدوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فاذا هو بالقوم قردةً يتعاوون فقال الرجل لأصحابه يا قوم أرى والله عجباً قالوا وما ترى قال أرى القوم قد صاروا قردةً يتعاوون لها أذناب فكسروا الباب ودخلوا المدينة قال فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم يعرف الإنس أنسابها من القردة فقال القوم للقردة ألم ننهكم .

قال فقال عليّ عليه السلام والله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّي لأعرف أنسابهم من هذه الأُمة لا ينكرون ولا يغيّرون بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا وقد قال الله فبعداً للقوم الظالمين فقال الله انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية كانوا ثلاثة أصناف صنف ائتمروا وأمروا فنجوا وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمسخوا ذرّاً وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا والعياشي عن الباقر عليه السلام ما في معناه .

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الثالثة .

(١٦٧) **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ** تفعل من الإيذان بمعنى الاعلام أو العزم والإقسام معناه واذكر اذا علم أو عزم ربّك وأقسم **لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ** ليسلّطنّ على اليهود **إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ** يكلفهم **سُوءَ الْعَذَابِ** شدته بالقتل والإذلال وضرب الجزية قيل بعث الله عليهم من بعد سليمان بخت نصر فخرّب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم

---

١ ـ غدا غدوّاً من باب قعد ذهب غدوة وجمع الغدوة غدى كمدية ومدى هذا أصله ثم كثر حتّى استعمل في الذهاب والإنطلاق أي وقت كان.

وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدّونها إلى المجوس حتى بعث الله محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلم ففعل ما فعل وضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ المعنى بهم أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ عاقبهم في الدنيا وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تاب وآمن.

(١٦٨) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً وفرّقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ هم الذين آمنوا بالله ورسوله وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ ناس دون ذلك أي منحطّون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ بالنعم والنقم والمسخ والمحن لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يتنبهون فينيبون .

(١٦٩) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ بدل سوء وهو بالتسكين شائع في الشرّ وبالتحريك في الخير وقيل المراد به الذين كانوا في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم وَرِثُوا الْكِتَابَ التوراة من أسلافهم يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنىٰ حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا قيل هو ما كانوا يأخذون من الرشاء في الحكم وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أي يرجون المغفرة وهم مصرون وعايدون إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ الميثاق في التوراة أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ بأن لا يكذبوا على الله ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وقرؤا ما فيه فهم ذاكرون لذلك .

في الكافي عن الصادق عليه السلام أن الله خصّ عباده بآيتين[1] من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال عزّ وجلّ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن

---

١ - قيل يعني عباده الذين هم من أهل الكتاب والكلام كأنّ من سواهم ليسوا مضافاً اليه بالعبودية بآيتين أي مضمونهما والّا فالآيات في ذلك فوق اثنتين كقوله تعالى ومن اظلم ممّن افترى على الله كذباً وكذّب بآياته ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون فأولئك هم الفاسقون فأولئك هم الظّالمون الى غير ذلك ولا يردّوا ما لم يعلموا يعني لا يكذّبوا به بل يكلوا علمه الى قائله فانّ التصديق بالشيء كما هو محتاج الى تصوره اثباتاً فكذلك هو مفتقر اليه نفياً وهذا في غاية الظهور ولكن أكثر النّاس لا يعلمون :

لا يقولوا على الله إلا الحق وقال بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه .

والعياشي عنه وعن الكاظم عليهما السلام ما يقرب منه وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ محارم الله ممّا يأخذ هؤلاء أَفَلَا يَعْقِلُونَ فيعلمون ذلك وقرء بالخطاب .

(١٧٠) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةِ إنا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ أما عطف على الذين يتّقون وما بينهما اعتراض واما استيناف ووضع الظاهر موضع المضمر لأنّه في معناه وللتنبيه على أنّ الاصلاح مانع عن الإضاعة وقرء يمسكون بالتخفيف من الإمساك .

القمّي عن الباقر عليه السلام نزلت في آل محمد صلوات الله عليهم وأشياعهم .

(١٧١) وَإِذْ[1] نَتَقْنَا الْجَبَلَ قلعناه ورفعناه وأصله الجذب فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ سقيفة وهي كل ما أظلّ وَظَنُّوا وتيقنوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ساقط عليهم لأنّ الجبل لا يثبت في الجوّ ولأنّهم كانوا يوعدون به .

قيل إنّما أطلق الظن لأنّه لم يقع متعلقة خُذُوا[2] مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ بعزم ن فلوبكم وأبدانكم .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية أقوّة في الأبدان أم قوّة في القلوب قال فيهما جميعاً وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ من الأوامر والنّواهي لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

القمّي عن الصادق عليه السلام لما أنزل الله التوراة على بني إسرائيل لم يقبلوه فرفع الله عليهم جبل طور سيناء فقال لهم موسى إن لم تقبلوا وقع عليكم الجبل فقبلوه وطأطأوا رؤوسهم وقد مضى تفسيره في سورة البقرة بأبسط من هذا .

(١٧٢) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وقرء ذرّياتهم أخرج من

---

١ ـ معناه وادكر يا محمّد اذ قلعنا الجبل من أصله فرفعناه فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم .

٢ ـ قوله تعالى خذوا ما اتيناكم بقوّة أي خذوا ما ألزمناكم من أحكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجدّ واجتهاد منكم في كل أوان من غير تقصير ولا توان

أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن يعني نثر حقايقهم بين يدي علمه فاستنطق الحقايق بألسنة قابليّات جواهرها وألسن استعدادات ذواتها **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا** أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة الإشهاد على طريقة التمثيل نظير ذلك قوله عزّ وجلّ انّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقوله جلّ وعلا فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كَرْهاً قالتا أتينا طائعين ومعلوم أنه لا قول ثمّة وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى وذلك حين كانت أنفسهم في أصلاب آبائهم العقلية ومعادنهم الأصلية يعني شاهدهم وهم دقايق في تلك الحقايق وعبر عن تلك الآباء بالظهور لأنّ كل واحد منهم ظهر أو مظهر لطائفة من النفوس أو ظاهر عنده لكونه صورة عقلية نوريّة ظاهرة بذاتها وأشهدهم على أنفسهم أي أعطاهم في تلك النشأة الإدراكية العقلية شهود ذواتهم العقلية وهو يأتهم النورية فكانوا بتلك القوى العقلية يسمعون خطاب ألست بربّكم كما يسمعون الخطاب في دار الدنيا بهذه القوى البدنية وقالوا بألسنة تلك العقول بلى أنت ربّنا الذي أعطيتنا وجوداً قدسيّاً ربّانياً سمعنا كلامك وأجبنا خطابك ولا يبعد أيضاً أن يكون ذلك النطق باللسان الملكوتي في عالم المثالي الذي دون عالم العقل فان لكل شيء ملكوتاً في ذلك العالم كما أشار إليه بقوله سبحانه فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الملك وهو كله حياة ولكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والتمجيد والتوحيد والتحميد وبهذا اللسان نطق الحصى في كف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم وبه تنطق الأرض يوم القيامة يومئذ تحدّث أخبارها وبه تنطق الجوارح انطقنا الله الذي أنطق كل شيء **أَنْ تَقُولُوا** أي كراهة ان تقولوا وقرء بالياء **يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** لم ننبّه عليه .

(١٧٣) **أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ** فاقتدينا بهم لأنّ التقليد عند قيام الحجّة والتمكن من العلم بها لا يصلح عذراً **أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** يعني آباءَهم المبطلين بتأسيس الشرك .

(١٧٤) **وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** عن التقليد واتباع الباطل .

في الكافي والتوحيد والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال أخرج من ظهر آدَم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ فعرفهم نفسه وأراهم صنعه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه .

وفي الكافي عنه والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال وأبوه يسمع حدّثني أبي أنّ الله عزّ وجلّ قبض قبضة من تراب التّربة التي خلق آدم منها فصبّ عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً ثمّ صبّ عليها المالح والأجاج[1] فتركها أربعين صباحاً فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها[2] عركاً شديداً فخرجوا كالذّرّ من يمينه وشماله وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل كيف أجابوا وهم ذرّ فقال جعل فيهم ما اذا سألهم أجابوه وزاد العياشي يعني في الميثاق .

أقول : وهذا بعينه ما قلناه أنه عزّ وجلّ ركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار .

وعنه عليه السلام لما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يَدَيه فقال لهم من ربّكم فأوّل من نطق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام فقالوا أنت ربّنا فحملهم العلم والدين ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون ثم قال لبني آدم أقروا لله بالرّبوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة فقالوا نعم ربّنا أقررنا فقال الله للملائكة اشهدوا فقال الملائكة شهدنا على أن لا تقولوا غداً انا كنّا عن هذا غافلين أو تقولوا الآية .

والقمّي عنه عليه السلام في هذه الآية أنه سئل معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد مَنْ خالقه ورازقه فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه فقال الله فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل والعياشي عنه عن أبيه عليهما السلام ما في معناه الى قوله ورازقه، وفي رواية أخرى له وأسرّ

---

١ ـ الأجاج المالح والمرّ الشديد الملوحة يقال أجّ الماء اجوجاً إذا ملح واشتدّت ملوحته.

٢ ـ يقال عرك البعير جنبه بمرفقه اذا دلكه فأثّر فيه.

بعضهم خلاف ما أظهر وفي معنى هذه الأخبار أخبار كثيرة منها ما هو أبسط مما ذكر وقد شرحنا بعضها بما لا مزيد عليه في كتابنا الوافي .

(١٧٥) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا القمّي نزلت في بلعم بن باعورا وكان من بني إسرائيل أوتي علم بعض كتب الله .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام الأصل فيه بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة .

والعياشي عنه عليه السلام مَثَل المغيرة بن سعيد مثل بلعم الذي أوتي الاسم الأعظم الذي قال الله آتيناه آياتنا الآية فَانْسَلَخَ مِنْهَا بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ من الضالين .

القمي عن الرضا عليه السلام أنه أعطى بلعم بن باعورا الاسم الأعظم وكان يدعو به فيستجيب له فمال الى فرعون فلما مر فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا فركب حمارته ليمر في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فانطقها الله عزّ وجلّ فقالت ويلك على ماذا تضربني أتريدني أن أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الاسم من لسانه وهو قوله تعالى فانسلخ منها الآية .

(١٧٦) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ الى منازل الأبرار من العلماء بِهَا بتلك الآيات وملازمتها وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ مال الى الدنيا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات فحططناه فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ فصفته كصفة الكلب في أخسّ أحواله إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ بالزجر والطرد من الحملة لا من الحمل يَلْهَثْ يخرج لسانه بالتنفس الشديد أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ دائم اللهف بخلاف سائر الحيوان فانّه اذا هيّج وحرّك لهث والا لم يلهث والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال ضال في كل حال ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ المذكورة لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فيتعظون ويحذرون مثل عاقبته .

(١٧٧) سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أي مثلهم وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ لا غيرهم .

(١٧٨) مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قيل الإفراد في الأول والجمع في الثاني لإعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أنّ المهتدين كواحد لإتحاد طريقتهم بخلاف الضّالين .

(١٧٩) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا خلقنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا .

القمّي عن الباقر عليه السلام لهم قلوب لا يفقهون بها يقول طبع الله عليها فلا تعقل ولهم أعين عليها غطاء عن الهدى لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ في عدم الفقه والإبصار للإعتبار والإستماع للتّدبّر وفي أنّ مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بَلْ هُمْ أَضَلُّ فانها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ الكاملون في الغفلة .

في العلل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة وركّب في البهائم شهوة بلا عقل وركّب في بني آدم كلتيهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم .

(١٨٠) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَىَ التي هي أحسن الأسماء لتضمنها معاني هي أحسن المعاني .

القمّي قال الرحمن الرحيم فَادْعُوهُ بِهَا فسمّوه بتلك الأسماء .

في الكافي عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عن الاسم فقال صفة موصوف .

والعياشي عنه عليه السلام قال إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله وهو قول

الله ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها .

قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد طاعة الا بمعرفتنا قال فادعوه بها وقد مضى تمام تحقيق معنى الاسم في أوائل سورة البقرة وَذَرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ وقرء بفتح الياء والحاء وهو بمعناه أي واتركوا الذين يعدلون بأسمائه عمّا هي عليه فيسمون بها أصنامهم أو يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به .

في الكافي عن الرضا عليه السلام أن الخالق لا يوصف الا بما وصف به نفسه وانّى يوصف الذي تعجز الحواسّ أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الإحاطة به جلّ عمّا يصفه الواصفون وتعالى عمّا ينعته الناعتون الحديث .

وفي التوحيد عن الصادق عليه السلام في حديث طويل وله الأسماء الحسنى التي لا يسمى بها غيره وهي التي وصفها في الكتاب فقال فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه جهلاً بغير علم فالذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن ولذلك قال وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علمٍ فيضعونها غير مواضعها سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

(١٨١) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ .

في الكافي عن الصادق والعياشي عن الباقر عليهما السلام في هذه الآية هم الأئمة عليهم السلام .

وفي المجمع عنهما عليهما السلام قالا نحن هم .

والقمّي هذه الآية لآل محمد عليهم السلام وأتباعهم .

والعياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام والذي نفسي بيده لتفرّقنّ هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا فرقة وممّن خلقنا أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو من هذه الأمّة .

وعنه عليه السلام يعني أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم .

وفي المجمع عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم هذه لكم وقد أعطى قوم موسى مثلها .

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلم هي لأمّتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد أعطى لقوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون .

أقول : اريد بهذه الأخبار الثلاثة بعض الأمّة كما يدل عليه قوله مثلها وما رواه في المجمع أنّ من أمّتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم .

(١٨٢) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ سنستدينهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتى يقعوا فيه بغتةً وأصل الإستدراج الاستصعاد والإستنزال درجةً بعد درجةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ما يراد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنّوا انه لطف من الله بهم فيزدادوا بطراً وانهماكاً في الغيّ حتى يحق عليهم كلمة العذاب .

القمّي قال : تجديد النعم عند المعاصي .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة تلهيه تلك النعمة عن الإستغفار من ذلك الذنب .

وعنه عليه السلام إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً اتبعه بنقمة ويذكره الإستغفار واذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً فاتبعه بنعمة لينسيه الإستغفار ويتمادى بها وهو قول الله عزّ وجلّ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بالنعم عند المعاصي .

(١٨٣) وَأُمْلِي لَهُمْ وامهلهم إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١) لا يدفع بشيء إنما سماه كيداً لأنّ ظاهره احسان وباطنه خذلان .

---

١ ـ المتين من أسمائه وهو الشّديد القوي الذي لا يعتريه وهن ولا يمسّه لغوب والمعنى في وصفه بالقوّة والمتانة انّه قادر بليغ الاقتدار على كل شيء ومتن الشّيء بالضمّ متانة اشتدّ وصلب فهو متين.

(١٨٤) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ يعني محمد صلّى الله عليه وآله وسلم مِنْ جَنَّةٍ أي جنون روي أنه علا الصفا فدعاهم فخذاً[١] يحذرهم بأسَ الله فقال قائلهم انّ صاحبكم لمجنون بات يهوت[٢] إلى الصباح فنزلت إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر .

(١٨٥) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا نظر اعتبار فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ في باطنها وأرواحها وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس خلقه التي لا يمكن حصرها لتدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه وَأَنْ عَسَى وانه عسى اَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ يعني في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة[٣] الموت ونزول العذاب فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ بعد القرآن يُؤْمِنُونَ إذا لم يؤمنوا به والمعنى ولعلّ أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا .

(١٨٦) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[٤] .

القمّي قال كان يكله إلى نفسه وقرء يذرهم بالياء وبه وبالجزم كأنّه قيل لا يهْدِه أحد غيره ويذرهم .

(١٨٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أي القيامة وهي من الأسماء الغالبة أَيَّانَ مُرْسِيهَا متى ارساؤ ها أي اثباتها واستقرارها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي استأثر[٥] به لم يطلع عليه

---

١ ـ الفخذ بالكسر فالسّكون للتخفيف دون القبيلة وفوق البطن والجمع افخاذ.
٢ ـ هَوّت به تهويتاً صاح.
٣ ـ غافصة فاجأه وأخذه على غرّة.
٤ ـ العَمَه في القلب العمى في العين.
٥ ـ استأثر بالشيء استبدّ به وخصّ به نفسه.

ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا لا يظهرها في وقتها إلَّا هُوَ يعني ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتوقيت ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ والأرض عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهو لها وشدّتها لَا تَأْتِيكُمْ إلَّا بَغْتَةً فجأة على غفلة .

في الجوامع عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنّ الساعة تهيج بالناس والرّجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا [1] قيل أي عالم بها وأصله كأنّك حفيت بالسؤال حتى علمتها أي استقصيت والحفت[2] قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ لم يؤته أحداً من خلقه لأنّه من علم الغيب الذي استأثر الله به وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ انه المختص بالعلم بها .

القمّي إنَّ قريشاً بعثت العاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط إلى نجران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسألونها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وكان فيها سألوا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلم متى تقوم الساعة فان ادّعى علم ذلك فهو كاذب فانّ قيام الساعة لم يطّلع الله عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً فلمّا سألوه نزلت .

(١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً جلب نفع ولا دفع ضرر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادّعاء العلم بالغيوب إلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ من ذلك فيلهمني إيّاه ويوفّقني له وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ .

في المعاني والعياشي عن الصادق عليه السلام يعني الفقر والقمّي قال كنت أختار

---

١ - أي كأنّك استحفيت بالسؤال عنها حتّى علمتها والحفيّ المستقصي بالسؤال عن الشّيء وأعفى فلان في المسألة اذا ألحّ فيها وبالغ .

٢ - قوله تعالى لا يسألون النّاس الحافاً أي الحاحاً وهو أن يلازم المسؤول حتّى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده والمعنى على ما قيل لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يلحفوا .

لنفسي الصحّة والسلامة إنْ أنَا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فانّهم المنتفعون .

(١٨٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هي نفس آدم وَجَعَلَ مِنْهَا من فضل طينتها زَوْجَهَا حوّاء لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ليأنس بها ويطمئن إليها فَلَمَّا تَغَشَّيٰهَا جامعها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً خف عليها فَمَرَّتْ بِهِ أي استمرت بالحمل فَلَمَّا أَثْقَلَتْ صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها دَعَوا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً ولداً سويّاً بريئاً من الآفة لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

(١٩٠) فَلَمَّا آتيٰهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتيٰهُمَا وقرء شركاً بالمصدر فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والقمّي والعياشي عن الباقر عليه السلام هما آدم وحوّاء وانّما كان شركهما شرك طاعة وليس شرك عبادة ، وزاد القمّي قال جعلا للحارث نصيباً في خلق الله ولم يكن أشركا إبليس في عبادة الله بعد أن ذكر في ذلك حديثاً مبسوطاً رواه عن الباقر عليه السلام موافقاً لما روته العامة فيه ممّا لا يليق بالأنبياء والمستفاد من ذلك الحديث أنّ معنى اشراكهما فيما آتيٰهما الله تسميتهما أولادهما بعبد الحارث والحارث اسم إبليس وابليس قد حملهما على ذلك بتغريره وقيل معناه التسمية بعبد عزّى وعبد مناة وعبد يغوث وما أشبه ذلك من أسماء الأصنام ومعنى جعلا له جعل أولادهما شركاء فيما أتى أولادهما على حذف المضاف واقامة المضاف إليه مقامه في الموضعين .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام أنه قال له المأمون يا ابن رسول الله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون قال بلى قال فما معنى قول الله عزّ وجلّ فلما أتيهما صالحاً جعلا له شركاء فيما أتيٰهما فقال له الرضا عليه السلام إنّ حوّاء ولدت لآدم عليه السلام خمسمأة بطن في كلّ بطن ذكراً وأنثى وانّ آدم وحوّاء عاهدا الله تعالى ودعواه وقالا لئن آتيتنا صالحاً لنكونّن من الشاكرين فلما آتيٰهما صالحاً من النسل خلقاً سويّاً بريئاً من الزمانة والعاهة كان ما آتيهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً اناثاً فجعل الصنفان لله سبحانه شركاء فيما اتيٰهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّ وجلّ فتعالى الله عمّا يشركون فقال المأمون أشهد أنّك ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حقّاً .

(١٩١) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ يعني الأصنام .

(١٩٢) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ لعبدتهم نَصْراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ فيدفعون عنها ما يعتريها .

(١٩٣) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ يحتمل معنيين أحدهما أن يكون الخطاب للمسلمين وهُم ضمير المشركين يعني أن تدعو المشركين إلى الإسلام لا يجيبوكم والثاني أن يكون الخطاب للمشركين وهم ضمير الأصنام يعني أن تدعو الأصنام إلى أن يهدوكم لا يتّبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله وقرء يتبعوكم بالتخفيف سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ .

(١٩٤) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي تعبدونهم وتسمّونهم آلهةً من دونه سبحانه عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ مملوكون مسخّرون فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ في مهماتكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إنّهم آلهة .

(١٩٥) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ واستعينوا بهم في عداوتي ثُمَّ كِيدُونِ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي أنتم وشركاؤكم فَلَا تُنْظِرُونِ فلا تمهلوني فانّي لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه .

(١٩٦) إِنَّ وَلِيِّيَ ناصري وحافظي اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ القرآن وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ينصرهم ويحفظهم .

(١٩٧) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرونَ

(١٩٨) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَيٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ يشبهون الناظرين إليك لأنّهم صوّروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه .

(١٩٩) خُذِ الْعَفْوَ أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما تأتي منهم

من غير كلفة وتسهّل ولا تطلب ما يشقّ عليهم ولا تداقّهم واقبل الميسور منهم ونحوه قوله يسّروا ولا تعسّروا من العفو الذي هو ضدّ الجهد .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنّ الله أدّب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلم بذلك أي خذ منهم ما ظهر وما تيسر قال والعفو الوسط .

وفي الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل من ثقيف ايّاك أن تضرب مسلماً أو يهوديّاً أو نصرانيّاً في درهم خراج أو تبيع دابة عمل في درهم فانا امرنا أن نأخذ منه العفو وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ بالمعروف الجميل من الأفعال والحميد من الأخلاق وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ولا تمار[1] السفهاء ولا تكافأهم بمثل سفههم .

في المجمع روي أنّه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عن ذلك فقال لا أدري حتى اسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد إنّ الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك .

وفي الجوامع عن الصادق عليه السلام أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام أنّ الله أمر نبيّه بمداراة الناس فقال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين .

(٢٠٠) وَإِمَّا يَنْزِغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ينخسنّك[2] منه نخس في القلب يوسوسك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب والنّزغ والنّسغ والنخس والغرز بمعنى شبّه وسوسة الناس اغراء لهم على المعاصي وإزعاجاً بغرز السايق ما يسوقه .

في المجمع لما نزلت الآية السابقة قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم كيف يا رب والغضب فنزلت فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ يسمع استعاذتك عَلِيمٌ بما فيه صلاح أمرك .

---

١ ـ المماراة المجادلة .

٢ ـ نخس الدابّة كنصر وجعل غرز مؤخرها او جنبها بعود ونحوه . أصل النخس الدّفع والحركة .

(٢٠١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لمة[1] منه كأنها طافت بهم ودارت حولهم ولم تقدر ان تؤثّر فيهم وقرء طيف بغير الف تَذَكَّرُوا ما أمر الله به ونهى عنه فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها .

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام هو العبد يهمّ بالذنب ثم يتذكر فيمسك وفي رواية فيدعه وفي أُخرى فيبصر ويقصر .

والقمّي قال إذا ذكّرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فاذا هم مبصرون .

(٢٠٢) وَإِخْوَانُهُمْ واخوان الشياطين يعني الذين لم يتّقوا يَمُدُّونَهُمْ الشياطين وقرء بضم الياء وكسر الميم فِي الْغَيِّ بالتزيين والحمل عليه ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصرُّوا ولا يرجعوا فيهلكوا أو لا يقصر الاخوان عن الغيّ .

(٢٠٣) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ من القرآن أو بآية مما اقترحوه قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا هلّا جمعتها تقوّلاً من عند نفسك كسائر ما تقرء أو هلّا طلبتها من الله قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها هٰذَا القرآن بَصَائِرُ للقلوب بها تبصر الحق مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

(٢٠٤) وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قيل نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له .

في الفقيه عن الباقر عليه السلام إن كنت خلف إمام فلا تقرأن شيئاً في الأوليين وانصت لقراءته ولا تقرأن شيئاً في الأخيرتين فانّ الله يقول للمؤمنين واذا قرىء القرآن يعني في الفريضة خلف الإمام فاستمعوا له وانصتوا لعلّكم ترحمون والأخيرتان تبع للأوّليتين .

---

١ ـ وفي حديث ابن مسعود لابن آدم لمّتان لمة من الملك ولمّة من الشيطان واللّمة الهمّة والخطرة تقع في القلب اراد المام الملك او الشّيطان به والقرب منه فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشرّ فهو من الشيطان .

وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام إذا كنت خلف إمام تولّاه وتثق به فانّه يجزيك قراءته وان أحببت أن تقرأ فاقرأ فيما يخافت به فإذا جهر فانصت قال الله تعالى وانصتوا لعلكم ترحمون والعياشي عن أحدهما عليهما السلام قال إذا كنت خلف إمام تأتمّ به فانصت وسبّح في نفسك .

وعن الصادق عليه السلام يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها وإذا قرء عندك القرآن وجب عليك الإنصات والإستماع .

وفي التهذيب عنه عليه السلام أنه سئل عن الرجل يؤمّ القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة فقال إذا سمعت كتاب الله يتلى فانصت له قيل فانّه يشهد عليّ بالشرك قال إن عصى الله فأطع الله فرددت عليه فأبى أن يرخّص لي قيل أصلّي اذن في بيتي ثم أخرج إليه فقال أنت وذاك وقال إنّ عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّا وهو خلفه ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين فانصت عليّ تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم أعاد ابن الكوّا الآية فأنصت عليّ أيضاً ثم قرء فأعاد ابن الكوّاء فأنصت عليّ عليه السلام ثم قال فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون ثم أتمّ السورة ثم ركع .

أقول : هذان الحديثان وما في معناهما مما يوافق ظاهر القرآن في عموم وجوب الإستماع والإنصات محمول عند أصحابنا وعامة الفقهاء على الإستحباب وتأكده بل قد ورد الأمر بالقراءة خلف المخالف وان سمعت قراءته اذا لم تكن هناك تقيّة .

(٢٠٥) وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ عامّ في كلّ ذكر تَضَرُّعاً وَخِيفَةً متضرّعاً وخائفاً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ باللسان لأنّ الذكر في النفس ودون الجهر اللذين يعبّر عنهما بالسر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى القبول بِالْغدوِّ وَالْآصَالِ بالغدوة وَالعشياتِ لفضل هذين الوقتين وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عن ذكر الله اللاّهين عنه .

في الكافي والعياشي عن أحدهما عليهما السلام لا يكتب الملك الا ما يسمع وقال الله عزّ وجلّ واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة فلا يعلم ثواب ذلك الذّكر في نفس الرجل غير الله لعظمته والعياشي مرفوعاً عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم واذكر ربّك في نفسك يعني مستكيناً وخيفة يعني خوفاً من عذابه ودون الجهر من القول يعني دون الجهر من القراءة بالغدوّ والآصال يعني بالغدٰوة والعشي .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال الله من ذكرني سرّاً ذكرته علانيةً (١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام من ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السرّ فقال الله تعالى يراؤ ن الناس ولا يذكرون الله إلّا قليلاً .

وفيه والعياشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال تقول عند المساء لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت وهو على كل شيء قدير قيل بيده الخير قال إنّ بيده الخير ولكن قل كما أقول لك عشر مرّات واعوذ بالله السميع العليم حين تطلع الشمس وحين تغرب عشر مرّات .

(٢٠٦) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ قيل يعني الملائكة والقمّي يعني الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وينزّهونه وَلَهُ يَسْجُدُونَ ويخصّونه بالعبادة والتذلّل ولا يشركون به غيره هنا أوّل سجدات القرآن .

وفي الحديث إذا قرء ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد له فله الجنّة وأمرت بالسجود فَعَصيت فعليّ النّار .

في ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الأعراف في كلّ شهر

---

١ ـ قال في الوافي بيان ذكر الله سرّاً يشمل الذّكر في النّفس الذي في مقابلة الغفلة والذّكر على اللّسان بالإخفات الذي يقابل الجهر كذا ذكر الله لعبده علانية يشمل ذكره بالخير يوم القيامة على رؤ وس الأشهاد وذكره بالجميل في الدنيا على السن العباد.

كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قرأها في كل جمعة كان ممّن لا يحاسب يوم القيامة والله تبارك وتعالى أعلم بكل شيءٍ .

سُورة الأنفال

هي مَدَنيّة عن ابن عباس وقُتادة غير سبع آيات نزلت بمكة ﴿واذ يمكر بك الذين الى آخِرهنّ﴾ وقيل نزلت بأسرِهَا في غزاة بدر ،

عدد آيها هي خمس وسبعون آيةٍ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ عن حكمها وهي غنائم خاصّة والنّفل الزيادة على الشيء سمّيت به الغنيمة لأنّها عَطيّة من الله وفضل .

في المجمع قرأ السجاد والباقر والصادق عليهم السلام يسألُونك الأنفال بمعني أن تعطيهم قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ مختصة بهما يضعانها حيث شاءا.

في التهذيب عن الباقر والصادق عليهما السلام الفيء والأنفال ما كانَ من أرض لم تكن فيها هراقة دم او قوم[1] صولُحوا وأعطوابأيديهم وما كان من أرض خربة أو بطون أودية فهو كلّه من الفيء والأنفال فهذا كله للّهِ ولرسوله فما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للإمام بعد الرسُول .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أو قوم صولحواأو قوم أعطوا بأيديهم وكل أرض خربة وبطون الأودية فهو لرسول الله وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء .

وعنه عليه السلام في عدّة أخبار من مات وليس له وارث فما له من الأنفال .

---

١ - بيان او قوم في الموضعين بتقدير مضاف وهو من عطف الخاص على العام فانّ الأول يشمل ما جلى عنها أهلها.

وعنه عليه السلام نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو (١) المال .

والعياشي عن الباقر عليه السلام لنا الأنفال قيل ومَا الأنفال قال منها المعادن والآجام وكل أرض لا ربّ لها وكل أرض باد أهلها فهو لنا وقال ما كانَ للملوك فهو من الأنفال .

وفي الجوامع عن الصادق عليه السلام الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال وكل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال وسماها الفقهاء فيئاً والأرضون الموات والآجام وبطون الأودية وقطايع الملوك وميراث من لا وارث له وهي لله وللرسول ولمن قام مقامه بعده .

والقميّ عنه عليه السلام أنّه سئل عن الأنفال فقال هي القرىٰ التي قد خربت وانجلىٰ أهلها وهي لله وللرسول وما كان للملوك فهو للإمام وما كان من أرض خربة لم يوجف(٢) عليها بخيل ولا ركاب وكل أرض لاربّ لها والمعادن منها ومن مات وليس له مولىً فما له من الأنفال وقال نزلت يوم بدر لما انهزم الناس كان أصحاب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم على ثلاث فرق فصنف كانوا عند خيمة النبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم وصنف أغاروا على النهب وفرقة طلبت العدوّ وأسروا وغنموا فلّما جمعُوا الغنائم والأسارى تكلمت الأنصار في الأسارى فأنزل الله تبارك وتعالىٰ ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض فلما أباح الله لهم الأسارى والغنائم تكلم سعد ابن معاذ وكان ممّن أقام عند خيمة النبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادة في الجهاد ولا جبناً من العدو ولكنّا خفنا أن يعرى موضعك فيميل عليك خيل المشركين وقد أقام عند الخيمة وجُوه المهاجرين والأنصار ولم يشكّ أحد منهم والناس كثير يا رسول الله والغنائم قليلة ومتى تعطى هؤلاء لم يبق لأصحابك

---

١ ـ الصفو من الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة وخالص كلّ شيء.

٢ ـ قوله تعالى فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب هو من الأيجاف وهو السّير الشّديد والمعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلاً ولا ركاباً وانّما مشيتم اليه على ارجلكم فلم تحصّلوا اموالهم بالغلبة والقتال ولكن الله سلّط رسله عليهم وحواه اموالهم.

شيء وخاف أن يقسّم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الغنائم واسلاب القتلىٰ بين من قاتل ولا يعطى من تخلف على خيمة رسول اللهِ صلىّ الله عليه وآله وسلم شيئاً فاختلفوا فيما بينهم حتّىٰ سألوا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقالوا لمن هٰذه الغنائم فأنزل الله يسألونكَ عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء ثم أنزل الله بعد ذٰلك واعلموا أنمّا غنمتم الآية فقسّمه رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بينهم فقال سعد بن أبي وقاص يا رسول الله أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف فقال النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم ثكلتك أمّك وهل تُنْصرَون الا بضعفائكم قال فلم يخمّس رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ببدر وقسّم بين أصحابه ثم استقبل بأخذ الخمُس بعد بدر فَاتَّقُوا اللهَ في الإختلاف والمشاجرة وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فيه إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان الإيمان يقتضي ذٰلك .

(٢) إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أي الكاملون في الإيمان الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فزعت لذكره استعظاماً له وهيبة من جلاله وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة نفس وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وإليه يفوّضون أمورهم فيما يخافون ويرجون .

(٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ .

(٤) أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لأنّهم حقّقوا إيمانهم بضمّ مكارم الأخلاق ومحاسن أفعال الجوارحِ إليه لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كرامة وعلوّ منزلة وَمَغْفِرَةٌ لما فرط منهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ أعدّ لهم في الجنّة، القمّي نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذر وسلمان ومقداد .

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند الله وبالنقصان دخل المفرّطون النار ويأتي صدر الحديث في أواخر سورة التّوبة إن شاء الله .

(٥) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ قيل يعني حالهم هٰذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثل حالهم في كراهةخروجكمن بيتك للحرب .

وفي المجمع في حديث أبي حمزة فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك.

(٦) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ في إيثارك الجهاد اظهاراً للحق لايثارهم تلقّى العير وأخذ المال الكثير علىٰ ملاقات النفير والجهاد مَعَ الجمّ الغفير بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ أنّهم يُنْصَرُون أينما توجهوا بأعلام الرّسُول كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ أي يكرهون القتال كراهة أن يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذٰلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم للقتال .

(٧) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ علىٰ اضمار اذكر احْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ يعني العير او النفير وَتَوَدُّونَ انَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ[1] الحدّة تَكُونُ لَكُمْ يعني العير فانه لم يكن فيها إلا اربعون فارساً ولذٰلك يتمنّونها ويكرهون ملاقات النّفير لكثرة عددِهِم وعدّتهم[2].

العياشي عن الصادق عليه السلام ذات الشوكة التي فيها القتال يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ أن يثبته ويعليه بِكَلِمَاتِهِ قيل بآياتِهِ المنزلة في محاربتهم أو بأوليائه .

والقميّ قال الكلمات الأئمّة عليهم السلام وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ويستأصلهم والمعنىٰ أنّكم تريدون مالاً الاّ تلقوا مكروهاً والله يريد اعلاءَ الدين واظهار الحق وما يحصل لكم به فوز الدارين .

(٨) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ فعل ما فعل وليس بتكرير لأنّ الأوّل لبيان مراد الله وتفاوت ما بينه وبين مرادهم والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار

---

١ ـ الشّوكة شدّة البأس والحدّة بالسلاح يقال شاك الرّجل من باب خاف ظهرت شوكته وحدّته فهو شائك السلاح وشاكى السّلاح على القلب مـ

٢ ـ عطف على كثرة لا على عددهم أي لكثرة عددهم ولتأهبهم واستعدادهم.

ذات الشوكة ونصره عليها وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ذٰلك .

(٩) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ لمّا علمتم أن لا محيص عن القتال مع قلّتكم وكثرة عدوّكم بدل من إذ يعدكم .

في المجمع عن الباقر عليه السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم لمّا نظر الى كثرة عدد المشركين وقلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللّهم إن تهلك هٰذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال يهتف ربه مادّاً يديه حتّىٰ سقط رداؤه عن منكبه فأنزل الله إذ تستغيثون الآية فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضاً من أردفته أنا إذا جئت بعده وقرئ بفتح الدّال وهو من أردفته إيّاه .

(١٠) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ أي الإمداد إِلَّا بُشْرَىٰ بشارة لكم بالنصر وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ليزول ما بها من الوَجَل لقلّتكم وذلّتكم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وامداد الملائكة وكثرة العدد وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النّصرَ منها ولا تيأسوا منه بفقدها .

(١١) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ أمناً من الله بدل ثان من إذ يعدكم لإظهار نعمة ثالثة والمعنىٰ إذ تنعسون لأمنكم الحاصِل من الله بازالة الرّعب عن قلوبكم وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ من الحَدَث والخبث .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام اشربوا ماء السّماءِ فإنّه يطهّر البدن ويدفع الأسقام ثم تلا هذه الآية .

ومثله في الخصال والعياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ يعني الجنابة وذٰلك لأنّه احتلم بعضهم وغلب المشركون على الماءِ ويحتمل أن يكون المراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه إيّاهم من العطش إذ روي أنّهم نزلوا في كثيب اعقر تسوخ فيه الأقدام على غير ماءٍ وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماءِ فوسوس إليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماءِ وأنتم

تصلّون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلاً حتىٰ جرى الوادي واتخذوا الحياض علىٰ عدوته[١] وسقوا الركاب[٢] واغتسلوا وتوضئواوتلبّد[٣] الرمل الذي بينهم وبين العدوّ وحتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة **وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ** بالوثوق على لطف الله تعالىٰ بكم **وَيُثَبِّتَ بِهِ** بالمطر **الْأَقْدَامَ** حتى لا تسوخ في الرمل أو بالرّبطِ على القلوب حتى تثبت في المعركة .

(١٢) **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ** بدل ثالث لإظهار نعمة رابعة **إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ** في اعانتهم وتثبيتهم **فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا** بالبشارة لهم وبتكثير سوادهم ومحاربة أعدائهم **سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ** أعاليها التي هي المذبح والرّؤوس **وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** أصابع أي جزّوا رقابهم واقطعوا أطرافهم .

(١٣) **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** بسبب مشاقّتهم لهما وكونهم في شقّ خلاف شقهما **وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** .

(١٤) **ذَٰلِكُمْ** الخطاب فيه مَعَ الكفار على طريقة الإلتفات **فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ** والمعنى ذوقوا ما عجّل لكم من القتل والأسر مع ما أجّل لكم في الآخرة من عذاب النار .

القميّ وكان سبب ذٰلك أنّ عير قريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم فأمر النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم أصحابه بالخروج ليأخذوها فأخبرهم أنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين إمّا العير أو القريش إن ظفر بهم فخرج في ثلثمأة وثلاثة عشر رجلاً فلما قارب بَدْراً وكان أبو سفيان لعنه الله في العير فلما بلغه أن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قد خرج يتعرض العير خاف خوفاً شديداً ومضىٰ إلى الشام فلما وافى[٤]

---

١ ـ العدى كالى شاطىء الوادي كالعدوة مثلثة .

٢ ـ الركب ركبان الأبل اسم جمع او جمع وهم العشرة فصاعداً وقد يكون للخيل .

٣ ـ لبَدَ كنصر وفرح لبوداً ولبداً أقام ولزق كألبد وتلبّد الصّوف ونحوه تداخل ولزق بعضه ببعض .

٤ ـ وافى فلان اتى ووافيته موافاة اتيته ومثله وافيت القوم مـ .

النقرة[١] اكترى ضمضم بن عمرو الخزاعي بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً[٢] وقال له امض إلى قريش وأخبرهم أنّ محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم والصباة[٣] من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم فأدركوا العير وأوصاه أن يجزم ناقته ويقطع أذنها حتى يسيل الدّم ويشقّ ثوبه من قبل ودبر فإذا دخل مكة ولىّ وجهه إلى ذنب العير وصاح بأعلىٰ صوته قال يا آل غالِب يا آل غالِب اللطيمة[٤] اللطيمة العير العير أدركوا أدركوا وما أريكم تدركون فإنّ محمّدا صلىّ الله عليه وآله وسلم والصباة من أهلِ يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم .

فخرج ضمضم يبادر إلى مكّة ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيّام كأنّ راكباً قد دخل مكة ينادي يا آل غدر يا آل غدر اغدوا إلىٰ مصارعكم صبح ثالثة ثم وافىٰ بجمله علىٰ أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش الا أصابه منه فلذة وكأنّ وادي مكّة قد سال من أسفله دماً .

فانتبهت ذَعِرَةً فأخبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هٰذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرّؤيا في قريش وبلغ ذٰلك أبا جهل فقال ما رأت عاتكة هٰذه الرّؤيا وهٰذه تبنية ثانية في بني عبد المطلبْ واللاّت والعزّى لننتظرنّ ثلاثة أيام فان كان ما رأت حقّاً فهو كما رأت وان كان غير ذٰلكَ لنكتبنّ بيننا كتاباً انه ما من أهل بيت من العرَبَ أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم فلما مضى يوم قال أبو جهل هذا يوم قد مضى فلما كان اليوم الثاني قال أبو جهل هذان يومان قد مَضَيا فلما كان اليوم الثالث وافىٰ ضمضم ينادي في الوادي يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة

---

١ ـ النقرة ويقال معدن النّقرة وقد تكسر قافهما منزل لحاجّ العراق بين اضاخ ومأوان ق.

٢ ـ القلوص من الإبل الشّابة او الباقية على السّير او اوّل ما يركب من اناثها الى ان تثنّى ثم هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالاناث ج قلائص وقُلُص قلاص.

٣ ـ في النّهاية يقال صبا فلان اذا خرج من دين الى دين غيره قال وكانت العرب تسمّي النّبي صلّى الله عليه وآله الصّاب لأنّه خرج من دين قريش الى دين الإسلام ويسمّون المسلمين الصّباة بغير همز كأنّه جمع الصّاب « منه رحمه الله »

٤ ـ بمعنى ضرب الخدّ والظاهر في مثل المقام انّه كناية عن الصدمة اي اسرعوا الى علاجها او اشكوا والعير العير أي ادركوهم ويمكن تقدير اسرعوا في الكلّ وغير ذلك أيضاً.

اللطيمة العير العير أدركوا أدركوا ومـا أريكم تدركون فإنَّ محمّداً صلىَّ الله عليه وآله وسلم والصّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم التي فيها خزائنكم .

فتصايح الناس بمكّة وتهيّؤا للخـروج وقام سهل بن عمرو وصفوان بن أميّة وأبو البختري بن هشام ومنبّه[1] ونبيه ابنا الحجّاج ونوفل بن خويلد فقالوا يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هٰذه أن يطمع محمّد والصّباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم التي فيها خزائنكم فوالله ما قرشّي ولا قرشيّة إلاَّ ولها في هٰذه العير نَشّ[2] فصاعداً وانّه للذّلّ والصغار أن يطمع محمد صلىَّ الله عليه وآله وسلم في أموالكم ويفرّق بينكم وبين متجركم فاخرجوا .

وأخرج صفوان بن أميّة خمسمأة دينار وجهّز بها وأخرج سهيل بن عمرو وما بقي أحد من عظماءِ قريش إلاّ أخرجوا مالاً وحمّلوا وقوّواوخرجوا على الصعب[3] والذّلول لا يملكون أنفسهم كما قال الله تعالىٰ خرجوا من ديارِهم بطراً ورئاءَ الناس وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث وعقيل بن أبي طالب وأخرجوا معهم القِيان[4] يشربون الخمر ويضربون بالدّفوف .

وخرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في ثلثمأة وثلاثة عشر رجلاً فلما كان بقرب بدر علىٰ ليلة منها بعث بشير بن أبي الرّغباء ومحمد بن عمرو يتجسّسان خبر العير فأتيا ماء بدر فأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماءِ وسمعا جاريتين قد تشبّثت إحديهما بالأخرى وتطالبها بدرهم كان لها عليها فقالت عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وهي تنزل غداً هيهنا واعمل لهم وأقضيكِ فرجعا فأخبراه بما سمعا فأقبل أبو سفيان بالعير فلما شارف بدراً تقدّم العير وأقبل وحده حتى انتهىٰ إلى ماءِ بدر وكان بها رجل من جهينة يقال له كِسب الجهني فقال له يا كِسب هل لك علم بمحمّد صلىّ الله عليه

---

١ ـ منبّه كمعظّم ونبيه كعظيم لفظاً ومعنىً .

٢ ـ النّش عشرون درهماً .

٣ ـ الجمل المتروك الّذي لا يترك .

٤ ـ والقينة الأمة مغنّية كانت او غير مغنّية وقيل الأمة البيضاء والجمع قيان .

وآله وسلم وأصحابه قال لا قال واللاّت والعزّى لئن كتمتنا أمر محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم لا يزال قريش لك معادية آخر الدّهر فانّه ليس أحد من قريش إلاّ وله في هٰذا العير نَشّ فصاعداً فلا تكتمني .

فقال والله مالي علم بمحمّد وأصحابه بالتخبار الاّ أنّي رأيت في هٰذا اليوم راكبين أقبلا فاستعذبا من الماءِ وأناخا راحلتيهما ورَجَعا فلا أدري من هما فجاء أبو سفيان إلىٰ موضع مناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده فوجد فيها النّوىٰ فقال هٰذه علايف يثرب هٰؤلاءِ والله عيون محمّد فرجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطريق ومرّوا مسرعين .

ونزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأخبره أنّ العير قد افلتت وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها وأمره بالقتال ووعده النّصرة وكان نازلاً ماء الصّفراءِ فأحبّ أن يبلو الأنصار لأنّهم إنّما وعدوه لأن ينصروه وكان في الدّار فأخبرهم أنّ العير قد جازت وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها وأنّ الله قد أمرني بمحاربتهم .

فجزع أصحاب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من ذٰلك وخافوا خوفاً شديداً فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم : أشيروا عليَّ فقام أبو بكر فقال يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلّت منذ عزّت ولم نخرج علىٰ هيئة الحرب

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم اجلس فجلس فقال : أشيروا عليَّ فقام عمر فقال مثل مقالة أبي بكر فقال اجلس .

ثم قام المقداد فقال يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها وقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حق من عند الله ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[1] وشوك الهراس

---

١ ـ الغضابالقصر شجر ذو شوك وخشبة من أصلب الخشب ولذا لا يكون في فحمه صلابة الهراس كسحاب شجر شائك ثمره كالنّبق .

لخضنا معك ولا نقول لك ما قالت بَنو إسرائيل لموسى إذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هيهنا قاعدون ولكنّا نقول إذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون فجزاه النّبيّ خيراً ثم جلس .

ثم قال أشيروا عليَّ فقام سعد بن معاذ فقال بأبي أنت وأمّي يا رسول الله كأنّك أردتنا قال : نعم قال : فلعلّك خرجت علىٰ أمر قد أمرت بغيره قال : نعم

قالَ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنّنا قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والّذي أخذت منه أحبّ إليّ من الذي تركت والله لو أمرتنا أن نخوض هٰذا البحر لخضنا مَعَك ثم قال بأبي أنت وأمّي يا رسول الله والله ما خضت هٰذا الطريق قطّ ومالي به علم وقد خلّفنا بِالمدينة قوماً ليس نحن بأشدّ جهاداً لك منهم ولو علموا أنّه الحرب لما تخلّفوا ولكن نعدّ لك الرّواحل ونلقىٰ عدوّنا فانّا صُبَّرٌ عند اللقاء أنجاد في الحرب وانّا لنرجو أن يقر الله عينيك بنا فإن يك ما تحبّ فهو ذاك وإن يك غير ذٰلك قعدت علىٰ رواحلك فلحقت بقومنا .

فقال رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم ويحدث الله غير ذلك كأني بمصرع فلان هيهنا وبمصرع فلان هيهنا وبمصرع أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بنْ ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجّاج فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطّائفتين ولن يخلف الله الميعاد .

فنزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم بهٰذه الآية كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ إلىٰ قوله ولو كره المجرمون فأمر رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم بالرّحيل حتى نزل عشاء علىٰ ماءِ بدر وهي العدوة الشّامية وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانيّة وبعثت عبيدها تستعذب من الماءِ فأخذهم أصحاب رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم وحبسوهم فقالوا لهم : من أنتم قالوا : نحن عبيد قريش قالوا فأين العير قالوا لا عِلمَ لنا بالعير فأقبلوا يضربونهم وكان رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم يصلّي فانفتل من صلوٰته فقال إن صدّقوكم ضربتموهم وإن كذّبوكم تركتموهم عليَّ بهم فأتوا بهم .

فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا يا محمّد نحن عبيد قريش قال : كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كلّ يوم جزوراً[١] قالوا تسعة إلىٰ عشرة .

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم القوم تسعمأة إلى ألف قال : فمن فيهم من بني هاشم قالوا العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب فأمر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بهم فحبسُوا .

وبلغ قريشاً ذلك فخافوا خوفاً شديداً ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختريّ بن هشام فقال له أما ترىٰ هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم قطّ بغوا ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كله ولم نسر هذا المسير .

فقال له أبو البختري إنّك سيّد من سادات قريش فسر في الناس وتحمّل العير التي أصابها محمّد صلىً الله عليه وآله وسلم بنخلة وَدَم[٢] ابن الحضرمي فانّه حليفك فقال عتبة أنت تشير عليّ بذٰلك وما علىٰ أحد منّا خلاف إلاّ ابن الحنظلية يعني أبا جهل فسر إليه وأعلمه أنّي قد تحمّلت العير الّتي أصابها محمّد صلىً الله عليه وآله وسلم بنخلة وَدَم ابن الحضرميّ .

فقال أبو البختّري فقصدت خبأه واذا هو قد أخرج درعاً له فقلت له إنّ أبا الوليد بعثني إليك برسالة فغضب ثم قال أما وجد عتبة رسولاً غيرك فقلت أما والله لو غيره أرسلني ما جئت ولكن أبا الوليد سيّد العشيرة فغضب غضبة أخرىٰ فقال تقول سيّد العشيرة فقلت أنا أقوله وقريش كلّها تقول أنه قد تحمّل العير وَدَم ابن الحضرميّ .

فقال إن عتبة أطول النّاس لسانـاً وأبلغهم في الكلام ويتعصّب لمحمّد صلىً الله عليه وآله وسلم فانّه من بني عبد مناف وابنه معه ويريد أن لا يخذله بين الناس لا

---

١ ـ الجزور بالفتح وهي من الإبل خاصّة ما كمل خمس سنين ودخل في السّادسة يقع على الذّكر والأنثى والجمع جزر كرسول ورسل يقال جزرت الجزور من باب قتل أي نحرتها.

٢ ـ ودم بالفتح علم وبطن من كلب في تغلب.

واللاّت والعزّىٰ حتىٰ نقحم[١] عليهم بيثرب ونأخذهم أسارى فندخلهم مكة فتسامع العرب بذٰلك ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه .

وبلغ أصحاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وشكوا وبكوا واستغاثوا فأنزل الله علىٰ رسوله صلىً الله عليه وآله وسلم إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم إنّي ممدّكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلاّ بُشرىٰ ولتطمئنّ به قلوبكم ومَا النّصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيم فلّما أمسى رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وجنّه[٢] اللّيل القى الله تعالىٰ علىٰ أصحابه النّعاس حتىٰ ناموا وأنزل الله تعالىٰ عليهم السماءَ .[٣]

وكان نزول رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في موضع لا يثبت فيه القدم فأنزل الله عليهم السّماءَ ولبد الأرض حتى تثبت أقدامهم وهو قول الله تعالىٰ إذ يغشّيكم النعاس أَمَنَةً منه وينزّل عليكم من السّماءِ ماءً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشّيطان وذٰلك أنّ بعض أصحاب النبي صلىً الله عليه وآله وسلم احتلم وليربط علىٰ قلوبكم ويثبّت به الأقدام وكان المطر علىٰ قريش مثل العزالى[٤] وكان على أصحاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم رَذاذاً بقدر ما يلبد به الأرض وخافت قريش خوفاً شديداً فأقبلوا يتحارسونَ يخافون البيات فبعث رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال ادخلا في القوم وَأْتونا بأخبارهم فكانا يجولان بعسكرهم لا يرون إلاّ خائفاً ذعراً إذا صهل الفرس وثب على جحفلته[٥] فسمعوا منبّه بن الحجّاج يقول :

لا يترك الجوع لنا مبيتا لا بدّ أن نموت أو يميتا

---

١ ـ قحم في الأمر كنصر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّة وقحمته تقحيماً وأقحمته فانقحم واقتحم.

٢ ـ جنّه اللّيل وعليه حنا وأجنّه ستره وكلّ ما ستر عنك فقد جنّ عنك وجنّ الليل وجنونه وجنانه ظلمته.

٣ ـ السماء المطر سمّي به لأنه ينزل من السماء «منه رحمه الله».

٤ ـ العزالى جمع عزلاء وهو مصبّ الماء من الرّواية ونحوها والرّذاذ المطر الضّعيف «منه».

٥ ـ الجحفلة بمنزلة الشّفه للخيل والبغال والحمير.

قال قد والله كانوا شباعاً ولكنهم من الخوف قالوا هٰذا والقى الله في قلوبهم الرّعب كما قال الله تعالىٰ سألقي في قلوب الذين كفَروا الرّعب فلّما أصبح رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم عبّا[1] أصحابه وكان في عسكر رسول الله صلىً الله عليه واله وسلم فرسان فرس للزّبير بن العوام وفرس لمقداد وكان في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها

وكان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثـد الغنويّ علىٰ جمل يتعاقبون عليه والجمل لمرثد وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس فعبّأ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أصحابه بين يديه فقال غضّو أبصاركم ولا تبدؤهم بالقتال ولا يتكلّمن أحد فلّما نظرت قريش إلىٰ قلّة أصحاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم.

قالَ أبو جهل ما هم إلاّ أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد.

فقال عتبة بن ربيعة أترىٰ لهم كميناً ومدداً فبعثوا عمرو بن وهب الجُمَحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتّىٰ طاف على عسكر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ثم صعد في الوادي وصوّت ثم رجع إلىٰ قريش فقال ما لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح[2] يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون يتلمّظون تلمّظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلاّ سيوفهم وما أريهم يولّون حتّى يقتلوا ولا يُقْتَلُونَ حتىٰ تقتلوا بعددهم فارتـأوا[3] رأيكم فقال أبو جهل كذبت وجبنت وانتفخ سحرُك يعني نظرت إلىٰ سيوف أهل يثرب.

وفزع أصحاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حين نظروا إلىٰ كثرة

---

١ ـ عبّا المتاع والأمر كمنع هيّاه والجيش جهّزه كعبأه تعبية وتعبيئاً فيهما والطيب صنعهُ وخلطه.

٢ ـ نضح البعير الماء حمله من نهر وبئر لسقي الزّرع فهو ناضح سمّي بذلك لأنه ينضح الماء أي يصبّه والأنثى ناضحة وسانية ايضا والجمع نواضح وهذا اصله ثم استعمل الناضح في كل بعير وان لم يحمل الماء.

٣ ـ رَتَأَ العقدة كمنع رتأً شدّها وفلاناً خنقه وأقام وانطلق.

قريش وقوّتهم فأنزل الله تعالى على رسوله وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكّل على الله وقد علمَ الله أنّهم لا يجنحُون ولا يجيبون إلى السّلم وانّما أراد الله تعالىٰ بذلك لتطيب قلوب أصحاب النّبي صلىَّ الله عليه وآله وسلم فبعث رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم إلى قريش فقال :

يا معشر قريش ما أجد من العرب أبغض إليّ من أبدأكم فخلّوني والعرب فان أكُ صادقاً فأنتم أعلا بي عيناً وإن أكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا

فقال عتبة والله ما أفلح قوم قط ردّوا هذا ثمّ ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم يجول في العسكر وينهى عن القتال فقال إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن تطيعوه ترشدوا فأقبل عتبة يقول يا معشر قريش اجتمعوا واسمعوا ثم خطبهم فقال :

يُمْن مع[1] رحْب ورُحْب مع يمن يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدّهر وارجعوا إلىٰ مكة واشربوا الخمور وعانقوا الحور فإنَّ محمّداً صلىَّ الله عليه وآله وسلم إلّ[2] وذمّة وهو ابن عمّكم فارجعوا ولا تردّوا رأيي وإنمّا تطالبون محمّداً بالعير التي أخذها محمّد بنخله وَدَم ابن الحضرمي وهو حليفي وعليّ عقله .

فلّما سمع أبو جهل ذٰلك غاظه وقال إنّ عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيّد قريش إلى آخر الدّهر ثم قال يا عتبة نظرت إلىٰ سيوف بني عبد المطلب وجبنت وانتفخ سَحْرُك[3] وتأمر الناس بالرجوع وقد رأينا آثارنا بأعيينا فنزل عتبة عن جمله وحمل علىٰ أبي جهل وكان على فرس فأخذ بشعره فقال الناس يقتله فعرقب فرسه فقال أمثلي يجبن وسيعلم قريش اليوم أيّنا الألئم والأجبن وأيّنا المفسد لقومه لا يمشي الاّ أنا وأنت بالموت عياناً ثم قال هذا جَناي وخياره

---

١ - رَحُبَ ككرم وسمع رحباً بالضّم ورحابة فهو رحب ورحيب ورحاب بالضمّ اِتّسع.

الالّ بالكسر العهد والحلف والأمان والقرابة

السَّحر ويحرّك ويضمّ الرّية ج سحور وأسحار واثر دبرة البعير وانتفخ سحره ومساحره عدا طوره وجاوز قدره وانقطع منه سحري يئست منه.

فيه وكل جان يده إلىٰ فيه ثم أخذ بشعره يجره فاجتمع إليه الناس فقالوا :

يا أبا الوليد الله الله لا تَفُتَّ في أعضاد الناس تنهى عن شيء تكون أوّله فخلّصوا أبا جهل من يده .

فنظر عتبة إلىٰ أخيه شيبة ونظر إلى ابنه الوليد فقال قم يا بنيّ فقام ثم لبس درعه وطلبوا له بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته فاعتمّ بعمامتين ثم أخذ سيفه وتقدم هو وأخوه وابنه ونادى يا محمّد أخرج إلينا أكفّاءنا من قريش فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار عوذ ومعوذ وعون بني عفراء فقال عتبة من أنتم انتسبوا لنعرفكم فقالوا نحن بنو عفراء أنصار الله وأنصار رسول الله فقال ارجعوا فإنّا لسنا إيّاكم نريد إنّما نريد الأكفّاء من قريش فبعث إليهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ان ارجعوا فرجعوا و كره أن يكون أوّل الكرّة بالأنصار فرجعوا وواقفوا موقفهم .

ثم نظر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إلىٰ عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له سبعون سنة فقال له قم يا عبيدة فقام بين يديه بالسّيف تم نظر إلىٰ حمزة بن عبد المطلب فقال له قم يا عمّ ثم نظر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال له قم يا عليّ وكان أصغر القوم سنّاً فقاموا بين يدي رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بسيوفهم فاطلبوا بحقّكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفي نور الله ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره .

ثم قال رسول الله يا عبيدة عليك بِعُتْبَة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعليّ عليك بالوليد بن عتبة فمرّوا حتى انتهوا إلى القوم فقال عتبة من أنتم انتسبوا لنعرفكم فقال أنا عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقال كفو كريم فقال : فمن هٰذان فقال حمزة ابن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب فقال كفوان كريمان لعن الله من أوقفنا وإيّاكم هذا الموقف فقال شيبة لحمزة من أنت فقال أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله فقال له شيبة لقدلقبّت أسد الحلفاء[1] فانظر كيف يكون صولتك يا أسد الله .

---

١ ـ الحلفة والحلفاء والحلف محركة النبت المعروف ولعلّ المراد بأسد الحلفاء الأسد السّاكن تحت شجرتها لأنها تغطيه =

فحمل عبيدة علىٰ عتبة فضربه علىٰ رأسه ضربة فلق هامته وضرب عتبة عبيدة علىٰ ساقه وقطعها وسقطا جميعاً وحمل حمزة علىٰ شيبة فتضاربا بالسّيفين حتى اثتلما وكلّ واحد منهما يتّقي بدَرقته وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه علىٰ حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه فقال عليّ عليه السلام فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أنَّ السماء وقعت على الأرض .

ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا عليّ أما ترى الكلب قد نهر عمّك فحمل إليه عليّ عليه السلام ثم قال : يا عمّ طأطىء رأسك وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ رأسه فطيّر نصفه ثم جاء إلىٰ عتبة وبه رمق فأجهز عليه وحُمِل عبيدة بين حمزة وعليّ حتّىٰ أتوا به رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فنظر إليه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فاستعبر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ألست شهيداً ؟ قال : بلىٰ أنت أول شهيد مِن أهل بيتي فقال أما لو أنَّ عمّك حيّ لعلم أنّي أولىٰ بما قال منه قال صلىً الله عليه وآله وسلم وأيّ أعمامي تعني قال أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبري محمّداً ولّما نطاعن دونه ونناضل
وتُسْلمه حتى نُضَرَّع حَوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله أما ترى ابنه كاللّيث العادي بين يدي الله ورسوله وابنه الآخر في جهاد أعداءِ اللهِ بأرض الحبشة فقال يا رسول الله أسخطت عليّ في هٰذه الحالة ؟ فقال : ما سخطت عليك ولكن ذكرت عمّي فانقبضت لذٰلك .

وقال أبو جهل لقريش لا تعجّلوا ولا تبطروا كما عجّل وبطر ابنا ربيعة عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتىٰ ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي كانوا عليها وكان فئة من قريش أسلموا بمكة فأحبسهم آباؤهم فخرجوا

=وهو يكمن فيها ويستأنس بها ويتوطّن عندها فحاصل مراد القائل انّك ملقّب بالأسد تشبيهاً وانا اسد حقيقة نظير قول الشاعر اسد دم الأسد الهزبر خضابه.

مع قريش إلىٰ بدر وهم على الشكّ والإرتياب والنفاق منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكهة والحرث بن ربيعة وعليّ بن أميّة بن خلف والعاص بن المنبّه فلما نظروا إلىٰ قلة أصحاب محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم قالوا مساكين هٰؤلاءِ غرهم دينهم فيقتلون الساعة فأنزل الله علىٰ رسوله إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاءِ دينهم ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم .

وجاء إبليس عليه اللعنة إلىٰ قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم : أنا جار لكم ادفعوا إليّ رايتكم فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهوّل بهم علىٰ أصحاب رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ويخيّل إليهم ويفزعهم وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الرّاية فنظر إليه رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال : غضّوا أبصاركم وعضّوا على النواجد ولا تسلّوا سيفاً حتّىٰ آذن لكم ثم رفع يده إلى السّماءِ فقال : يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد وإنْ شئت لا تعبد لا تعبد ثم أصابه الغشي فسري[1] عنه وهو يسلت العرق عن وجهه وهو يقول هٰذا جبرئيل قد آتيكم في ألف من الملائكة مردفين .

قال فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لا يح قد وقعت علىٰ عسكر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقائل يقول إقدم حيزوم[2] قدم حيزوم وسمعنا قعقعة السّلاح من الجوّ ونظر إبليس إلى جبرئيل فراجع ورمى باللواءِ فأخذ منبّه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال : ويلك يا سراقة تفتّ[3] في أعضاد الناس فركله[4] إبليس ركلة في صدره وقال : إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله وهو قول الله واذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إنّي أرىٰ ما لا ترون إنّي أخاف

---

١ ـ سُرِيَ عنه انكشف ويسلت العرق أي يمسحه ويميطه «منه رحمه الله».

٢ ـ وحيزوم اسم فرس كان لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وفي التفسير اسم جبرئيل اراد اقدم يا حيزوم على الحذف وفي ص حيزوم فرس من خيل الملائكة.

٣ ـ أي تورد الضّعف والإنكسار فيهم وتذهب بقوّتهم وشوكتهم.

٤ ـ الرّكل ضربك الفرس برجلك ليعدو والضّرب برجل واحدة.

الله والله شديد العقاب ثم قال عزّ وجلّ : ولو ترىٰ إذ يتوفّى الذين كفرُوا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق .

وحمل جبرئيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر وقال ربِّ أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلىٰ يوم الدّين .

وروي في خبر إنَّ إبليس التفت إلى جبرئيل وهو في الهزيمة فقال : يا هٰذا بد لكم فيما أعطيتمونا فقيل لأبي عبد الله عليه السلام أترى كان يخاف أن يقتله فقال : لا ولكنه كان يضربه ضربة يشينه منها إلىٰ يوم القيامة وأنزل الله علىٰ نبيّه إذ يوحى ربّك إلى الملائكة إنّي معكم فثبّتوا الذين آمنُوا سألقي في قلوب الذين كفرُوا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان قال أطراف الأصابع فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفىء نور الله ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره .

وخرج أبو جهل بين الصّفّين فقال : اللّهم إنَّ محمّداً أقْطَعَنَا الرّحم وأتانا بما لا نعرفه فأهنه الغداة فأنزل الله على رسوله أن تستفتِحوا فقد جائكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نَعُدْ ولن تُغْنِي عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وانّ الله مع المؤمنين ثم أخذ رسول الله صلىَّ اللهُ عليه وآله وسلم كفّاً من حصًى فرمىٰ به في وجوه قريش وقال شاهت الوجُوه فبعث الله رياحاً تضرب وجوه قريش فكانت الهزيمة .

ثمّ قال رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم اللّهم لا يغلبنّك فرعون هٰذه الأمّة أبو جهل بن هشام فقتل منهم سبعين وأسر منهم سبعين والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل فضرب عمرو أبا جهل علىٰ فخذه وضرب أبو جهل عمراً علىٰ يده فأبانها من العضد فتعلقت بجلده فاتكى[1] عمرو على يده برجله ثم تراخى في السماءِ حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده .

وقال عبد الله بن مسعود انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحّط بدمه فقلت الحمد

---

١ ـ أي وضع رجله على يده المبانة وتأخر في جهة العلوّ حتّى انقلعت الجلدة وأراد بعبد ابن امّ عبد ابن مسعود و مرتقىً صعباً أي يعسر ارتقاؤه وليس أمراً سهلاً .

لله الذي أخزاك فرفع رأسه .

فقال إنّما أخزى الله عبداً ابن أمّ عبد لمن الدين ولمن الملك ويلك قلت لله ولرسوله وانّي قاتلكووضعت رجلي علىٰ عنقه فقال لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رُوَيْعِيَ الغنم أمَا أنّه ليس شيء أشدّ من قتلك ايّاي في هذا اليوم ألاّ يتولّىٰ قتلي إلّارجل من المطّلبيّين أو رجل من الأحلاف فانقلعت بيضة كانت علىٰ رأسه فقتلته وأخذت رأسه وجئتُ به إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله البشرىٰ هٰذا رأس أبي جهل بن هشام فسجد لله شكراً .

وأسر أبو بشر الأنصاري العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وجاء بهما إلى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم .

فقال له صلىّ الله عليه وآله وسلم هل أعانك عليهما أحد قال : نعم رجل عليه ثياب بيض .

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم : ذاك من الملائكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعبّاس:أفد نفسك وابن اخيك فقال يا رسول الله قد كنت أسلمت ولكن القوم استكرهوني فقال رسول الله : الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تذكر حقّاً فالله يُجْزيكَ عليه فأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا ثم قال: يا عباس إنّكم خاصمتم الله فخصمكم ثم قال أفد نفسك وابن أخيك . وقد كان العباس اخذ معه اربعين اوقية من ذهب فغنمها رسول الله صلّى الله عليه وآله فلمّا قال رسول الله للعباس أفد نفسك قال يا رسول الله احسبها من فدائي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ذاك شيء أعطانا الله منك فافد نفسك وابن أخيك فقال العباس فليس لي مال غير الذي ذهب مني قال بلىٰ المال الذي خلفته عند أمّ الفضل بمكّة وقلت لها إن حدث عليّ حدث فاقسمُوه بينكم فقال له أتتركني وأنا أسأل الناس بكفّي فأنزل الله علىٰ رسوله في ذٰلك يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرىٰ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيمٌ .

ثم قال الله وان يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله من قبل فيك فامكن منهم ثم قال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم لعقيل قد قتل الله يا أبا يزيد أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجاج ونوفل بن خويلد وأسر سهيل بن عمرو والنضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط وفلان وفلان فقال عقيل إذاً لا تنازعون في تهامة فان كنت قد أثخنت القوم والاّ فاركب اكتافهم فتبسّم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم .

وكان القتلىٰ ببدر سبعين والأسرىٰ سبعين قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين ولم يؤسر أحداً فجمعوا الاسارىٰ وفرّقوهم في الجمال وساقوهم علىٰ أقدامهم وجمعوا الغنائم وقتل من أصحاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم تسعة رجال فيهم سعد بن خيثمة وكان من النقباءِ فرحل رسول الله صلّىً الله عليه وآله وسلم من بدر ونزل الأثيل عند غروب الشمس وهو من بدر علىٰ ستة أميال فنظر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إلىٰ عقبة بن أبي معيط وإلى النضر بن الحرث بن كلدة وهما في قران واحد فقال النّضر لعقبة يا عقبة أنا وأنت مقتولان فقال عقبة من بين قريش قال نعم لأنّ محمّداً صلىً الله عليه وآله وسلم قد نظر إلينا نظرةً رأيت فيها القتل فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم يَا عَلِيُّ عَلَيَّ بالنّضر وعقبة .

وكان النضر رجلاً جميلاً عليه شعر فجاء عليّ عليه السلام فأخذه بشعره فجرّه إلىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فقال النضر يا محمّدأسألك بالرّحم بيني وبينك الا أجْرَيتني كرجل من قريش إن قتلتهم قتلتني وإن فاديتهم فاديتني وان أطلقتهم أطلقتني .

فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم لا رحم بيني وبينك قطع الله الرّحم. بالإسلام وقدّمه يا عَلِيّ فاضرب عنقه فقال عقبة يا محمّد ألم تقل لا تُصْبر قريش أي لا يقتلون صبراً قال وأنت من قريش إنّما أنت علج من أهل صفوريّة لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعىٰ له ليس منها قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه فقدّمه فضرب عنقه .

فلمّا قتل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم النضر وعقبة خافت الأنصار أن يقتل الأسارىٰ كلّهم فقاموا إلى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقالوا يا رسول الله قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وهم قومك وأساراك هبهم لنا يا رسول الله وخذ منهم الفداء وأطلقهم فأنزل الله عليهم ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرضِ تريدون عرض الدّنيا والله يريد الآخِرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا ممّا غنمتم حَلالاً طيّباً فأطلق لهم أن يأخذوا الفداءَ ويطلقوهم وشرط أن يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذوا منهم الفداء فرضوا منه بذٰلك وتمام الحديث مضى في سورة آل عمران .

(١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً كثيراً بحيث يرى كثرتهم كأنّهم يزحفون أي يدنون، القميّ أي يدنو بعضهم من بعض فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ بالانهزام .

(١٦) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ لأن يكرّ بعد الفرّ لأن يخيّل عدوّه أنّه منهزم وهو من مكايد الحرب أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ أو منحازاً إلىٰ فئة أخرىٰ من المسلمين ليستعينَ بهم فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوِيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ العياشي عن الكاظم عليه السلام إلاّ متحرّفاً لقتال قال متطرّداً يريد الكرة عليهم أو متحيّزاً يعني متأخّراً إلىٰ أصحابه من غير هزيمة فمن انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باءَ بغضب من الله .

(١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ بقوتكم يعني إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ بأن أنزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وقوّى قلوبكم وَمَا رَمَيْتَ أنت يا محمّد إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمى حيث أثّرت الرمّية ذٰلك الأثر العظيم، القميّ يعني الحَصٰى الذي حمله رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ورمىٰ في وجوه قريش وقال شاهت الوجوه [1] .

---

١ ـ اي قبحت يقال شاه يشوه شوهاً وشوه شوها ورجل اشوه وامرأة شوهاء .

روي أنّ قريشاً لمّا جاءت بخيلائها اتاه جبرئيل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لعلي اعطني قبضة من حصاة الوادي فاعطاه فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلاّ شغل بعَينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت اية الرمّي لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لأنه وجد منه صورة ونفاه عنه معنىً لأنّ أثرهُ الذي لا يدخل في قدرة البشر فعل الله سبحانه فكأنّه فاعل الرمّية على الحقيقة وكأنّها لم توجد من الرّسول وفيه وجه آخر غامِض .

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال في هذه الآية سمّي فعل النبي فعلاً له ألا ترى تأويله على غير تنزيله .

العياشي عن الصادق والسجّاد عليهما السلام أنّ عليّاً عليه السلام ناول رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم القبضة التي رمى بها في وجوه المشركين فقال الله وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى .

وفي الخصال في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال وأمّا الخامسة والثلاثون فانّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وجّهني يوم بدر فقال أيتني بكف حصيات مجموعة في مكان واحد فأخذتها ثم شممتها فاذا هي طيّبة يفُوح منها رائحة المسك فأتيته بها فرمىٰ بها وجوه المشركين وتلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس وحصاة من المشرق وحصاة من المغرب وحصاة من تحت العرش مع كلّ حصاة مأة الف ملك مدداً لنا لم يكرم الله عزّ وجلّ بهذه الفضيلة أحداً قبلنا ولا بعدنا وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً ولينعمَ عليهم نعمة عظيمة بالنّصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فَعَلَ مَا فَعَل إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ لاستغاثتهم ودعائهم عَلِيمٌ بنيّاتهم وأحوالهم .

(١٨) ذٰلِكُمْ أي الغرض ذٰلكم وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ يعني أنّ المقصود ابلاءِ المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرىء مُوهّن كيدِ بالإضافة والتشديد .

(١٩) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآئَكُمُ الْفَتْحُ قيل الخطاب لأهل مكة علىٰ سبيل

التهكّم إذ روي أنّهم حين أرادُوا الخروج تعلّقوا بأستار الكعبة وقالوا اللّهمّ انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين .

وفي المجمع في حديث أبي حمزة قال أبو جهل اللّهمّ ربّنا ديننا القديم ودين محمّد الحديث فأيّ الدّينين كان أحبّ إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم .

وروي أنّه قال أيّنا أهجر وأقطع للرّحم فَأَحِنْه اليومَ فاهلكه .

وقيل خطاب للمؤمنين وكذا القولان فيما بعده وَإِنْ تَنْتَهُوا عن الكفر ومعاداة الرَّسُول والتكاسل في القتال والرّغبة عمّا يستأثره الرسُول فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لتضمّنه سلامة الدّارين وخير المنزلين وَإِنْ تَعُودُوا للمحاربة والتكاسل نَعُدْ لنصره والإنكار وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ ولن تدفع عنكم جماعتكم شَيْئاً من الإغناء والمضار وَلَوْ كَثُرَتْ فئتكم وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بالنصر والمعونة .

(٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ عن الرّسُول وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق .

(٢١) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ادّعوا السماع وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ سماعاً ينتفعون به .

(٢٢) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ عن الحقّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ الحقّ [١] .

(٢٣) وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ سماع تفهّم وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وقد علم أن لا خير فيهم لَتَوَلَّوْا ولم ينتفعوا به وَهُمْ مُعْرِضُونَ لعنادهم [٢]

في المجمع عن الباقر عليه السلام نزلت في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف يقال له سويط .

---

١ ـ يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحقّ ولا يتكلّمون به ولا يعتقدونه ولا يقرّون به فكأنّهم صمّ بكم لا يتفكّرون ايضاً فيما يسمعون فكأنّهم لم ينتفعوا بعقولهم أيضاً وصاروا كالدّواب .

٢ ـ وفي هذا دلالة على أن الله تعالى لا يمنع أحداً من المكلّفين اللّطف وإنما لا يلطف لمن يعلم أنه لا ينتفع به .

(٢٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ بالطاعة إِذَا دَعَاكُمُ الرسول لِمَا يُحْيِيكُمْ.

في الكافي عن الصادق عليه السلام نزلت في ولاية عليّ عليه السلام .

والقميّ الحيوٰة الجنّة .

وعن الباقر عليه السلام في هٰذه الآية ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانّ اتّباعكم إيّاهُ وولايته أجمع لأمركم وأبقىٰ للعدل فيكم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يملك تقلّب القلوب من حال إلىٰ حال .

القميّ أن يحول بينه وبين ما يريد .

وعن الباقر عليه السلام يحول بين المؤمن ومعصيته أن تقوده إلى النار وبين الكافر وبين طاعته أن يستكمل بها الإيمان قال واعلموا أنّ الأعمالَ بخواتيمها .

وفي التّوحيد والعياشي عن الصادق عليه السلام في هٰذه الآية يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ .

وفي المجمع والعياشي عنه عليه السلام معناه لا يستيقن القلب أنّ الحقّ باطل أبداً ولا يستيقن القلبُ أنّ الباطل حقّ أبداً،والعياشي عنه عليه السلام هو أن يشتهي الشّيءَ بسمعه وبصره ولسانه ويده أمّا إن هو غشي شيئاً ممّا يشتهي فانه لا يأتيه الاّ وقلبه منكر لا يقبل الذي يأتي يعرف أنّ الحقّ ليس فيه،وعن الباقر عليه السلام هذا الشيء يشتهيه الرّجل بقلبه وسمعه وبصره لا تتوق نفسه الىٰ غير ذلك فقد حيل بينه وبين قلبه إلاّ ذٰلك الشيء وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجازيكم بأعمالكم .

(٢٥) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً بل يعمهم وغيرهم كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع .

والعياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال أصابت الناس فتنة بعدما قبض الله نبيّه صلىّ الله عليه وآله وسلم حتى تركوا عليّاً عليه السلام وبايعوا غيره

وهي الفتنة التي فتنوا بها وقد أمرهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم باتباع عليّ عليه السلام والأوصياء من آل محمد صلوات الله عليهم .

وفي المجمع عن عليّ والباقر عليهماَ السلام أنهما قرئا لتصيبنّ .

وعن ابن عباس أنها لما نزلت قال النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم من ظلم عليّاً عليه السلام مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء قبلي .

والقميّ نزلت في طلحة والزّبير لما حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وظلموه **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** .

(٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ[1] النَّاسُ فَآوِيكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من الغنائم **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** هذه النّعم .

القميّ نزلت في قريش خاصة وهو رويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً.

(٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنكم تخونون .

في المجمع عن الباقر والصادق عليهماَ السلام نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وذلك أنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدىٰ وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الصّلح علىٰ ما صالح عليه اخوانهم من بني النّضير علىٰ أن يسيرُوا إلى اخوانهم إلىٰ أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبىٰ أن يعطيهم ذلك رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلاّ أن ينزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأنّ عياله وماله وولده كانت

---

١ ـ التخطّف الأخذ بسرعة انتزاع يقال تخطّف وخطف واختطف أي يستلبكم المشركون من العَرب أن خرجتم منها وقيل انّه يعني بالنّاس كفار قريش وقيل فارس و لرّوم فاويكم أي جعل لكم مأوىً ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة.

عندهم فبعثه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فأتيهم فقالوا ما ترىٰ يا أبا لبابة أننزل علىٰ حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده إلىٰ حلقه انّه الذّبح فلا تفعلوا فأتاه جبرئيل فأخبره بذٰلك قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فيه فلّما نزلت شدّ نفسه علىٰ سارية[1] من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشيّاً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلّني فجاءه فحلّه بيده ثم قال أبو لبابة إن من تمام توبتي أن أهجر دار قوميَ التي أصبت فيها الذنب وأن أخلع من مالي فقال النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم يجزيك الثّلث أن تتصدّق به .

والقميّ عن الباقر عليه السلام فخيانة الله والرسول معصيتهما أمّا خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون علىٰ ما افترض الله عزّ وجلّ عليه قال نزل في أبي لبابة بن عبد المنذر فلفظ الآية عامّ ومعناها خاصّ قال ونزلت في غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة وقد كتبت في هٰذه السورة مع اخبار بدر وكانت علىٰ رأس ستة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم المدينة ونزلت مع الآية التي في سورة التوبة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم التي نزلت في أبي لبابة قال فهذا الدليل علىٰ أنّ التأليف علىٰ خلاف ما أنزل الله علىٰ نبيّه ثم ذكر هٰذه القصة هناك كما يأتي .

(٢٨) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ[2] لإلهائهم إيّاكم عن ذكر الله وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ لمن آثر رضاء الله عليهم .

في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقولنّ أحدكم اللّهم إنّي أعوذ بك

---

١ ـ السارية : الأسطوانة .

٢ ـ أي بلاء ومحنة وسبب لوقوعكم في الجرايم العظام يعني انه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الراضي بقسمه ممّن لا يرضى به وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن ليظهر الأفعال التي بها يستحقّ الثواب والعقاب .

من الفتنة لأنه ليس أحدٌ إلاّ وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن فانّ الله سبحانه يقول إنّما أموالكم وأولادكم فتنة .

(٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً هداية في قلوبكم تفرّقون بها بين الحقّ والباطل .

القميّ يعني العلم الذي به تفرّقون بين الحق والباطل وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويسترها وَيَغْفِرْ لَكُمْ بالتجاوز والعفو عنها وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

(٣٠) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا واذكر إذ يمكر بك قريش ذكّره ذلك ليشكر نعمة الله عليه في خلاصه لِيُثْبِتُوكَ بالحبس أَوْ يَقْتُلُوكَ بسيوفهم أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكّة وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ بردّ مكرهم ومجازاتهم عليه وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ .

العياشي عن أحدهما عليهما السلام أنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أناس ثم انطلقوا إلىٰ دار النّدوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول اللهِ فاذا شيخ قائم على الباب واذا ذهبوا إليه ليدخلوا قال ادخلوني معكم قالوا ومن أنت يا شيخ قال أنا شيخ من مضرَ ولي رأي أشير به عليكم فدخلوا وجلسُوا وتشاوروا وهو جالس وأجمعوا أمرهم علىٰ أن يخرجوه فقال ليس هذا لكم برأي إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم قالوا صدقت ما هذا برأي ثم تشاوروا فأجمعُوا أمرهم علىٰ أن يوثقوه قال هذا ليس بالرأي إن فعلتم هذا ومحمّد رجل حلو اللسان أفسد عليكم أبناءَكم وخدمكم وما نفع أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه وامرأته ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم علىٰ أن يقتلوه يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة ثم قرأ هٰذه الآية واذ يمكر بك الذين كفرُوا .

والقميّ نزلت بمكة قبل الهجرة وكان سبب نزولها أنّه لما أظهر رَسُول الله صلىً الله عليه وآله وسلم الدّعوة بمكة قدمت عليه الأوس والخزرج فقال لهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم تمنعوني[1] وتكونون لي جاراً حتى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله

---

١ ـ وهو في عزّ ومَنَعة محرّكة ويسكن أي معه من يمنعه من عشيرته . وامتنع بقومه تقوّى بهم فهو في منعته بفتح النّون أي في عزّقومه فلا يقدر عليه من يريده، قال في المصباح قال الزمخشري هي مصدر مثل الأنفة والعظمة او جمع مانع وهم =

الجنّة فقالوا نعم خذ لربّك ولنفسك ما شئت فقال لهم موعدكم العقبة[١] في الليلة الوسطىٰ من ليالي التشريق فحجّوا ورجعوا إلىٰ منىٰ وكان فيهم ممّن قد حجّ بشر كثير فلما كان الثاني من أيّام التشريق .

قال لهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إذا كان الليل فاحضروا دار عبد المطلب على العَقَبة ولا تنبّهوا نائماً ولينسل[٢] واحداً فواحداً فجاء سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار فقال لهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم تمنعوني وتجيروني حتى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله الجنّة .

فقال سعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام نعم يا رسول الله اشترط لربّك ولنفسِك ما شئت فقال أمّا ما أشترط لربّي فان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم فقالوا فما لنا علىٰ ذلك فقال الجنّة في الآخرة وتملكون العرب ويدين لكم العجم في الدنيا وتكونون ملوكاً في الجنّة فقالوا قد رضينا .

فقال أخرجوا إليّ منكم اثني عَشَرَ نقيباً يكونون شُهَدَاءَ عليكم بذٰلك كما أخَذَ موسىٰ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً يكونون شُهَدَاءَ عليكم بذٰلك فأشارَ إليه جبرئيل فقال هذا نقيب وهذا نقيب تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فمن الخزرج سعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام أبو جابر بن عبد الله ورافع بن مالك وسعد بن عبادة والمنذر بن عمر وعبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع وعبادة بن الصامت ومن الأوس أبو الهيثم بن التّيهان وهو من اليمن وأسد بن حصين وسعد بن خيثمة .

= العشيرة والحماة ويجوز ان يكون مقصوراً من المناعة وقد يسكن في الشعر لا في غيره خلافاً لما اجازه مطلقاً والمنيع القويّ ذو المنعة .

١ ـ العَقَبة بالتحريك مرقى صعب من الجبال يجمع على عقاب كرقبة ورقاب وليلة العقبة هي التي بايع رسول الله صلّى الله عليه وآله الأنصار على الإسلام والنصرة وعقبة المدنيّن في مكة لمن جاء على طريق المدينة وجمرة العقبة معروفة في منى .

٢ ـ قوله تعالى يتسلّلون منكم لواذاً أي خيرجون من الجماعة واحداً واحداً كقولك سللت كذا من كذا إذا آخرجته منه .

فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم صاح إبليس يا معشر قريش والعرب هٰذا محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم والصباة من أهل يثرب علىٰ جمرة العقبة يبايعونه علىٰ حربكم فأسمع أهل منىٰ وهاجت قريش فأقبلوا بالسلاح .

وسمع رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم النّداءَ فقال للأنصار تفرّقوا .

فقالوا يا رسول الله إن أمرتنا أن نَميلَ عليهم بأسيافنا فعلنا .

فقال لهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لم أؤمر بذٰلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم قالوا أفتخْرُج معنا قال انتظر أمر الله فجاءت قريش علىٰ بكرة أبيها قد أخذوا السلاح وخرج حمزة وامير المؤمنين عليه السلام ومعهماَ السيف فوقفا على العقبة فلما نظرت قريش إليهما قالوا ما هذا الذي اجتمعتم له فقال حمزة مَا اجتمعنا وما هيهنا أحد والله لا يجوز هذه العقبة أحد الا ضربته بسيفي .

فرجعوا إلىٰ مكة وقالوا لا نأمن أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم فاجتمعوا في النّدوة وكان لا يدخل دار النّدوة إلاّ مَن قد أتىٰ عليه أربعون سنة فدخلوا أربعين رجلاً من مشايخ قريش وجاء إبليس في صورة شيخ كبير فقال له البواب من أنت قال أنا شيخ من أهل نجد لا يعدمكم مني من رأي صائب أني حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم فقال ادخل فدخل إبليس فلما أخذوا مجلسهم .

قال أبو جهل يا معشر قريش انّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا نحن أهل الله تفد إلينا العَرَب في السنة مرتين ويكرّمونا ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمّد بن عبد الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فكنّا نسمّيه الأمين لصَلاحه وسكونه وصدق لهجته حتى اذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادّعىٰ أنّه رسول الله وأن أخبار السماءِ تأتيه فسفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا وزعم أنه من مات من أسلافنا ففي النار فلم يرد علينا شيئاً أعظم من هذا فقد [وقد] رأيت فيه رأياً قالوا وما رأيت قال رأيت أن ندسّ إليه رجلاً منّا ليقتله فان طلبت بنو هاشم بدمه أعطيانهم عشر ديات .

فقال الخبيث هذا رأي خبيث قالوا وكيف ذٰلك قال لأنّ قاتل محمّد مقتول لا محالة فمن هذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم فانّه إذا قتل محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله وسلم تعصّبت بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة وان بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم على الأرض فيقع بينكم الحروب في حَرَمكم وتتفانوا فقال آخر منهم فعندي رأي آخر قال وما هو قال تثبته في بيته ونلقي إليه قوته حتى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير والنّابغة وامرء القيس .

فقال ابليس هذا أخبث من الآخر قال وكيف ذٰلك قال لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك فاذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه وقال آخر منهم لا ولكنّا نخرجه من بلادنا ونتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا قال إبليس هذا أخبث من الرّأيين المتقدّمين .

قالوا وكيف ذاك قال لأنكم تعمدون إلىٰ أصبح النّاس وجهاً وأنطق الناس لساناً وأفصحهم لهجَةً فتحملونه إلىٰ بوادي العرب فيخدعهم ويسخّرهم بلسانه فلا يفجأكم إلا وقد ملأها عليكم خيلاً ورَجِلاً فبقوا حائرين ثم قالوا لإبليس فما الرأي فيه يا شيخ قال ما فيه الا رأي واحد قالوا وما هي قال يجتمع من كل بطن من بطون قريش واحد ويكون مَعَهم من بني هاشم رجل فيأخذون سكّينة أو حديدة أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة حتى يتفرّق دمه في قريش كلها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه فان سألوكم أن تعطوا الدّية فأعطوهم ثلاث ديات فقالوا نعم عشر ديات .

ثم قالوا الرّأي رأي الشيخ النجدي فاجتمعوا ودخل معهم في ذٰلك أبو لهب عمّ النبي ونزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك وأنزل عليه في ذٰلك واذ يمكر بك الذين كَفَروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه وخرجوا إلى المسجد يصفرون ويصفقون ويطوفون بالبيت

فأنزل الله وماكان صلوتهم عند البيت إلا مكاءً [1] وتصديةً فالمكاء التصفير والتصدية صفق اليدين وهذه الآية معطوفة علىٰ قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقد كتبت بعد آيات كثيرة .

فلمّا أمسىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وجاءت قريش ليدخلوا عليه فقال أبو لهب لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل فانّ في الدار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة فنحرسه الليلة فاذا أصبحنا دخلنا عليه فناموا حول حجرة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وأمر رسول الله صلىّ الله وعليه وسلم أن يفرش له ففرش له فقال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أفدني بنفسك قال نعم يا رسول الله قال نم علىٰ فراشي والتحف ببردتي .

فنام عليّ عليه السلام علىٰ فراش رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والتحف ببردته وجاء به جبرئيل فأخذ بيد رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأخرجه علىٰ قريش وهم نيام وهو يقرء عليهم وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون وقال له جبرئيل خذ علىٰ طريق ثور وهو جبل علىٰ طريق منىٰ له سنام كسنام الثور فدخل الغار وكان من أمره ما كان .

فلما أصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش فوثب عليّ في وجوههم فقال ما شأنكم قالوا له أين محمدصلى اللهعليه وآله وسلم قال جعلتموني عليه رقيباً ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم فأقبلوا يضربونه ويقولون أنت تخدعنا منذ الليلة فتفرقوا في الجبال وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له أبو كرز يقفو الآثار فقالوا يا أبا كرز اليوم اليوم فوقف بهم علىٰ باب حجرة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال هذه قدم محمّدصلّى اللهعليه وآله وسلم والله لأخت القدم التي في المقام

وكان أبو بكر استقبل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فرده معه فقال أبو

---

١ ـ قيل المكاء الصّفير والتصدية تفعلة من الصّدي وهو أن يضرب باحدى يديه على الأُخرى فيخرج من بينهما صوت وهو التّصفيق .

كرز وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه ثم قال وهيهنا عير ابن أبي قحافة فما زال بهم حتى أوقفهم علىٰ باب الغار ثم قال ما جاوزوا هذا المكان امّا أن يكون صعدوا السّماءَ أو دخلوا تحت الأرض وبعث الله العنكبوت فنسجت علىٰ باب الغار وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار ثم قال ما في الغار أحد فتفرقوا في الشعاب فصرفهم عن رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ثم أذن لنبيّه في الهجرة .

(٣١) وَإِذَا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا قيل قائله النضر بن الحرث بن كلدة وأسر يوم بدر فقتله النبي صلىً الله عليه وآله وسلم صبراً بيد عليّ عليه السلام وانّما قاله صلفاً[1] وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذٰلك فما منعهم أن يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا شيئاً مع فرط حرصهم علىٰ قهره وغلبته إِنْ هٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ما سطره الأوّلون من القصص قيل قاله النّضر أيضاً وذلك أنّه جاء بحديث رستم واسفنديار من بلاد فارس وزعم أنّ هذا هو مثل ذٰلك .

(٣٢) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قيل هذا أيضاً من كلام النضر وهو أبلغ في الجحود أراد به التهكم واظهار الجزم التام على كونه باطلاً .

والقميّ قاله أبو جهل .

وفي الكافي قاله الحرث بن عمرو الفهريّ.

وفي المجمع قاله النعمان بن الحرث كما يأتي جميعاً .

(٣٣) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بيان لموجب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم

(٣٤) وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فانهم

---

١ ـ سحاب صلِف كثير الرعد قليل الماء وفي المثل ربّ صلف تحت الراعدة يضرب لمن يتوعّد ثم لا يقوم به وللبخيل للمكثر مدح نفسه ولا خير عنده.

الجأوا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إلى الهجرة وأحصروا عام الحديبية وَمَا كَانُوا أَوْلِيَآءَهُ مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو ردّ لقولهم نحن ولاة البيت والحرم إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ من الشرك الّذين لا يعبدون فيه غيره .

في المجمع عن الباقر عليه السلام معناه وما أولياء المسجد الحرام إلاّ المتقون .

والعياشي عن الصادق عليه السلام وما كانوا أولياءه يعني أولياء البيت يعني المشركين إن أولياؤه إلا المتقون حيثما كانوا أولىٰ به من المشركين وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أن لا ولاية لهم عليه .

القميّ نزلت لما قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لقريش إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجرّ الملك إليكم فأجيبوني إلىٰ ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم وتكونوا ملوكاً في الجنّة .

فقال أبو جهل : اللّهم إن كان هذا الذي يقول محمّد هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم حَسَداً لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ثم قال : كنّا وبني هاشم كفرسي رهان نحمل إذا حملوا ونطعن إذا طعنوا ونوفد [1] إذا وفدوا فلما استوىٰ بنا وبهم الركب قال قائل منهم منّا نبيّ لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم ولا يكون في بني مخزوم ثم قال غفرانك اللّهُمَّ فأنزل الله في ذٰلك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله مُعَذّبهم وَهُمْ يَستغفرون حين قال غفرانك اللّهُمَّ .

فلما همّوا بقتل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وأخرجوه من مكة قال الله وما لهم ألاّ يعذّبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياؤه يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكة إن أولياؤه إلاّ المتّقون أنت وأصحابكَ يا محمد فعذبهم الله يوم بدر فقتلوا .

وفي الكافي عن أبي بصير قال بينا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم جالس

---

١ ـ والوفد هم القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد والوافد السّابق من الإبل ومنه إمام القوم وافدهم أي سابقهم الى الله فقدّموا أفضلكم.

إذ أقبل أمير المؤمنين فقال له رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم ولولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمّر بملأ من الناس إلاّ أخَذُوا التراب من تحت قدمك يلتمسون بذلك البركة .

قال فغضب الأعرابيّان والمغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم فقالوا ما رضي أن يضرب لابن عمّه مثلاً الاّ بعيسى بن مريم فأنزل الله علىٰ نبيّه فقال ولّما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم يعني من بني هاشم ملائكة في الأرض يخلفون .

قال فغضب الحرث بن عمرو الفهري فقال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك إنّ بني هاشم يتوارثون هرقلا[1] بعد هرقل فأرسل علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأنزل الله عليه مقالة الحرث ونزلت هٰذه الآية ما كانَ الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون ثم قال له يا بن عمرو إمّا تبت وإمّا رَحَلت فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضّت هامته فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم لمن حوله من المنافقين انطلقوا إلىٰ صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به قال الله عزّ وجلّ واستفتحوا وخابَ كل جبار عنيد .

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام لما نصب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم عليّاً يوم غدير خم قال من كنت مولاه فعليّ مولاه طار ذٰلك في البلاد فقدم على النّبيّ النّعمان بن الحرث الفهريّ فقال أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وأمرتنا بالجهاد والحجّ والصّوم

---

١ ـ هرقل وزان خندف اسم ملك الرّوم قال الجوهريّ ويقال أيضاً هرقل على وزن دمشق قال في المجمع هرقل وضغاطر ملكان من ملوك الروم فضغاطر اسلم ودعا الروم الى الإسلام فقتلوه واما هرقل فشحّ بملكه وحارب المسلمين في موتة وتبوك ويحتمل ان يضمر الإسلام ويفعل هذه المعاصي شحاً بملكه . ومن كلام الحارث بن عمرو الفهريّ اللهم إن كان هذا هو الحق من ان بني هاشم يتوارثون هرقلا بعد هرقل أراد أن بني هاشم يتوارثون ملكاً بعد ملك .

والصلوٰة والزكوٰة فقبلناها ثم لم ترض عنّا حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله فقال والله الذي لا إله إلا هو إنّ هذا من الله فولىّ النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر علىٰ رأسه فقتله وأنزل الله تعالىٰ سأل سائل بعذاب واقع .

وفي الكافي عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إنّ لكم في حيوٰتي خيراً وفي مماتي خيراً قال فقيل يا رسول الله أمّا حيوٰتك فقد علمنا فما لنا في وفاتك فقال أمّا في حيوٰتي فانّ الله يقول وما كانَ الله ليعذّبهم وأنت فيهم وأمّا في مماتي فتعرض عليّ أعمالكم فأستغفر لكم.

والقمي والعياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه وقال في آخره فانّ أعمالكم تعرض عليّ كل خميس واثنين فما كان من حسنة حمدت الله عليها وما كان من سيّئة أستغفرت الله لكم .

وفي نهج البلاغة كان في الأرض أمانان من عذاب الله فرفع أحدهما ودونكم الآخر فتمسّكوا به أمّا الأمان الذي رفع فرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وأما الأمان الباقي فالإستغفار ثم تلا الآية .

والعياشي عن الصادق عليه السلام كان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والإستغفار حصنين لكم من العذاب فمضى أكبر الحصنين وبقي الإستغفار فأكثروا منه فانه ممحاة للذنوب وان شئتم فاقرؤا ثم تلا الآية .

(٣٥) وَمَا كَانَ صَلٰوتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلاَّ مُكَآءً صفيراً وَتَصْدِيَةً تصفيقٌ يعني وضعُوا المكاءَ والتصدية موضع الصلوٰة .

وفي المعاني والعياشي عن الصادق عليه السلام قال التصفير والتصفيق .

وفي العيُون عن الرضا عليه السلام سمّيت مكة مكة[1] لأن الناس يمكون فيها وكان يقالُ لمن قصدها قد مكا[2] وذلك قول الله تعالىٰ وما كان صلوتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصدية فالمكاء الصفير والتصدية تصفيق اليدين قيل كانوا يطوفون بالبيت عراء يشبّكون بين أصابعهم ويصفّرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في صلوٰته يخلطون عليه .

وفي المجمع روي أنّ النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم كان إذا صلىً في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدّار عن يمينه فيصفّران ورجلان عن يساره فيصفِقان بأيديهما فيخلطان عليه صلوٰته فقتلهم الله جميعاً ببدر فَذُوقُوا الْعَذَابَ يعني القتل والأسر يوم بدر أو عذاب النار في الآخرة بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبَب كفركم .

القميّ هذه الآية معطوفة علىٰ قوله واذ يمكر بك الذين كفروا كما نقلنا عنه هناك .

(٣٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ .

القميّ نزلت في قريش لّما وافاهم ضمضم وأخبرهم بخبر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في طلب العير فأخرجوا أموالهم وحملوا وأنفقوا وخرجوا إلىٰ محاربة رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ببدر فقتلوا وصاروا إلى النار وكان ما أنفقوا حسرةً عليهم .

أقول : قد مضت تسمية بعض المنافقين في قصة بدر .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ يساقون .

(٣٧) لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الكافر من المؤمن والصالح من الفاسد

---

١ ـ المك النّقض والهلاك ومنه سمّي البلد الحرام مكة لأنها تنقض الذنوب وتنقيها أو تمك من قصدها بالظّلم أي تهلكه كما وقع لأصحاب الفيل او لقلّة الماء بها .

٢ ـ مكا يمكو اذا صفر ويقال المكاء صفير كصفير المكّاء بالتشديد والمد وهو طائر بالحجاز له صفير .

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فيجمَعَه ويضمّ بعضه إلىٰ بعض فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ كلّه أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون الكاملونَ في الخسران .

في العلل عن الباقر عليه السلام في حديث إنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين أراد خلقه بطينة الكافر فما يفعل المؤمن من سيّئة فانّما هو من أجل ذلك المزاج وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة المؤمن فما يفعل الكافر من حَسَنة فانّما هو من أجل ذٰلك المزاجّ أو لفظ هذا معناه قال فاذا كان يوم القيامة ينزع الله من العدوّ الناصب سنخ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله الصالحة ويردّه إلى المؤمن وينزع الله تعالىٰ من المؤمن سنخ الناصب ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله السيئة الردّية ويردّه إلى الناصب عدلاً منه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ويقول للنّاصب لا ظلم عليك هٰذه الأعمال الخبيثة من طينتِك ومزاجك وأنت أولىٰ بها وهٰذه الأعمال الصالحة من طينة المؤمن ومزاجه وهو أولىٰ بها لا ظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب ثم قال أزيدك في هذا المعنى من القرآن أليس الله عزّ وجلّ يقول الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطّيبات للطّيبين والطّيبون للطّيبات أولٰئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وقال عزّ وجلّ والذين كفروا إلى جهنّم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطّيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنّم أولٰئك هم الخاسرون وقد أردنا تمام هذاالحديث علىٰ وجهه وشرحناه في كتابنَا المسمى بالوافي من أراده فليطلبه هناك .

(٣٨) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا عن الكفر ومعاداة الرسول يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ من ذنوبهم وَإِنْ يَعُودُوا الى قتاله فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ الذين تحزّبُوا على الأنبياءِ بالتدمير كما جرىٰ علىٰ أهل بدر فليتوقّعوا مثل ذٰلك .

والعياشي عن الباقر عليه السلام أنه قال له رجل إنّي كنت عاملاً لبني أمية فأصبت مالاً كثيراً فظننت أنّ ذٰلك لا يحلّ لي فسألت عن ذٰلك فقيل لي إنّ أهلك ومالك وكل شيء لك حرام فقال ليس كما قالوا لك قال فلي توبة قال نعم توبتك في

كتاب الله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف .

٣٩ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ لا يوجد فيهم شرك .

القميّ أي كفر قال وهي ناسخة لقوله كفّوا أيديكم ولقوله ودع أذاهم وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ ويضمحل عنهم الأديان الباطلة .

في الكافي عن الباقر عليه السلام لم يجيء تأويل هٰذه الآية بعد إن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم رخّص لهم لحاجته وحاجة أصحابه فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم ولكنهم يقتلون حتى يوحد الله وحتى لا يكون شرك .

وفي المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام لم يجيء تأويل هذه الآية ولو قد قام قائمنا بعد سَيَرَى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبلغنّ دين محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك علىٰ ظهر الأرض كما قال الله تعالىٰ يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً فَإِنِ انْتَهَوْا عن الكفر فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم .

(٤٠) وَإِنْ تَوَلَّوْا ولم ينتهوا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلٰيكُمْ ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نِعْمَ الْمَوْلىٰ لا يضيع من تولاّه وَنِعْمَ النَّصِيرُ لا يغلب من نصره .

(٤١) وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ قيل أي الذي أخذتموه من الكفّار قهراً .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام هي والله الإفادة يوماً بيوم .

أقول : يعني استفادة المال من أية جهة كانت فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتَامىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ .

في الكافي عن الباقر عليه السلام إنّ ذا القربىٰ هم قرابة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والخمس للرسُول ولنا .

والعياشي عن أحدهما عليهما السلام مثله وزاد انّه سئل منهم اليتامى

والمساكين وابن السبيل قال نعم .

وفي الكافي والتهذيب عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن والله عنىٰ بذي القربىٰ الّذينَ قرنهم الله بنفسه وبرسوله فقال ما افآءَ الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلِلّهِ وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل منا خاصة قال ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً أكرم الله نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس .

وفي الكافي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقيل له فما كان لله فلمن هو فقال لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وما كان لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فهو للإمام فقيل له أرأيت ان كان صنف من الأصناف أكثر وصنف أقل ما يصنع به قال ذاك إلى الإمام أرأيت رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم كيف يصنع أليس انّما كان يعطي على ما يرىٰ كذلك الإمام .

وفي الفقيه والتهذيب و العياشي عن الصادق عليه السلام أما خمس الله فللرسول يضعه في سبيل الله وأما خمس الرسول فلأقاربه وخمس ذوي القربىٰ فهم أقرباؤه واليتامى يتامىٰ أهل بيته فجعل هذه الأربعة الأسهم فيهم وأما المساكين وابن السبيل فقد عرفت انا لا نأكل الصدقة ولا تحلّ لنا فهي للمساكين وأبناءِ السبيل .

وفي التهذيب عن أحدهما عليهماَ السلام خمس الله للامام وخمس الرّسُول للإمام وخمس ذي القربىٰ لقرابة الرّسول والإمام واليتامى يتامى الرسول والمساكين منهم فلا يخرج منهم إلىٰ غيرهم .

والقميّ فهم أيتام آل محمد صلوات الله عليهم خاصة ومساكينهم وأبناءُ سبيلهم فمن الغنيمة يخرج الخمس ويقسّم علىٰ ستة أسهم سهم لله وسهم لرسول الله وسهم للإمام فسهم الله وسهم الرّسُول يرثه الإمام فيكون للإمام ثلاثة أسهم من ستّة والثلاثة الأسهم لأيتام آل الرّسُول صلوات الله عليهم ومساكينهم وأبناءِ سبيلهم وانما صارت للإمام وحده من الخمس ثلاثة أسهم لأنّ الله تعالىٰ قد ألزمه بما الزم النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم من تربية الأيتام ومؤن المسلمين وَقضاء ديونهم وحملهم في الحج والجهاد وذٰلك قول رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لما أنزل عليه النّبيّ أولىٰ بالمؤمنين

من أنفسهم وهو أبٌ لهم فلما جعله الله أباً للمؤمنين لزمهم ما يلزم الوالد للولد فقال عند ذلك من ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ فلزم الإمام ما لزم الرسول صلىّ الله عليه وآله وسلم فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ متعلق بمحذوف يعني إن كنتم امنتم بالله فاعلموا أنّ الخمس من الغنيمة يجب التقرّب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة وَمَا أَنْزَلْنَا وبما أنزلنا عَلَىٰ عَبْدِنَا محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم من الآيات والملائكة والنصر يَوْمَ الْفُرْقَانِ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يَوْمَ الْتَقَى [1] الْجَمْعَانِ المسلمون والكفار .

وفي الخصال في حديث الأغسال عن الباقر عليه السلام ليلة التقى الجمعان ليلة بدر وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة .

(٤٢) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا من المدينة بدل من يوم الفرقان والعدوة مثلثة شطّ الوادي وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ البعدى من المدينة تأنيث الأقصى .

القميّ يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانية ورسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم نزل بالعدوة الشامية وقرئ العِدوة بكسر العين وَالرَّكْبُ .

القميّ يعني العير التي أفلتت .

والعياشي عن الصادق عليه السلام يعني أبا سفيان وأصحابه .

أقول : والتفسيران متّحدان فان ابا سفيان كان مع العير أَسْفَلَ مِنْكُمْ في مكان أسفل من مكانكم يقودون العير بالساحل وَالفائدة في ذكر هذا المواطن الإخبار من الحالة الدالة على قوة المشركين وضعف المسلمين وأنّ غلبتهم على مثل هذه الحالة أمر الهيّ لا يتيسّر الا بحوله وقوّته وذلك أنّ العدوة القصوىٰ كان فيها الماء ولا ماءَ بالعدوة الدنيا وكانت رخوة تسوخ فيها الأرجل وكانت العير وراء ظهورهم مع كثرة

---

١ ـ العيّاشي عن الباقر عليه السلام في تسعة عشر من شهر رمضان يلتقي الجمعان قيل ما معنى يلتقي الجمعان قال يجمع فيها ما يريد من تقديمه وتأخيره على إرادته وقضائه منه رحمه الله ».

عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميّتهم وتحملهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ويبذلوا نهاية نجدتهم وفيه تصوير ما دبر الله من أمر وقعة بدر وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ أي لو تواعدتم أنتم وهُم على موعدة للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لخالف بعضكم بعضاً ثبّطكم قلتكم عن الوفاءِ بالموعد وثبّطهُمْ ما في قلوبهم من الرعب فلم يتّفق لكم من الوفاءِ ما وفقه الله وَلٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً كان واجباً ان يفعل من اعزاز دينه واعلاءِ كلمته ونصر أوليائه وقهر أعدائه لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ عاينها وَيَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ شاهدها .

القمي قال يعلم من بقي أنّ الله نَصَرَهُ وقيل ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بيّنة وقيام حجّة وقرئ حَيِيَ بفكّ الإدغام وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ يعلم كيف يدبّر أموركم .

(٤٣) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً لتخبر به أصحابكَ فيكون تثبيتاً لهم وتشجيعاً علىٰ عدوهم وَلَوْ أَرٰيكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ لجبنتم وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار وٰلٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ أنعم بالسلامَةِ من الفشل والتنازع إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يعلم ما سَيَكون فيها وما يغيّر أحوالها من الجرأة والجبن .

القميّ فالمخاطبة لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم والمعنىٰ لأصحابه أراهم الله قريشاً في منامهم أنّهم قليل ولو أراكهم كثيراً لفزعوا .

في الكافي عن الباقر عليه السلام كان إبليس يوم بدر يقلّل المسلمين في أعين الكفار ويكثر الكفار في أعين الناس فشدّ عليه جبرئيل بالسيف فهرب منه وهو يقول يا جبرئيل إنّي مؤجّل حتى وقع في البحر قيل لأيّ شيء يخاف وهو مؤجّل قال يقطع بعض أطرافه .

(٤٤) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً تصديقاً لرؤيا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وتثبيتاً لكم في الجوامع عن ابن مسعود لقد قللّوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلىٰ جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مأة فأسرنا رجلاً منهم فقلنا كم كنتم قال

ألفاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ حتى قال قائل منهم إنّما هم أكلة جزور وقال أبو جهل ما هم إلاّ أكلة رأس لو بعثنا عليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد كما مرّ ذكره في القصة وانّما قللّهم في أعينهم ليجترؤا عليهم قبل اللقاءِ ثم كثرهم فيها بعد اللقاءِ ليفجأهم الكثرة فَيَهَابُوا وتقلّ شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسبانهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة وعجائب قدرة الله فيها فانّ البصر وان كان قد يرى الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا علىٰ هذا الوجه ولا إلىٰ هذا الحدّ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ .

(٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً إذا حاربتم جماعة كافرة أو باغية واللقاء مما غلب في القتال فَاثْبُتُوا لقتالهم ولا تفرقوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقّبين لنصره لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة قيل فيه تنبيه علىٰ أنّ العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالىٰ وأن يلتجيء إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره[1] فارغ البال واثقاً بأن لطفه لا ينفكّ عنه في شيء من الأحوال .

(٤٦) وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا باختلاف الآراءِ كما فعلتم ببدر وأُحد فَتَفْشَلُوا فتضعفوا عن قتال عدوكم وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ دولتكم شبهت الدولة بالريح في نفوذ أمرها وهبوبها يقال هبّت ريح فلان إذا نفذ أمره وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله .

وفي الحديث النبوي صلىّ الله عليه وآله وسلم نُصِرْت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدّبور وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالكلاءة والنصر .

(٤٧) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يعني أهلِ مكة حين خرجوا منها لحماية العير بَطَراً فخراً و أشراً وَرِئَآءَ النَّاسِ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لمّا بلغوا جحفة[2] وأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبىٰ أبو

---

١ ـ الشراشر الأثقال الواحد شرشره يقال القى عليه شراشره أي نفسه حرصاً ومحبّة .

٢ ـ وجحفة موضع بين مكة والمدينة وهي ميقات أهل الشام وكان اسمها مهيعة فأجحف السّيل بأهلها فسمّيت جحفة .

جهل وقال حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور وتعزف[١] علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم فوافوها فسقوا كأس الحمام[٢] مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القيان فنهى الله المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ .

(٤٨) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ مجيركم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ تلاقىٰ الفريقان نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ رجع القهقرىٰ وبطل كيده وعاد ما خيل اليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ يعني جنود الملائكة إِنِّي أَخَافُ اللهَ أن يصيبني مكروهاً وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قد مضى لهذه الآية بيان في سورة آل عمران في قصة بدر .

وفي المجمع عن الباقر والصادق عليهما السلام أنهم لما التقوا كان إبليس في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص علىٰ عقبيه فقال له الحارث يا سراقة اتخذلنا علىٰ هذه الحال فقال إنّي أرىٰ ما لا ترون فقال والله ما ترىٰ إلاّ جواسيس يثرب فدفع في صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قال الناس هزم سراقة فبلغ سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتّىٰ بلغني هزيمتكم فقالوا إنّك آتيتنا يوم كذا فحلَفَ لهم فلّما أسلموا علموا أنّ ذٰلك كان الشيطان .

العياشي عن السّجّاد عليه السلام لما عطش القوم يوم بدر انطلق عليّ عليه السلام بالقربة يستقي وهو على القليب إذ جاءت ريح شديدة ثم مضت فلبث ما بدا له ثم جاءت ريح أخرىٰ ثم مضت ثم جاءت أخرىٰ كاد أن تشغله وهو على القليب[٣] ثم جلس حتى مضى فلما رجع إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك فقال

---

١ ـ المعازف: الملاهي والعازف اللاعب بها والمغنّي وقد عزف عزفاً.

٢ ـ الحِمام بالكسر والتخفيف الموت.

٣ ـ القليب البئر قبل أن تطوى يذكّر ويؤنّث.

رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أمّا الريح الأولىٰ ففيها جبرئيل مع ألف من الملائكة والثانية فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة والثالثة فيها اسرافيل مع ألف من الملائكة وقد سلّموا عليك وهم مدد لنا وهم الذين رآهم إبليس فنكص علىٰ عقبيه يمشي القهقرىٰ حين يقول إنّي أرىٰ ما لا ترون الآية .

(٤٩) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الشاكون في الإسلام غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ يعنون المسلمين أي اغترّوا بدينهم حتى تعرضوا مع قلّتهم لقتال جمّ غفير وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ جواب لهم فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غالب ينصر الضعيف على القويّ والقليل على الكثير حَكِيمٌ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه وقد مضى لهذه الآية وما بعدها بيان في قصة بدر .

(٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ ولو رأيت وشاهدت فانّ لو تجعل المضارع ماضياً عكس إنْ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ببدر وقد قرئ تتوفّىٰ بالتاء يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ما أقبل منهم وَأَدْبَارَهُمْ وما أدبر .

العياشي مرفوعاً إنّما أرادَ وَاسْتَاهَهُم انّ الله كريم يكنّي وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ويقولونَ ذوقوا عذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلّما ضربوا التهبت النار منها .

وفي المجمع عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّ رجلاً قال له إنّي حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فبدر رأسه فقال سَبَقك إليه الملائكة .

(٥١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي وَأَنَّ اللهَ[1] لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ بأنّ الله يعذب الكفار بالعدل لأنّه لا يظلم عباده في عقوبتهم وظلّام للمتكثّر لأجل العبيد .

(٥٢) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم وعادتهم

---

١ - وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المحرّة في أنّه يخلق الكفر ثم يعذّب عليه وأنه يجوز أن يعذّب من غير ذنب وأن يأخذ بذنب غيره لأنّ هذا غاية الظّلم وقد بالغ عزّ اسمه في نفي الظّلم عن نفسه بقوله ليس بظلّام للعبيد.

وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل آل فرعون كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ تفسير لدأبهم فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ كما أخذ هٰؤلاءِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ لا يغلبه في دفعه شيء .

(٥٣) ذٰلِكَ اشارة إلىٰ ما حلّ بهم بِأَنَّ اللهَ بسبب أنّ الله لَمْ يَكُ مُغَيِّراً لا يصح في حكمته أن يغيرّ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلىٰ قَوْمٍ مبدّلاً إيّاها بالنّقمةِ حَتّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ يبدّلوا ما بهم من الحال إلىٰ حال أسوء كتغيير قريش حالهم في صلة الرّحم والكفّ عن تعرّض الآيات والرسل بمعاداة الرّسول ومن تبعه منهم والسّعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاءِ بها إلىٰ غير ذٰلك ممّا أحدثوه بعد البعث وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ لما يقولون عَلِيمٌ بما يفعلون .

في الكافي عن الصادق عليه السلام إنّ الله بعث نبيّاً من أنبيائه إلىٰ قومه وأوحىٰ إليه أن قل لقومك أنّه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا علىٰ طاعتي فأصابهم فيها سرّاء فتحوّلوا عمّا أحبّ إلىٰ ما أكره الاّ تحوّلت لهم عمّا يحبّون إلىٰ ما يكرهون وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا علىٰ معصيتي فأصابهم فيها ضرّاء فتحوّلوا عمّا أكره إلىٰ ما أحبّ إلاّ تحوّلت لهم عمّا يكرهون إلىٰ ما يحبون الحديث .

وعنه عليه السلام أنّه يقول كان أبي يقول إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذٰلك النّقمة .

(٥٤) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النّعم وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذّنوب وَكُلٌّ من غرقى آل فرعون وقتلىٰ قريش كَانُوا ظَالِمِينَ أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم

(٥٥) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أصرّوا على الكفر ورسخوا فيه فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ فلا يتوقع منهم إيمان .

القميّ والعياشي عن الباقر عليه السلام نزلت في بني أميّة فهم أشرّ خلق الله

هم الذين كفروا في بطن القرآن .

(٥٦) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ قيل هم يهود بني قريظة عاهدهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم على أن لا يمالئوا عليه عدوّاً فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاحِ وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوا عليه الأحزاب يوم الخندق .

والقميّ هم أصحابه الذين فرّوا يوم أُحد وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار .

(٥٧) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ تصادفنهم وتظفر بهم فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ففرق عن محاربتك وتكّل عنها بقتلِهم والنكاية فيهم مَنْ خَلْفَهُمْ من وراء من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يتعظُونَ .

(٥٨) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ معاهدين خِيَانَةً نقض عهد بامارات تلوح لك فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ فاطرح اليهم عهدهم عَلىٰ سَوَآءٍ عَلىٰ طريق مقتصد مستوٍ في العداوة وذٰلك بأن تخبرهم بنقضِ العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً يتبين لهم أنّك قطعت ما بينك وبينهم ولا تبدأهم بالقتال وهم علىٰ توهّم العهد فيكون ذٰلك خيانة إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ فلا تخنهم بأن تناجزهم القتال من غير اعلامهم بالنّبذ .

القميّ نزلت في معاوية (لـع) لمّا خان أمير المؤمنين عليه السلام .

(٥٩) وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وقرئ بالياءِ سَبَقُوا فاتوا من أن يظفر بهم إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً من ادراكهم وقرئ بالفتح بمعنى لأنّهم .

(٦٠) وَأَعِدُّوا أيّها المؤمنون لَهُمْ للكفار مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ من كل ما يتقوّىٰ به في الحرب .

في الكافي والعياشي مرفوعاً والعامّة عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم انّ القوّة الرمّي .

والعياشي عن الصادق عليه السلام سيف وترس .

والقميّ قال السّلاح .

وفي الفقيه عنه عليه السلام منه الخضاب بالسّواد وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ والرّباط اسم للخيل والتي تربط في سبيل اللهِ تُرْهِبُونَ بِهِ تخوّفون به وقرئ بالتشديد عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ كفّار مكة وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ من غيرهم من الكفرة لاَ تَعْلَمُونَهُمْ لا تعرفونهم بأعيانهم لأنّهم يصلّون ويصومون اللهُ يَعْلَمُهُمْ يعرفهم لأنه المطّلع على الأسرار وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاؤه وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ بتضييع العمل أو نقص الثواب .

(٦١) وَإِنْ جَنَحُوا مالوا لِلسَّلْمِ للصلح والإستسلام وقرئ بالكسر فَاجْنَحْ لَهَا وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحملها على نقيضها الذي هي الحرب وقد مضى للآية بيان في قصة بدر .

والقميّ قال هي منسوخة بقوله ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ونزلت هذه الآية وان جنحوا قبل نزول يسألونك عن الأنفال وقبل الحرب وقد كتبت في آخر السورة بعد انقضاء أخبار بدر .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل مَا السلم قال الدخول في أمرنا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ولا تخف من خديعتهم ومكرهم فانّ الله عاصمك وكافيك منهم إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لأقوالهم الْعَلِيمُ بنيّاتهم .

(٦٢) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ في الصلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن القتال حتى يقوي أمرهم فيبدوكم به من غير استعداد منكم فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ محسبك الله .

القمي عن الباقر عليه السلام هؤلاء قوم كانوا معه من قريش هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ قوّاك بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.

(٦٣) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ حتى صاروا متحابّين متوادّين بعدما كان بينهم من

التضاغن والتحارب .

في المجمع والقميّ عن الباقر عليه السلام هم الأنصار وهم الأوس والخزرج .

وزاد القميّ كان بين الأوس والخزرج حربٌ شديد وعداوة في الجاهلية فألّف الله بين قلوبهم ونصر بهم نبيّه **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلّفتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** يعني تناهىٰ عداوتهم إلىٰ حدّ لو أنفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الإلفة والإصلاح **وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** بالاسلام بقدرته البالغة فانّه مالك القلوب يقلّبها كيفَ يَشاء **إِنَّهُ عَزِيزٌ** تامّ القدرة والغَلَبة لا يعصٰى عليه ما يريده **حَكِيمٌ** يعلم أنّه كيف ينبغي أن يفعل ما يريد .

(٦٤) **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ** كافيك **وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** قيل نزلت بالبيداءِ في غزوة بدر قبل القتال .

(٦٥) **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** بالغ في حثّهم على القتال **إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** هذه عِدَة من الله بأنّ الجماعة من المؤمنين أن صبروا وغلبوا عشرة أمثالهم من الكفّار بتأييد الله وقرء تكن بالتاءِ **بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** بسبب أنّ الكفّار جهلة بالله واليوم الآخِر يقاتلون علىٰ غير احتساب الثواب ولا يثبتون ثبات المؤمنين الرّاجين لعوالي الدّرجات .

(٦٦) **أَلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاً** وقرئ بفتح الضّاد **فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ** وقرئ تكن بالتّاءِ **يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ** هذه الآية ناسخة لما قبلها .

في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه هٰذه الآية فقال نسخ الرّجلان العشرة .

والعياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام من فرّ من رجلين في القتال من الزّحف فقد فرّ من الزّحف ومن فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الزّحف فلم يفرّ .

والقميّ ما يقرب من معنى الحديثين قيل كان فيهم قلّة أوّلاً فأمروا بذلك ثم لمّا كثروا خفّف الله عنهم وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر والمعونة فلا محالة يغلبون .

(٦٧) مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقلّ حزبه ويعزّ الإسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض إذا أثقله تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا حطامها بأخذ الفداء واللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ يريد لكم ثواب الآخرة وَاللهُ عَزِيزٌ يغلب أولياءه علىٰ أعدائه حَكِيمٌ يعلم ما يليق بكل حال ويخصّه بها قيل كان هذا يوم بدر فلمّا كثر المسلمون نزل فَإِمَّا مَنّاً بعد وإِمَّا فداءً وقد مضى لهذه الآية وما بعدها بيان في قصة بدر .

(٦٨) لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ أي حكم منه سبق اثباته في اللّوح باباحة الغنائم لَكُمْ لَمَسَّكُمْ لنالكم فِيمَا أَخَذْتُمْ فيما استحللتم قبل الإباحة من الفداءِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

(٦٩) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ من الفدية حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ في مخالفته إِنَّ اللهَ غَفُورٌ غفر لكم ذنبكم رَحِيمٌ أباح لكم ما أخذتم .

(٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرىٰ وقرئ الأسارى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً خلوص عقيدة وصحّة نيّة في الإيمان يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ من الفداءِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قد مضى لهذه الآية بيان في قصة بدر .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّها نزلت في العباس وعقيل ونوفل .

وقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم نهىٰ يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري فأسروا فأرسل عليّاً عليه السلام فقال انظر من هيهنا من بني هاشم قال فمرّ عليّ عليه السلام علىٰ عقيل بن أبي طالب فحاد عنه [حار خ ل] عنه فقال له عقيل يا ابن أمّ عليّ أما والله لقد رأيت مكاني قال فرجع الىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقال هذا أبو الفضل في يد فلان وهذا عقيل في يد فلان وهذا نوفل

ابن الحرث في يد فلان فقام رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حتى انتهىٰ إلى عقيل فقال له يا أبا يزيد قتل أبو جهل فقال إذاً لا تنازعون في تهامة فقال إن كنتم أثخنتم القوم والا فاركبوا اكتافهم قال فجيىءَ بالعباس فقيل له افد نفسك وافد ابني أخيك فقال يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفّي قال أعط ما خلّفت عند أمّ الفضل وقلت لها ان أصابني في وجهي هذا شيء فانفقيه علىٰ ولدك ونفسك فقال له يا ابن أخي من أخبرك بهذا فقال أتاني به جبرئيل من عند الله فقال ومحلوفه ما علم بهذا أحد إلاّ أنا وهي أشهد أنّك لرسول الله قال فرجع الأسرىٰ كلّهم مشركين إلاّ العباس وعقيل ونوفل وفيهم نزلت هٰذه الآية قل لمن في أيديكم من الأسرىٰ الآية.

في قرب الإسناد عن السّجّاد قال أتىٰ النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم بمأتي درهم فقال يا عباس ابسط رداءك وخذ من هذا المال طرفاً فبسط رداءه فأخذ منه طائفة ثم قال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم هذا من الذي قال الله إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خْيراً ممّا أخذ منكم الآية .

والعياشي عن الصادق عليه السلام مثله .

(٧١) **وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ** نقض ما عاهدوك **فَقَدْ خَانُوا اللهَ بِالكُفْرِ مِنْ قَبْلُ** القمي وان يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله من قبل فيك كما مضى في قصة بدر **فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ** فأمكنك منهم يوم بدر فان أعادوا الخيانة فسيمكن منهم **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** .

(٧٢) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا** فارقوا أوطانهم وقومهم حبّاً لله ولرسوله وهم المهاجرون من مكّة إلى المدينة **وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ** فصرفوها **وَأَنْفُسِهِمْ** فبذلوها في **سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا** والذين أووهم إلىٰ ديارهم ونصروهم علىٰ أعدائهم وهم الأنصار **أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** أي يتولىّ بعضهم بعضاً في الميراث .

القميّ لمّا هاجر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إلى المدينة آخى بين المهاجرين والمهاجرين وبين الأنصار والأنصار وبين المهاجرين والأنصار وكان إذا مات

الرّجل يرثه أخوه في الدين ويأخذ المال وكان له ما ترك دون ورثته فلّما كان بعد بدر أنزل الله النّبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله . الآية فنسخت آية الأخوة بعضهم أولىٰ ببعض.

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولىٰ دون التّقارب حتّىٰ نسخ ذٰلك بقوله وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا** أي من تولّيهم في الميراث وقرئ ولايتهم بالكسر تشبيهاً لها بالعَمَل بالصناعة كالكتابة والإمارة كأنّه بتولية صاحبه يزاول عملاً .

العياشي عنهما عَليهما السلام أنّ أهل مكة لا يولّون أهل المدينة **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ** قيل معناه وان طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار **فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ لَهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ** فلا يجوز لكم نصركم عليهم **وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** .

(٧٣) **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ** نهي المسلمُون عن موالاة الكفار ومعاونتهم وان كانوا أقارب وأوجب أن يتركوا يتولىٰ بعضهم بعضاً **إِلاَّ تَفْعَلُوهُ** لا تفعلوا ما أمرتم به من التّواصل بينكمُ وتولّي بعضكم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام علىٰ نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفّار **تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** تحصل فيها فتنة عظيمة ومفسدة كبيرة لأنَّ المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدة علىٰ أهل الشرك كان الشرّك ظاهراً وتجرّأ أهله علىٰ أهل الإسلام ودعوهم إلى الكفر .

(٧٤) **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً** لأنهم حقّقوا إيمانهم بالهجرة والنّصرة والإنسلاخ من الأهل والمال والنّفس لأجل الدين **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** لا تبعة له ولا منّة فيه .

(٧٥) **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ** يريد اللاحقين بعد السابقينَ كقوله والذين جاؤا من بعدهم **فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ** أي من جملتكم أيها المهاجرون

والأنصار حكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ونصرتهم وان تأخّر إيمانهم وهجرتهم **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ** وأُولوا القربات **بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ** بعضهم أولىٰ بميراث بعض من بعض ومن غيرهم وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة كما سبق بيانه في **كِتَابِ اللهِ** في حكمه المكتوب وفيه دلالة على أنّ من كان أقرب إلى الميّت في النسب بالنّسب كان أولىٰ بالميراث .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام كان عليّ عليه السلام إذا مات مولىً له وترك قرابته لم يأخذ من ميراثه شيئاً ويقول أولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض .

والقميّ قال هٰذه الآية نسخت قوله والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحَسَن والحُسين عليهما السلام أبداً إنّما جرت من عليّ بن الحسين عليهما السلام كما قال الله وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله فلا يكون بعد عليّ بن الحسين عليهما السلام إلاّ في الأعقاب وأعقاب الأعقاب **إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** من المواريث وغيرها وبالحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة[1] أوّلاً واعتبار القرابة ثانياً إلىٰ غير ذٰلك .

وذكر ثواب قراءة هٰذه السورة يأتي في آخِر سورة التوبة إنشاء الله تعالىٰ والله العالِمْ .

---

١ ـ المظاهرة المطابقة والمعاضدة والمعاونة والمساعدة وأصله من ترادف الظّهرين والصاق أحَدهما بالآخر واعتماده عليه

سورة التوبة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين ﴿لقد جاءكم رسُولٌ من أنفسكم﴾ إلى آخر السورة ، عدد آيها مأة وتسع وعشرون آية نزلت سنة تسع من الهجرة وفُتِحَتْ مكة سنة ثمان وحجَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع سنة عشر .

في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأنّ بسم اللهِ للأمان والرحمة ونزلت براءة لدفع الأمان والسيف .

وفيه والعياشي عن الصادق عليه السلام الأنفال وبراءة واحدة .

(١) **بَرَآءَةٌ مِنَ اللهِ وَرسُولِهِ إلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشرِكِينَ** أي هذه براءة والمعنىٰ أنّ الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركينَ إن قيل كيف يجوز أن ينقض النّبيّ العهد أُجيب بوجهين .

أحدهما أنّه كان قد شرط عليهم بقاء العهد إلىٰ أن يرفعه الله بوحي **والثاني** أنّهم قد نقضُوا أو همّوا بذٰلك فأمر الله أن ينقض عهدهم .

وفي المجمع نسب الوجهين إلى الرّواية .

(٢) **فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** خطاب للمشركين أمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم ثم يقتلون حيث وجدوا .

القمّي عن الرضا عليه السلام فأجّل الله المشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلىٰ مأمنهم ثم يقتلون حيث وجدوا .

وعن الصادق عليه السلام نزلت هذه الآية بعدما رجع رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة قال وكان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحجّ في تلك السنة وكان سنة من العرب في الحجّ أنّه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحلّ له امساكها وكانوا يتصدّقون بها ولا يلبسونها بعد الطّواف فكان من وافى مكة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثم يرده ومن لم يجد عارية اكترى ثياباً ومن لم يجد عارية ولا كرىٰ ولم يكن له إلا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً فجاءت امرأة من العَرَب وسيمةً جميلة فطلبت عاريّة أو كرىٰ فلم تجده فقالوا لها إن طفت في ثيابك احتجت ان تتصدقي بها فقالت وكيف اتصدّق بها وليس لي غيرها فطافت بالبيت عريانة وأشرف لها الناس فوضعت احدىٰ يدها علىٰ قبلها وأخرىٰ على دبرها وقالت اليوم يبدو بعضه أو كلّه فما بدا منه فلا أحلّه فلمّا فرغت من الطواف خطبها جماعة فقالت إنّ لي زوجاً وكانت سيرة رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم قبل نزول سورة براءة أن لا يقاتل إلاّ من قاتله ولا يحارب إلا من حاربه وأراده وقد كان نزل عليه في ذٰلك من الله عزّ وجلّ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً فكان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم لا يقاتل أحداً قد تنحّىٰ عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة براءة وأمره بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله الا الذين قد كان عاهدهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة إلىٰ مدّة منهم صفوان بن أميّة وسهيل بن عمرو فقال الله عزّ وجلّ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوُا في الأرض أربعة أشهر ثم يقتلون حيث ما وجدوا فهذه أشهر السياحة عشرين من ذي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشراً من ربيع الآخر فلما نزلت الآيات من أوّل براءة دفعها رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إلىٰ أبي بكر وأمره بأن يخرج إلىٰ مكة ويقرأها على الناس بمنىٰ يوم النّحر فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد لا يؤدي عنك إلاّ رجل منك فبعث رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه

السلام في طلبه فلحقه بالرّوحاء[١] فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أنزل في شيء قال إنّ الله أمرني أن لا يؤدّي عني الا أنا أو رجل منّي .

وبالعياشي عن الصادق عليه السلام كان الفتح في سنة ثمان وبراءة في سنة تسع وحجّة الوداع في سنة عشر .

وعنه عليه السلام أن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بعث أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على الناس فنزل جبرئيل فقال لا يبلغ عنك إلا عليّ عليه السلام فدعا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم علياً فأمره أن يركب ناقته العَضباء[٢] وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه البراءة ويقرأها على الناس بمكة فقال أبو بكر أسخَطَه فقال لا إلاّ انه أنزل عليه أنّه لا يبلغ إلا رجلٌ منك فلما قدم عليّ عليه السلام مكة وكان يوم النّحر بعد الظهر وهو يوم الحجّ الأكبر قام ثم قال إنّي رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إليكم فقرأها عليهم براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر عشرين من ذي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشراً من شهر ربيع الآخر قال لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك إلا من كان له عهد عند رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فمدّته إلىٰ هذه الأربعة أشهر .

قال وفي خبر محمد بن مسلم قال أبو بكر يا عليّ هل نزل فيّ شيء منذ فارقت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال لا ولكن أبى الله أن يبلّغ عن محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم إلاّ رجل منه فوافى الموسم فبلّغ عن الله وعن رسوله بعرفة والمزدلفة ويوم النحر عند الجمار في أيّام التشريق كلها ينادي براءة من الله ورسوله . الآية ويقول ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

---

١ ـ الرّوحاء موضع بين الحرمين ثلاثين أربعين ميلاً من المدينة .

٢ ـ في الحديث لا تضح بالعَضباء بالمدّ مكسورة القرن الداخل او مشقوقة الأذن قاله في المغرب وغيره والعضباء اسم ناقة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله قيل هو علم لها وقيل كانت مشقوقة الأذن وفي كلام الزّمخشري وهو منقول من قولهم ناقة عضباء وهي القصيرة اليد .

وفي المجمع روي أصحابنا أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ولّاه أيضاً الموسم وأنّه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع ابو بكر .

وفيه والعياشي عن الباقر عليه السلام قال خطب عليّ عليه السلام الناس واخترط سيفه فقال لا يطوفنّ بالبيت عريان ولا يحجّنّ البيت مشرك ومن كانت له مدّة فهو إلى مدّته ومن لم تكن له مدّة فمدّته أربعة أشهر وكان خطب يوم النّحر فكانت عشرون من ذي الحجة ومحرّم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر **وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ** لا تفوتونه وان أمهلكم **وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ** مذلهم بالقتل والأسراف يالدنيا والعذاب في الآخرة .

(٣) **وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ** ايذان واعلام وهو كالأمان والعطاء بمعنى الإيمان والاعتداء **يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** قيل يوم العيد لأنّ فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأنّ الاعلام كان فيه .

والقميّ والعياشي عن السّجّاد عليه السلام الأذان أمير المؤمنين عليه السلام .

القميّ وفي حديث آخر قال أمير المؤمنين عليه السلام كنت أنا الأذان في الناس والأخير مرويّ في المعاني والعلل عن الصادق عليه السلام وزادا فقيل له فما معنى هذه اللّفظة الحجّ الأكبر فقال إنّما سمّي الأكبر لأنّها كانت سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون ولم يحجّ المشركون بعد تلك السّنة .

وفي الكافي والمعاني والعياشي عنه عليه السلام في عدة أخبار يوم الحجّ الأكبر هو يوم النّحر الأصغر العمرة .

وفي بعض أخبار الكافي والعياشي عنه عليه السلام الحجّ الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الجمار والحجّ الأصغر العمرة وزاد العياشي وجمع[1] بعدعرفة **أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ**

---

١ ـ وجمع بالفتح فالسّكون المشعر الحرام وهو اقرب الموقفين الى مكة المشرّفة ومنه حديث ادم عليه السلام ثم انتهى الى جمع فجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل سمّي به لأنّ النّاس يجتمعون فيه ويزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون اليه بالعبادة والخير والطاعة وقيل لأنّ آدم اجتمع فيها مع حوّاء فازدلف ودنا منها وقيل لأنه يجمع فيه المغرب والعشاء

مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ عطف على الضمير في بريء ولا تكرير فيه لأنّ الأوّل كان اخباراً بثبوت البراءة وهذا اخبار باعلامها الناس فَإِنْ تُبْتُمْ من الكفر والغدر فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عن التوبة فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ غير سابقين الله ولا فائتين بأسه وعذابه وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ في الآخرة .

(٤) إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ استثناء مِنَ المشركين واستدراك وكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضرّوكم قطّ وَلَمْ يُظَاهِرُوا ولم يعاونوا عَلَيْكُمْ أَحَداً من أعدائكم فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إلى تمام مدّتهم ولا تجعلوا الوفيّ كالغادر إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ تعليل وتنبيه علىٰ أنّ تمام عهدهم من باب التّقوىٰ

(٥) فَإِذَا انْسَلَخَ انقضى الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ التي أبيح للنّاكثين أن يسيحوا فيها .

العياشي عن الباقر عليه السلام هي يوم النّحر إلىٰ عشر مضين من ربيع الآخر فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ الناكثين حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ من حلّ وحرم وَخُذُوهُمْ واسروهم والأخيذ الأسير وَاحْصُرُوهُمْ واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ كل ممر وطريق ترصدونهم به لئلاّ يبسطوا في البلاد فَإِنْ تَابُوا عن الشّرك بالايمان وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ تصديقاً لتوبتهم فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فدعوهم ولا تتعرّضوا لهم بشيء من ذٰلك إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم وغدرهم .

(٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ المأمور بالتعرّض لهم اسْتَجَارَكَ استأمنك وطلب منك جوارك فَأَجِرْهُ فأمنه حَتّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ويتدبّره ويطلع علىٰ حقيقة الأمر فانّ معظم الأدلّة فيه ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ موضع أمنه إن لم يسلم .

القميّ قال اقرأ عليه وعرّفه ثمّ لا تتعرّض له حتى يرجع إلىٰ مأمنه ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بدّ من أمانهم حتى يسمعوا ويتدبّروا .

(٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ كيف يكون للمشركين عهد صحيح ومحال أن يثبت لهم عهد مع اضمارهم الغدر والنّكث فلا تطمعُوا في ذٰلك إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يعني ولكنّ الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ أي فتربّصوا أمرهم فان استقاموا على العهد فاستقيمُوا على الوفاءِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.

(٨) كَيْفَ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد وحذف الفعل لكِونه معلوماً أي كيف يكون لهم عهد وإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ وحالهم أنّهم إن يظفروا بكم لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ لا يراعوا فيكم إلاًّ قرابة أو حلفاً وَلاَ ذِمَّةً عهداً أو حقّاً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ بوعد الإيمان والطاعةوالوفا بالعهدوَتَأْبىٰ قُلُوبُهُمْ ما يتفوّه به أفواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدّية إلىٰ عدم مراقبتهم عند الظفر وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ متمرّدون لا عقيدة تزعهم[1] ولامروّة تردعهم[2] وتخصيص الأكثر لما يوجد فى بعض الكفار من التعفف عمّا يثلم العِرض والتفادي[3] عن الغدر.

(٩) اِشْتَرَوا بِآيَاتِ اللهِ استبدلوا بالقرآن وبيّناته ثَمَناً قَلِيلاً عرضاً يسيراً وهو اتّباع الأهواءِ والشهوات فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم إنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(١٠) لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُولٰئِكَ[4] هُمُ الْمُعْتَدُونَ المتجاوزون الغاية في الظلم والكفر.

(١١) فَإِنْ تَابُوا عن الكفر ونقض العَهْدِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ فَإِخْوَانُكُمْ فهم اخوانكم فِي الدِّينِ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ

---

١ ـ تزعمهم أي تكفّهم وتمنعهم منه رحمه الله».

٢ ـ ردعه عنه كمنعه كفّه وردّه فارتدع.

٣ ـ تفادى منه تحاماه وتحاماه النّاس توقّوه واجتنبوا.

٤ ـ والفائدة في الإعادة انّ الأول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وقيل إنّما كرّر تأكيداً.

ونبيّنها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اعتراض للحثّ على تأمّل ما فصّل .

(١٢) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ وعابُوه فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ أي فقاتلوهم وضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً بأنّهم صاروا بذلك ذوي الرّياسة والتقدم في الكفر أحقّاء بالقتل إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وقرىء بكسر الهمزة .

ورواها في المجمع عن الصادق عليه السلام يعني لا عبرة بما أظهروه من الإيمان لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ متعلق بقاتلوا أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عمّا هم عليه لا إيصال الأذيّة بهم كما هو طريقة المؤذين وهذا من غاية كرمه سبحانه وفضله .

القمي نزلت هذه الآية في أصحاب الجمل وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل ما قاتلت هذه الفئة النّاكثة إلا بآية من كتاب اللهِ يقول الله وان نكثوا أيمانهم الآية .

وفي قرب الاسناد والعياشي عن الصادق عليه السلام قال دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزّبير فقلت لهم كانا من أئمّة الكفر إنّ عليّاً يوم البصرة لمّا صفّ الخيول قال لأصحابه لا تعجلوا على القوم حتّىٰ اعذر فيما بيني وبين الله تعالى وبينهم فقام إليهم فقال يا أهل البصرة هل تجدون عليّ جوراً في حكم قالوا لا قال فحيفاً في قسمة قالوا لا قال فرغبةً في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي قالوا لا قال فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم قالوا لا قال فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف ثم ثنّىٰ إلى أصحابه فقال إنّ الله تعالى يقول في كتابه وان نكثوا إيمانهم الآية .

ثم قال عليّ عليه السلام والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة واصطفىٰ محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم بالنّبوّة إنهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت .

والعياشي عنه عليه السلام من طعن في دينكم هذا فقد كفر قال الله وطعنوا في

دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عذرني الله من طلحة والزّبير بايعاني طائعين غير مكرهين ثم نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم وان نكثوا أيمانهم . الآية وفي معناه أخبار كثيرة .

(١٣) أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً تحريض على القتال نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ التي حلفوها مع الرّسُول صلىَّ الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ حين تشاوروا في أمره بدار النّدوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه على ما سبق ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفَرُوا وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بالمعاداة والمقاتلة والبادي أظلم فما يمنعكم أن تقاتلوهم بمثله أَتَخْشَوْنَهُمْ[1] تتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فانّ المؤمن لا يخشى إلا ربّه .

(١٤) قَاتِلُوهُمْ أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتّوبيخ على تركه يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَعْدٌ لهم إن قاتلوهم بالنّصر عليهم والتمكّن من قتلهم واذلالهم وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ .

(١٥) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ لما لقوا منهم من المكروه وقد أنجز الله هذه المواعيد كلها والآية من دلائل النّبوّة .

والعياشي عن أبي الأعزّ التّيمي قال كنت واقفاً بين صفّين إذ نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وهو شاك في السلاح إذ هتف به هاتف من أهل الشّام يقال له عرار بن أدهم يا عبّاس هلمّ إلى البراز ثمّ تكافحا[2] بسيفهما مليّاً[3] لا

---

١ ـ لفظة استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنّه جمع بين التقريع والتشجيع

٢ ـ في حديث حسّان لا تزال مؤيداً بروح القدس ما كافحت عن رسول الله (ص) أي دافعت عنه من المكافحة وهي المدافعة تلقاء الوجه.

٣ ـ قوله تعالى واهجرني مليّاً أي حيناً طويلاً.

يصل واحد منهما إلىٰ صاحبه لكمال لامته إلىٰ أن حطّ العباس درع الشّاميّ فأهوىٰ إليه بالسيف انتظم به جوانح الشاميّ فخرّ الشامي صريعاً وكبّر الناس تكبيرة ارتجّت لها الأرض فسمعت قائلاً يقول قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم الآية فالتفت فاذا هو أمير المؤمنين **وَيَتُوبُ اللهُ عَلىٰ مَنْ يَشَآءُ** استيناف أخبار بأنّ بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضاً **واللهُ عَلِيمٌ** بما كان وما سيكون **حَكِيمٌ** لا يفعل إلا ما فيه الحكمة .

(١٦) **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا** أم منقطعة وفي الهمزة معنى التوبيخ يعني أنكم لا تتركون علىٰ ما أنتم عليه **وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ** ولم يتبيّن المخلصون منكم وهم المجاهدون في سبيل الله لوجه الله **وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً** يعني المخلصين غير المتّخذين من دونهم بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم ولّما دلت علىٰ أنّه متوقع قيل أراد بنفي العلم نفي العلوم .

والقميّ أي لّما يرىٰ فأقام العلم مقام الرّؤية لأنّه قد علم قبل أن يعلموا .

وعن الباقر عليه السلام يعني بالمؤمنين آل محمد صلىً الله عليه وآله وسلم وا وليجة البطانة .

وفي الكافي عنه عليه السلام يعني بالمؤمنين الأئمّة عليهم السلام .

وعنه عليه السلام لا تتّخذوا مِنْ دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين فانّ كل سبب ونسب وقرابة وليجة وبدعة وشبهة منقطع الا ما أثبته القرآن .

وعَن أبي محمّد الزّكيّ عليه السلام الوليجة الذي يقام دون وليّ الأمر والمؤمنون في هذا الموضع هم الأئمّة عليهم السلام الذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم **وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ** يعلم **خَبِيرٌ** غرضكم منه .

(١٧) **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ** ما صحّ لهم ولا استقام **أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ** شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقرىء بالتّوحيد **شَاهِدِينَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ** باظهار الشرك ونصب الأصنام حول البيت .

في الجوامع روي أنّ المسلمين عيّروا أسارى بدر ووبّخ على العباس بقتال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقطيعة الرّحم فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أَوَ لكم محاسن قال نعم إنّا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفكّ العاني[1] فنزلت أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ التي هي العمارة والسّقاية والحجابة وفكّ العناة التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ لأجله .

(١٨) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوةَ إنّما تستقيم عمارتها لهؤلاءِ الجامعينَ للكمالات العلميّة والعمليّة والعمارة يتناول بناؤها ورمّ ما[2] استرمّ منها وكنسها وتنظيفها وتنويرها بالسرّج وزيارتها للعبادة والذّكر ودرس العلم وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وفي الحديث القدسي إنّ بيوتي في الأرض المساجد وانّ زواري فيها عمّارها فطوبىٰ لعبد تطهّر في بيته ثم زارني في بيتي فحقّ على المزور أن يكرم زائره وفي الحديث النّبويّ صلىّ الله عليه وآله وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحبّ الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ يعني في أبواب الدين بأن لا يختار علىٰ رضاء الله رضاء غيره فانّ الخشية من المحاذير جبليّة لا يكاد العاقل يتمالك عنها فَعَسَى أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الإهتداءِ والإنتفاع بأعمالهم .

(١٩) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ كإيمان من آمن بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أو جعلتم أهل السقاية والعمارة كمن آمن .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أنه قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام .

---

١ ـ العاني الأسير ومنه اطعموا الجايع وفكّوا العاني وكلّ سن ذلّ واستكان وخضع فقد عنى وهو عان والمرأة عانية والجمع عوان ومنه الخبر اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم أي اسراء كالأسراء .

٢ ـ رممت الشّيء أَرُمُّه وأَرمَه رمّاً ومرمّة اذا أصلحته .

القمّي عنه عليه السلام نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله كمن آمن بالله الآية .

وعنه عليه السلام نزلت في عليّ عليه السلام والعباس وشيبة قال العباس أنا أفضل لأنّ سقاية الحاج بيدي وقال شيبة أنا أفضل لأنّ حجابة البيت بيدي وقال عليّ أنا أفضل فانّي آمنت قبلكما ثم هاجرت وجاهدت فرضوا برسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأنزل الله .

وفي المجمع ما يقرب منه وزاد ضربت خرطومكما[1] بالسيف حتى آمنتما بالله .

والعياشي عن الصادق عليه السلام ما في معناه وذكر عثمان بن أبي شيبة مكان شيبة .

وفي الكافي والعياشي عن أحدهما عليهما السلام نزلت في حمزة وعليّ وجعفر والعباس وشيبة أنهم فخروا بالسّقاية والحجابة فأنزل الله وكان عليّ وحمزة وجعفر الذين آمنوا باللهِ واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل[2] الله لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بالشّرك والمسوّين بينهم وبين المؤمنين .

(٢٠) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ أعظم درجةً وأكثر كرامة ممّن لم يستجمع هذه الصفات وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ المختصُّون بالفوز ونيل الحسنى عند الله .

(٢١) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ دائمٌ والتنكير المبشر به اشعار بأنه وراء التوصيف والتعريف .

(٢٢) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يستحقر دونه كلّ اجر ..

---

١ ـ قوله تعالى سنسمه على الخرطوم هو بضمّ الخاء الأنف وهو أكرم موضع في الوجه كما أنّ الوجه اكرم موضع في الجسد .

٢ ـ وروي انّ المشركين قالوا لليهود نحنُ سقات الحجيج وعمّار المسجد الحرام فنحن أفضل أم محمّد وأصحابه فقالت اليهود أنتم أفضل فنزلت .

(٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَاخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيْمَانِ اختاروه عليه قيل لماأمروا بالهجرة فكان يمنعهم منها اقرباؤهم فمنهم من كان يتركها لأجلهم فنزلت .

وفي المجمع عنهما عليهما السلام نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم لما أراد فتح مكة .

والعياشي عن الباقر عليه السلام الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الأوّل والثاني والإيمان ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ بوضعهم الموالاة في غير موضعها .

(٢٤) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أقرباؤكم وقرىء عشيراتكم وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا اكتسبتموها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا[1] حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وعيده والأمر عقوبة وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ لا يرشدهم .

القميّ لما أذن أمير المؤمنين عليه السلام بمكة أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذٰلك العام جزعت قريش جزعاً شديداً وقالوا ذهبت تجارتنا وضاع عيالنا وخربت دورنا فأنزل الله عزّ وجلّ في ذٰلك قل يا محمّد ان كان آباؤكم الآية .

أقول : في الآية تشديد عظيم وقلّ من يتخلّص عنه

وفي الحديث لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتىٰ يحبّ في الله ويبغض فى الله .

(٢٥) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ[2] يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ومواقفها .

---

١ ـ تربّصت الأمر تربّصاً انتظرته وتربّصت بفلان الأمر توقّعت نزوله به

٢ ـ في الكافي عن عليّ عن بعض أصحابه ذكره قال لمّا سمّ المتوكل نذران عوفي أن يتصدّق بمال كثير فلمّا عوفي سأل الفقهاء عن حدّ المال الكثير فاختلفوا عليه فقال بعضهم مأة الف وقال بعضهم عشرة آلاف وقالوا فيه أقاويل مختلفة فاشتبه عليه الأمر فقال رجل من ندمائه يقال صفعان اتبعث الى هذا الأسود فتسأله عنه فقال له المتوكّل من تعني ويحك فقال ابن =

في الكافي والعياشي والقميّ عن الهادي عليه السلام انها كانت ثمانين موطناً وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وهو واد بين مكّة وطائف إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فِي الْجَوَامِعِ لما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلّة فساءت مقالته رسول اللهِ صلىّ الله عليه وآله وسلم قيل كان قائلها أبو بكر.

والعياشي عن الصادق عليه السلام في قوله إذ أعجبتكم كثرتكم إلىٰ قوله ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ قال أبو فلان فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ الكثرة شَيْئاً من الغنى أوامر العدّو وذلك لما أدركتهم كلمة الإعجاب وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ بسعتها لا تجدون فيها مقرّاً تطمئنّ إليه نفوسكم من شدّة الرّعب ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ منهزمين.

(٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

القميّ عن الباقر عليه السلام وهو القتل يعني العذاب وَذٰلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ القميّ كان سبب غزوة حنين أنه لما خرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلىٰ فتح مكة اظهر أنّه يريد هوازن وبلغ الخبر هوازن فتهيّئوا وجمعوا الجموع والسّلاحَ واجتمع رؤساء هوازن إلىٰ مالك بن عوف النّضريّ فرأسوه عليهم وخرجوا وساقوا معهم أموالهم ونساءَهم وذراريهم ومرّوا حتىٰ نزلوا بأوطاس قال ولّما بلغ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم اجتماع هوازن بأوطاس فجمع القبائل ورغبهم في الجهاد ووعدهم النصر وان الله قد وعده أن يغنمه أموالهم ونساءهم وذراريهم فرغب الناس وخرجوا علىٰ راياتهم وعقد اللّواء الأكبر ودفعه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها وخرج في اثني عشر ألف رجل عشرة آلاف ممّن كان معه.

وعن الباقر عليه السلام قال وكان معه من بني سليم ألف رجل رئيسهم

الرّضا فقال له وهو يحسن شيئاً من هذا فقال يا أمير المؤمنين ان أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا والاّ فاضربني مأة مقرعة فقال المتوكل قد رضيت يا جعفر بن محمود سر إليه واسأله عن حدّ المال الكثير فصار جعفر بن محمود الى أبي الحسن عليّ بن محمد عليهما السلام فسأله عن حدّ المال الكثير فقال الكثير ثمانون فقال له جعفر يا سيّدي أرى أنّه يسألني عن العلّة فيه فقال أبو الحسن عليه السلام ما معناه الدّليل عليه قوله تعالى في مواطن كثيرة عدّدنا تلك المواطن فكانت ثمانين.

عباس بن مرداس السّلمي ومن مزينة[١] ألف رجل قال فمضوا حتى كان من القوم مسيرة بعض ليلة قال وقال مالك بن عوف لقومه ليصيّر كل رجل منكم اهله او ماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشّجر فاذا كان في غَلَس الصبح فأحملوا حملة رجل واهدّوا[٢] القوم فانّ محمّداً لم يلق أحداً يحسن الحرب قال فلمّا صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم الغداة انحدر في وآدي حنين وهو واد له انحدار بعيد وكان بنو سليم على مقدّمته فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية فانهزمت بنو سليم وانهزم من ورائهم ولم يبق أحد إلّا انهزم .

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل ومرّ المنهزمون برسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لايلوون[٣] على شيء وكان العباس آخذاً بلجام بغلة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم عن يمينه وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره فأقبل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ينادي يا معشر الأنصار إلى أين إلى أين أنا رسول الله فلم يلو أحد عليه وكانت نسيبة بنت كعب المازنيّة تحثو [أي ترمي] في وجوه المنهزمين التّراب وتقول إلىٰ أين تفرّون عن الله وعن رسوله .

ومرّ بها عمر فقالت ويلك ما هذا الذي صنعت فقال لها هذا أمر الله فلّما رأى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم الهزيمة ركض[٤] نحو عليّ بغلته وقد شهر سيفه فقال يا عبّاس وكان صيّتاً رفيع الصوت اصعد هذا الظرب[٥] وناد يا أصحاب البقرة ويا أصحاب الشّجرة إلى أين تفرّون هذا رسول الله .

ثم رفع رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يده فقال اللّهم لك الحمد وإليك المشتكىٰ وأنت المستعان فنزل عليه جبرئيل فقال يا رسول الله دعوت بما دعا به موسىٰ

---

١ ـ مزينة قبيل من مضر. مـ

٢ ـ الفلس بالتحريك الظلمة آخر الليل.

٣ ـ أي لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره.

٤ ـ ركضت الدّابة إذا ضربتها برجلك استحثّها.

٥ ـ الظرب ككتف ما نتأ من الحجارة وحد طرفه او الجبل المنبسط والصّغير ح ظراب.

عليه السلام حيث فلق الله البحر ونجّاه من فرعون ثم قال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلّم لأبي سفيان بن الحارث ناولني كفّاً من حصى فناوله فرماه في وجوه المشركين ثم قال شاهت الوجوه ثم رفع رأسه إلى السماءِ وقال اللّهُمّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد وان شئت ان لا تعبد لا تعبد .

فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون لبيّك ومرّوا برسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم واستحيُوا أن يَرجعُوا إليه ولِحقوا بالرّاية فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم للعبّاس من هٰؤلاءِ يا أبا الفضل فقال يا رسول الله هٰؤلاءِ الأنصار فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم الآن حمي[1] الوَطيس ونزل النّصر من الله وانهزمت الهوازن وكانوا يسمعون قعقعة السلاح في الجّو وانهزموا في كلّ وجه وغنم الله ورسوله أموالهم ونساءهم وذراريهم وهو قول الله ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين .

قال وقال رجل من بني نضر بن معاوية يقال له شجرة بن ربيعة للمؤمنين وهو أسير في أيديهم أين الخيل البلق[2] والرجال عليهم الثّياب البيض فانّما كان قتلنا بأيديهم وما كنّا نراكم فيهم إلاّ كهيئة الشّامة قالوا تلك الملائكة .

وفي الكافي عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل ما السّكينة فقال ريح من الجّنة لها وجه كوجه الإنسان أطيب ريحاً من المسك وهي الّتي أنزلها الله علىٰ رسوله بحنين فهزم المشركين .

وعن الصادق عليه السلام قال قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم حنين أربعين .

(٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلىٰ مَنْ يَشَآءُ منهم بالتّوفيق للاسلام وَاللهُ

---

١ ـ وفي حديث حنين الآن حمي الوطيس الوطيس التنّور وهو كناية عن شدّة الأمر واضطراب الحرب ويقال اوّل من قالها النبي (ص) لمّا اشتدّ البأس بموته وهي أحسن الإستعارات.

٢ ـ البَلَق محرّكة سواد وبياض كالبلقة بالضمّ.

غَفُورٌ رَحِيمٌ يتجاوز عنهم ويتفضّل عليهم .

روي أنَّ أناساً منهم جاؤا إلىٰ رسول الله صلىَّ الله عليه وآلِهِ وسلم وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير النّاس وأبرّهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأُخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستّة آلاف نفس وأُخذ من الإبل والغنم ما لا يحصٰى فقال اختاروا إمّا سباياكم وإمّا أموالكم فقالوا ما كنّا نعدل الأحساب شيئاً فقام رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم وقال إنّ هٰؤلاءِ جاؤا مسلمين وإنّا خيّرناهم بين الذّراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده. سبي وطابت نفسه أن يردّه فشأنه ومن لا، فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتّى نصيبَ شيئاً فلنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلّمنا فقال إنّي لا أدري لعلّ فيكم من لا يرضى فمروا عرفائكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنّهم قد رضوا .

(٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ لخبث باطنهم فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والمنافع فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ من عطائه وتفضّله علىٰ وجه أخر إنْ شاءَ،قيل قيّده بالمشيئة لينقطع الآمال إلى الله تعالى ولنبيّه علىٰ أنّه متفضّل في ذٰلك وانّ الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام وقد انجز وعدَهُ بأن ارسل السّماء عليهم مدراراً ووفّق طائفة من أهل اليمن للاسلام فحملوا الطّعام إلى مكة ثمّ فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجّه إليهم الناس من أقطار الأرض إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بأحوالكم حَكِيمٌ فيما يعطي ويمنع .

(٢٩) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يعني لا يؤمنون بهما على ما ينبغي فانّ إيمانهم كلا إيمان وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ما ثبت تحريمة بالكتاب والسنة وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بيان للّذين لا يؤمنون حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ما يقرّر عليهم أن يعطوه من جزي دينه إذا قضاه عَنْ يَدٍ مواتية غير ممتنعة وَهُمْ صَاغِرُونَ أذلاّء يعني يؤخذ منهم على الصّغار والذّلّ .

في الكافي والتهذيب عن الباقر عليه السلام بعث الله محمّداً صلىً الله عليه وآله وسلم بخمسةِ أسياف إلى أن قال والسّيف الثاني علىٰ أهل الذمّة قال الله تعالىٰ وقولوا للنّاس حسناً نزلت هذه الآية في أهل الذمّة ثم نسخها قوله سبحانه قاتلوا الذين لا يؤمنِونَ بالله ولا باليوم الآخر الآية .

فمن كان منهم في دار الإسلام فلم يقبل منهم إلاّ الجزية أو القتل وما لهم فيء وذراريهم سبي واذا قبلوا الجزية علىٰ أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم وحلّت لنا مناكحهم ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم وأموالهم ولم يحلّ لنا مناكحتهم ولم يقبل منهم إلاّ الدّخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل .

والعياشي ما يقرب منه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن المجوس أكان لهم نبيّ فقال نعم أما بلغك كتاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إلىٰ أهل مكّة أن أسلموا وإلاّ فأذنوا بحرب فكتبوا إلىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أن خذ منّا الجزية ودعنا إلىٰ عبادة الأوثان فكتب إليهم النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم إنّي لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه زعمت أنّك لا تأخذ الجزيَة إلا من أهل الكتاب ثمّ أخذت الجزية من مجوس هَجَر [1] فكتب إليهم النّبي صلىً الله عليه وآله وسلم إنّ المجوس كان لهم نبيّ فقتلوه وكتاب أحرقوه أتاهم نبيّهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور .

وفيه وفي الفقيه والعلل عنه عليه السلام أنه سئل عن النساءِ كيف سقطت الجزية ورفعت عنهنّ فقال لأنّ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم نهىٰ عن قتل النساءِ والولدان في دار الحرب إلاّ أن يقاتلن وان قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللاً فلما نهىٰ عن قتلهنّ في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولىٰ ، و امتنعت أن تؤدي الجزية لم يمكن قتلها فلّما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها ولو امتنع الرّجال وأبوا

---

١ ـ هَجَر محرّكة بلدة باليمن او اسم لجميع ارض البحرين أو قرية كانت قرب المدينة .

أن يؤدّوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلّت دماؤهم وقتلهم لأنّ قتل الرّجال مباح في دار الشرك وكذلك المقعد من أهل الشّرك والذمّة والأعمىٰ والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب ومن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية .

وفي الكافي والفقيه عنه عليه السلام جرت السّنة أن لا يؤخذ الجزية من المعتوه[1] ولا من المغلُوب على عقله .

وفيهما والعياشي والقميّ عنه عليه السلام أنه سئل ما حد الجزية علىٰ أهل الكتاب وهل عليهم في ذلك شيء موظف لا ينبغي أن يجوزوا إلىٰ غيره فقال ذٰلك إلى الإمام يأخذ من كلّ إنسان منهم ما شاءَ علىٰ قدر ما له وما يطيق إنّما هم قوم فدوا أنفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا فالجزية تؤخذ منهم علىٰ قدر ما يطيقون له أن يأخذهم به حتىٰ يسلموا فانّ الله تعالىٰ قال حتىٰ يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكيف يكون صاغراً وهو لا يكترث[2] لما يؤخذ منه لا حتىٰ يجد ذلاً لما أخذ منه فيألم لذلك فيسلم .

وفيهما عن الباقر عليه السلام في أهل الجزية أيؤخذ من أموالهم ومواشيهم شيء سوى الجزية قال لا .

(٣٠) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ إنّما قال ذٰلك بعضهم ولم يقله كلّهم .

في الإحتجاج عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنه طالبهم بالحجّة فقالوا لأنه أحيىٰ لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم كيف صار عزير ابن الله دون موسىٰ وهو الذي جاءهم بالتوراة ورأوا منه من المعجزات ما قد علمتم فان كان عزير ابن الله لما ظهر من اكرامه من أحياء التوراة فلقد كان موسىٰ بالنبوّة أحق وأولىٰ الحديث وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ وهو أيضاً قول بعضهم .

---

١ ـ المعتوه النّاقص العقل وفي الحديث المعتوه الاحمق الذّاهب العقل وقد عَتَه عتهاً من باب تعب وعتاهاً بالفتح نقص عقله من غير جنون او دهش .

٢ ـ في الحديث لا يكترث لهذا الأمر أي لا يعبأ به ولا يباليه .

في الإحتجاج عن النبي صلىً الله عليه وآله وسلم أنّه طالبهم بالحجّة فقالوا إنّ اللهَ لمّا أظهر على يد عيسى عليه السلام من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولداً على جهة الكرامة فقال لهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه ثم أعاد ذلك كلّه فسكتوا الحديث **ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ** اخترعوه بأفواههم لم يأتهم به كتاب وما لهم به حجّة **يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا** يضاهي قولهم قول الذين كفروا **مِنْ قَبْلُ** كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله **قَاتَلَهُمُ اللهُ** .

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أي لعنهم الله فسمّى اللعنة قتالاً **أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ** كيف يصرفون عن الحقّ .

في المجالس والعياشي عن النبي صلىً الله عليه وآله وسلم قال اشتد غضب الله على اليهود حين قالوا عزير ابن الله واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا **الْمَسِيحُ** بن الله واشتدّ غضب الله على من أراق دمي وآذاني في عترتي .

(٣١) **اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ** بأن أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرّم الله .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام أما والله ما دعوهم إلىٰ عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلىٰ عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون .

وفي معناه أخبار كثيرة **الْمَسِيحُ ابْنَ مَرْيَمَ** بأن أهّلوه للعبادة .

القميّ عن الباقر عليه السلام أمّا المسيح فعصوه وعظّموه في أنفسهم حتى زعمُوا أنّه إله وانّه ابن الله وطائفة منهم قالوا ثالث ثلاثة وطائفة منهم قالوا هو الله وأمّا أحبارهم ورُهبانهم فانّهم أطاعوهم وأخذوا بقولهم واتبعوا ما أمروهم به ودانوا بما دعوهم إليه فاتخّذوهم أرباباً بطاعتهم لهم وتركهم أمر الله وكتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم قال

وانّما ذكر هذا في كتابنا لكي نتّعظ بهم وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا ليطيعُوا إلٰهاً وَاحِداً وهو الله تعالىٰ وأمّا طاعة الرسل وأوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنّهم عن الله يأمرون وينهون لاَ إلٰهَ إلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ تنزيه له عن الاشراك .

(٣٢) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا يخمدوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ[1] بشركهم وتكذيبهم وَيَأْبَى اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ باعلاءِ التوحيد واعزاز الإسلام وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ مثل الله سبحانه حالهم في طلبهم إبطال نبوّة محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم وولاية عليّ عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم يريد الله أن يبلغه الغاية القصوىٰ من الإضاءة والإنارة ليطفئه بنفخه .

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في هٰذه الآية يعني أنّهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة فأعمى الله قلوبهم حتىٰ تركوا فيه ما دلّ علىٰ ما أحدثوه فيه وحرفوا منه .

وعنه عليه السلام وجعل أهل الكتاب القيّمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السّماءِ تؤتى أكلها كلّ حين بإذن ربها أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل اعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا اطفاء نور الله بأفواههم فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره .

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام وقد ذكر شقّ فرعون بطون الحوامل في طلب موسى كذٰلك بنو أميّة وبنو العبّاس لمّا أن وقفوا علىٰ أنّ زوال ملك الأمراءِ والجبابرة منهم على يد القائم ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وابادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظّلمة إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره المشركونَ .

(٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

---

١ ـ لأن الاطفاء يكون بالأفواه وهو النّفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لأنّ الفمَ يؤثر في الأنوار الضّعيفة دون الأقباس العظيمة مجمع البيان .

ليظهر دين الحق علىٰ سائر الأديان وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

القميّ نزلت في القائم من آل محمّد عليه وعليهم السلام قال وهو الّذي ذكرناه ممّا تأويله بعد تنزيله وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام في هٰذه الآية والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتىٰ يخرج القائم فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلاّ كره خروجه حتى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله .

وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام في هذه الآية هو الذي أمر رسوله صلىً الله عليه وآله وسلم بالولاية لوصيّه والولاية هي دين الحقّ ليظهره علىٰ جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام والله متمّ ولاية القائم ولو كره الكافرون بولاية عليٍّ عليه السلام قيل هذا تنزيل قال نعم هذا الحرف تنزيل وامّا غيره فتأويل .

وفيه في حديث مناجاة موسىٰ عليه السلام ربّه وقد ذكر محمّداً صلىً الله عليه وآله وسلم قال فتمّت كلماتي لأظهرنّ دينه على الأديان كلّها ولأعبدنّ بكلّ مكان .

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام وغاب صاحب هذا الأمر بايضاح الغدر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدّهم عداوةً وعند ذٰلك يؤيّده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيّه علىٰ يَدَيه على الدين كله ولو كره المشركونَ .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أنّ ذٰلك يكون عند خروج المهدي من آل محمّد عليه وعليهم صلوات الله فلا يبقىٰ أحد إلاّ أقرّ بمحمد صلىً الله عليه وآله وسلم .

وَالعياشي عنه عليه السلام ما في معناه قال عليه السلام وفي خبر آخر قال ليظهره الله في الرّجعة وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال أظَهَر ذلك بعد قالوا نعم قال كلاّ فوالّذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلاّ وتنادي بشهادة أن لا إله إلا الله ومحمّد رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بكرةً وعشيّاً .

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ولا كافر إ لاّ كره خروجه .

وفي المجمع عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم قال لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض بيت مدر[1] ولا وبر[2] إلاّ أدخله الله الإسلام امّا بعزّ عزيز أو بذل ذليل امّا يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزّوا به وإمّا يذلّهم فيدينون له .

وفي الإكمال والعياشي عن الباقر عليه السلام القائم منّا منصور بالرّعب مؤيّد بالنّصر تطوىٰ له الأرض وتظهر له الكنوز يبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر الله به دينه على الدّين كلّه فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلاّ عمر وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصليّ خلفه الحديث .

(٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ يأخذونها من الحرام بالرّشاء في الأحكام وتخفيف الشرايع للعوام وَيَصدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ عن دينه وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ قيد الكنز بعدم الإنفاق لئلا يعمّ من جمع للإنفاق وبعد اخراج الحقوق فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هو الكيّ بها .

(٣٥) يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهَا يوقد النار ذات حمى شديدة على الكنوز فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهَا بتلك الكنوز المحماة جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ قيل إنّما خصّ هذه الأعضاء لأنّهم لم يطلبوا بترك الإنفاق إلاّ الأغراض الدّنيوية من وجاهة عند الناس وأن يكون ماء وجوههم مصوناً ومن أكل طيّبات يتضلّعون[3] فيها ومن لبس ثياب ناعمة يطرحونها علىٰ ظهورهم أو لأنّهم يعبسون وجوههم للفقير إذا رأوه يولّونه جنوبهم وإذا دار

---

١ ـ المدر جمع مدرة كقصب وقصبة وهو التّراب الملبّد.

٢ ـ فيه احبّ اليّ من أهل الوبر والمدر أي أهل البوادي والمدن والقرى وهو من وبر الإبل لأنّ بيوتهم يتّخذونها منه

ـ تضلّع الرّجل امتلأ شبعاً وريّاً ومنه حديث ماء زمزم شرب حتى تضلّع اي اكثر من الشرب حتى تمدّد جنبه واضلاعه.

أعطوه ظهورهم وانّ الجباه كناية عن مقاديم البدن والجنوب عن طرفيه والظهور عن الماء خير يعني به أنّ الكيّ يستوعب البدن كلّه هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ يعني يقال له هذا ما كنزتم لِأَنْفُسِكُمْ لانتفاع أنفسكم وكان سبب تعذيبها فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ يعني وباله

القمّي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أنّ الله حرّم كنز الذهب والفضة وأمر بانفاقه في سبيل الله قال كان أبو ذرّ الغفاري يغدو كلّ يوم وهو بالشام فينادي بأعلى صوته بشر أهل الكنوز بكيّ في الجباه وكيّ في الجنوب وكيّ في الظهور حتّى يتردّد الحر في أجوافهم .

وفي المجمع عن النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم لمّا نزلت هذه الآية قال تبّاً للذهب تبّاً للفضّة يكرّرها ثلاثاً فشقّ ذلك علىٰ أصحابه فسأله عمر أيّ المال نتّخذ فقال لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه .

وفي الخصال عنه عليه السلام الدّينار والدّرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم والقميّ في حديث قد سبق في سورة البقرة نظر عثمان بن عفان إلىٰ كعب الأحبار فقال له يا أبا اسحق ما تقول في رجل أدّىٰ زكوة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء فقال لا ولو اتّخذ لبنة من ذهب ولبناً من فضّة ما وجب عليه شيء فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب بها رأس كعب ثم قال له يا ابن اليهوديّة الكافرة ما أنت والنّظر في أحكام المسلمين قول الله أصدق من قولك حيث قال والذين يكنِزون الذهب والفضّة الآية .

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام ما زاد علىٰ أربعة آلاف فهو كنز أدّىٰ زكوته أو لم يؤدّ وما دونها فهي نفقة .

والعياشي عن الباقِر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال إنّما عنى بذلك ما جاوز ألفي درهم وفي الأمالي لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم كل مال تؤدّى زكوته فليس بكنز وان كانت تحت سبع أرضين وكلّ مال لا تؤدي زكوته فهو كنز وان كان فوق الأرض .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام موسّع علىٰ شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف فاذا قام قائمنا حرم على كل ذي كنز كنزه حتى يأتيه به فيستعين به علىٰ عدوّه وهو قول الله والذين يكنزون الذهب والفضّة الآية .

أقولُ : لعلَّ التوفيق بين هذه الأخبار أن يقال بجواز الجمع لغرض صحيح إلىٰ ألفي درهم أو إلىٰ أربعة آلاف بعد اخراج الحقوق ومن جملة الحقوق حق الإمام اذا كان ظاهراً وهو ما زاد على ما يكفّ صاحبه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل في كم تجب الزّكوة من المال فقال الزّكوة الظاهرة أم الباطنة تريد فقيل أريدهما جميعاً فقال أمّا الظّاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون وأمّا الباطنة فلا تستأثر علىٰ أخيك بما هو أحوج إليه منك .

وعنه عليه السلام إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله تعالىٰ ولم يعطكموها لتكنزوها .

وفي التهذيب عنه عليه السلام ما أعطى الله عبداً ثلاثين ألفاً وهو يريد به خيراً وقال ما جمع رجل قط عشرة آلاف درهم من حلّ وقد يجمعها لأقوام اذا أعطي القوت ورزق العمل فقد جمع الله له الدّنيا والآخرة .

(٣٦) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ فيما كتبه وأثبته عنده ورآه حكمة وصواباً يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مذ خلق الأجسام والأزمنة مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ يحرم فيها القتال ثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم وواحد فرد وهو رجب ذٰلِكَ الدّينُ الْقَيِّمُ أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدّين القيّم فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً .

القميّ عن الباقر عليه السلام يقول جميعاً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ بشارة وضمان لهم بالنّصرة إن اتّقوا .

(٣٧) إِنَّمَا النَّسِيءُ تأخير حرمة شهر إلىٰ شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلّوه وحرمُوا مكانه شهراً آخر حتّىٰ رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد

العدد وقرء النّسي بقلب الهمزة ياءً والإدغام والنّسيّ الكرميّ.

ونسبه في المجمع إلى الباقر عليه السلام وفي الجوامع إلى الصادق عليه السلام زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ لأنه تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرّمه الله فهو كفر آخر ضمّوه إلىٰ كفرهم يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ضَلالاً زائداً وقرىء يُضلّ عَلَى البناء للمفعُول يحِلُّونَهُ عاماً يحلّون النّسيء من الأشهر الحرم سنة ويحرّمون مكانه شهراً آخر وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً فيتركونه علىٰ حرمته.

القميّ كان سبب نزولها أنّ رجلاً من كنانة كان يقف في الموسم فيقول قد أحللت دماء المحلّين طي وخثعم في شهر المحرّم وأنسأته وحرّمت بدله صفراً فاذا كان العام المقبل يقول قد أحللت صفراً وانسأته وحرّمت بَدله شهر المحرّم فأنزل الله إنّما النّسيء الآية.

وقيل أوّل من أحدث ذٰلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم علىٰ جمل أحمر في الموسم فينادي إنّ آلهتكم أحلّت لكم المحرّم فأحلّوه ثم ينادي في القابل إنّ آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ ليوافقوا عدّة الأربعة المحرّم فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ فيحلّوا بمواطاة العدة وحدها ما حرّم الله من القتال زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ خذلهم الله حتى حسبوا قبيح أعمالهم حَسناً واللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ لعدم قبولهم الإهتداءَ.

(٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ تباطأتم مخلدين[1] إلى أرضكم والإقامة بدياركم.

في الجوامع كان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت قحط وقيظ مع بعد الشقّة[2] وكثرة العدوّ فشقّ ذلك عليهم.

القمّي وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لم يسافر سفراً أبعد ولا أشدّ

---

١ ـ قوله تعالى اخلد الى الأرض أي مال وركن الى الدّنيا وشهواتها واتّبع هواه في إيثار الدّنيا مـ.

٢ ـ الشقّة بالضم والكسر والناحية يقصدها المسافر والسّفر البعيد والمشقّة.

منه وكان سبب ذلك أنّ الضيّافة[١] كانوا يقدمون المدينة من الشام معهم الدرموك[٢] والطعام وهم الأنباط[٣] فأشاعوا بالمدينة أنّ الروم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في عسكر عظيم وأنّ هرقل قد سار في جنوده وجلب معهم غسان[٤] وجذام[٥] وبهراء وعاملة وقد قدم عساكره البلقاء ونزل هو حمص .

فأمر رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أصحابه بالتهيّؤ إلىٰ تبوك وهي من بلاد البلقاءِ وبعث إلى القبائل حوله وإلىٰ مكّة وإلىٰ من أسلم من خزاعة ومزينة وجهينة وحثّهم على الجهاد وأمر رسول الله بعسكره فضرب في ثنية الوداع وأمر أهل الجِدة أن يعينوا من لا قوّة به ومن كان عنده شيء أخرجه وحمّلوا وقوّوا وحثّوا علىٰ ذٰلك ثم خطب خطبة ورغّب الناس في الجهاد قال وقدمت القبايل من العَرَبِ ممّن استنفرهم وقعد عنه قوم من المنافقين وغيرهم .

أقول : وسنذكر بقايا هذه القصّة متفرّقة عند تفسير الآيات الآتية إلى آخر السورة أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وغرورها مِنَ الْآخِرَةِ بدل الآخرة ونعيمها فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ في جنب الآخِرة إلاّ قَلِيلٌ مستحقر .

(٣٩) إِلاَّ تَنْفِرُوا الى ما استنفرتم إليه يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً[٦] وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ خيراً منكم وأطوع وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئاً فانه الغنيّ عن كلّ شَيءٍ وعن كل أمر أو ولا تضرّوا النّبيّ شيئاً لأنّ الله وعده أن ينصره ويعصمه من النّاس ووعد الله كائن لا محالة وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنّصرة بلا عدد .

---

١ ـ اصاف القوم اذا دخلوا في الصّيف وصائفة القوم مسيرتهم في الصّيف .

٢ ـ الدّرمك كجعفر دقيق الحوارى ق الحوّارى الدقيق الأبيض وهو الباب الدّقيق وكل ما حوّراي بُيّض من طعام ق .

٣ ـ نبط جبل ينزلون بالبطايح بين العراق ق .

٤ ـ غسّان كشدّاد ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه منهم بنو جفنة رهط الملوك او غسّان اسم القبيلة ق .

٥ ـ جذام كغراب قبيلة بجبال صمى من معَد ق .

٦ ـ مؤلماً في الآخرة وقيل في الدّنيا مـ ن .

(٤٠) **الاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ** إن تركتم نصرته فسينصره الله كما نصره **إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ** لم يكن معه إلاّ رجل واحد **إذْ هُمَا فِي الغَارِ** غار ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة **إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ** وهو أبو بكر **لاَ تَحْزَنْ** لا تخف **إنَّ اللهَ مَعَنَا** بالعصمة والمعونة .

في الكافي عن الباقر عليه السلام أن رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أقبل يقول لأبي بكر في الغار اسكن فانّ الله معنا وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن فلّما رأى رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حاله قال له تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون وأريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون قال نعم فمسحَ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدّثون ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون فأضمر تلك الساعة أنّه ساحر **فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ** أمنته التي تسكن إليها القلوب **عَلَيْهِ** .

في الكافي عن الرضا عليه السلام أنّه قرأها على رسوله قيل له هكذا نقرؤها وهكذا تنزيلها .

والعياشي عنه عليه السلام أنّهم يحتجون علينا بقول الله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وما لهم في ذلكَ من حجّة فوالله لقد قال الله فأنزل الله سكينته على رسوله وما ذكره فيها بخير قيل هكذا تقرؤنها قال هكذا قرأتها .

وعن الباقر عليه السلام فأنزل الله سكينته على رسولـه قال ألا ترى أنّ السكينة إنّما نزلت على رسوله .

وفي الجوامع نسب القراءة إلى الصادق عليه السلام أيضاً **وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا** يعني الملائكة قد سبق فيه كلام في تفسير واذ يمكر بك الذين كفروا في سورة الأنفال **وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى** .

العياشي عن الباقر عليه السلام هو الكلام الذي يتكلم به عتيق والقمّي ما في معناه **وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا** .

القميّ هو قول رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقيل هي التوحيد أو دعوة الإسلام .

أقول : المستفاد ممّا سبق في سورة الأنفال أنّ كلمتهم ما كانوا يمكرون به من اثباته أو قتله أو اخراجه وكلمة الله نصره وغلبته عليهم وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ في أمره وتدبيره .

(٤١) إِنْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً القميّ قال شباناً وشيوخاً يعني إلىٰ غزوة تبوك وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ بما تيسّر لكم منهما ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

(٤٢) لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً أي لو كان ما دعوا إليه نفعاً دنيويّاً قريباً سهل المأخذ .

القميّ عن الباقر عليه السلام يقول غنيمة قريبة وَسَفَراً قَاصِداً متوسّطاً لَاتَّبَعُوكَ لوافقوك وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ المسافة التي تقطع بمشقّة .

القميّ يعني الى تبوك .

وفي التوحيد والعياشي عن الصادق عليه السلام كان في علم الله لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لفعلوا وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ أي المتخلّفون إذا رجعت من تبوك معتذرين لَوِ اسْتَطَعْنَا يقولون لو كان لنا استطاعة العدّة أو البدن لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ وهذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بايقاعها في العذاب وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في التوحيد عن الصادق عليه السلام كذبهم الله في قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم وقد كانوا مستطيعين للخروج .

(٤٣) عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ في القعود حين استأذنوك واعتلّوا بالأكاذيب وهلاّ توقّفت حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا في الإعتذار وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ .

القميّ عن الباقر عليه السلام يقول لتعرف أهل الغدر والذينَ جلسوا بغير عذر، في الجوامع وهذا من لطيف المعاتبة بدأ بالعفو قبل العتاب ويجوز العتاب من الله فيما غيره أولىٰ لا سيّما للأنبياء وليس كما قال جار الله من أنّه كناية عن الجناية وحاشا سيّد

الأنبياء وخير بني حوّاء من أن ينسب إليه الجناية .

وفي العيون عن الرضا عليه الصلاة والسلام في جواب ما سأله المأمون من عصمة الأنبياء هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة خاطب الله بذلك نبيّه وأراد به أمّته .

(٤٤) لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أي ليس من عادة [1] المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وانّ الخلّص منهم يتبادرون إليه ولا يوقفونه على الأذن فيه فضلاً عن أن يستأذنوك في التخلف عنه أو ليس من عادتهم أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدُوا واللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ شهادة لهم بالتقوى وعدةٌ لهم بثوابه .

(٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ فِي التخلّف الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ يتحيّرون، في الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام من تردّد في الريب سبقه الأوّلون وأدركه الآخِرون ووطأته سنابك الشياطين .

(٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لاَ عَدُّوا لَهُ للخروج عُدَّةً أهبة .

العياشي مضمراً يعني بالعدّة النيّة يقول لو كان لهم نيّةً لخرجوا وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ نهوضهم للخروج إلى الغزو ولعلمه بأنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنّميمة بين المسلمين [2] فَثَبَّطَهُمْ بطّأهم وجبّنهم وكسّلهم وخذلهم وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ مع النساء والصبيان وهو اذن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم في القعود وفي هذا دلالة على أنّ اذنه لم يكن قبيحاً وان كان الأولىٰ أن لا يأذن لهم ليظهر للنّاس نفاقهم .

(٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ بخروجهم إِلاَّ خَبَالاً فساداً وشرّاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ ولأسرعوا ركايبهم بينكم بالفساد .

---

١ ـ وقيل معناه لا يستأذنك في الخروج لأنّه مستغنى عنه بدعائك الى ذلك بل يتأهب له مـ ن.

٢ ـ وكانوا عيوناً للمشركين فكان الضّرر في خروجهم اكثر من الفائدة مـ ن.

القميّ أي هربوا عنكم يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ يريدون أن يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرّعب في قلوبكم وافساد نيّاتكم في غزوتكم وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ أي عيون نمّامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون قول المنافقين ويقبلونه ويطيعونهم يريد من كان ضعيف الإيمان من المسلمين وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ المصرّين على الفساد يعلم ضمايرهم وما يتأتّىٰ منهم .

(٤٨) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ تشتيت شملك وتفريق أصحابك مِنْ قَبْلُ قيل يعني يوم أُحد وقيل هي وقوفهم على الثّنيّة ليلة العقبة ليفتكوا به وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ أي دبّروا لك الحيل والمكايد واحتالوا في ابطال أمرك حَتّىٰ جَآءَ الْحَقُّ وهو تأييدك ونصرك وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وغلب دينه وعلا أهله وَهُمْ كَارِهُونَ أي علىٰ رغم منهم والاتيان لتسلية الرّسُول والمؤمنين علىٰ تخلّفهم وبيان ما ثبّطهم الله لأجله وهتك استارهم وازاحة اعتذارهم تداركاً لما فات الرّسول بالمبادرة إلى الإذن .

(٤٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي في القعود وَلَا تَفْتِنِّي ولا توقعني في الفتنة أي العصيان للمخالفة بأن لا تأذن لي فانّي إن تخلّفت بغير اذنك أثمت أو في الفتنة بنساء الروم كما يأتي ذكره أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا أي أنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلّف وظهور النفاق وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ أي بهم لأنّ آثارَ إحاطتها بهم معهم فكأنّهم في وسطها .

القمّي لقىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم الجدّ بن قيس فقال له يا أبا وهب الا تنفر معنا في هذه الغزوة لعلّك أن تحتفد من بنات الأصفر فقال يا رسول الله والله إن قومي ليعلمون أنّه ليس فيهم أحد أشدّ عجباً بالنساء مني وأخاف إن خرجت مَعَك أن لا أصبر اذا رأيت بنات الأصفر فلا تفتّني وائذن لي أن أقيمَ وقال لجماعة من قومه لا تخرجوا في الحرّ فقال ابنه تردّ علىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وتقول ما تقول ثم تقول لقومك ولا تنفروا في الحرّ والله لينزلنّ الله في هٰذا قرآناً يقرؤه الناس إلىٰ يوم القيامة فأنزل الله على رسوله في ذلك ومنهم من يقول ائذن لي الآية ثم قال الجدّ

ابن قيس أيطمع محمّد أنّ حرب الرّوم مثل حرب غيرهم لا يرجع من حرب هؤلاءِ أحد أبداً .

(٥٠) إِنْ تُصِبْكَ في بعض غزواتك حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ لفرط حسدهم وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ تبجّحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلّف وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ مسرورون .

القميّ عن الباقر عليه السلام أمّا الحسنة فالغنيمة والعافية وأمّا المصيبة فالبلاء والشّدة .

(٥١) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا ناصرنا ومتولّي أمرنا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ لأنّ حقّ المؤمن أن لا يتوكّل إلا على الله .

(٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا تنتظرون بنا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ القمي يقول الغنيمة والجنّة وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ احدى السّوئين أَنْ يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ بقارعة[1] من السماء أَوْ بِأَيْدِينَا وهو القتل على الكفر فَتَرَبَّصُوا ما هو عاقبتنا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ما هو عاقبتكم .

في نهج البلاغة وفي الكافي عن امير المؤمنين عليه السلام وكذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين إما داعي الله فما عند الله خير له وامّا رزق الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام الا احدى الحسنيين قال اما موت في طاعة الله أو ادراك ظهور امام ونحن نتربّص بهم مع ما نحن فيه من الشدّة أن يصيبهم الله بعذاب من عنده قال هو المسخ أو بأيدينا وهو القتل قل تربّصوا قال التربّص انتظار وقوع البلاءِ بأعدائهم .

(٥٣) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ أمر في معنى الخبر أي لن

---

١ ـ القارعة البليّة تقرع القلب بشدة المخافة مـ

يتقبّل منكم نفقاتكم أنفقتم طائعين أو مكرهين إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ تعليل .

(٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلاّ كفرهم .

في الكافي عن الصادق عليه السلام لا يضرّ مع الإيمان عمل ولا ينفع مع الكفر عمل الا ترىٰ أنّه تعالىٰ قال وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله صلىّ الله عليه وآله وسلم .

والعياشي ما في معناه وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلٰوةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالىٰ متثاقلينَ وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ لأنّهم لا يرجون بها ثواباً ولا يخافون علىٰ تركها عقاباً [1] .

(٥٥) فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ فانّ ذٰلك استدراج ووبال لهم

في المجمع الخطاب للنّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المؤمنين وقيل الخطابُ للسامع إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا بسبب ما يكابدون [2] لجمعها وحفظها من المتاعب ما يَرَوْنَ فيها من الشّدايد والمصايب ويشقّ عليهم انفاقها في سبيل الله وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة وأصل الزّهوق الخروج بصعوبة .

(٥٦) وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ لمن جملة المسلمين وَمَا هُمْ مِنْكُمْ لكفر قلوبهم وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين من القتل والأسر فيظهرون الإسلام تقيّة .

(٥٧) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً حصناً يلجأون إليه أَوْ مَغَارَاتٍ غيراناً أَوْ مُدَّخَلاً موضع دخول .

---

١ ـ وفي هذا دلالة على انّ الكفّار مخاطبون بالشّرايع لأنه سبحانه ذمّهم على ترك الصّلاة والزكاة ولولا وجوبهما عليهم لم يذمّوا بتركهما . مـ ن .

٢ ـ الكبد بالتحريك الشدّة والمشقّة من المكابدة للشّيء وهي تحمّل المشاقّ في شيء .

القميّ قال موضعاً يلتجئون إليه .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام أسراباً في الأرض لَوَلَّوْا إِلَيْهِ لأقبلوا نحوه وَهُمْ يَجْمَحُونَ أي يعرضون عنكم يسرعون اسراعاً لا يردّهم شيء كالفرس الجموح .

(٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ يعيبك فِي الصَّدَقَاتِ في قسمتها فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ يعني أنّ رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدّين .

في المجمع عن الباقر عليه السلام بينا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يقسّم قسماً اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التّميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل . الحديث إلىٰ أن قال فنزلت .

والقميّ نزلت لمّا جاءت الصدقات وجاءَ الأغنياء وظنّوا أن رسول اللهِ صلىّ الله عليه وآله وسلم يقسّمها بينهم فلّما وَضَعها في الفقراءِ تغامزوا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ولمزوه وقالوا نحن الّذين نقوم في الحرب وننفر معه ونقوّي أمره ثم يدفع الصّدقات إلىٰ هٰؤلاءِ الذين لا يعينونه ولا يغنون عنه شيئاً .

وفي الكافي والمجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام إنّ أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس .

(٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَيٰهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ ما أعطاهم الرّسُول صلىّ الله عليه وآله وسلم من الغنيمة أو الصّدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه علىٰ أنّ ما فعله الرّسُول صلىّ الله عليه وآله وسلم كان بأمره وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ كفانا فضله سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ صدقة أو غنيمة أخرىٰ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ في أن يوسع علينا مِن فضله وجواب الشرط محذوف تقديره لكان خيراً لهم .

(٦٠) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ أي الزّكوٰة لهٰؤلاءِ المعدودين

دون غيرهم فَرِيضَةً مِنَ اللهِ فرض لهم فريضةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يضع الأشياء مواضعها .

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام الفقير الذي لا يسأل الناس والمسكين أجهد منه والبائس [١] أجهدهم .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام الفقير هو المتعفّف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل .

والقميّ عن الصادق عليه السلام أنّه سئل من هم فقال الفقراء هم الذين لا يسألون وعليهم مؤنات من عيالهم والدليل علىٰ أنّهم هم الذين لا يسألون قول الله تعالىٰ في سورة البقرة للفقراءِ الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهِل أغنياء من التعفّف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً والمساكين هم أهل الزمانة [٢] من العميان والعُرجان والمُجذَمِين [٣] وجميع أصناف الزمنىٰ من الرجال والنساء والصبيان والعاملين عليها هم السعاة والجُباة في أخذها وجمعها وحفظها حتى يؤدّوها إلىٰ من يقسمها والمؤلّفة قلوبهم قوم وحّدُوا الله ولم يدخل المعرفة قلوبهم إنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يتألّفهم ويعلّمهم كي ما يعرفوا فجعل الله لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا في الرقاب قوم قد لزمهم كفارات في قتل الخطأ وفي الظهار وقتل الصيد في الحرم وفي الإيْمَان وليس عندهم ما يكفرون وهم مؤمنون فجعل الله لهم سهماً في الصدقات ليكفّر عنهم والغارمين قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير اسراف فيجب علىٰ الإمام أن يقضي ذٰلك عنهم ويكفيهم من مال

---

١ ـ لعلّ البائس هو الّذي أصابه الشدّة في المال والبدن جميعاً .

٢ ـ الزّمانة العاهة وآفة في الحيوان يقال زمن الشّخص زمناً وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زماناً طويلاً مـ.

٣ ـ الجُذام كغُراب علّة تحدث من انتشار السّوداء في البدن كلّه فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها وربّما انتهى الى تأكل الأعضاء وسقوطها عن تقرّح جذم كعنى فهو مجذوم ومجذّم واجذم ق.

الصدقات وفي سبيل الله قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجّون به أو في جميع سبيل الخير فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصّدقات حتى يتقوّوا به على الحجّ والجهاد وابن السّبيل أبناء الطريق الذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم ويذهب مالهم فعلى الإمام أن يردّهم إلىٰ أوطانهم من مال الصّدقات والصّدقات تتجزّى ثمانية أجزاء فيعطى كلّ انسان من هذه الثمانية علىٰ قدر ما يحتاجون إليه بلا اسراف ولا تقتير يقوم في ذٰلك الإمام يعمل بما فيه الصّلاح .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام ما كانت المؤلّفة قلوبهم قطّ أكثر منهم اليوم وهم قوم وحّدوا الله وخرجوا من الشّرك ولم يدخل معرفة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم قلوبهم وما جاء به فتألّفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وتألّفهم المؤمنون بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لكي ما يعرفوا،والعياشي عنه عليه السلام ما في معناه ،وفي الفقيه والعياشي عن الصادق عليه السلام سئل عن مكاتب عجز من مكاتبته وقد أدّى بعضها قال يؤدّي عنه من مال الصّدقة إنّ الله عزّ وجل يقول في كتابه وفي الرقاب

وفي الكافي والعياشي عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أيّما مسلم أو مؤمن مات وترك دَيْناً لم يكن في فساد ولا اسراف فعلى الإمام أن يقضيه فان لم يقضه فعليه اثم ذٰلك إنّ الله تعالىٰ يقول إنّما الصدقات للفقراءِ والمساكين الآية فهو من الغارمين وله سهم عند الإمام فان حبسه فاثمه عليه .

وفيه عنه عليه السلام كان [1] رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقسّم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل الحَضَر في أهل الحضر ولا يقسّمها بينهم بالسّويّة وانّما يقسّمها علىٰ قدر ما يحضرها منهم وما يرىٰ وليس في ذٰلك شيء موقّت موظّف .

---

١ ـ لعلّ ذلك لأن اعين فقراء كل موطن ممدودة الى اموال ذلك الموطن فالأولى ان تصرف الى اهله ولا تخرج منه

وعنه عليه السلام سهم المؤلّفة قلوبهم وسهم الرّقاب عامّ والباقي خاصّ يعني خاصّ بالعارف [1] لا يعطي غيره .

وفي الخصال عن الباقر عليه السلام لا تحلّ الصدقة لبني هاشم إلاّ في وجهين إن كانوا عطاشاً فأصابوا ماءً فشربوا وصدقة بعضهم على بعض .

(٦١) وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ يسمع كلّ ما يقال له ويصدّقه قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ تصديق لهم بأنّه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذمّوه به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله وقرء اذن بالتّخفيف يُؤْمِنُ بِاللهِ يصدق به وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يصدّقهم واللاّم للتفرقة بين التصديقين .

القميّ قال كان سبب نزولها أنّ عبد الله بن نفيل كان منافقاً وكان يقعد إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فيسمع كلامه وينقله إلى المنافقين وينمّ عليه فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال يا محمّد إنّ رجلاً من المنافقين ينمّ عليك وينقل حديثك إلى المنافقين فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم من هو فقال الرّجل الأسود كثير شعر الرأس ينظر بعينين كأنّهما قدران وينطق بلسان كأنّه لسان شيطان فدعاه رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فأخبره فحلف أنّه لم يفعل

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قد قبلت منك فلا تقعد فرجع إلىٰ اصحابه فقال إنّ محمّداً صلىّ الله عليه وآله وسلم اذن اخبره الله أنّي أنمّ عليه وأنقل أخباره فقبل واخبرته أنّي لم أفعل فقبل فأنزل الله علىٰ نبيّه صلىّ الله عليه وآله وسلم ومنهم الذين يؤذون النّبيّ ويقولون هو أُذُنٌ قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدّق الله فيما يقول ويصدّقك فيما تعتذر إليه في الظاهر ولا يصدّقك في الباطن قوله ويؤمن للمؤمنين يعني المقرّين بالايمان من غير اعتقاد .

---

١ ـ المعرفة معرفة الإمام عليه السلام .

والعياشي عن الصادق عليه السلام يعني يصدق الله ويصدق المؤمنين لأنه كان رؤفاً رحيماً بالمؤمنين وَرَحْمَةٌ أي هو رحمة وقرىء بالجر لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ لمن أظهر الإيمان [الإسلام] حيث يقبله ولا يكشف سرّه وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترحماً وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بايذائه .

(٦٢) يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلّفوا لِيُرْضُوكُمْ لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ صدقاً .

القميّ نزلت في المنافقين الذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنهم منهم لكي يرضى عنهم المؤمنون .

(٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ يشاقق منَ الحدّ لأنّ كلاّ من المخالفين في حدّ غير حدّ صاحبه فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ .

(٦٤) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُوْرَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وتهتك عليهم استارهم قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ .

(٦٥) وَلَئِنْ سَئَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ .

القميّ كان قوم من المنافقين لما خرج رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى تبوك يتحدّثون فيما بينهم ويقولون أيرى محمّد أنّ حزب الرّوم مثل حزب غيرهم لا يرجع منهم أحد أبداً فقال بعضهم ما أخلقه أن يخبر الله محمّداً بما كنّا فيه وبما في قلوبنا وينزّل عليه بهذا قرآناً يقرؤه النّاس وقالوا هذا على حدّ الاستهزاء وقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لعمّار بن ياسر الحقِ القوم فانّهم قد احترفوا فلحقهم عمّار فقال لهم مّا قلتم قالوا ما قلنا شيئاً إنّما كنّا نقول شيئاً على حدّ اللعب والمزاحِ فنزلت .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام نزلت في اثني عشر رجلاً وقفوا على العقبة ائتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وقال بعضهم لبعض إن فطن

نقول إنّما كنّا نخوض ونلعب وان لم يفطن نقتله وذٰلك عند رجوعه من تبوك فأخبر جبرئيل رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بذٰلك وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم فضربها حتىٰ نحّاهم فلمّا نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم فقال لم أعرف منهم أحداً فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فلان بن فلان حتىٰ عدّهم قال حذيفة ألا نبعث إليهم فنقتلهم فقال أكره أن يقول العرب لمّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم .

وفي الجوامع تواثقوا علىٰ أن يدفعوه عن راحلته في الوادي اذا تسنّم العقبة بالليل فأمر عمّار بن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذٰلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة[1] السّلاح فالتفت فاذا قوم متلثّمون فقال إليكم يا أعداءَ الله وضرب وجوه رواحلهم حتّىٰ نحّاهم .

الحديث إلىٰ آخر ما ذكره في المجمع أورده عند تفسير يحلفون بالله ما قالوا من هذه السّورة كما يأتي قُلْ اَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ .

(٦٦) لاَ تَعْتَذِرُوا لا تشتغلوا اعتذاراتكم فانّها معلُومة الكذب قَدْ كَفَرْتُمْ قد أظهرتم الكفر بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بعد اظهاركم الإيمان إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ لتوبتهم واخلاصهم تُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصرّين على النّفاق وقرىء بالنّون فيهما .

القميّ عن الباقر عليه السلام في قوله لا تعتذروا قال هٰؤلاءِ قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا وشكّوا ونافقوا بعد إيمانهم وكانوا أربعة نفر وقوله إن نعف عن طائفة منكم كان أحد الأربعة مختبر بن الحُميرَّ فاعترف وتاب وقال يا رسول الله اهلكني اسمي فسمّاه رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم عبد الله بن عبد الرّحمٰن فقال يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لا يعلم أين أنا فقتل يوم اليمامة ولم يعلم أحد أين قتل فهو الذي عفى عنه .

(٦٧) اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تكذيب لهم فيما حلفوا أنّهم

---

١ ـ القعقعة حكاية صوت السّلاح ق.

لمنكم وتحقيق لقوله وما هم منكم يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ بالكفر والمعاصي وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ عن الايمان والطاعة وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ شحّاً بالخيرات والصدقات[1] نَسُوا اللهَ أغفلوا ذكره فَنَسِيَهُمْ[2] فتركهم عن رحمته وفضله .

في التوحيد والعياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً فصاروا منسيّين عن الخير .

والعياشي عن الباقر عليه السلام نسوا الله تركوا طاعة الله فنسيهم قالَ فتركهم إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ هم الكاملون في التمرّد والفسوق عن دائرة الخير .

(٦٨) وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ عقاباً وجزاءً فيه دلالة على عظم عذابها نعوذ بالله منها وَلَعَنَهُمُ اللهُ أبعدهم من رحمته وأهانهم وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ لا ينقطع فيها ويجوز أن يكون المراد به ما يقاسونه من تعب النفاق وما يخافونه أبداً من الفضيحة .

(٦٩) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أنتم مثلهم كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ نصيبهم من ملاذّ الدُّنيا فاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِم ذمّ الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللّذائذ الحقيقية الباقية تمهيداً لذمّ المخاطبين لمشابهتهم بهم واقتفائهم أثرهم وَخُضْتُمْ دخلتم في الباطل كَالَّذِي خَاضُوا كالخوض الذي خاضوه أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لم يستحقّوا عليها ثواباً في الدارين وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ الذين خسروا الدنيا والآخرة

(٧٠) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ كيف أغرقوا بالطّوفان وَعَادٍ كيف أهلكوا بالرّيح وَثَمُودَ كيف أهلكوا بالرّجفة وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ كيف أهلك نمرود

---

١ ـ وقيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهاد في سبيل الله مـ ن.

٢ ـ وذكر ذلك لازدواج الكلام لأنّ النّسيان لا يجوز عليه تعالى مـ ن.

ببعوض وأهلك أصحابه وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ قوم شعيب كيفَ أهلكوا بالنّار يوم الظلّة وَالْمُؤْتَفِكَاتِ قرىٰ قوم لوط كيف ائتفكت بهم أي انقلبت وصارت عاليها سافلها .

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن المؤتفكات قال أولئك قوم لوط ائتفكت عليهم أي انقلبت أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ يعني الكلّ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب .

(٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ [١] في مقابلة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يَأْمُرُونَ [٢] بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ لا محالة فانّ السّين مؤكدة للوقوع إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غالب علىٰ كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حَكِيمٌ يضع الأشياء مواضعها .

(٧٢) وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً يطيب فيها العَيش في جَنَّاتِ عَدْنٍ اقامة وخلود

في المجمع عن النبي صلّى الله عليه وماله وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيّين والصدّيقين والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك .

وفي الخصال عنه عليه السلام من سرّه أن يحيى حيوتي ويموت مماتي ويسكن جنّتي التي واعدني الله ربّي جنّات عدن قضيب غرسه الله بيده ثم قال له كن فيكون فليوال علي بن أبي طالب وذرّيته عليهم السلام من بعده

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سأله يهودي أين يسكن نبيّكم من الجنّة فقال

---

١ ـ أي بعضهم أنصار بعض يلزم كلّ واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته حتّى انّ المرأة تهيء أسباب السّفر لزوجها إذاخرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم مـ ن .

٢ ـ وفي الآية دلالة على أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من فروض الأعيان لأنّه جعلهما من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوماً منهم دون قوم مـ ن

في اعلاها درجة وأشرفها مكاناً في جنات عدن فقال صدقت والله انّه لبخطّ هارون واملاء موسى وفي الفقيه في حديث بلال جنّة عدن في وسط الجنان سورها ياقوت أحمر وحصياتُها اللّؤلؤ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ يعني وشيء من رضوانه أكبر من ذلك كله لأنّ رضاه سبب كل سعادة وموجب كل فوز وبه تنال كرامته التي أكبر أصناف الثواب ذٰلِكَ أي الرّضوان هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذي يستحقر دونه كلّ لذّة وبهجة .

(٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ قيل بالسيف وَالْمُنَافِقِينَ قيل بالزام الحجّة واقامة الحدود .

والقمّي عن الباقر عليه السلام جاهد الكفار والمنافقين بالزام الفرائض وفي المجمع في قراءة أهل البيت جاهد الكفّار بالمنافقين قالوا لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلم لم يكن يقاتل المنافقين ولكن كان يتألّفهم لأنّ المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله بكفرهم لا يبيح قتلهم اذا كانوا يظهرون الإيمان .

وفيه في سورة التحريم عن الصادق عليه السلام أنه قرأ جاهد الكفّار بالمنافقين قال انّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لم يقاتل منافقاً قطّ إنّما كان يتألّفهم

والقميّ أيضاً إنّما نزلت يا أيها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين لأنّ النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم لم يجاهد المنافقين بالسّيف قاله هنا .

وفي سورة التحريم عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى يا أيها النّبي جاهد الكفّار والمنافقين هكذا نزلت فجاهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم الكفار وجاهد عليّ المنافقين فجاهد عليّ جهاد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

(٧٤) يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا .

القميّ نزلت في الذين تحالفوا في الكعبة أن لا يردّوا هذا الأمر في بني هاشم

فهي كلمة الكفر ثمّ قعدوا لرسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في العقبة وهمّوا بقتله وهو قوله وهمّوا بما لم ينالوا وقال في موضع آخر فلّما أطلع الله نبيّه وأخبره حلفوا له أنّهم لم يقولوا ذٰلك ولم يهمّوا به حتّىٰ أنزل الله يحلفون بالله ما قالوا الآية .

وعن الصادق عليه السلام لما أقام رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم عليّاً يوم غدير خمّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولىٰ أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة قال عمر ألا ترون عينيه كأنّهما عينا مجنون يعني النّبي صلىً الله عليه وآله وسلم السّاعة يقوم ويقول قال لي ربّي فلّما قام قال يا أيها الناس من أولىٰ بكم من أنفسكم قالوا الله ورسوله قال اللهم فاشهد ثمّ قال ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه وسلموا عليه بإمرة المؤمنين فنزل جبرئيل وأعلم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا .

وفي المجمع نزلت في أهل العقبة فإنّهم أضمرُوا أن يقتلوا رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في العقبة حين رَجْعهم من تبوك وأرادوا أن يقطعوا انساع[1] راحلته ثم ينخسوا[2] به فأطلعه الله علىٰ ذٰلك وكان من جملة معجزاته لأنّه لا يمكن معرفة ذٰلك إلاّ بوحي من الله فبادر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في العقبة وحده وعمّار وحذيفة أحدهما يقود ناقته والآخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين همّوا بقتله اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر عرفهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وسمّاهم بأسمائهم .

قال وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب .

أقول : قد مضى بعض هذه القصة عند تفسير يا أيّها الرّسُول بلّغ من المائدة وعند تفسير انّا كنّا نخوض ونلعب من هذه السورة .

---

١ ـ النسع بالكسر سير ينسج عريضاً يشدّ به الرحال القطعة منه نسعة ويسمّى نسعاً لطوله وجمعه نسع بالضم وانساع مـ.

٢ ـ نخس الدّابة كنصر وجعل غرز مؤخرها بعود ونحوه مـ.

والعياشي عن الصادق عليه السلام لما قال النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم ما قال في غدير خمّ وصاروا بالأخبية[١] مر المقداد بجماعة منهم يقولون إذا دنا موته وفنيت أيّامه وحضر أجله أراد أن يولّينا عليّاً من بعده أما والله ليعلمنّ قال فمضى المقداد وأخبر النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم فقال الصّلوٰة جامعة قال فقالوا قد رمانا المقداد فقوموا نحلف عليه قال فجاؤا حتى جثوا[٢] بين يديه فقالوا بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله والذي بعثك بالحق والذي كرّمك بالنّبوّة ما قلنا ما بلغك والذي اصطفاك على البَشرَ قال فقال النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم بسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرّحيمِ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهمّوا بك يا محمد ليلة العقبة وَمَا نَقَمُوا وما انكروا وما عابُوا إلاَّ أَنْ أَغْنٰيهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ قال كان أحدهم يبيع الرّؤوس وآخر يبيع الكراع[٣] ويفتل القرامل[٤] فأغناهم الله برسوله ثم جعلوا حدّهم وحديدهم عليهم والمعنى أنّهم جعلوا موضع شكر النّعمة كفرانها وكان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشّكر.

فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا بالإصرار على النفاق يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بالقتل والنّار وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ فينجيهم من العذاب.

(٧٥) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ.

القميّ عن الباقر عليه السلام هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف كان محتاجاً فعاهد الله فلمّا أتاه بخل به.

وفي الجوامع هو ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً

---

١ ـ أي دخلوا خيامهم.

٢ ـ أي جلسوا واجتمعوا.

٣ ـ الكرع: محركة من الدابة قوائمها ودقّة مقدّم الساقين وكغراب من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدقّ الساق.

٤ ـ القرامل هي ما تشدّه المرأة في شعرها من الخيوط.

فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فقال والذي بعثك بالحقّ لأن رزقني مالاً لأعطينّ كلّ ذي حق حقّه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدّود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة وبعث رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم المصّدق ليأخذ الصّدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال صلىّ الله عليه وآله وسلم يا ويح ثعلبة .

وفي المجمع روي ذٰلكِ مرفوعاً .

(٧٦) فَلَمَّا آتيٰهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ منعوا حقّ الله منه وَتَوَلَّوْا عن طاعة الله وَهُمْ مُعْرِضُونَ .

(٧٧) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ يلقون الله .

في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام اللقاء هو البعث بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ .

(٧٨) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ما اسرّوه في أنفسهم من النفاق وَنَجْوَيٰهُمْ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعِن وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ لا يخفى عليه شيء .

(٧٩) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ يعيبون الْمُطَّوِّعِينَ المتطوّعين مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ إلا طاقتهم فيتصدّقون بالقليل .

وفي الحديث أفضل الصدقة جهد المقلّ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ يستهزؤن سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ جازاهم جزاء السّخرية كذا في العيون عن الرضا عليه السلام وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

القمّي جاء سالم بن عمير الأنصار بصاع من تمر فقال يا رسول الله كنت ليلتي أجرّ الجرير[1] حتى عملت بصاعين من تمر فامّا أحدهما فأمسكته وامّا الآخر فأقرضته ربّي فأمر

---

١ ـ الجرير الحبل الذي يجرّ به البعير يريد انه استقى للنّاس على اجرة صاعين ، منه رحمه الله .

رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه المنافقون فقالوا والله إن كان الله لغنيّ من هذا الصاع ما يصنع الله بصاعه شيئاً ولكن ابا عقيل أراد أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت .

والعياشي عن الصادق عليه السلام أجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه على أن يستقي كلّ دلو بتمرة بخيارها فجمع تمراً فأتى به النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وعبد الرحمن بن عوف على الباب فلمزه أي وقع فيه فنزلت هذه الآية الذين يلمزون .

(٨٠) اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لا فرق بين الأمرين في عدم الافادة لهم إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ قيل السبعون جاء في كلامهم مجرى المثل للتكثير وروت العامة أنّه صلىً الله عليه وآله وسلم قال والله لأزيدنّ على السبعين فنزلت سواءٌ عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وفي لفظ آخر قال لو علمت أنّه لو زدت على السّبعين مرّة غفر لهم لفعلت .

والعياشي عن الرضا عليه السلام أنّ الله قال لمحمد صلىً الله عليه وآله وسلم ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم فاستغفِر لهم مأة مرّة ليغفر لهم فأنزل الله سواء عليهم استغفرت لهم الآية وقال ولا تصلّ علىٰ أحد منهم مات أبداً ولا تقم علىٰ قبره فلم يستغفر لهم بعد ذٰلك ولم يقم علىٰ قبر أحد منهم .

أقول : لا يبعد استغفار النّبي صلىً الله عليه وآله وسلم لمن يرجو إيمانه من الكفّار وانما لا يجوز استغفاره لمن يئس من إيمانه وهو قوله عزّ وجلّ ما كان للنّبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدما تبيّنَ لهم أنّهم أصحاب الجحيم إلىٰ قوله تبّرأ منهم ويأتي تمام الكلام في هذا المقام عن قريب انشاء الله ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ اشارة إلىٰ أنّ اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منّا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليّتهم بسبب الكفر الصارف عنها وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ المتمردين في كفرهم .

(٨١) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال أقام خلاف القوم أي بعدهم وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ايثاراً للدّعة والخفض[1] علىٰ طاعة اللهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قاله بعضهم لبعض وقد سبق قصّة الجد بن قيس في ذلك عند تفسير ومنهم من يقولُ ائذن لي وهذا تفضيح له من الله سبحانه قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً وقد أثرتموها بهذه المخالفة لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ أنّ ما بهم إليها وانّها كيف هي مَا اختاروها بايثار الدعة على الطاعة .

(٨٢) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً إمّا علىٰ ظاهر الأمر وإمّا أخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة يعني فيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً أخرجه علىٰ صيغة الأمر للدلالة علىٰ أنّه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء، كنايتين عن السرور والغمّ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والتخلف .

(٨٣) وَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلىٰ طَآئِفَةٍ مِنْهُمْ فانّ ردّك إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلّفين يعني منافقيهم ممّن لم يتب ولم يكن له عذر صحيح في التخلف فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ إلى غزوة أخرىٰ بعد تبوك فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً اخبار في معنى النهي للمبالغة إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم علىٰ تخلّفهم أوّل مرّة وهي الخرجةِ إلىٰ غزوة تبوك فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ أي المتخلّفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنّساءِ والصّبيان .

(٨٤) وَلاَ تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً لا تدعو له وتستغفر وَلاَ تَقُمْ عَلىٰ قَبْرِهِ للدّعاءِ . .

في المجمع فانه عليه السلام كان اذا صلّىٰ علىٰ ميت يقف علىٰ قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله عن الصلوٰة على المنافقين والوقوف علىٰ قبرهم والدعاء لهم ثمّ بيّن سبب الأمرين إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ .

---

١ ـ الخفض الراحة والسّكون يقال هو في خفض من العيش أي في سعة وراحة ومنه عيش خافض وعيش خفيض اي واسع مـ.

القميّ في آية الإستغفار السابقة أنّها نزلت لمّا رجع رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ومرض عبد الله بن أبيّ وكان ابنه عبد الله مؤمناً فجاء إلى النبي صلىً الله عليه وآله وسلم وأبوه يجود بنفسه فقال يا رسول الله بأبي أنت وأميّ إنّك لم تأت علىٰ أبي كان ذلك عاراً علينا فدخل عليه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم والمنافقون عنده .

فقال ابنه عبد الله بن عبد الله يا رسول الله استغفر له فاستغفر فقال عمر ألم ينهك الله يا رسول الله أن تُصَلِّيَ عليهم أو تستغفر لهم .

فأعرض عنه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فأعاد عليه فقال له وَيلك إنّي خُيِّرت فاخترت انّ الله يقول استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم فلمّا مات عبد الله جاء ابنه إلىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم .

فقال بأبي أنت وأميّ يا رسول الله إن رأيت أن تحضر جنازته فحضر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فقام علىٰ قبره فقال له عمر يا رسول الله ألم ينهك الله أن تصليّ على أحد منهم مات أبداً وأن تقوم على قبره .

فقال له رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ويلك وهل تدري ما قلت إنّما قلت اللهم احش قبره ناراً وجوفه ناراً وأصْلِهِ[1] النار فبدا من رسول الله ما لم يكن يحبّ .

والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّ النبي صلىً الله عليه وآله وسلم قال لابن عبد الله بن أبيّ اذا فرغت من أبيك فأعلمني وكان قد توفيّ فأتاه فأعلمه فأخذ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم نعليه للقيام فقال له عمر أليس قد قال الله ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم علىٰ قبره فقال ويحك أو ويلك إنّما أقول اللهم املأ قبره ناراً واملأ جوفه ناراً وأصْلِهِ يوم القيامة ناراً وفي رواية أخرىٰ أنّه صلىً الله عليه وآله وسلم أخذ بيد ابنِهِ في الجنازة ومضى فتصدى له عمر ثم قال أما نهاك ربّك عن هذا أن تصليّ

---

١ ـ والصّلاء ككساء الشّواء لأنّه يصلى بالنّار والصّلاء أيضاً النّار قال الجوهري فان فتحت الصّاد قصرت وقلت صلا النّار والإصطلاء بالنّار التسخّن بها وفلان لا يصطلى بناره اي شجاع لا يطاق مـ.

على أحد مات منهم أبداً أو تقوم على قبره فلم يجبه فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر أعاد عمر ما قاله أوّلاً .

فقال النّبي صلىً الله عليه وآله وسلم لعمر عند ذلك ما رأيتنا صلّينا له على جنازة ولا قمنا على قبر ثمّ قال إنّ ابنه رجل من المؤمنين وكان يحقّ علينا اداء حقّه فقال عمر أعوذ بالله من سخط الله وسخطك يا رسول الله .

أقولُ : وكان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حيّياً كريماً كما قال الله عزّ وجلّ فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحقّ فكان يكره أن يفتضِحَ رجل من أصحابه ممّن يظهر الايمان وكان يدعو على المنافقين ويوري[1] أنّه يدعو لهم وهذا معنى قوله صلىً الله عليه وآله وسلم لعمر ما رأيتنا صلّينا له على جنازة ولا قمنا على قبر وكذا معنى قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث القمّي خيّرت فاخترت فورّى صلّى الله عليه وآله وسلم باختيار الإستغفار وأما قوله فيه فاستغفر له فلعلّه استغفر لابنه لمّا سأل لأبيه الإستغفار وكان يعلم أنّه من أصحاب الجحيم ويدلّ على ما قلناه قوله عليه السلام فبدا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن يحب هذا .

إن صحّ حديث القمّي فانّه لم يستند إلى المعصوم والإعتماد على حديث العياشي هنا أكثر منه على حديث القمّي لاستناده الى قول المعصوم دونه لأنّ سياق كلام القمّي تارة يدلّ على أنه كان سبب نزول الآية قصّة ابن أُبيّ وأُخرى تدلّ على نزولها قبل ذلك .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام كان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم يكبّر على قوم خمساً وعلى قوم آخرين أربعاً فاذا كبّر على رجل أربعاً أتّهم يعني بالنّفاق .

وفيه والعياشي عنه عليه السلام كان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إذا

---

١ ـ وريّت الخبر بالتشديد تورية اذا سترته وأظهرت غيره حيث يكون للّفظ معنيان احدهما اشيع من الآخر فتنطق به وتريد الخفّى مـ.

صلىٰ علىٰ ميّت كبّر وتشهد ثمّ كبّر وصلّىٰ على الأنبياء ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين ثمّ كبّر الرابعة ودعا للميّت ثم كبّر وانصرف فلمّا نهاه الله عزّ وجلّ عن الصلاة على المنافقين كبّر وتشهّد ثمّ كبّر وصلّى على النبيّين ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين ثمّ كبّر الرّابعة وانصرف ولم يدع للميت .

(٨٥) وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يشقّ عليهم اخراجها من الزّكوات والإنفاق في سبيل الله وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ قد مرّ تفسير الآية وانّما كرّرت للتأكيد أو هذه في فريق غير الأوّل .

(٨٦) وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ ذو الفضل والسّعة وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ الذين قعدُوا لعذر .

(٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ جمع خالفة .

العياشي عن الباقر عليه السلام قال مع النساء وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ما في الجهاد وموافقة الرسول من السّعادة وما في التخلف عنه من الشّقاوة .

(٨٨) لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ان تخلّف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ منافع الدين والدنيا النصر والغنيمة في الدنيا والجنّة ونعيمها في الآخرة وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بالمطالب .

(٨٩) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

(٩٠) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ أهل البدو لِيُؤْذَنَ لَهُمْ المعذّرون المقصرون من عذر في الأمر اذا توانى ولم يجدّ فيه وحقيقته أن يوهم أنّ له عذراً فيما يفعل ولا عذر له .

ويجوز أن يكون من اعتذر اذا مهّد العذر بادغام التّاء في الذال ونقل حركتها

إلى العَينِ وهم الذين يعتذرون بالباطل وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ في ادعاءِ الإيمان فلم يجيبُوا ولم يعتذرُوا سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بالقتل والنّار.

(٩١) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى كالهرمى[1] والزّمنى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ لفقرهم حَرَجٌ اثم في التأخير اذَا نَصَحُوا لِلّهِ وَرَسُولِهُ بالإيمان والطاعة في السِّرِّ والعلانية مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ لا جناح ولا عتاب وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(٩٢) وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ يعني معك لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ أي يسيل دمعها فانّ من للبيان كأنّ العين كلّها دمع فائض حَزَناً أَنْ لاَ يَجِدُوا لئلاّ يجدُوا ما يُنْفِقُونَ في مغزاهم.

العياشي عنهما عليهما السلام عبد الله بن يزيد بن ورقاءِ الخزاعي أحدهم.

والقميّ في قصّة غزوة تبوك وجاء البكّاؤن إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير قد شهد بدر الاخلاف فيه ومن بني واقف هَرَمِيّ بن عمير ومن بني حارثة علية بن زيد وهو الذي تصدق بعِرضه وذٰلك أن رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أمر بالصدقة فجعَلَ النّاس يأتون بها فجاء عليّة فقال يا رسول الله ما عندي ما اتصدق به وقد جعلت عرضي حلالاً.

فقال له رسول الله : قد قبل الله صدقتك ومن بني مازن ابن النّجار أبو ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب ومن بني سلمة عمرو بن غنيمة ومن بني زريق سلمة بن صخر ومن بني المعز ماضرة بن سارية السّلمي هٰؤلاءِ جاؤا إلىٰ رسُول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يبكون فقالوا يا رسول الله ليس بنا قوّة أن نخرج معك فأنزل الله فيهم ليسَ على الضّعَفاءِ ولا على المرضى إلىٰ قوله أن لا يجدوا ما ينفقون قال وانّما سأل هؤلاءِ البكّاؤن نعلاً يلبسونها.

(٩٣) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ

---

١ ـ الهرم محرّكة والمهرم والمهرمة أقصى الكبر.

الْخَوَالِفِ قال كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتىٰ والخوالف النساء وَطَبَعَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ حتىٰ غفلوا عن وخامة[1] العاقبة فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مغيبه .

(٩٤) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ في التخلف إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ من الغزوة قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوا بالمعاذير الكاذبة لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ لن نصدقكم قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ أعلمنا بالوحي إلى نبيّه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشرّ والفساد وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أي إليه فوضع الوَصْف موضع الضمير للدلالة علىٰ أنه مطلع علىٰ سرّهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمايرهم وأعمالهم فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالتوبيخ والعقاب .

(٩٥) سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فلا تعاتبوهم فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ولا توبّخوهم إِنَّهُمْ رِجْسٌ لا ينفع فيهم التوبيخ والنصح والعتاب لا سبيل إلىٰ تطهيرهم وَمَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

(٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تفعلون بهم فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ولا ينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم .

في المجمع عن النبي صلىَّ الله عليه وآله وسلم من التمسَ رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه النّاس .

القميّ لمّا قدم النبيّ صلىَّ الله عليه وآله وسلم من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين ويؤذونهم وكانوا يحلفون لهم أنّهم على الحق وليسُوا هم بمنافقين لكي تعرضوا عنهم وترضوا عنهم فأنزل الله سيحلفون بالله لكم الآية .

---

١ ـ وخامة العاقبة سوؤ ها وعدم موافقتها وثقلها ورديئها .

(٩٧) الأَعرابُ أهل البدو أَشدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً من أهل[1] الحضر لتوحشهم وقساوتهم وجفائهم ونشوهم في بُعْد من مشاهدة العلماء وسماع التنزيل وَأَجْدَرُ أَنْ لاَ يَعْلَمُوا وأحقّ بأن لا يعلموا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ عَلىٰ رَسُولِهِ من الشرايع وفرائضها وسننها واللّهُ عَلِيمٌ يعلم كل أحد من أهل الوبر والمدر حَكِيمٌ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً .

(٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ يعدّ مَا يُنْفِقُ يصرفه في سبيلِ الله ويتصدق مَغْرَماً غرامة وخسراناً إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثواباً وانّما ينفق رياءً وتقيّة وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ دوائر الزمان وعقباته وحوادثه لينقلب الأمر عليكم فيتخلّص من الإنفاق عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ اعتراض بالدّعاءِ عليهم بنحو ما يتربصونه أو إخبار عن وقوع ما يتربصُون عليهم وَاللّهُ سَمِيعٌ لما يقولون عند النفاق عَلِيمٌ بما يضمرون .

(٩٩) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ سبب قربات عِنْدَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ وسبب دعواته لأنه كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة ويستغفر لهم أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ شهادة من الله لهم بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ تقرير لهم .

(١٠٠) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

القميّ هم النقباءِ وأبو ذر والمقداد وسلمان وعمّار ومن آمن وصدق وثبت علىٰ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وفي نهج البلاغة لا يقع اسم الهجرة علىٰ أحد إلاّ بمعرفة الحجّة في الأرض فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ بالإيمان والطاعة إلىٰ يوم القيامة .

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام في حديث فبدأ بالمهاجرين

---

١ ـ ومعناه انّ سكّان البوادي اذا كانوا كفّاراً ومنافقين فهم أشدّ كفراً من أهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم وعن استماح الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي مـ ن .

الأوّلين علىٰ درجة سبقهم ثم ثنّىٰ بالأنصار ثمّ ثلّث بالتابعين باحسان فوضع كلّ قوم علىٰ قدر درجاتهم ومنازلهم عنده رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بقبول طاعتهم وارتضاءِ أعمالهم وَرَضُوا عَنْهُ بما نالوا من نعمه الدّينيّة والدّنيويّة وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ وقرء من تحتها كما هو في سائر المواضع خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [1].

(١٠١) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ ممّن حول بلدتكم يعني المدينة مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عطفٌ عَلىٰ مِمّن حولكم مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ صفة للمنافقين أي تمهّروا[2] فيه وتمرّنوا[3] لاَ تَعْلَمُهُمْ لا تعرفهم بأعيانِهم وهو تقرير لمهارتهم فيه يعني يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك[4] لفرط تحاميهم مواقع الشك في أمرهم نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ونطلع علىٰ أسرارهم سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ في الجوامع هو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم وعذاب القبر[5] ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ عذاب النار.

(١٠٢) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

القميّ وفي المجمع عن الباقر عليه السلام نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر وقد سبقت قصته عند تفسير لا تخونوا الله والرّسُول من سورة الأنفال .

---

١ ـ قيل نزلت هٰذه الآية فيمن صلّى إلى القبلتين وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الحديبيّة ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأولين وقيل هم اهل بدر وهم الّذين اسلموا قبل الهجرة «مجمع البيان».

٢ ـ المتمهّر الأسد الحاذق بالإفتراس وتمهّر حذق ق .

٣ ـ مَرَن على الشّيء يمرن مروناً ومرانة تعوّد واستمرّ عليه ص .

٤ ـ في الحديث اتّقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله الفراسة بالكسر الإسم من قولك تفرّست في خيراً وهي نوعان احدهما ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بعض احوال النّاس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والظّنّ وهو ما دلّ عليه ظاهر الحديث اتّقوا آه وثانيهما نوع يعلم بالدلائل والتجارب والأخلاق مـ.

٥ ـ فيه اقوال احدها ما ذكره المصنف رحمه‌الله والثاني معناه نعذّبهم في الدّنيا بالفضيحة فانّ النبيّ صلّى الله عليه وآله ذكر رجالاً منهم واخرجهم من المسجد الحرام يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فانّكم منافقون ونعذّبكم في القبر والثالث مرّة في الدنيا بالسّبى والقتل ومرة في الآخرة بعذاب القبر وروى عذّبوا بالجوع مرتين والرابع اخذ الزكاة منهم وعذاب القبر الخامس غيظهم من اهل الإسلام وعذاب القبر السادس اقامة الحدود عليهم وعذاب القبر وكلّ ذلك محتمل وهاتان المرّتان قبل ان يردّوا الى عذاب النّار.

وفي الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيبها المؤمنون ويكرهونها فاولئك عسى الله أن يتوب عليهم .

والعياشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال عسى من الله واجب وانّما نزلت في شيعتنا المذنبين .

وفي رواية أخرى قوماً اجترحوا ذنوباً مثل حمزة وجعفر الطيّار ثم تابوا ثم قال ومن قتل مؤمناً لم يوفّق للتوبة إلّا أن الله لا يقطع طمع العباد فيه ورجاءهم منه قال هو أوغيره إنّ عسى من الله واجب .

(١٠٣) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً .

القميّ نزلت حين أطلق أبو لبابة وعرض ما له للتصدّق **تُطَهِّرُهُمْ** الصدقة أو أنت **وَتُزَكِّيهِمْ** بِهَا أي تنسبهم إلى الزّكاءِ والتزكيَة مبالغة في التّطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماءِ والبركة في المال **وَصَلِّ عَلَيْهِمْ** وترحّم عليهم بالدّعاءِ لهم بقبول صدقاتهم وغيره **إِنَّ صَلٰوتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** تسكن إليها نفوسهم وتطمئنّ بها قلوبهم **وَاللّٰهُ سَمِيعٌ** يسمع دعاءك لهم **عَلِيمٌ** يعلم ما يكون منهم .

في المجمع عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صلّ عليهم .

والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هٰذه الآية أجارية هي في الأيّام بعد رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قال نعم .

وفي الكافي عنه عليه السلام لمّا نزلت آية الزّكوة خذ من أموالهم صدقة وأنزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله مناديه فنادى في النّاس إنّ الله فرض عليكم الزّكوة كما فرض عليكم الصلوٰة ففرض الله عليهم من الذهب والفضّة وفرض عليهم الصّدقة من الابل والبقر والغنم ومِنَ الحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب ونادىٰ بهم ذٰلك في رمضان وعفىٰ لهم عمّا سوىٰ ذٰلك قال ثم لم يتعرض لشيء من أموالهم حتى حال عليهم الحول من قابل فصاموا وأفطروا فأمر مناديه فنادىٰ في المسلمينَ أيّها المسلمون زكّوا أموالكم

تقبل صلوٰتكم قال ثمّ وجّه عمّال الصّدقة وعمّال الطسُوق[١].

(١٠٤) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ إذا صحّت وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ إذا صَدرت عن خلُوص النيّة يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدّي بدله.

في التوحيد عن الصادق عليه السلام في حديث والأخذ في وجه القبول منه كما قال ويأخذ الصدقات أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها.

وفي الكافي عنه عليه السلام أنّ الله يقول ما من شيء إلاّ وقد وكّلت به من يقبضه غيري إلاّ الصدقة فانّي أتلقّفها[٢] بيدي تلقّفاً حتىٰ أنّ الرجل ليتصدق بالتمرة أو بشقّ التمرة فأربّيها له كما يربّي الرجل فلوه[٣] وفصيله[٤] فيأتي يوم القيامة وهو مثل أُحد وأعظم من أُحد.

والعياشي عن السّجّاد عليه السلام ضمنت علىٰ رَبّي أنّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرّب وهو قوله هو يقبل التّوبة عن عباده ويأخذ الصّدَقات.

وعنه عليه السلام أنّه كان اذا أعطى السائل قبل يد السائل فقيل له لم تفعل ذلك قال لأنّها تقع في يد الله قبل يد العبد وقال ليس من شيء إلاّ وكّل به ملك إلاّ الصدقة فانّها تقع في يد الله قال الرّاوي أظنّه يقبّل الخبز أو الدّرهم.

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام كان أبي إذا تصدق بشيء وضعه في يد السائل ثم ارتدّه منه وقبّله وشمّه ثم ردّه في يد السائل.

وفي الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا ناولتم السائل شيئاً فاسألُوه أن يدعو لكم فانّه يجاب له فيكم ولا يجاب في نفسه لأنّهم يكذبون وليردّ الذي ناوله يده إلى فيه فيقبّلها فانّ الله تعالىٰ يأخذها قبل أن تقع في يده كما قال تعالىٰ ألم يعلموا أنّ الله هو

---

١ ـ الطّسوق بالفتح ما يوضع من الخراج على الجريان منه رحمه الله

٢ ـ لقفه كسمع لقفاً ولقفاناً محرّكة تناوله بسرعة ق.

٣ ـ الفِلو بالكسر وكعدوّ وسموّ الجحش والمهر فطما او بلغا السّنة جمعُه افلا ق.

٤ ـ الفصيل ولد النّاقة اذا فصل عن امّه جمعه فُصلان بالضم والكسر وككتاب ق.

يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَوَّابُ الرَّحِيمُ من شأنه قبول توبة التائبينَ والتفضّل عليهم .

(١٠٥) وَقُلِ اعْمَلُوا ما شئتم فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمؤْمِنُونَ خيراً كان أو شرّاً .

في الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّه ذكر هٰذه الآية فقال هو والله أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال والمؤمنون هم الأئمة عليهم السلام .

والقميّ عنه عليه السلام مثله .

وفي الكافي عنه عليه السلام قال إيّانا عني وعنه عليه السلام أنّه قرأ هذه الآية فقال ليس هكذا هي إنّما هي والمأمونون فنحنُ المأمونون .

وفيه والعياشي عنه عليه السلام قال تعرض الأعمال على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أعمال العباد كل صباح ابرارها وفجّارها فاحذروها وهو قول الله تعالى وقل اعملوا الآية .

والعياشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال إنّ الله شاهد في أرضه وإنّما أعمال العباد تعرض على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم .

وفي الكافي عنه عليه السلام ما لكم تسُوؤن رسول الله فقيل كيف نسوؤه فقال : أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه فاذا رأىٰ معْصيةً فيها ساءه ذٰلك فلا تسوؤا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وسرّوه .

وعن الرضا عليه السلام أنّه قيل له ادع الله لي ولأهل بيتي فقال أولست أفعل والله انّ أعمالكم تعرض عليّ في كلّ يوم وليلة قال فاستعظمت ذلك فقال أما تقرأ كتاب الله فقال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قال هو والله عليّ بن أبي طالب .

والقميّ عن الصادق عليه السلام أن أعمال العباد تعرض علىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم كل صباح أبرارها وفجّارها فاحذروا وليستحي أحدكم أن يعرض علىٰ نبيّه العمل القبيحَ .

وعنه عليه السلام والعياشي عن الباقر عليه السلام ما من مؤمن يموت أو كافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله علىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وعلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهلّم جرّاً إلىٰ آخر من فرض الله طاعته على العباد فذٰلك قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وَسَتُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ بالموت فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة .

(١٠٦) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ مؤخّرون أي موقوف أمرهم من ارجأته إذا أخّرته وقرىء مرجون بالواو وهو بمعناه[1] لِأَمْرِ اللهِ في شأنهم إمّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بأحوالهم حَكِيمٌ فيما يفعل بهم .

في الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام والقميّ عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفر وأشباههما من المؤمنين ثم أنّهم دخلوا في الإسلام فوحّدوا الله وتركوا الشرّك ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة ولم يكونوا علىٰ جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار فهم علىٰ تلك الحال إمّا يعذّبهم الله وإمّا يتوب عليهم .

(١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً وقرىء الذين بدون الواو لأنّه قصّة برأسها .

في الجوامع روي أنّ بني عمرو بن عوف لمّا بنوا مسجد قباء[2] وصلىّ فيه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجداً نصلىً فيه ولا نحضر جماعة محمد صلىً الله عليه وآله وسلم فبنوا مسجداً إلىٰ جنب

---

١ ـ قال الأزهري الأرجاء يهمز ولا يهمز يقال أرجأت الأمر وأرجيته .

٢ ـ هو بضم القاف يقصر ويمدّ ولا يصرف ويذكّر ويؤنّث موضع بقرب المدينة المشرّفة من جهة الجنوب نحواً من ميلين وهو المسجد الذي اسّس على التقوى من اول يوم مـ .

مسجد قباء وقالوا لرسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وهو يتجهّز الى تبوك إنّا نحبّ أن تأتينا فتصليّ لنا فيه فقال إنّي على جناح سفر ولمّا انصرف من تبوك نزلت فأرسل من هدم المسجد وأحرقه وأمرأن يتخذ مكانه كناسة يلقىٰ فيه الجيف والقمامة **ضِراراً** مضارة للمؤمنين أصحاب مسجد قباء **وَكُفْراً** أو تقوية للكفر الذي كانوا يضمرونه **وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ** الذين كانوا يجتمعون للصّلوٰة في مسجد قبا أرادوا أن يتفرّقوا عنه وتختلف كلمتهم **وَإِرْصاداً** واعداداً أو ترقّباً **لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ** يعني أبا عامر[1] الراهب قيل بنوه علىٰ قصد أن يؤمّهم فيه أبو عامر إذا قدم من الشام

في الجوامع أنّه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلمّا قدم النبيّ المدينة حَسَده وحزّب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة وخرج إلى الرّوم وتنصر وكان هؤلاء يتوقعون رجوعه إليهم وأعدّوا هذا المسجد له ليصلّي فيه ويظهر على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وانّه كان يقاتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في غزواته إلى أن هرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين[2] وحيداً **وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنىٰ** ما أردنا ببنائه إلّا الخصلة الحُسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين **وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** في حلفهم .

القميّ كان سبب نزولها انه جاء قوم من المنافقين إلىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم للعليل والليلة المطيرة والشيخ الفاني فأذن لهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وهو على الخروج إلىٰ تبوك فقالوا : يا رسول الله لو أتيتنا فَصَلَّيت فيه قال : أنا علىٰ جناح السّفر فإذا وافيت إن شاء الله آتيه وأصليّ فيه .

فلمّا أقبل رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم من تبوك نزلت عليه هٰذِهِ الآية

---

١ ـ وهو من اشراف قبيلة خزرج وله مهارة في علم التوراة والإنجيل وكان يحدّث نعت النّبي على اهل المدينة فلمّا بعث النّبي صلّى الله عليه وآله وقدم بالمدينة حسَده وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الّذي قتل مع النبي صلّى الله عليه وآله يوم أُحد وكان جنباً فغسّله الملائكة.

٢ ـ قنسرين وقنسرون بالكسر فيهما كورة بالشام وتكسر نونهما ق.

في شأن المسجد وأبي عامر الرّاهب وقد كانوا حلفوا لرسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أنّهم يبنون ذٰلك للصّلاح والحسنى فأنزل الله على رسوله والذين اتخّذوا مسجداً الآية قال : وإرصاداً لمن حارب الله يعني أبا عامر الرّاهب كان يأتيهم فيذكر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وفي تفسير الإمام عليه السلام عند قوله ولا تقولوا راعنا من سورة البقرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يأتيه الأخبار من صاحب دومة[1] الجندل وكان ملك النواحي له مملكة عظيمة ممّا يلي الشام وكان يهدّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بقصده وقتل أصحابه وكان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم خائفين وجلين من قلبه .

قال ثمّ إنّ المنافقين اتّفقوا وبايعُوا لأبي عامر الرّاهب الذي سمّاه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم الفاسق وجعلوه أميراً عليهم ونجعوا له بالطّاعة فقال لهم الرّأي أن أغيب عن المدينة لئلاّ أتّهم إلى أن يتم تدبيركم وكاتبُوا أكيْدِر صاحب دومة الجندل ليقصد الى المدينة فأوحى الله إلىٰ محمّد صلىً الله عليه وآله وسلم وعرّفه ما أجمعوا عليه من أمره وأمره بالمسير إلىٰ تبُوك وكان رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم كلّما أراد غزواً ورّىٰ بغيره إلاّ غزاة تبوك فانّه أظهر ما كان يريده وأمرهم أن يتزوّدُوا لها وهي الغزاة التي افتضح فيها المنافقون وذمّهم الله في تثبّطهم عنها وأظهر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ما أوحى الله تعالىٰ إليه أنّ الله سيظهره بأكيْدر حتىٰ يأخذه ويصالحه علىٰ ألف أوقية ذهب في رجب ومأتي حلّة وألف أوقيّة في صفر وينصرف سالماً إلىٰ ثمانين يوماً .

فقال لهم رسول الله إنّ موسى وعد قومه أربعين ليلة وإنّي أعدكم ثمانين ليلة ارجع سالماً غانماً ظافراً بلا حربٍ يكون ولا يشتاك أحد من المؤمنين .

فقال المنافقون لا والله ولٰكنها آخر كرامة كذا الّتي لا ينجبر بعدها إن

---

١ ـ دومة الجندل حصن عادي بين المدينة والشّام يقرب من تبوك وهي اقرب الى الشام وهي لفصل بين الشام والعراق وهي احد حدود فدك ويقال انّها تسمّى بالجوف قال الجوهري واصحاب اللغة يقولون بضم الدّال واصحاب الحديث يفتحونها مـ.

أصحابه ليموت بعضهم في هذا الحرّ ورياح البوادي ومياه المواضع المؤذية الفاسدة ومن سلم من ذلك فبين أسير في يد أكيدر وقتيل وجريح واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها بعضهم يعتلّ بالحرّ وبعضهم بمرض بجسده وبعضهم بمرض في عياله وكان يأذن لهم

فلّما أصبح وضحّ عزم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم على الرّحلة إلىٰ تبوك عمد هٰؤلاءِ المنافقون فبنوا خارج المدينة مسجداً وهو مسجد الضّرار يريدون الإجتماع فيه ويوهمون أنّه للصّلوٰة وإنّما كان ليجتمعوا فيه لعلّة الصّلوٰة فيتّم تدبيرهم ويقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون ثم جاء جماعة منهم إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قالوا يا رسول الله إنّ بيوتنا قاصية عن مسجدك فإنّا نكره الصّلوٰة في غير جماعة ويصعب علينَا الحضور وقد بنينا مسجداً فإن رأيت أن تقصده وتصلىّ فيه لنتيمّن ونتبرّك بالصّلوٰة في موضع مصلاّك .

فلم يعرّفهم رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ما عرّفه الله عن أمرهم ونفاقهم وقال ائتوني بحماري فأُتي باليعفور فركبه يريد نحو مسجدهم فكلّما بعثه هو وأصحابه لم ينبعث ولم يمش فاذا صرف رأسه عنه إلى غيره سار أحسن سيره وأطيبه قالوا لعلّ هذا الحمار قد رأىٰ من الطريق شيئاً كرهه ولذلك لا ينبعث نحوه .

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ائتوني بفرس فركبه فلّما بعثه نحو مسجدهم لم ينبعث وكلّما حرّكوه نحوه لم يتحرّك حتّىٰ اذا فتلوا رأسه إلىٰ غيره سار أحسَنَ سير فقالوا ولعلّ هذا الفرَس قد كره شيئاً في هذا الطريق فقال تعالوا نمش إليه فلّما تعاطىٰ هو ومن معه المشي نحو المسجد جفّوا في مواضعهم ولم يقدروا على الحركة واذا همّوا بغيره من المواضع خفّت حركاتهم ونقيت أبدانهم وبسطت قلوبهم .

فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم هذا أمر قد كرهه الله وليس يريده الآن وأنا علىٰ جناح سفر فامهلوني حتّىٰ أرجع إن شاء الله ثم انظر في هذا نظراً يرضاه الله وجدّ في العزم على الخروج إلىٰ تبوك وعزم المنافقون على اصطلام مخلّفيهم إذا خرجوا فأوحى الله تعالىٰ إليه يا محمّد إنّ العليّ الأعلىٰ يقرؤك السلام ويقول إمّا أن تخرج أنت

ويقيم عليّ وإمّا أن يخرج عليّ وتقيم أنت فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ذاك لعليّ فقال عليّ السمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله وانْ كنت أحبّ أن لا أتخلّف عن رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في حال من الأحوال .

فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هرٰون من موسٰى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي قال رضيت يا رسول الله فقال له رسول الله يا أبا الحسن إنّ أجر خروجك مَعِيَ في مقامك بالمدينة وانّ الله قد جعلك أمّة وحدك كما جعل إبراهيم أمّة تمنع جماعة المنافقين والكفّار هيبتك عن الحركة على المسلمينَ .

فلما خرج رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وشيعه عليّ خاض المنافقون وقالوا إنّما خلّفه محمّد بالمدينة لبغضه له وملاله منه وما أراد بذٰلك إلاّ أن يبيته المنافقون فيقتلوه فاتّصل ذٰلك برسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فقال عليّ أتسمع ما يقولون يا رسول الله .

فقال رسول الله ما يكفيك أنّك جلدة ما بين عينيّ ونور بصري وكالرّوح في بدني ثم سار رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بأصحابه وقام عليّ بالمدينة فكان كلّما دبّر المتافقون أن يواقعوا بالمسلمين فزعوا من عليّ وخافوا أن يقوم معه عليهم يدفعهم عن ذٰلك وجعلوا يقولون فيما بينهم هي كرّة محمّد التي لا يؤب منها ثمّ ذكر قصّة رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم مع أُكَيْدِر وأخذه له وصلحه معه علىٰ ما مرّ ذكره .

ثم قال وعاد رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم غانماً ظافراً وابطل الله كيد المنافقين وأمر رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم باحراق مسجد الضرّار فأنزل الله تعالى والذي اتخذوا مسجداً ضراراً الآيات ثم ذكر أنّ أبا عامر الرّاهب كان عجل هذه الأمّة كعجل قوم موسٰى وانّه دمّر الله عليه وأصابه بقولنج وبرص وفالج ولقوة وبقي أربعينَ صباحاً في أشدّ عذاب ثمّ صار إلىٰ عذاب الله .

(١٠٨) لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً أي لا تصلّ فيه أبداً يقال فلان يقوم بالليل أي يصلّي لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ من أيّام وجوده .

في الكافي عن الصادق والعياشي عنهما عليهما السلام والقميّ يعني مسجد قبا قيل أسّسه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم وصلىً فيه أيام مقامه بقبا **أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ** فِيهِ أولىٰ بأن تصليّ فيه .

والعياشي قال يعني من مسجد النفاق وكان علىٰ طريقه رجل إذا أتىٰ مسجد قبا فقام فينضح بالماءِ والسّدر ويرفع ثيابه عن ساقيه ويمشي علىٰ حجر في ناحية الطريق ويسرع المشي ويكره أن يصيب ثيابه منه شيء فسألته هل كان النّبي صلىً الله عليه وآله وسلم يصلي في مسجد قبا قال نعم **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** .

العياشي عن الصادق عليه السلام هو الاستنجاء بالماءِ والقميّ كانوا يَتطهّرون بالماءِ .

وفي المجمع عن الباقر والصادق عليهما السلام يحبون أن يتطهروا بالماء عن الغايط والبول وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأهل قبا ماذا تفعلون في طهركم فانّ الله قد أحسن عليكم الثناء قالوا نغسل أثر الغايط فقال أنزل الله فيكم والله يحبّ المطهرين .

(١٠٩) **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ** بنيان دينه **عَلَىٰ تَقْوىٰ مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ** على قاعدة محكمة هي الحقّ الذي هو التقوىٰ من الله وطلب مرضاته بالطّاعة **خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ** علىٰ قاعدة هي أضعف القواعد وأقلّها بقاءً وهو الباطل والنفاق الذي مَثَله مَثَل شَفا جرف هار في قلّة الثبات والشّفا الشّفير وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر أصله بالماءِ وتجرفه السيول والهار الهاير الذي أشفىٰ على السقوط والهدم وقرىء أُسِّسَ على البناءِ للمفعول وجرف بالتخفيف **فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** لمّا جعل الجرف والهار مجازاً عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنّم والمعنىٰ فهوىٰ به الباطل في نار جهنّم فكأنّ المبطل أسّس بنياناً علىٰ شفير جهنّم فطاح به إلىٰ قعرها .

القميّ عن الباقر عليه السلام مسجد الضرار الذي أسّس علىٰ شفا جرف هار

فانهار به في نار جهنّم وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ إلىٰ ما فيه صلاح ونجاة .

(١١٠) لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُم الَّذِي بَنَوْا يعني مسجد الضرار رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ سبب شكّ وازدياد نفاق في قلوبهم ولا يضمحلّ أثره ثمّ لمّا هدمه الرّسول رسخ ذٰلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه إلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ قطعاً بحيث لا يبقىٰ لها قابليّة الادراك والاضمار .

في الجوامع عن الصادق عليه السلام أنّه قرأ إلىٰ أن تقطع والقميّ حتى تقطع قلوبهم وقرىء نقطع وَاللهُ عَلِيمٌ بنيّاتهم حَكِيمٌ فيما أمر بهدم بنائهم .

القميّ فبعث رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم مالك بن دخشم الخزاعي وعامر بن عدي أخا بني عمرو بن عوف على أن يهدموه ويحرّقوه فجاء مالك فقال لعامر انتظرني حتى أخرج ناراً من منزلي فدخل وجاء بنار وأشعل في سعف النّخل ثم أشعله في المسجد فتفرقوا وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البنية ثمّ أمر بهدم حايطه .

(١١١) إِنَّ اللهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ تمثيل لاثابة اللهِ إيّاهم بالجنّة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ استيناف ببيان ما لأجله الشرىٰ وقرىء بتقديم المبنى للمفعُول وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرٰيةِ وَالاِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَعَدَ ذٰلك علىٰ نفسه وعداً ثابتاً مثبتاً في الكتب الثلاثة وَمَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ أي لا أحد أوفىٰ بعهده من الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ فافرحوا به غاية الفَرَح إذ بعتم فانياً بباق وزائلاً بدائم وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

(١١٢) التَّائِبُونَ رفع على المدح أي هم التّائبونَ .

وفي قراءة الباقر والصادق عليهما السلام التّائبين إلىٰ قوله والحافظين رواها في المجمع عنهما عليهما السلام اجراء على الصّفة للمؤمنين .

في الكافي عن الباقر عليه السلام أنّه تلا [تلي ظ] عنده التائبون العابدون فقال لا إقْرَأْ التائبين العابدين إلىٰ آخرها فسئل عن العلّة في ذٰلك فقال اشترى من

المؤمنين التائبين العابدين **الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ .**

في الكافي عن الصادق عليه السلام لما نزلت هذه الآية إن الله اشترىٰ من المؤمنين قام رجل إلى النبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم فقال يا نبيّ الله أرأيتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يقتل إلا أنّه يقترف من هذه المحارم أشهيد هو فأنزل الله علىٰ رسوله التائبون العابدون الآية فبشّر النبي المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنّة .

وقال التائبون من الذنوب العابدون الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً الحامدون الذين يحمدون علىٰ كلّ حال في الشّدة والرخاءِ السائحون الصائمون الراكعون الساجدون الذين يواظبون على الصلوات الخمس الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها والخشوع فيها وفي أوقاتها الآمرون بالمعروف بعد ذٰلك والعاملون به والنّاهون عن المنكر والمنتهون عنه قال فبشرّ من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنّة الحديث .

أقول : إنّما فسرّ السياحة بالصيام لقول النبي صلىً الله عليه وآله وسلم سياحة أمتي الصيام .

وعنه عليه السلام لقي عباد البصري عليّ بن الحسين عليه السلام في طريق مكّة فقال يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينته إنّ الله اشترى من المؤمنين الآية فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام أتم الآية فقال التائبون العابدون الآية فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا رأينا هٰؤلاءِ الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ .

والقميّ لقي الزّهري عليّ بن الحسين عليه السلام إلىٰ آخر الحديث .

العياشي قال هم الأئمّة عليهم السلام .

والقميّ قال نزلت الآية في الأئمّة عليهم السلام لأنّه وصفهم بصفة لا تجوز في

غيرهم فالآمرون بالمعروف هم الذين يعرفون المعروف كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليله والناهون عن المنكر هم الذين يعرفون المنكر صغيره وكبيره والحافظون لحدود الله هم الذين يعرفون حدود الله صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها ولا يجوز أن يكون بهذه لصّفة غير الأئمّة عليهم السلام .

وفي نهج البلاغة أنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة فلا تبيعوها إلاّ بها .

وفيه فلا أموال بذلتموها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم[1] بها للذي خلقها .

والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالىٰ انّ الله اشترىٰ الآية .

فقال يعني في الميثاق ثم قرأت عليه التائبون العابدون فقال لا اقرأها التائبين العابدين إلىٰ آخر الآية وقال إذا رأيت هٰؤلاءِ فعند ذٰلك هٰؤُلاء اشترىٰ منهم أنفسهم وأموالهم يعني في الرّجعة .

(١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ بموتهم على الشرّك أو بوحي من الله أنّهم لن يؤمنوا .

(١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ قطع استغفاره .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنه قال ما يقول الناس في قول الله تعالىٰ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه فقيل يقولون ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له قال ليس هو هكذا إنّ أبا إبراهيم وعده أن يسلم فاستغفر له فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه وفي رواية أخرىٰ لما مات تبيّن له أنّه عدوّ الله فلم يستغفر له .

أقول : لا ينافي هذا التفسير ما رواه القميّ أنّ إبراهيم عليه السلام قال لأبيه

---

١ ـ الخَطر بالتّحريك الإشراف على الهلاك وقوله خاطر بنفسه من استغنى برأيه وبئس الخطر لمن خاطر الله بترك طاعته كلاهما من المخاطرة وهي ارتكاب ما فيه خطر وهلاك مـ.

إن لم تعبد الأصنام استغفرت لك فلمّا لم يدع الأصنام تبرأ منه وذلك لجواز وقوع كلا الوعدين وكون استغفار ابراهيم له مشروطاً باسلامه وكون المراد بالوعد في هذه الآية وعد أبيه إيّاه ويدلّ علىٰ وعد إبراهيم إيّاه قوله تعالىٰ إلاّ قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك إنَّ إبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ .

في الكافي عن الباقر عليه السلام .

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام الأوّاه هو الدُّعاء .

والقميّ عن الباقر عليه السلام الأوّاه المتضرّع إلى الله في صلوٰته وإذا خلا في قفرة من الأرض وفي الخلوات .

وقيل هو الذي يكثر التأوّه والبكاء والدّعاء ويكثر ذكر الله عز اسمه .

(١١٥) وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدٰيهُمْ للإسلام حَتّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ما يجب اتقاؤه .

في الكافي والعياشي والتوحيد عن الصادق عليه السلام حتّىٰ يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم أمرهم في الحالين .

(١١٦) إنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ يعني ولا يتأتى ولاية ولا نصرة إلاّ من اللهِ فتوجّهوا بشراشركم إليه وتبرّوا عمّا عداهُ .

(١١٧) لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ .

في الإحتجاج عَن الصادق عليه السلام وفي المجمع عن الرضا عليه السلام أنّهما قرءا لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين .

والقميّ عن الصادق عليه السلام هكذا نزلت وفي الإحتجاج عن أبان بن تغلب فقلت له يَا ابن رسول الله إنَ العامة لا تقرأ كما عندك قال وكيف تقرأ يا ابان قال قلت إنّها تقرأ لقد تاب الله على النّبيّ والمهاجرين والأنصار فقال ويلهم وأيّ ذنب

كان لرسُول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حتى تاب الله منه إنّما تاب الله به علىٰ أمّته الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ (١).

القميّ في قصة تبوك هم أبو ذر وأبو خيثمة وعميرة بن وهب الذين تخلّفوه ثم لحقوا برسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم قال وتخلّف عن رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم قوم من أهل ثبات وبصاير لم يكن يلحقهم شكّ ولا ارتياب ولكنهم قالوا نلحق برسول الله منهم أبو خيثمة (٢) وكان قوياً وكان له زوجتان وعريشان فكانتا زوجتاه قد رشتا (٣) عريشته (٤) قال لا والله ماهذا بإنصافٍ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قد خرج في الضّحّ (٥) والريح وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله وأبو خيثمة قويّ قاعد في عريشه وامرأتين حسناوين لاّ والله ما هذا بإنصافٍ ثم أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ونظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بذلك .

فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم كن أبا خيثمة فكان أبا خيثمة أقبل فأخبر النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم بما كان فجزّاه خيراً ودعا له وكان أبو ذرّ تخلّف عن رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام وذلك أنّ جمله كان أعجف فلحق بعد ثلاثة أيّام ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه علىٰ ظهره .

فلّما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم كن أبا ذر فقالوا هو أبو ذر فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم

---

١ ـ وهي صعوبة الأمر قال جابر يعني عسرة الزّاد وعسرة الظّهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لأن السّاعة تقع على كلّ زمان مـ ن.

٢ ـ بالخاء المفتوحة المعجمة والياء التحتانيّة السّاكنة والثاء المثلّثة والميم والهاء.

٣ ـ أي طلبتا ان تتّخذاهما.

٤ ـ العريش كالهودج وما عرش للكرم والبيت الّذي يستظل به ق.

٥ ـ الضّح الشمس وقولهم جاء فلان بالضّح والريح أي بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح يعني من الكثرة « ص » .

ادركوه بالماءِ فانّه عطشان فأدركوه بالماءِ ووافىٰ أبوذرّ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ومعه اداوة فيها ماء .

فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم يا أبا ذر معك ماء وعطِشت فقال نعم يا رسول الله بأبي أنت وأميّ انتهيت إلىٰ صخرة وعليها ماء السّماءِ فذقته فاذا هو عذب بارد فقلت لا أشربه حتّىٰ يشربه حبيبي رسول الله .

فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم يا أبا ذرّ رحمك الله تعيش وحدك وتُموت وحدك وتبعث وحدك وتدخل الجنّة وَحدَك يسعد بك قوم من العراق يتولّون غسلك وتجهيزك ودفنك

في الجوامع والعسرة حالهم في غزوة تبوك كان يعتقب العشرة على بعير واحد وكان زادهم الشعير المسوس والتّمر المدوّد والأهالة[1] السّنخة وبلغت الشدّة بهم إلىٰ أن اقتسم التمرة اثنان وربّما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء[2] وكانوا في حمازة القيظ وفي الضّيقة الشديدة من القحط وقلّة الماءِ مِنْ بَعْدِمَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عن الثبات على الإيمان ومن اتّباع الرسّول في تلك الغزوة وقرء تزيغ بالتاءِ قيل إنّ قوماً منهم همّوا بالإنصراف عن غزاتهم بغير استيذان فعصمهم الله حتّىٰ مضوا .

القميّ وكان مع رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم بتبوك رجل يقال له المضرّب لكثرة ضرباته التي أصابته ببدر وأُحد فقال له رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم عدّ لي أهل العسكر فعدّدهم فقال هو خمسة وعشرون ألف رجل سوى العبيد والتّبّاع فقال عدّ المؤمنين فقال خمسة وعشرون رجلاً ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ تداركهم برأفته ورحمته .

(١١٨) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ،

---

١ ـ الأهالة كلّ هن يؤتدم به والسّنخة بالمهملة والنّون والخاء المعجَمَة الريح وحمازة القيظ بالحاء المهملة والزّاى شدّته « منه رحمه الله » .

٢ ـ اي الماء المتغيّر ـ

العياشي عن الصادق عليه السلام هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أميّة وفي المجمع عن السّجّاد والباقر والصادق عليهم السلام أنّهم قرؤا خالفُوا [١].

والقميّ قال العالم عليه السلام إنّما نزل وعلى الثلاثة الذين خالَفُوا ولو خلّفوا لم يكن عليهم عتب.

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام لو كانوا خلّفوا لكانوا في حال طاعة حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ أي مع سعتها وهو مثل لحيرتهم في أمرهم كأنهم لا يجدون في الأرض موضع قرار وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ أي قلوبهم من فرط الوحشة والغمّ وَظَنُّوا وعَلِمُوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ من سخط الله إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ثمّ رجع عليهم بالقبول.

في المعاني عن الصادق عليه السلام هي الاقالة لِيَتُوبُوا ليعودوا إلى حالتهم الأولى إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ لمن تاب ولو عاد في اليوم مأة مرّة وقد مضى تحقيق معنى التّوبة من الله ومن العبد في سورة البقرة، والقميّ في قصة غزوة تبوك وقد كان تخلّف عن رسول الله قوم من المنافقين وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق منهم كعب بن مالك الشّاعر ومرارة بن الرّبيع وهلال بن أميّة الواقفي.

فلمّا تاب الله عليهم قال كعب ما كنت قطّ أقوى منّي في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك ومَااجتمعت لي راحلتان إلاّ في ذلك اليوم فكنت أقول أخرج غداً أخرج بعد غد فإنّي قويّ وتوانيت وبقيت [٢] بعد خروج النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم أيّاماً ادخل السّوق ولا أقضي حاجة فلقيت هلال بن أميّة ومرارة بن الربيع وقد كانا تخلّفا أيضاً فتوافقنا أن نبكر إلى السّوق ولم نقض حاجة فما زلنا نقول نخرج غداً وبعد غد حتى بلغنا إقبال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم

---

١ ـ وفي رواية العيّاشي الأخرى والكافي انّ الثلاثة هم عثمان وصاحباه انّ الله سلّط عليهم الخوف فما سمعوا صوت كاقر ولا قعقعة حجرية الاّ قالوا اتينا فاقالهم الله وما تابوا فلعلّه تأويل للآية واجراء لها فيهم « منه رحمه الله ».

٢ ـ الونى كفتى التّعب والفترة ضد ويمدّ وَنَى يني ونياً ووُنياً وَوُنِيَ ونية ووِنيَةً ووِنىً واوناه وتوانى هو وناقة وآنية فاترة طليحٌ ق.

فندمنا فلّما وافىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم استقبلناه نهنّيه بالسلامة فسلّمنا عليه فلم يرد علينا السلام فأعرض عنّا وسلّمنا علىٰ إخواننا فلم يردّوا علينا السلام فبلغ ذٰلك أهلونا فقطعوا كلامنا وكنّا نحضر المسجد فلا يسلّم علينا أحد ولا يكلّمنا فجاءت نساؤنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقلن قد بلغنا سخطك على أزواجنا أفنعتزلهم .

فقال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم لا تعتزلنهم ولكن لا يقربوكنّ فلّما رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حلّ بهم قال ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلّمنا رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ولا اخواننا ولا أهلونا فهلّموا نخرج إلىٰ هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت فخرجوا إلىٰ ذناب جبل بالمدينة فكانوا يصومون وكانَ أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولّون عنهم فلا يكلّمونهم فبقوا علىٰ هذه الحالة أيّاماً كثيرة يبكون بالليل والنهار ويدعون الله أن يغفِر لهم فلّما طال عليهم الأمر قال لهم كعب يا قوم قد سخط الله علينا ورسوله قد سخط علينا واخواننا سخطوا علينا وأهلونا سخطوا علينا فلا يكلّمنا أحد فلم لا يسخط بعضنا على بعض فتفرّقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلّم أحد منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه فبقوا علىٰ هذه ثلاثة أيّام كلّ منهم في ناحية من الجبل لا يرىٰ أحد منهم صاحبه ولا يكلّمه .

فلّما كانَ في الليلة الثالثة ورسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم في بيت أمّ سلمة نزلت توبتهم علىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم قال حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت حيث لم يكلّمهم رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم ولا اخوانهم ولا أهلوهم فضاقت المدينة عليهم حتى خرجوا منها وضاقت عليهم أنفسهم حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضهم بعضاً فتفرّقوا وتاب الله عليهم لمّا عرف صدق نيّاتهم .

(١١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ .

في الكافي عن الباقر عليه السلام ايّانا عني،وعن الرضا عليه السلام الصادقون هم الأئمّة عليهم السلام والصّدّيقون بطاعتهم .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام قال مع آل محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم .

والقميّ قال هم الأئمّة عليهم السلام .

وفي الإكمال عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في مجمع من المهاجرين والأنصار أيّام خلافة عثمان أسألكم بالله أتعلمون أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال سلمان يا رسول الله عامّة هذه الآية أم خاصّة فقال أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أمروا بذلك وأمّا الصّادقون فخاصّة لأخي وأوصيائي من بعده إلىٰ يوم القيامة قالوا اللهم نعم .

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام أنّه قرأ من الصادقين .

(١٢٠) مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ بل عليهم أن يصحبوه على البأساء والضرّاء ويكابدوا معه الشدائد برغبة ونشاط كما فعله أبو ذرّ وأبو خيثمة ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ شيء من العطش وَلاَ نَصَبٌ تعب وَلاَ مَخْمَصَةٌ مجاعة فِي سَبِيلِ اللهِ في طريق الجهاد وَلاَ يَطَأُونَ لا يدسون بأرجلهم وبحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم مَوْطِئاً موضعاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وطأهم إيّاه ويضيق صدورهم بتصرفهم في أرضهم وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً بقتل أو أسر أو نهب إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ واستوجبوا الثواب عند الله إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

(١٢١) وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً أرضاً في مسيرهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل فشاع بمعنى الأرض إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ ذٰلك الانفاق وقطع الوادي لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ بذٰلك أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاءِ أعمالهم .

(١٢٢) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم أن يثبطوا جميعاً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ فهلا نفر من كلّ جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة طَائِفَةٌ جماعة قليلة لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

ليتكلّفوا الفقاهة فيه ويتجشموا[١] مشاق وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ فيه دلالة على أنّه ينبغي أن يكون غرض المتفقه أن يستقيم[٢] ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ارادة أن يحذروا عمّا ينذرون منه .

في العلل عن الصادق عليه السلام أنّه قيل له أنّ قوماً يروون أنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم قال اختلاف أمتّي رحمة فقال صدقوا فقيل ان كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب قال ليس حيث تذهب وذهبوا إنّما أراد قول الله عزّ وجلّ فلولا نفر من كلّ فرقة الآية فأمرهم أن ينفروا إلىٰ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ويختلفوا إليه فيتعلّموا ثم يرجعوا إلىٰ قومهم فيعلّموهم إنّما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله إنّما الدين واحد .

وفي الكافي قيل للصادق عليه السلام إذا حدث على الإمام حدث كيف يصنع الناس فقال أين قول الله عزّ وجلّ فلولا نفر من كلّ فرقة الآية قيل فما حالهم قال هم في عذر ما داموا في الطلب وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتى يرجع إليهم أصحابهم .

والعياشي عنه عليه السلام ما في معناه .

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام كان هذا حين كثر الناس فأمرهم أن ينفر منهم طائفة ويقيم طائفة للتفقه وأن يكون الغزو نوباً .

أقول : يعني يبقىٰ مع النّبي صلىّ الله عليه وآله وسلم طائفة للتفقه وانذار النافِرة فيكون النفر للغزو والقعود للتفقّه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام والعياشي عن الباقر عليه السلام تفقّهوا في الدين فانّه من لم يتفقّه منكم في الدين فهو اعرابي إنّ الله يقول في كتابه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

---

١ ـ جشم الأمر كسمع جشماً وجشامة تكلّفه على مشقة كتجشّمه ق .

٢ ـ أي يستقيم نفسه ويقيم غيره.

(١٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ امروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب نظيره وانذر عشيرتك الأقربين فانّ الأقرب أحق بالشفقة والإستصلاح .

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام قال الدّيلم والقميّ يجب علىٰ كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يقرب من الإمام ولا يجوزوا ذٰلك الموضع وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً شدة وصبراً على القتال .

القميّ أي غلظوا لهم القول والقتل وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ بالحراسة والإعانة .

(١٢٤) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ فمن المنافقين مَنْ يَقُولُ انكاراً واستهزاء أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ السورة إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بنزولها لأنه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم .

القمّي وهو ردّ علىٰ من يزعم أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالىٰ فرض الإيمان علىٰ جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها ثم بيّن صلىّ الله عليه وآله وسلم ذلك قيل قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته ؟ قال : قول الله تعالىٰ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول الآية وقال وزدناهم هدىً ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولا استوت النّعم فيه ولا استوى الناس وبطل التفضيل ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله وبالنقصان دخل المفّرطون النار وقد مضى لهذا المعنى زيادة بيان في سورة الأنفال .

(١٢٥) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ القمي والعياشي عن الباقر يقول شكاً الى شكهم وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ .

القمّي والعياشي عن الباقر يقول شكا إلى شكهم واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه

(١٢٦) أَوَ لاَ يَرَوْنَ يعني المنافقين أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ يبتلون بأصناف البليّات أو بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليهم من الآيات .

والقميّ يمرضون فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ من نفاقهم وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ لا يعتبرون .

(١٢٧) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ تغامزوا بالعيون انكاراً لها وسخرية أو غيظاً لما فيها من عيوبهم هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ أي يقولون هل يريكم من أحد من المسلمين إن قمتم وانصرفتم فانّا لا نصبر على استماعه وترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والإنسلال فان لم يرهم أحد قاموا وان يرهم أحد أقامُوا ثُمَّ انصَرَفُوا تفرّقوا مخافة الفضيحة صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عن الإيمان والإنشراح به بالخذلان .

والقميّ عن الحقّ إلى الباطل باختيارهم الباطل على الحقّ قيل ويحتمل الدّعاء بِأَنَّهُمْ بسبب أنهم قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ لسوء فهمهم وعدم تدبّرهم .

(١٢٨) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ من جنسكم عربيّ .

القميّ مثلكم في الخلقة قال ويقرء من أَنْفَسِكُمْ أي من أشرفكم في الجوامع قيل هو قراءة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وفاطمة عَزِيزٌ عَلَيْهِ شديد شاق ما عَنِتُّمْ عنتكم ولقاؤكم المكروه .

والقميّ ما أنكرتم وجحدتم حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ على إيمانكم وصلاح شأنكم حتى لا يخرج أحد منكم عن الإستسعاد بدينه الذي جاء به بِالْمُؤْمِنِينَ منكم ومن غيركم رَؤُفٌ رَحِيمٌ .

(١٢٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا عن الإيمان بك فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ استعن بالله فانّه يكفيك أمرهم وينصرُك عليهم لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فلا ارجو غيره ولا أخاف إلاّ منه وَهُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

في التوحيد عن الصادق عليه السلام أي الملك العظيم .

العياشي عنه عليه السلام رسول من أنفسكم قال فينا عزيز عليهِ ما عنتّم قال فينا حريص عليكم قال فينا بالمؤمنين رؤف رحيم قال يشركنا المؤمنون في هذه الرابعة وثلاثة لنا وفي رواية أخرىٰ فَلَنا ثلاثة أرباعها ولشيعتِنا ربعها .

وفي الكافي عنه عليه السلام هكذا أنزل الله تعالىٰ لقد جاءنا رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤفٌ رَحيم .

وفي ثواب الأعمال والعياشي عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الأنفال وسورة البراءة في كلّ شهر لم يدخله نفاق أبداً وكان من شَيعةِ أمير المؤمنين عليه السلام وزاد العياشي ويأكل يوم القيامة من موائد الجنّة مع شيعته حتّىٰ يفرغ الناس من الحساب .

سورة يونس

هي مكية في قول الأكثرين، وروي عن ابن عباس وقتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فان كنت في شكٍّ إلىٰ آخرهنّ، عدد آيها مأة وتسع آياتٍ .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) الٓرٰ القميّ الٓرٰ هو من حروف الاسم الأعظم المتقطع في القرآن فاذا ألّفه الرّسول أو الإمام فدعا به أجيب .

أقول : وقد سبق مثله في تأويل الٓم في أوّل سورة البقرة .

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام وآلر معناه أنا الله الرّؤف تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ذي الحكمة أو المحكم آياته .

(٢) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ إنكار لتعجّبهم من أنّه عزّ وجلّ بعث بشراً رسُولاً كما سبق ذكره في سورة الأنعام أو من أنّه سبحانه بعث يتيماً غير ذي جاه ومال وبسطة وهذا من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنّبوّة أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ أي سابقةً وفضلاً سمّيت قدماً لأنّ السّبق بها كما سمّيت النّعمة يداً لأنّها باليدِ تعطىٰ واضافتها إلى الصّدق لتحقّقها والتنبيه علىٰ أنّهم ينالونها بصدق القول والنّية .

في المجمع عن الصادق عليه السلام أن معنىٰ قدم صدق شفاعة محمّد صلى الله عليه واله وسلم .

وفي الكافي والعياشي والقميّ عنه عليه السلام هو رسول الله صلىّ الله عليه واله وسلم .

أقول : وهذا يرجع إلىٰ ذٰلك .

وفي الكافي والعياشي عنه عليه السلام بولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

أقول : وهذا لأنّ الولاية من شروط الشفاعة وهما متلازمان قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هٰذَا يعنون الكتاب وما جاء به الرّسول لَسِحْرٌ مُبِينٌ وقرئ لساحر علىٰ أنّ الإشارة إلى الرّسول وفيه اعتراف بأنّهم صادفوا منه أموراً خارقة للعادة معجزة إيّاهم عن المعارضة .

(٣) إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ قد سبق تفسيره في سورة الأعراف عند ذكر آية السّخرة يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يقدّره ويقضيه ويرتّبه في مراتبه علىٰ أحكام عواقبه والتدبير النظر في ادبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة والأمر أمر الخلق كلّه مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ تقرير لعظمته وعزّ جلاله وردّ علىٰ من زعم أنّ آلهتهم تشفع لهم عند الله ذٰلِكُمُ اللهُ أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهيّة والرّبوبيّة رَبُّكُمْ لا غير اذ لا يشاركه أحد في شيء من ذٰلك فَاعْبُدُوهُ وحده لا تشركوا به شيئاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ يعني أنّه أدنىٰ تذكّر ينبّه على الخطأ فيما أنتم عليه وعلىٰ أنّه المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه .

(٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً إليه رجوعكم في العاقبة فاستعدوا للقائه وَعْدَ اللهِ حَقّاً وعد وعداً حقّاً إِنَّهُ يَبْدَءُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ بعدله أو بعدالتهم في أمورهم وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ قيل غيّر النّظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتّنبيه على أنّ المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة وأمّا العقاب فواقع بالعرض وانّه تعالىٰ يتولّىٰ اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعيّنه وأمّا عقاب الكفرة فكأنّه داء ساق إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم .

(٥) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وقرئ بهمزتين حيث وقع وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ وقدّر القمر ذا منازل أو قدّر مسيره منازل وهذا كقوله سبحانه والقمر قدّرناه منازل لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي مَا

خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ إلاّ بِالْحَقِّ الذي هو الحكمة البالغة يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وقرئ بالياءِ فانهم المنتفعُون بالتأمّل فيها .

(٦) إنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا[1] خَلَقَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ العواقب .

(٧) إنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لا يتوقّعُونه لإنكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها وَرَضُوا بِالحيٰوةِ الدُّنيا مِن الآخِرة لغفلتهم عنها واطْمَأَنُّوا بِها وسكنوا اليها سكون من لا يزعج عنها والَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ[2] ذاهبون عن تأمّلها ذاهلون عن النّظر فيها .

(٨) أُولٰئِكَ مَأْوٰاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بِما واظبُوا عليه وتمرّنوا به من المعاصي.

(٩) إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق المؤدّي إلى الجنّة تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ لأنّ التمسّك بسبب السعادة كالوصُول إليها .

(١٠) دَعْوٰيهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ دعاؤهم فيها اللهم إنّا نسبحك تسبيحاً .

العياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن التسبيح فقال اسم من أسماءِ الله تعالى ودعوى أهل الجنّة وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوٰيهُمْ وخاتمة دعائهم أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(١١) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ الذي دعوا به عند ضجر أو بطر كقولهم رفعني الله من بينكم وكقولهم فأمطر علينا حجارة من السّماءِ أو الشّرّ الذي استحقّوه اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ كما يعجل لهم الخير ويجيبهُم إليه حين استعجلوه قيل وضع استعجالهم

---

١ ـ أي فعله فيما على ما يقتضيه الحكمة في السّموات من الأفلاك والكواكب السيارة وغير السيّارة وفي الأرض من الحيوان والنّبات والجماد وانواع الأرزاق والنّعم ـ ن .

٢ ـ قال عليه السُّلام الآيات امير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام والدليل على ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام انا لله آية اكبر منّي .

بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعاراً بسرعة اجابته لهم في الخير حتىٰ كان استعجالهم به تعجيل لهم لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ لأميتوا وأهلكواوقرىءلقضى على البناءِ للفاعل .

القميّ قال ولو يعجّل الله لهم الشرّ كما يستعجلون الخير لقضي إليهم أجلهم أي فرغ من أجلهم فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآئَنا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يعني لا نعجل لهم الشرّ ولا نقضي إليهم أجلهم بل نمهّلهم امهالاً .

(١٢) وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لدفعه مخلصاً فيه لِجَنْبِهِ أي بمضطجعاً أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً يعني أنّه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفتر حتىٰ يزول عنه الضرّ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ علىٰ طريقته الأولىٰ قبل أن مسّه الضر او مر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا كأنّه لم يدعنا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كشف الضرّ كَذَٰلِكَ مثل ذٰلك التزيين زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الإنهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات عند الرّخاءِ .

(١٣) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا بالتكذيب وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالحجج الدالة علىٰ صدقهم وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا الفساد استعدادهم وخذلان الله لعلمه باصرارهم على الكفر وانّه لا فائدة في امهالهم بعد أن لزمهم الحجّة بارسال الرسل كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ كل مجرم .

(١٤) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ استخلفناكم في الأرض مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد القرون التي أهلكناهم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ خيراً أو شرّاً .

(١٥) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآئَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا قرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذمّ عبادة الأوثان والوعيد لعابديها أَوْ بَدِّلْهُ[1] بأن تجعَلَ مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها قُلْ مَا يَكُونُ[2] لِي[3] ما

---

١ ـ أي العليل الّذي لا يقدر أن يجلس او قاعداً الّذي لا يقدر أن يقوم أو قائماً الصّحيح.

٢ ـ في الكافي والقمّي والعيّاشي عن الصّادق عليه السّلام قالوا وبدّل عليّاً عليه السلام منه رحمه الله.

٣ ـ ومن استدل بهذه الآية على انّ نسخ القرآن بالسنّة لا يجوز فقد ابعد لأنّه اذا نسخ القرآن بالسنّة وما يقوله النبيّ =

يصحّ لي أنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآءِ نَفْسِي من قبل نفسي من غير أن يأمرني بذلك ربّي إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحىٰ إِلَيَّ ليس إليّ تبديل ولا نسخ إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي في التّبديل والنسخ من عند نفسي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .

(١٦) قُلْ لَوْ شَآءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ولاَ أَدْرٰيكُمْ بِهِ ولاَ اعلمكم الله به علىٰ لساني وقرىء ولأدريكم بلام التأكيد اي ولأعلمكم به علىٰ لسان غيري يعني أنّ تلاوته ليست الاّ بمشيّة الله واحداثه أمراً عجيباً خارقاً للعادة وهو ان يخرج رجل أمّي لم يتعلّم ساعة من عمره ولاَ نشأ [1] في بلد فيه العلماء فيقرأ عليكم كتاباً بهر بفصاحته كلّ كلام فصيح مسحوناً بعلم ما كان وما يكون فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ فقد اقمت فيما بينكم ناشياً وكهلاً مقدار أربعين سنة فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتّهموني باختراعه أَفَلاَ تَعْقِلُونَ افلا تستعملون عقولكم بالتدبّر والتفكّر لتعلموا أنّه ليس الاّ من عِندِ الله .

(١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ .

(١٨) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلآءِ شُفَعَآؤُنَا عِنْدَ اللهِ تشفع لنا فيما يهمّنا من أمور الدنيا والآخرة قُلْ أَتُنَبِّؤُنَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ اتخبرونه بما ليس بمعلوم للعالم بجميع المعلومات يعني بما ليس بموجود سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ وقرىء بالتاء القمي كانت قريش يعبدون الأصنام ويقولون إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى اللهِ زلفىٰ فانّا لا نقدر علىٰ عبادة الله فردّ الله عليهم فقال قل لهم يا محمّد اتنبّؤنَ الله بما لا يعلم أي ليس يعلم فوضع حرفاً مكان حرف أي ليس له شريك يعبد .

(١٩) وَمَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً يعني قبل بعث نوح كانوا على الفطرة

= صلّى الله عليه وآله فانّما يقول بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدّله من قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآناً ويؤيّد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحيٌ يوحى م ـ ن.

١ ـ نشأ كمنع شبّ والنّاشىء الغلام جاز حد الصّغر ق.

لا مهتدين ولا ضلّالاً كما مضى بيانه في سورة البقرة عند تفسير هذه الكلمة فَاخْتَلَفُوا باتباع الهوىٰ وببعثة الرسل فتبعهم طائفة واضرب أخرىٰ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ بتأخير الحكم بينهم إلىٰ يوم القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ عاجلاً فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ولتميز المحقّ من المبطِل ولكنّ الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار للتكليف والإختبار وتلك للثّواب والعقاب .

(٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ أي من الآيات التي اقترحوها فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ هو المختصّ بعلمه ولكلّ أمر أجل فَانْتَظِرُوا لنزول ما اقترحتموه إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ لما يفعل الله بكم .

(٢١) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً صحة وسعة مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ كمرض وقحط إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فاجأوا وقوع المكر منهم فِي آيَاتِنَا بالطعن والإحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم لمّا رحمهم الله بالمطر طفِقوا يقدحون في آياتِ الله ويكيدون رسوله قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً منكم قد دبّر عقابكم قبل أن تدبّروا كيدكم والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالىٰ الإستدراج والجزاء على المكر إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ اعلام بأنّ ما يظنونه خافياً غيرَ خاف على الله وتحقيق للإنتقام .

(٢٢) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ يحملكم على السير ويمكنكم منه بتهيئة أسبابه فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ في السفن وَجَرَيْنَ بِهِمْ بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنّه يذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ لَيِّنة الهبوب وَفَرِحُوا بِهَا بتلك الرّيح جَاءَتْهَا جاءت السفنَ رِيحٌ عَاصِفٌ شديدة الهبوب وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ من أمكنة الموج وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ أي أُهلكوا يعني سدّت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاطت به العدوّ وهو مثل في الهلاك دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لأنهم لا يدعون حينئذ غيره مَعَه لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ علىٰ ارادة القول .

(٢٣) فَلَمَّا أَنْجيٰهُمْ اجابة لدعائهم إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ فاجأوا الفساد

فيها وسارعوا إلىٰ ما كانوا عليه بِغَيْرِ الْحَقِّ مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة فانّها افساد بحقّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فانّ وباله عليكم او انّه علىٰ أمثالكم وابناءِ جنسكم مَتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا منفعة الحيٰوة الدنيا لا تبقىٰ ويبقىٰ عقابها وهو خبر بغيكم أو خبر محذوف وقرئ بالنّصب أي يتمتعون متاع الحيٰوة الدّنيا .

العياشي عن الصادق عليه السلام ثلاث يرجعن علىٰ صاحبهن النكث والبغي والمكر ثمّ تلا هذه الآية ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

(٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا حالها العجيبة في سرعة تقضّيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار النّاس بها كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ من الزروع والبقول والحشيش حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا زينتها وَازَّيَّنَتْ وتزيّنت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزّين فتزيّنت بها وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا متمكّنون من حصدها ورفع غلّتها أَتَىٰهَا أَمْرُنَا ضربها عاهة وآفة بعد أمنهم وايقانهم أن قد سلم لَيْلاً أو نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا فجعلنا زرعها حَصِيداً شبيهاً بما يحصد من الزرع من أصله كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كأن لم يوجد زرعها فيما قبله والأمس مثل في الوقت القريب والممثّل به في الآية مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة ودهابه حطاماً [1] بعدما كان غضّاً والتفّ وزيّن الأرض حتى طمع فيه أهله وظنّوا أنه قد سلم من الآفات لا الماءِ وان وليه حرف التشبيه لأنّه من التشبيه المركب كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فانهم المنتفعون به .

(٢٥) وَاللّٰهُ يَدْعُوا إِلىٰ دَارِ السَّلاَمِ أي دار الله .

في المعاني عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال إنّ السّلام هو الله عزّ وجلّ وداره التي خلقها لعباده وأوليائه الجنّة وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالتوفيق إِلىٰ صِرَاطٍ

---

١ ـ الحطام ما يحطم عن عيدان الزّرع اذا يبس من حطم الشّيء حطماً من باب تعب اذا انكسر وحطمه حطماً من باب ضرب فانحطم مـ.

مُسْتَقِيمٍ الذي هو طريقها .

(٢٦) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ المثوبة الحسنىٰ وَزِيَادَةٌ وما يزيد على المثوبة تفضلاً .

القميّ هي النظر الىٰ رحمة الله .

وعن الباقر عليه السلام أمّا الحُسنىٰ فالجنّة وأمّا الزيادة فالدنيا ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة ويجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة .

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ولا يغشاها قَتَرٌ غبرة فيها سواد وَلاَ ذِلَّةٌ أثر هوان أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها .

(٢٧) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا أي تجازىٰ سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه دلالة علىٰ أنّ المراد بالزيادة الفضل وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه أو ما لهم من عند الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً لفرط سوادها وظلمتها وقرئ قطعاً بسكون الطاء أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

القميّ عن الباقر عليه السلام هٰؤلاءِ أهل البدع والشبهات والشهوات يسوّد الله وجوههم ثمّ يلقونه قال ويلبسهم الذلة والصّغار .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام أما ترى البيت إذا كان الليل كان أشدّ سواداً فكذٰلك هم يزدادون سواداً .

(٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يعني الفريقين ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ الزموا مكانكم لا تبرحوا حتّىٰ تنظروا ما يفعل بكم أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ففرّقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم .

والقميّ يبعث الله ناراً تزيل بين[1] الكفار والمؤمنين وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا

---

١ ـ زيّلته فتزيّل أي فرّقته فتفرّق ص .

تَعْبُدُونَ لأنهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهوائهم التي حملتهم على الاشراك لا ما اشركوا به أو الشياطين حيث أمروهم أن يتخذوا الله أنداداً فأطاعوهم .

(٢٩) فَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فانه العالم بكنه الأمر إِنْ كُنَّا انه كنّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ .

(٣٠) هُنَالِكَ في ذلك المقام تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضرّه وقرء تتلو أي تقرء من التلاوة أو تتبع من التلو وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيٰهُمُ الْحَقِّ ربهم الصادق ربوبيّته المتولّي لأمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولىٰ وَضَلَّ عَنْهُمْ وضاع عنهم ما كَانُوا يَفْتَرُونَ يدعون أنهم شركاء الله وأنهم تشفع لهم .

(٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ جميعاً بأسباب سماويّة وأرضية أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ من يستطيع خلقهما وتسويتهما وحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنىٰ شيء وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ من يحيي ويميت وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ومن يلي تدبير أمر العالم فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ عقابه في عبادة غيره .

(٣٢) فَذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ أي المتولّي لهذه الأمور المستحقّ للعبادة هو ربّكم الثابت ربوبيّته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبّر أموركم فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ يعني لا واسطة بينهما فمن تخطّى الحقّ وقع في الضلال فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ عن الحقّ .

(٣٣) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وَحُكْمِهِ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن الرّشد أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بدل من الكلمة أي حقّ عليهم انتفاء الايمان أو أريد بالكلمة العدة بالعذاب وهذا تعليل له وقرئ كلمات .

(٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ جعل الإعادة كالابداء في الإلزام بها لظهور برهانها وان لم

يساعدوا عليها ولذلك أمر الرّسول بأن ينوب عليهم في الجواب .

(٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بنصب الحجج وارسال الرّسل والتوفيق للنظر والتدبر قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهدي لا يهتدي وقرىء بفتح الهاءِ وتشديد الدّالّ وبالكسر والتشديد إِلاَّ أَنْ يُهْدَى يهديه غيره .

القميّ عن الباقر عليه السلام فأمّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد وآل محمّد عليهم السلام من بعده وأمّا من لا يهدي فهو من خالف من قريش وغيرهم أهل بيته من بعده فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ بالباطل .

(٣٦) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ فيما يعتقدون إِلاَّ ظَنّاً مستنداً إلى خيالات فاسدة إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ من الاعتقاد الحقّ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وعيد على اتباعهم الظّنّ واعراضهم عن البرهان .

(٣٧) وَمَا كَانَ وما صح وما استقامَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرىٰ مِنْ دُونِ اللهِ أن يكون افتراء مِنَ الخلق وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب المنزلة لأنّه يعجز دونها وهو عيار عليها شاهد لصحّتها وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ وتبيين ما شرع وفرض من الأحكام من قوله كتاب الله عليكم لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(٣٨) أَمْ يَقُولُونَ بل أيقولون افْتَرٰيه اختلقه قُلْ إن افتريته كما زعمتم فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ في البلاغة وحسن النظم على وجه الافتراء فانّكم مثلي في العربيّة والفصاحة وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ أن تدعوه للاستعانة به على الاتيان بمثله مِنْ دُونِ اللهِ سوى الله فانّه وحده قادر على ذلك لا غير إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انّه افتراء .

(٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ بل كذّبوا بالقرآن قبل أن يعلموا كنه أمره ويقفوا على تأويله ومعانيه لنفورهم عمّا يخالف ما ألفُوه من دين آبائهم ولو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حين يتبيّن لهم أهو كذب أم صدق يعني أنّه كتاب معجز من جهتين اعجاز نظمه وما فيه من الإخبار

بالغايبات فسارعوا إلى التكذيب قبل أن ينظروا في بلوغه حدّ الإعجاز وقبل أن يختبروا أخباره بالمغيّبات .

العياشي عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن الأمور العظام من الرّجعة وغيرها فقال إنّ هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أوانه قال الله بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله ومثله عن الصادق عليه السلام .

والقميّ قال نزلت في الرّجعة كذّبوا بها أي انّها لا تكون .

في الكافي والمجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام أن الله خصّ هذه الآية بآيتين من كتابه ألاّ يقولوا ما لا يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثمّ قرأ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلاّ الحق وقوله بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله **كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** أنبياءهم **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** وعيد لهم بما عوقب به من قبلهم .

(٤٠) **وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ** في نفسه ويعلم أنّه حقّ ولٰكنه يعاند أو ومنهم من يؤمن به في المستقبل **وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهِ** في نفسه لفرط غباوته وقلّة تدبّره أو فيما يستقبل ويصرّ على الكفر .

القميّ عن الباقر عليه السلام هم أعداء محمّد وآل محمّد عليهم السلام من بعده **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ** بالمعاندين أو المصرّين .

(٤١) **وَإِنْ كَذَّبُوكَ** وان يئست من اجابتهم واصرّوا علىٰ تكذيبك **فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم يعني تبرّأ منهم وخلّهم فقد أعذرت إليهم قيل هي منسوخة بآية القتال .

(٤٢) **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ** إذا قرأت القرآن وعلّمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالأصمّ الذي لا يسمع **أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ** تقدر علىٰ اسماعهم **وَلَوْ كَانُوا لاَ**

يَعْقِلُونَ ولو انضمّ إلىٰ صمَمِهم عدم تعقّلهم .

وفيه تنبيه علىٰ أنّ حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولهذا لا يوصف به البهائم وهو لا يأتي إلاّ باستعمال العقل السّليم في تدبّره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلفِ والتقليد تغدر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام النّاعق .

(٤٣) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ويعاينون دلالات نبوّتك ولكن لا يصدّقون أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ تقدر على هدايتهم وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ وان انضمّ الى عدم البصر عدم البصيرة فانّ المقصود من الإبصار هو الإعتبار والإستبصار والعمدة في ذٰلك البصيرة ولذٰلك يحدس الأعمىٰ المستبصر ويتفطّن ما لا يدركه البصير الأحمق والآية مؤكّدة للأمر بالتبرّي والإعراض عنهم .

(٤٤) إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً لا ينقصهم شيئاً ممّا يتصل بمصالحهم من الحواسّ والعقول وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بافسادها وتفويت منافعها عليهم .

في الكافي عن الباقر عليه السلام انّ الله الحليم العليم إنّما غضبُه علىٰ من لم يقبل منه رضاه وإنّما يمنع من لم يقبل منه عطاءه وانّما يضلّ من لم يقبل منه هداه الحديث .

(٤٥) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُم وقرىء بالياءِ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يستقصرون مدّة لبثهم في الدنيا أو القبور لهول ما يرون يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضاً كأنّهم لم يتفارقوا إلا قليلاً قيل إنّ ذٰلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف لشدّة الأمر عليهم قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

(٤٦) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب في حيوٰتكَ كما أراه يوم بدر .

والقميّ من الرّجعة وقيام القائم عليه السلام اوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل أن نريك فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فنريكه في الآخرة ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلىٰ مَا يَفْعَلُونَ مجازٍ عليه ذكر الشّهادة وأراد

مقتضاها ولذلك رتّبها على الرّجوع بثمّ أو المراد يشهد على أفعالهم يوم القيامة .

(٤٧) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ بالبيّنات فكذّبوه أو يوم القيامة ليشهد عليهم قُضِيَ بَيْنَهُمْ بين الرّسُول ومكذّبيهِ بِالْقِسْطِ بالعدل فَأنجى الرسُول وعَذَّبَ المكذّبين وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ .

العياشي عن الباقر عليه السلام تفسيرها في الباطن أنّ لكلّ قرن من هذه الأمّة رسولاً من آل محمد صلوات الله عليهم يخرج إلى القرآن الذي هو إليهم رسول وهم الأولياء وهم الرّسل وأمّا قوله فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط فانّ معناه أنّ رسل الله يقضون بِالقِسطِ وهم لا يظلمون .

(٤٨) وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ استعجال لما وعدوا من العذاب أو استبعاد له إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ شاركوا النّبيّ والمؤمنين في الخطاب .

(٤٩) قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً فكيف أملك لكم الضّرّ إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ أن أملكه أو ما شاء وقوعه فيقع لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ لهلاكهم إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ إذا جاء ذلك الأجل انجز وعدكم .

العياشي عن الصادق عليه السلام هو الذي سمّي لملك الموت في ليلة القدر .

(٥٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ اخبروني إِنْ آتيٰكُمْ عَذَابُهُ الذي تستعجلونه بَيَاتاً وقت بيات واشتغال بالنّوم أَوْ نَهَاراً حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ أيّ شيء من العذاب يستعجلونه وليس شيء منه يوجب الاستعجال وضع المجرمون موضع الضّمير للدلالة على أنّهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا لمجيء العذاب لا أن يستعجلوه .

القميّ عن الباقر عليه السلام هذا عذاب ينزل في آخر الزّمان على فسقة أهل القبلة وهم يجحدون نزول العذاب عليهم .

وفي المجمع عنه عليه السلام ما في معناه .

(٥١) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان به آلآنَ على ارادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ تكذيباً واستهزاءً .

(٥٢) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ من الكفر والمعاصي .

(٥٣) وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ ويستخبرونك أَحَقٌّ هُوَ أحقّ ما تقول من الوعد والوعيد وغير ذٰلك[1] .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام ما تقول في عليّ عليه السلام .

وفي المجالس عن الباقر عليه السلام ويستنبئك أهل مكّة عن عليّ إمام هو والقميّ مثله قُلْ اي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَآ أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فايتين إيّاه .

(٥٤) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ من خزائنها وأموالها لاَفْتَدَتْ بِهِ لجعلته فدية لها من العذاب وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ لأنهم بهتوا بما عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله .

القميّ ظلمت يعني آل محمّد صلوات الله عليهم حقّهم لأفتدت به يعني في الرّجعة .

في المجمع والقميّ والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل ما ينفعهم إسرار الندامة وهم في العذاب قال كرهوا شماتة الأعداءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ بين الظّالمين والمظلومين وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ .

(٥٥) أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ تقرير لقدرته تعالىٰ على الإثابة والعقاب أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لا خلف فيه وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ لأنّ علمهم لا يتجاوز الظّاهر من الحيٰوة الدّنيا .

---

١ ـ وهذا الإستخبار منهم يحتمل أن يكون انّما وقع منهم على وجه التّعريف والإستفهام ويحتمل أن يكون وقع على وجه الإستهزاء م ن.

(٥٦) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

(٥٧) يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أي قد جائكم كتاب جامع لهذه الفوائد .

في الاهليلجة عن الصادق عليه السلام أنّه شفاء من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور .

وفي الكافي في الحديث القدسي من نفث الشيطان[1].

والعياشي عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه شكا إليه رجل وجعاً في صدره فقال استشف بالقرآن فانّ الله يقول وشفاء لما في الصّدور .

القميّ قال بعد ذكر الآية قال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم والقرآن .

(٥٨) قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا أي ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ من حطام الدّنياوقرىء بالتاءِ .

في المجمع والجوامع عن الباقر عليه السلام فضل الله رسول الله ورحمته عليّ ابن أبي طالب .

وزاد القميّ فبذلك فليفرح شيعتنا هو خير ممّا أعطوا أعداءنا من الذّهب والفضّة .

والعياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام ما في معناه .

وفي المجالس عن النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم فضل اللهِ نبوّة نبيّكم ورحمته ولاية عليّ بن أبي طالب فبذلك قال بالنبوّة والولاية فليفرحوا يعني الشيعة هو خير ممّا يجمعُون يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدّنيا .

---

١ ـ النّفث شبيه بالنّفخ وهو اقلّ من التّفل لأنّ التفل لا يكون الاّ ومعه شيء من الرّيق والنّفث نفخ لطيف بلا ريق وفي الدعاء واعوذ بك من نفث الشّيطان وهو ما يلقيه في قلب الإنسان ويوقعه في باله ممّا يصطاده به ونفث الشّيطان على لسانه اي القى فتكلّم ومن هذا لم يزل الإمام مدفوعاً عنه نفوث كلّ غاسق مـ.

والعياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه .

(٥٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ أخبروني مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ حلال كلّه فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وحَلالاً فجعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً مثل هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ في التحريم والتحليل فيقولون ذٰلك بحكمه أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ في نسبة ذٰلك إليه .

(٦٠) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ أيّ شيءٍ ظنّهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ أيحسبُون أن لا يجاوزوا عليه وهو تهديد عظيم حيث أبهم الأمر إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ بما فعل بهم من ضروب الإنعام وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ نعمه .

(٦١) وَمَا تَكُونُ يا محمّد فِي شَأْنٍ في أمر وَمَا تَتْلُو مِنْهُ من الشأن مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ أنتم جميعاً مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ تخوضون فيه وتندفعون .

في المجمع عن الصادق عليه السلام والقميّ قال : كان رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إذا قرىء هذه الآية بكىٰ بكاءً شديداً وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ وما يبعد وما يغيب عن علمه وقرىء بكسر الزّاي مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ما يوازن نملة صغيرة أو هباء في الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ استيناف مقرّر لما قبله وقرىء بالرّفع فيهما .

(٦٢) أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من لحوق مكروه وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ بفوات مأمول .

(٦٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ بيان لأولياء الله أو استيناف خبره ما بعده .

العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام هم نحن وأتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا طوبىٰ لنا وطوبىٰ لهم وطوباهم أفضل من طوبانا قيل ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا ألسنا نحن وهم علىٰ أمر قال لا انّهم حمّلوا ما لم تحمّلوا وأطاقوا ما لم تطيقوا .

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام طوبىٰ لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته والمطيعين له في ظهوره اولٰئك أولياء الله الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وفي الجَوامع عن النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم أنّه سئل عن أولياءِ الله فقال هم الذين يذكّرون الله برؤيتهم يعني في السّمت والهيئة .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه عن الطعام وعنّي نفسه بالصيام والقيام قالوا بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله هٰؤلاءِ أولياء الله قال انّ اولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً ونظروا فكان نظرهم عبرة ونطقوا فكان نطقهم حكمة ومشوا فكان مشيهم بين النّاس بركة لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تقّر أرواحهم في أجسادهم خوفاً مِنَ العذاب وشوقاً إلى الثواب .

والعياشي عن الباقر عليه السلام قال وجدنا في كتاب عليّ بن الحسين عليه السلام ألاٰ إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اذ أدّوا فرض الله وأخذوا بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتورّعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل زهرة الدّنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطّيب من رزق الله لا يريدون التفاخر والتكاثر ثم انفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدّمُوا لآخرتهم وفي المجمع عن السجاد عليه السلام مثله .

(٦٤) لَهُمُ الْبُشْرىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .

في الكافي والفقيه عن النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم والقميّ البُشرىٰ في الحيٰوة الدّنيا هي الرّؤيا الحَسَنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه..

وزاد في الفقيه وأمّا قولهُ في الآخرة فانها بشارة المؤمن عند الموت يبشر بها عند موته إنّ الله عزّ وجلّ قد غفر لك ولمن يحملك إلىٰ قبرك .

والقميّ وفي الآخرة عند الموت وهو قوله تعالىٰ الذين تتوفّيهم الملائكة طيّبين

يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة .

وفي الجوامع عن النّبي صلىً الله عليه وآله وسلم هي في الدّنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو يرى له وفي الآخرة الجنّة .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية يبشّرهم بقيام القائم وبظهوره وبقتل أعدائهم وبالنّجاة في الآخرة والورود علىٰ محمّد وآله الصادقين على الحوض

وعن الصادق عليه السلام إنّ الرّجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فيقول له أنا رسول الله أبشر ثمّ يرىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول له أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبّه أنا أنفعك اليوم قال وذٰلك في القرآن قوله عزّ وجلّ الذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البشرىٰ في الحيوة الدنيا وفي الآخرة .

وفيه والعياشي في معناه أخبار أُخر .

والعياشي عن الباقر عليه السلام إنّما أحدكم حين يبلغ نَفَسه هيهنا ينزل عليه ملك الموت فيقول له أمّا ما كنت ترجو فقد أُعْطيتَه وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه ويفتح له باب إلىٰ منزله من الجنّة ويقال له انظر إلىٰ مسكنك من الجنّة وانظر هذا رسول الله وأمير المؤمنين والحسَنَ والحسين صلوات الله عليهم رفقاؤك وهو قول الله تبارك وتعالىٰ وتقدّس الذين آمنوا وكانوا يتقون الآية لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ لا تغيير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده وهو اعتراض ذٰلِكَ اشارة إلىٰ كونهم مبشّرين في الدّارين هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

(٦٥) وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ تكذيبهم وتدبيرهم في ابطال أمرك وسائر ما يتكلّمون به في شأنكَ إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً إنّ القهر والغلبة جميعاً لله لا يملك أحد شيئاً منهما غيره فهو يغلبهم وينصرك عليهم إنّا لننصر رسلنا هُوَ السَّمِيعُ لما يقولون الْعَلِيمُ بما يعزمون فيكافيهم بذلك .

(٦٦) أَلاَ إِنَّ للهِ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاءِ عبيداً له وهم في مملكته لا يصلح أحد منهم للإلهية مع كونهم عقلاء مميّزون

فما لا يميّز ولا يعقل أحقّ أن لا يكون شريكاً له وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَآءَ شركاء اقتصر علىٰ أحدهما أي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمّونها شركاء أو المعنىٰ وما يتّبعون يقيناً فحذف لدلالة ما بعده عليه إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ إلاّ ظنّهم أنّهم شركاء وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ يقدّرون تقديراً باطلاً ويجوز أن يكون ما استفهاميّة يعني وأيّ شيء يتّبعون أو موصولة عطفاً علىٰ من بمعنىٰ ولله ما يتّبعونه .

(٦٧) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً تنبيه علىٰ كمال قدرته وعظيم نعمته ليدلّهم علىٰ تفرّده باستحقاق العبادة إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تدبّر وتفهّم .

(٦٨) قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً يعني بنتاً سُبْحَانَهُ تنزيه وتعجّب من كلمتهم الحمقاء هُوَ الغَنِيُّ لا يحتاجُ إلى اتخاذ الولد لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ تقرير لغناه إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهٰذَا ما عندكم من حجّة بهذا القول أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم لما نفىٰ عنهم الحجّة جعلهم غير عالمين فدلّ ذٰلك علىٰ أنّ كلّ قول ليس عليه برهان فهو جهل ليس بعلم .

(٦٩) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ باتخاذ الولد واضافة الشريك إليه لاَ يُفْلِحُونَ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنّة .

(٧٠) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا افتراؤهم تمتّع في الدّنيا يسير يقيمون به رياستهم في الكفر ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بالموت فيلقون الشّقاء المؤبّد ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بسبب كفرهم .

(٧١) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عظيم وشقّ عَلَيْكُمْ مَقَامِي مكاني واقامتي بينكم مدّة مديدة أو قيامي على الدّعوة وَتَذْكِيرِي إيّاكم بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فبه وثقت فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فاعزموا علىٰ ما تريدون وَشُرَكَآئَكُمْ مع شركائكم واجتمعوا على السّعي في اهلاكي ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً مستوراً واجعلوه ظاهراً مكشوفاً مِن غمّه اذا ستره والقميّ لا تغتمّوا ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ

أدّوا إلَى ذٰلك الأمر الذي تريدون لي .

وألقميّ ثم ادعوا عليّ وَلاَ تُنظِرُونِ ولا تمهلوني .

(٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أعرضتم عن تذكيري فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إيّاي لأجله إِنْ أَجْرِيَ ما ثوابي على الدعوة والتذكير إِلاَّ عَلَى اللهِ لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم أو تولّيتم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ المنقادين لحكمه لا اخالف أمره ولا أرجو غيره .

(٧٣) فَكَذَّبُوهُ فأصرّوا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجّة وكان تكذيبهُمْ له في آخر المدّة الطويلة كتكذيبهم في أوّلها فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ من الغَرَق وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ خلفاء لمن هلك بالغرق وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بالطّوفان فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ تعظيم لما جرىٰ عليهم وتحذير لمن كذّب الرّسول عن مثله وتسلية له .

(٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ أرسلنا من بعد نوح رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ يعني هوداً وصالحاً وابراهيم ولوطاً وشعيباً كلّاً إلىٰ قومه فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدّة تصمّمهم[1] على الكفر بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ يعني في الذّر وقد مضى الأخبار في هذا المعنىٰ في سورة الأعراف كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ بالخذلان لانهماكهم في الضّلال واتباع المألوف

(٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد هٰؤلاءِ الرّسل مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلاَئِهِ وحزبه بِآيَاتِنَا بالآياتِ التّسع فَاسْتَكْبَرُوا عن اتباعهما وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ معايدين الإجرام فلذلك تهاونوا رسالة ربّهم واجترؤا علىٰ ردّها .

(٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا وعرفوه بتظاهر المعجزاتِ القاهرة المزيحة[2] للشكّ قَالُوا من فرط تمرّدهم إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ظاهِر .

---

١ ـ أي تصلّبهم وتشدّدهم .

٢ ـ زاح الشّيء يزيح زيحاً من باب سار ويزوح زوحاً من باب قال بعد وذهب ومنه زح عن الباطل اي زال وازاحه غيره مـ.

(٧٧) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ إنه لسحر حذف محكي القول لدلالة ما بعده وما قبله عليه أو المعنى أتعيبون الحقّ وتطعنون فيه أَسِحْرٌ هٰذَا استيناف بانكار ما قالوه ليس بمحكيّ القول لأنهم بتّوا[1] القول وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ من تمام كلام موسى .

(٧٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا لتصرفنا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا من عبادة الأصنام وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي الأَرْضِ أي الملك فيها لإتصاف الملوك بالكبر وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ مصدّقين فيما جئتما به .

(٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ حاذق فيه وقرىء سحار.

(٨٠) فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ .

(٨١) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ أي الذي جئتم به لا ما سمّيتموه سحراً وقرىء السّحر بقطع الألف ومدّها على الإستفهام فما استفهامية إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ سيمحقه ويظهر بطلانه إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ لا يثبته ولا يقويه .

(٨٢) وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ يثبته بِكَلِمَاتِهِ بأوامره وقضاياه وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ.

(٨٣) فَمَآ آمَنَ لِمُوسَىٰ في مبدء أمْره إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ إلاّ أولاد من قوم موسى يعني بني اسرائيل أو قوم فرعون قيل دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون الا طائفة من شبانهم عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلاَئِهِمْ أي حزب آل فرعون أَنْ يَفْتِنَهُمْ أن يعذبهم فرعون وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ لقاهر فيها وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ في الكبر والعتو والظلم والفساد حتى ادعى الرّبوبيّة واسترقّ أسباط الأنبياء .

(٨٤) وَقَالَ مُوسَىٰ لمّا رأىٰ تخوّف المؤمنين به يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا فَبِهِ ثقوا وإليه اسندوا أمركم وعليه اعتمدوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ مستسلمين لقضاء الله المخلصين له وليس هذا تعليق الحكم بشرطين فانّ المعلّق بالإيمان وجوب التوكّل فانّه

---

١ ـ البتّ القطع أي جزموا به مـ.

المقتضي له والمشروط بالإسلام حصوله فانّه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فأجبه إن قدرت .

(٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً موضع فتنة لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أي لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذّبونا .

في المجمع عنهما عليهمَا السلام والعياشي مقطوعاً لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا .

والقميّ عن الباقر عليه السلام انّ قوم موسى استعبدهم آل فرعون وقال لو كان لهؤلاءِ كرامةٌ كما يقولون ما سلّطنا عليهم وقالَ موسى لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم الآية .

أقول : هذه الرّواية تفسير الرواية الأولى .

(٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ من كيدهم واستعبادهم إيّانا .

(٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا اتّخذا مباءة أي مرجعاً لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً ترجعون إليها للعبادة وَاجْعَلُوا أنتما وقومكما بُيُوتَكُمْ تلك البيوت قِبْلَةً مصلّى وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فيها .

القميّ عن الكاظم عليه السلام لما خافت بنو اسرائيل جبابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة قال امروا أن يصلّوا في بيوتهم وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بالنّصرة في الدّنيا والجنّة في العقبى .

في العلل والعياشي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم خطب الناس فقال أيّها الناس إنّ اللهَ عزّ وجلّ أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقرب فيهِ النّساء إلاّ هارون وذرّيته وانّ عليّاً منيّ بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لأحدٍ أن يقرب النساءَ في مسجدي ولا يبيت فيه جنباً إلا عليّ

وذريّته فمن ساءه ذلك فهيهنا وضرب بيده نحو الشّام .

وفي العيون ما يقرب منه .

(٨٨) وَقَالَ مُوسٰى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً ما يتزين به من اللّباس والفرش والمراكب ونحوها وَأَمْوَالاً وأنواعاً من المال فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ .

القميّ أي يفتنوا النّاس بالأموال ليعبدوه ولا يعبدوك واللاّم للعاقبة رَبَّنَا اطْمِسْ عَلٰى أَمْوَالِهِمْ اهلكها واحقها وَاشْدُدْ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وأقسِها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ لمّا لم يبق له طمع في إيمانهم اشتدّ غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنّه لا يكون غيره ليشهد عليهم أنّهم لا يستحقّون إلا الخذلان وان يخليّ بينهم وبين اضلالهم ومعنى الطّمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلىٰ جهة لا ينتفع بها قيل صارت جميع أموالهم حجارة .

(٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا يعني موسٰى وهٰرون قيل كان موسٰى داعياً وهٰرون يؤمّن فسمّاهما داعيين .

في الكافي عن النبي صلى الله عليه وسلم دعا موسىٰ أمّن هٰرون وأمنت الملائكة قال الله تعالىٰ قد أُجيبت دعوتكما ومن غزا في سبيل الله استجيب له كما استجيب لكما يوم القيامة فَاسْتَقِيمَا فاثبتا علىٰ ما أنتما عليه من الدعوة والزام الحجّة ولا تستعجلا فانّ ما طلبتما كائن ولكن فى وقته .

في الكافي والعيّاشي عن الصادق عليه السلام كان بين قول الله عزّ وجلّ قد أجيبت دعوتكما وبين أخذ فرعون أربعون سنة .

وفي الخِصالِ عن الباقر عليه السلام أملى الله لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثم أخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ وكان بين ما قال الله لموسٰى وهٰرون قد اجيبت دعوتكما وبين أن عرّفه الإجابة أربعون سنة ثم قال قال جبرئيل نازلت ربي في فرعون منازلة شديدة فقلت يا ربّ تدعه وقد قال أنا ربّكم الأعلى فقال إنّما يقول مثل هذا عبد مثلك

وَلاَ تَتَّبِعَانِ وقرئ بتخفيف النون سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ طريق الجهلة في الإستعجال وعدم الوثوق والإطمئنان بوعد الله .

(٩٠) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ عبرنا بهم حتّىٰ جاوزوه سالمين فَأَتْبَعَهُمْ لحقهم فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً باغين وعادين .

العياشي مرفوعاً لما صار موسى في البحر اتبعه فرعون وجنوده قال فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر فتمثّل له جبرئيل علىٰ رَمَكة فلّما رأى فرس فرعون الرّمكة اتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ وقد قرىء بالكسر على الإستيناف لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَآئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كرّر المعنى الواحد ثلاث مرّات بثلاث عبارات حرصاً على القبول ثمّ لم يُقْبَل منه حيث أخطأ وقته وقاله في وقت الإلجاء وكانت المرّة الواحدة كافية وقت الإختيار وبقاء التكليف .

(٩١) الآنَ تؤمن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ قبل ذٰلك مدة عمرك وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ الضّالّين المضلّين عن الايمان .

القميّ عن الصادق عليه السلام ما أتىٰ جبرئيل عليه السلام رسول الله إلا كئيباً حزيناً ولم يزل كذٰلك منذ أهلك الله فرعون فلمّا أمره الله بنزول هذه الآية وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين نزل عليه وهو ضاحك مستبشر فقال رسول الله ما أتيتني يا جبرئيل إلاّ وتبيّنت الحزن من وجهك حتّى الساعة قال نعم يا محمّد لمّا غرق الله فرعون قال آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فَأَخذت حَمَأة فوضعتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وعملت ذٰلك من غير أمر الله عزّ وجلّ ثمّ خفت أن يلحقه الرّحمة من الله عزّ وجلّ ويعذبني الله علىٰ ما فعلت فلمّا كان الآن وأمرني الله عزّ وجلّ أن أؤدّي إليك ما قلته أنا لفرعون آمنت وعلمت أنّ ذٰلك كان لله تعالىٰ رضاً .

(٩٢) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ تنقذك عارياً عن الرّوح ممّا وقع فيه قومك من

البحر أو نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ليراك بنو اسرائيل لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ وراك وهم بنو اسرائيل آيَةً علامة يظهر لهم عبوديّتك ومهانتك وانّ ما كنت تدّعيه من الربوبيّة محال وكان في أنفسهم أنّ فرعون أجلّ شأناً من أن يغرق .

القميّ إنّ موسى أخبر بني اسرائيل أنّ الله قد أغرق فرعون فلم يصدّقوا فأمر الله البَحر فلفظ به على ساحل البحر حتّى رأوه ميّتاً ويأتي تمام الكلام فيه وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون .

في العيون عن الرضا عليه السلام أنّه سئل لأيّ علّة غرّق الله تعالى فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده قال لأنّه آمن عند رؤية البأس والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول وذلك إلى حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا وقال عزّ وجلّ يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكُن آمنت من قبل أو كسَبَت في إيمانها خيراً وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقيل له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لتكون لمن خلفك آية وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد قد لبس على بدنه فلمّا غرق القاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك اية وعلامة ولعلّة أخرى أغرقه الله عزّ وجلّ وهي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغَرَق ولم يستغث بالله تعالى فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا موسى لم تُغِث فرعون لأنّك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته .

والقمّي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أنّ بني إسرائيل قالوا يا موسى ادع الله أن يجعل لنا ممّا نحن فيه فرجاً فدعا فأوحى الله إليه أن سر بهم قال يا ربّ البحر أمامهم قال امض فانّي آمره أن يطيعك فينفرج لك فخرج موسى ببني إسرائيل واتبعهم فرعون حتى إذا كاد أن يلحقهم ونظر إليه قد أظلّهم قال موسى للبحر انفرج لي

قال ما كنت لأفعل وقالت بنو اسرائيل لموسى غررتنا وأهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج الآن نقتل قتلة قال كلاّ إنّ معي ربّي سيهدين واشتد على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه وقالوا يا موسى إنّا لمدركون زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتى نمضي ونذهب وقد رهقنا فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منّا فدعا موسى ربه فأوحى الله إليه ان اضرب بعصاك البحر فضر به فانفلق البحر فمضى موسى وأصحابه حتى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلمّا نظروا إلى البحر قالوا لفرعون أما تعجب ممّا ترى قال أنا فعلت هذا فمرّوا وأمضوا فيه فلمّا توسّط فرعون ومن معه أمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقهم أجمعين فلمّا أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين يقول الله عزّ وجلّ الآن وقد عَصَيْتَ قَبْلُ وكنت من المفسدين يقول كنت من العاصين فاليوم ننجيكَ بِبَدَنِكَ قال إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُرَمنهم أحد هَوَوْا في البحر إلى النار وأما فرعون فنبذه الله عزّ وجلّ فألقاه بالساحِل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ولئلاّ يشك في هلاكه احد انهم كانوا اتخذوه رباً فأراهم الله عز وجل جيفةً ملقاةً بالساحل ليكون لمن خلفه عبرةً وعظة يقول الله وانّ كثيراً من الناس عن آياتِنَا لغافلون .

(٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مُبَوَّءَ صِدْقٍ منزلاً صالحاً مرضيّاً وهو الشّام ومصر .

القميّ ردّهم إلى مصر وغرق فرعون وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذائذ فَمَا اخْتَلَفُوا في أمر دينهم وما تشعبوا شعباً حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بدين الحقّ وقرؤا التوريٰة وعلموا أحكامها أو في أمر محمّد صلىّ الله عليه وآله وسلم إلاّ من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظافر معجزاته إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فيميّز المحقّ من المبطِل بالإنجاءِ والإهلاك .

(٩٤) فَإِنْ كُنْتَ [1] فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ

---

١ ـ قيل المعنى اذا وقع لك شكّ فرضاً وتقديراً فاسأل علماء اهل الكتاب فانّهم يحيطون علماً بصحّة ما انزل اليك =

قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

(٩٥) وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

في العلل والعياشي عن الهادي عليه السلام أنّه سأله أخوه موسى عن هٰذه الآية حين كتب إليه يحيى بن أكثم يسأله عن مسائل فيها أخبرني من المخاطب بالآية فان كان المخاطبُ به النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم وليس قد شكّ فيما أنزل الله وان كانَ المخاطب به غيره فعلىٰ غيره اذن أنزل الكتاب قال موسىٰ فسألت أخي عليّ بن محمّد عليهم السلام عن ذلك فقال المخاطب بذٰلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن في شكّ ممّا أنزل الله ولكن قالت الجهلة كيف لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة ليفرّق بينه وبين غيره في الإستغناءِ عن المأكل والمشرب في الأسواق فأوحى الله نبيّه فأسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلكم بمحضر من الجهلة هل بعث الله رسولاً قبلك الا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة وانّما قال فان كنت في شكّ ولم يكن ولكن ليتبعهم كما قال فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله عَلَى الكاذبين ولو قال تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكن يجيبون للمباهلة قد عرف أن نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلم مؤدّ عنه رسالته وما هو من الكاذبين وكذلك عرف النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنّه صادق فيما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه.

وفي العلل قال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لا أشكّ ولا أسأل.

والقميّ عن الصادق عليه السلام لمّا أسري برسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم إلى السماءِ وأوحى الله إليه في عليّ عليه السلام ما أوحىٰ من شرفه ومن عظمته عند الله وردّ إلى البيت المعمُور وجمع له النّبيين وصلّوا خلفه عرض في نفس رسول الله

=وقيل بل خوطب رسول الله صلّى الله عليه وآله والمراد امّته والمعنى فان كنتم في شكّ وقيل الخطاب للسّامع ممّن يجور عليه الشّك كقولهم اذا عزّ اخوك فهُن ولا يخفى ما في هذه الأقوال من التّهافت فانّ اهل الكتاب كيف يصدّقونه وهو في شكّ من امره وان لم يصدقوه فهم اذن يدعونه الى دينهم وما انزل من الوحي انّما انزل اليه ولم ينزل الى الأمّة فكيف تخاطب به الأمة «منه رحمه الله».

صلىّ الله عليه وآله وسلم من عظم ما أوحى إليه في عليّ عليه السلام فأنزل الله فان كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعني الأنبياء فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا إليك في كتابك لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الذين كذّبوا بآياتِ الله فتكون من الخاسرين فقال الصادق عليه السلام فوالله ما شكّ وما سأل.

والعياشي ما يقرب منه وفي معناه أخبار أخر ويأتي نظيرها في سورة الزّخرف انشاء الله وعلىٰ كلتا الرّوايتين فالخطاب من قبيل إيّاك أعني واسمعي يا جارة

(٩٦) إنَّ الَّذِينَ حَقَّت عَلَيْهِمْ ثبتت كَلِمَةُ رَبِّكَ بأنهم يموتون على الكفر لاَ يُؤْمِنُونَ إذ لا يكذّب كلامه ولا ينتقص قضاؤه.

(٩٧) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وحيث لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون.

القميّ الذين جحدوا أمير المؤمنين عليه السلام عرضت عليهم الولاية وفرض الله عليهم الإيمان بها فلم يؤمنوا بها.

(٩٨) فَلَوْلا كانت قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا فهلاّ كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخّر فرعون الى أن ادركه الغرق بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لكن قوم يونس لَمَّا آمَنُوا أوّل ما رأوا إمارة العذاب ولم يؤخّروه إلىٰ حلوله كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إلىٰ حِينٍ ويجوز أن يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الإستثناء متصلاً كأنّه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلاّ قوم يونس

في الجوامع وكان يونس قد بعث إلىٰ نينوى[1] من أرض الموصل فكذّبوه

---

١ ـ نينوى بكسر اوله موضع بالكوفة وقرية بالموصل ليونس. ق.

فذهب عنهم مغاضباً فلمّا فقدوه خافوا نزول العذابِ فلبسوا المسوح وعجّوا وبكوا فصرف الله عنهم العذاب وكان قد نزل وقرب منهم

والعياشي عن أبي عبيدة الحذاء عن الباقر عليه السلام قال كتب أمير المؤمنين عليه السلام قال حدثني رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّ جبرئيل حدّثه أن يونس بن متّىٰ عليه السلام بعثه الله إلىٰ قومه وهو ابن ثلاثين سنة وكان رجلاً تعتريه الحدّة وكان قليل الصّبر علىٰ قومهِ والمداراة لهم عاجزاً عمّا حُمِّل من ثقل حمل أوقار [1] النّبوّة وأعلامها وانّه تفسخ تحتها كما يتفسّخ الجذع تحت حمله وانّه أقام فيهم يدعوهم إلى الإيمان بالله والتصديق به واتباعه ثلاثاً وثلاثين سنة فلم يؤمن به ولم يتبعه من قومه إلا رجلان اسم أحدهما روبيل واسم الآخر تنوخا وكان روبيل من أهل بيت العلم والنبوّة والحكمة وكان قديم الصحبة ليونس بن متّىٰ عليه السلام من قبل أن يبعثه الله بالنبوّة وكان تنوخا رجلاً مستضعفاً عابداً زاهداً منهمكاً في العبادة وليس له علم ولا حكم وكان روبيل صاحب غنم يرعاها ويتقوّت منها وكان تنوخا رجلاً حطّاباً يحتطب علىٰ رأسه ويأكل من كسبه وكان لروبيل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا لعلم روبيل وحكمته وقديم صحبته فلّما رأىٰ يونس أنّ قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون ضجر وعرف من نفسه قلّة الصّبر فشكا ذلك إلىٰ ربه وكان فيما شكا أن قال يا ربّ إنّك بعثتني إلى قومي ولي ثلاثون سنة فلبثت فيهم أدعوهم إلى الإيمان بك والتصديق برسالتي وأخوفهم عذابك ونقمتك ثلاثاً وثلاثين سنة فكذّبوني ولم يؤمنوا بي وجحدوا نبوتي واستخفوا برسالتي وقد توعدوني وخفت أن يقتلوني فأنزل عليهم عذابك فانهم قوم لا يؤمنون قال فأوحى الله إلىٰ يونس أنّ فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ والكبير والمرأة الضعيفة والمستضعف المهين وأنا الحكم العدل سبقت رحمتي غضبي لا أعذّب الصغار بذنوب الكبار من قومك وهم يا يونس عبادي وخلقي وبريّتي في بلادي وفي عيلتي أحبّ أن أتاناهم وأرفق بهم وانتظر توبتهم وانّما بعثتك إلىٰ قومك لتكون حفيظاً عليهم تعطف عليهم بسجال الرحمة

---

١ ـ الوقر بالكسر الحِمل الثقيل او اعمّ ج اوقار ق .

الماسّة عنهم وتأنّاهم برأفة النبوّة وتصبر معهم بأحلام الرّسالة وتكون لهم كهيئة الطّبيب المداوي العالم بمداواة الدّواءِ فخرجت بهم ولم تستعمل قلوبهم بالرّفق ولم تسسهم بسياسة المرسلين ثم سألتني عن سوء نظرك والعذاب لهم عند قلة الصبر منك وعبدي نوح كان أصبر منك علىٰ قومه وأحسن صحبة وأشدّ تأنياً في الصبر عندي وأبلغ في العذر فغضبت له حين غضب لي وأجبته حين دعاني فقال يونس يا ربّ إنّما غضبت عليهم فيك وانّما دعوت عليهم حين عصوك فوعزّتك لا أتعطف عليهم برأفة أبداً ولا أنظر إليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم إيّاي وجحدهم نبوتي فأنزل عليهم عذابك فانّهم لا يؤمنون أبداً فقال الله تعالىٰ يا يونس انّهم مأة ألف أو يزيدون من خلقي يعمرون بلادي ويلدون عبادي ومحبّتي ان أتأنّاهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك وتقديري وتدبيري غير علمك وتقديرك وأنت المرسل وأنا الرّب الحكيم وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي لا يعلم ما منتهاه وعلمك فيهم ظاهر لا باطن له يا يونس قد أجبتك إلىٰ ما سألت من انزال العذاب عليهم وما ذٰلك يا يونس بأوفر لحظك من عندي ولا أحمد لشأنك وسيأتيهم عذاب في شوّال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس فأعلمهم ذٰلك قال فسرّ ذٰلك يونس ولم يسؤه ولم يدر ما عاقبته فانطلق يونس إلىٰ تنوخا العابد وأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب علىٰ قومه في ذٰلك اليوم وقال له انطلق حتّىٰ أعلمهم بما أوحى الله إليّ من نزول العذاب فقال تنوخا فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتى يعذبهم الله فقال له يونس بل نلقىٰ روبيل فنشاوره فانّه رجل عالم حكيم من أهل بيت النّبوّة فانطلقا إلىٰ روبيل فأخبره يونس بما أوحى الله إليه من نزول العذاب علىٰ قومه في شوّال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس فقال له ما ترىٰ انطلق بنا حتّىٰ أعلمهم بذٰلك فقال له روبيل ارجع إلىٰ ربّك رجعة نبيّ حكيم ورسول كريم واسأله أن يصرف عنهم العذاب فانّه غنيّ عن عذابهم وهو يحبّ الرفق بعباده وماذٰلك بإصر[1] لك عنده ولا أسرىٰ لمنزلتك لديه ولعلّ قومك بعدما سمعت ورأيت

---

١ ـ الإصر الذنب والثّقل والإصر ايضاً الكسر يقال اصرت الأمر اصراً أي كسرته مـ ص.

من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأناهم فقال له تنوخا ويحك يا روبيل ما أشرت علىٰ يونس وأمرته به بعد كفرهم بالله وجحدهم لنبيّه وتكذيبهم إيّاه واخراجهم إيّاه من مساكنه وما همّوا به من رجمه فقال روبيل لتنوخا اسكت فانّك رجل عابد لا علم لك ثمّ أقبل علىٰ يونس فقال أرأيت يا يونس إذا أنزل الله العذاب علىٰ قومك أنزله فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويُبْقي بعضاً فقال له يونس بل يهلكهم جميعاً وكذٰلك سألته ما دخلتني لهم رحمة تعطف فاراجع الله فيهم وأسأله أن يصرف عنهم فقال له روبيل اتدري يا يونس لعلّ الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسُّوا به أن يتوبوا إليه ويستغفروا فيرحمهم فانّه أرحم الرّاحمين ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله تعالىٰ أنّه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء فتكونَ بذٰلك عندهم كذّاباً فقال له تنوخا ويحك يا روبيل لقد قلت عظيماً يخبرك النّبيّ المرسل أنّ الله أوحىٰ إليه أنّ العذاب ينزل عليهم فتردّ قول الله تعالىٰ وتشكّ فيه وفي قول رسوله اذهب فقد حبط عملك فقال روبيل لتنوخا لقد فسد رأيك ثمّ أقبل علىٰ يونس فقال انزل الوحي والأمر من الله فيهم علىٰ ما أنزل عليك فيهم من انزال العذاب عليهم وقوله الحقّ أرأيت اذا كان ذٰلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم أليس يمحو الله اسمك من النبوّة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاءِ الناس ويهلك علىٰ يدك مأة ألف من الناس فأبىٰ يونس أن يقبل وصيّته فانطلق ومعه تنوخا إلىٰ قومه فأخبرهم أنّ الله أوحىٰ إليه أنّه منزّل العذاب عليهم يوم الأربعاء في شوّال في وسط الشّهر بعد طلوع الشمس فردّوا عليه قوله وكذّبوه وأخرجوه من قريتهم اخراجاً عنيفاً فخرج يونس ومعه تنوخا من القرية وتنحّيا عنهم غير بعيد وأقاما ينتظران العذاب وأقام روبيل مع قومه في قريتهم حتى إذا دخل عليه شوّال صرخ روبيل بأعلىٰ صوته في رأس الجبل إلى القوم أنا روبيل الشفيق عليكم الرّحيم بكم إلىٰ ربّه قد أنكرتم عذاب الله هٰذا شوّال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيّكم ورسول ربّكم أنّ الله أوحىٰ إليه أنّ العذاب ينزل عليكم في شوّال في وسط الشّهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس ولن يخلف الله وعده رسله فانظروا ماذا أنتم صانعون فأفزعهم كلامه فوقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب فأجفلوا نحو روبيل وقالوا له ماذا

أنت مشير به علينا يا روبيل فانكَ رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرّقة علينا والرّحمة لنا وقد بلغنا ما أشرت به علىٰ يونس فمرنا بأمرك وأشر علينا برأيك فقال لهم روبيل فاني أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا إذا طلع الفجر يوم الأربعاء في وسط الشهر أن تعزلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل في طريق الأودية وتقفوا النساء في سفح الجبل ويكون هذا كلّه قبل طلوع الشمس فعجوا عجيج الكبير منكم والصّغير بالصراخِ والبكاءِ والتضرّع إلى الله والتوبة إليه والاستغفار له وارفعوا رؤُوسكم إلى السماءِ وقولوا ربّنا ظلمنا وكذّبنا نبيّك وتبنا إليك من ذنوبنا وان لا تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين المعذّبين فاقبلْ توبتنا وارحمنا يا أرحم الرّاحمين ثمّ لا تملّوا من البكاءِ والصّراخِ والتضرّع إلى الله والتوبة إليه حتى توارى الشمس بالحجاب أو يكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك فاجمع رأي القوم جميعاً على أن يفعَلوا ما أشار بهْ عليهم روبيل فلّما كان يوم الأربعاء الذي توقّعوا العذاب تنحّى روبيل عن القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا أنزل فلّما طلع الفجر يوم الأربعاء فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل به فلمّا بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة هاصرير وحفيف [1] فلّما رأوها عجّوا جميعاً بالصّراخِ والبكاء والتضرّع إلى الله وتابوا واستغفروه وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمّهاتها وعجّت سِخال البهائم تطلب الثّدي وسَعَتِ الأنعام تطلب الرّعا فلم يزالوا بذلك ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم ويدعوان الله بتغليظ العذاب عليهم وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم فلّما أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الربّ تعالىٰ رحمهم الرّحمن فاستجاب دعاءهم وقبل توبتهم وأقالهم عثرتهم وأوحى إلىٰ اسرافيل أن اهبط إلىٰ قوم يونس فانهّم قد عجّوا إلىٰ البكاءِ والتضرّع وتابوا إليّ واستغفروني فرحمتهم وتبت عليهم وأنا الله التّوابُ الرّحيم اسرع إلىٰ قبول توبة عبدي

---

١ ـ حفّ الفرس حفيفاً سمع عند ركضه صوت والأفعى فحّ فحيحاً الّا ان الحفيف من جلدها والفحيح من فيها وكذلك الطّاير والشجر اذا صوّتت ق.

التائب من الذنب وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب علىٰ قومه وقد أنزلته عليهم وأنا الله أحقّ من وفى بعهده وقد أنزلته عليهم ولم يكن اشترط يونس حين سألني أن أنزّل عليهم العذاب ان أهلكهم فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي فقال اسرافيل يا ربّ إنّ عذابك بلغ أكنافهم [1] وكاد أن يهلكهم وما أراه إلاّ وقد نزل بساحتهم فالى اين اصرفه فقال الله كلاّ إنّي قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتّىٰ يأتيهم أمري فيهم وعزيمتي فاهبط يا اسرافيل عليهم واصرف عنهم وأصرف به إلى الجبال وناحية مفاض العيون ومجاري السّيُول في الجبال العاتية العادية المستطيلة على الجبال فأذلها به ولينها حتّىٰ تصير ملتئمة حديداً جامداً فهبط اسرافيل ونشر أجنحته فاستاق بها ذٰلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال التي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها، قال أبو جعفر عليه السلام وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم فصارت حديداً إلىٰ يوم القيامة فلّما رأىٰ قوم يونس أ نّ العذاب قد صرف عنهم هبطوا إلى منازلهم من رُووس الجبال وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وحمدوا الله علىٰ ما صرف عنهم وأصبح يونس وتنوخا يوم الخميس في موضعهما الذي كانا فيه لا يشكان أنّ العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً لّما خفيَت أصواتهم عنهما فاقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشّمس ينظران إلىٰ ما صار إليه القوم فلّما دنوا من القوم واستقبلهم الحطّابون والحمّارة [2] والرّعاة بأعناقهم ونظروا إلىٰ أهل القرية مطمئنّين قال يونس لتنوخا يا تنوخا كذّبني الوحي وكذبت وعدي لقومي لا وعزّة ربّي لا يرون لي وجهاً أبداً بعدما كذّبني الوحي فانطلق يونس هارباً علىٰ وجهه مغاضباً لربّه ناحية بحر أيلة مُتنكراً [3] فراراً من أن يراه أحد من قومه فيقول له يا كذّاب فلذٰلك قال الله وذا النّون اذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه الآية ورجع تنوخا إلى القرية فلقي روبيل فقال له يا تنوخا أي الرّأيين كان أصوب وأحَقّ أرأيي أو رأيُك فقال له تنوخا بل رأيك كان أصوب

---

١ ـ في كنف الله محرّكة في حرزه وستره وهو الجانب والظل والناحية كالكنفة محرّكة . ٢ ـ الحمّارة كجبّانة اصحاب الحمير كالحامرة ق . ٣ ـ ايلة جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع وبلد بين ينبع ومصر ق.

ولقد كنت أشرت برأي العلماءِ والحكماءِ وقال له تنوخا أما إنّي لم أزل أرىٰ انّي أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي حتى استبان فضلك لفضل علمك وما أعطاك ربّك من الحكمة مع التقوىٰ أفضل من الزهد والعبادة بلا علم فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما ومضىٰ يونس علىٰ وجهه مغاضباً لربّه فكان من قصته ما أخبره الله به في كتابه فآمنوا فمتّعناهم إلىٰ حين قال أبو عبيدة قلت لأبي جعفر عليه السلام كم كان غاب يونس عن قومه حتى رجع إليهم بالنبوّة والرّسالة فآمنوا به وصدّقوه قال أربعة أسابيع سبعاً منها في ذهابه إلى البحر وسبعاً في بطن الحوت وسبعاً تحت الشّجرة بالعراءِ وسبعاً منها في رجوعه إلىٰ قومه فقلت له ما هذه الأسابيع شهور أو أيّام أو ساعات فقال يا أبا عبيدة إنّ العذاب أتاهم يوم الاربعاء في النِّصفِ من شوّال وصرف عنهم من يومهم ذٰلك فانطلق يونس مغاضباً فمضى يوم الخميس سبعة أيام في مسيره إلى البحر وسبعة أيّام في بطن الحوت وسبعة أيّام تحت الشّجرة بالعراءِ وسبعة أيّام في رجوعه إلىٰ قومه فكان ذهابه ورجوعه ثمانية وعشرين يوماً ثم أتاهم فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه فلذٰلك قال الله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحَيٰوة الدّنيا ومتّعناهم إلىٰ حين .

وعنه عليه السلام أنّ يونس لمّا اذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحُوا أوّل يوم ووجوههم صفر وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم سود قال وكان الله واعدهم أنْ يأتيهم العذابَ حتى نالوه برماحهم ففرّقوا بين النساء واولادهنّ والبقر وأولادها ولبسُوا المسُوح والصّوف ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد علىٰ رؤوسهم وضجّوا ضجّة واحدة إلىٰ ربهم وقالوا آمنّا بالٰه يونس فصرف الله عنهم العذاب وأصبح يونس وهو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية .

وفي العِلل عن الصادق عليه السلام أنّه سئل لأيّ علة صرف الله العذاب عن قوم يونس وقد أظلّهم ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأممِ قال لأنّه كان في علم الله أنّه سيصرف عنهم لتوبتهم وانّما ترك أخبار يونس بذٰلك لأنّه عزّ وجلّ أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذٰلك ثوابه وكرامته .

وفي الكافي عنه عليه السلام أنّ جبرئيل استثنىٰ في هلاك قوم يونس ولم يسمعه يونس .

والقميّ وافق العياشي في ذكر القصّة إلاّ أنّه اختصرها وذكر في اسم العابد مليخا مكان تنوخا وأورد في آخرها أشياءً أخر نوردها في سورة الصّافّات انشاء الله ويأتي بعض قصّته في سورة الأنبياء أيضاً ان شاء الله .

(٩٩) **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ** بحيث لا يشذّ منهم أحد جميعاً مجتمعين على الإيمان لا يختلفونَ فيه **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** .

(١٠٠) **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ** وقرء بالنّون **عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ** في العيون عن الرضا عليه السلام أنّه سأله المأمون عن هٰذه الآية فقال حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال انّ المسلمين قالوا لرسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من النّاس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا علىٰ عدوّنا فقال رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث اليّ فيها شيئاً وما أنا من المتكلّفين فأنزل الله عليه يا محمّد ولو شاء ربّك لآمن منْ فِي الأرض كلهم جميعاً علىٰ سبيل الإلجاءِ والإضطرار في الدنيا كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ولو فعلت ذٰلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً ولكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقّوا منّي الزّلفىٰ والكرامة ودوام الخلُود في جنّة الخلد أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين وأمّا قوله وما كانَ لنفسٍ أن تؤمن إلا باذن الله فليس ذٰلك علىٰ سبيلِ تحريم الإيمان عليها ولكن علىٰ معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلاّ باذن الله واذنه أمره لها بالإيمان ما كانت متكلّفة متعبّدة والجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها فقال المأمون فرّجت عنّي فرج الله عنك .

(١٠١) **قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ** من عجائب صنعه ليدلكم علىٰ وحدته وكمال قدرته **وَمَا تُغْنِ ٱلآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ** لا يتوقع إيمانهم

وما نافية أو استفهامية للإنكارِ.

في الكافي والقميّ عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال الآيات الأئمّة عليهم السلام والنذر الأنبياء سلام الله عليهم.

(١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيرها قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ لذلك.

العياشي عن الرضا عليه السلام إنّ انتظار الفَرَجَ من الفَرَجَ انّ الله يقول انتظروا إنّي معكم من المنتظرينَ.

(١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي وقرء بالتخفيف رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا عطف على محذوف دلّ عليه ما قبله كأنّه قيل نهلك الأمم ثم ننجّي رسلنا ومَن آمنَ معهم كَذٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ وقرئ بالتشديد أي مثل ذلك الإنجاءِ ننجي المؤمنين منكم حين نهلك المشركينَ وحقّاً علينا اعتراض يعني حقّ ذلك علينا حقّاً.

في المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمرِ انّه من أهل الجنّة إن الله تعالى يقول كذلك حقّاً علينا ننجي المؤمنين.

(١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي وصحّته فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفّٰيكُمْ فهو الحقيق بأن يخاف ويُرجى ويُعبد وانّما خصّ التوفّي بالذكر للتهديد وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ المصدقين بالتوحيد فهذا ديني.

(١٠٥) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً عطف على أن أكون غير أنّ صلة أن محكيّة بصيغة الأمر والمعنى أمرت بالاستقامة والسّداد في الدّين باداءِ الفرائض والانتهاء عن القبايح وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١٠٦) وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ ان دعوته وَلاَ يَضُرُّكَ إن خذلته فَإِنْ فَعَلْتَ فان دعوته فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ فانّ الشّرك لظلم عظيم .

القمي مخاطبة للنّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم والمعني النّاس .

(١٠٧) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ وان يصبك به فَلاَ كَاشِفَ لَهُ بدفعه إِلاَّ هُوَ إِلاَّ الله وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ فلا دافع لِفَضْلِهِ الذي أرادك به قيل ذكر الإرادة مع الخير والمسّ مع الضّرّ مع تلازم الأمرين للتّنبيه علىٰ أنّ الخير مرادٌ بالذات وأنّ الضّرّ إنّما مسّهم لا بالقصد الأوّل ووضع الفضل موضع الضّمير للدّلالة علىٰ أنّه متفضّل بما يريد بِهِمْ من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لأنّ مراد الله لا يمكن ردّه يُصِيبُ بِهِ بالخير مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية .

(١٠٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ولم يبق لكم عذر فَمَنِ اهْتَدىٰ اختار الهدى بالإيمان والطاعة فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ لأنّ نفعه لها وَمَنْ ضَلَّ اختار الضّلال بالجحود فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لأنّ وباله عليها وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم علىٰ ما أريد إنّما أنا بشير ونذير .

(١٠٩) وَاتَّبِعْ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ بالإمتثال والتبليغ وَاصْبِرْ علىٰ دعوتهم واحتمال أذاهم حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ لَكَ بالنّصر عليهم والغلبة وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ لأنه لا يحكم إلاّ بالحقّ والعدل .

في ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة يونس في كلّ شهرين أو ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين وكان يوم القيامة من المقربين ان شاء الله تبارك وتعالىٰ .

---

١ ـ وهو القرآن ودين الإسلام والأدلة الدّالة على صحّته وقيل يريد بالحقّ النّبي صلّى الله عليه وآله ومعجزاته الظّاهرة م ـ ن .

سورة هود «ع»

مكية في قول الاكثرين وقال قتادة إلا آية وهو قوله
وأقِمِ الصلوٰة طرفي النهار، فانّها مدنية، عدد آيها مأة وثلاث وعشرون آية.

بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) الٓرٰ سبق تأويله في أوّل سورة يونس كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ نظمت نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم ثُمَّ فُصِّلَتْ بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام والقِصَص ومعنىٰ ثم[1] التراخي في الحال لا في الوقت.

القميّ عن الباقر عليه السلام هو القرآن مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ قال من عند حكيم خبير.

(٢) أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ من الله نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد.

(٣) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ من الشرك والمعصية ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ بالإيمان والطاعة يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً يُعِشْكم[2] في أمن ودعة إلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى هو آخر أعماركم المقدرة وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ويعط كلّ ذي فضل في دينه جزاءَ فضله في الدنيا والآخرة وَإِنْ تَوَلَّوْا وان تتولّوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ يوم القيامة.

---

١ ـ كما تقول فلان كريمُ الأصل ثم كريم الفعال ثم كذا وكذا.

٢ ـ عاش الرّجل معاشاً ومعيشاً وكل واحد منهما يصلح ان يكون مصدراً او ان يكون اسماً مثل معاب ومعيب وممال ومميل واعاشه الله عيشة راضية «ص»

القميّ يعني الدّخان والصّيحَة .

(٤) إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ في ذٰلك اليوم وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر علىٰ تعذيبكم أشدّ عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم .

(٥) أَلاٰ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يعطفونها لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ من الله بسرهم فلا يطّلع رسوله والمؤمنون عليه أو من رسوله .

في الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أخبرني جابر بن عبد الله أنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم حول البيت طأطأ أحدهم ظهره ورأسه هكذا وغطىٰ رأسه بثوبه حتّىٰ لا يراه رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم فأنزل الله الآية .

والقميّ يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام قال رسول الله إنّ آية المنافق بغض عليّ وكان قوم يظهرون المودّة لعليّ عند النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم ويسرون بغضه

في الجوامع وفي قراءة أهل البيت يَثْنَوْني علىٰ يفعوعل من الثّني وهو بناء مبالغة أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يتغطون بثيابهم كراهة لاستماعِ كلام الله كقوله تعالىٰ جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ في قلوبهم وَمَا يُعْلِنُونَ بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ بأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها قيل نزلت في طائفة من المشركين قالوا إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا علىٰ عداوة محمّد كيف يعلم .

والقميّ كان النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم إذا حدّث بشيء من فضل عليّ أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه نفضوا ثيابهم ثمّ قاموا يقول الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون حينَ قاموا إنّ الله عليم بذات الصدور .

(٦) وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا لتكفّله إياه تفضلاً ورحمة وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا موضع قرارها ومسكنها وَمُسْتَوْدَعَهَا قبل الإستقرار من أصلاب الآباء

وأرحام الأمّهات والبيض كُلٌّ كل واحدة من الدّوابّ ورزقها ومستقرها ومستودعها فِي كِتَابٍ مُبِينٍ مذكور في اللّوح المحفوظ في نهج البلاغة قسّم أرزاقهم وأحصى آثارهم وأعمالهم وعدد أنفاسهم وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور إلىٰ أن يتناهى بهم الغايات .

(٧) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أي خلقهما وما بينهما كما سبق بيانه في سورة الأعراف وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ قبل خلقهما .

القميّ وكان ذلك في مبدء الخلق .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام إن الله عزّ وجلّ ابتدع الأشياءَ كلها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتَدَع السّموات والأرضين ولم يكن قبلهنّ سموات ولا أرضون أما تسمع لقوله تعالى وكان عرشه على الماءِ .

وفيه وفي التّوحيد عن الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ وكان عرشه على الماءِ فقال ما يقولون قيل يقولون إنّ العرش كان على الماءِ والربّ فوقه فقال كذبوا من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوىٰ منه ثم قال إنّ الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون سماء وأرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر .

وفي حديث القميّ وكان الماء على الهواءِ والهواء لا يحدّ ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والماء عذب فرات .

أقول : تأويل هذه الأخبار عند الرّاسِخين في العِلم لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً أي خلقهنّ لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النّعم ويكلّفهم ويعرضهم لثواب الآخِرة ولّما شبه ذٰلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون ولما كان في الإختبار معنى العلم وهو طريق إليه قال ايّكم أحسن عملاً .

في الكافي عن الصادق عليه السلام ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم

عملاً وانّما الإصابة خشية الله والنّيّة الصادقة وروى العامة عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ فيتوقّعوه لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ تمويه ظاهر له لا حقيقة له وقرىء ساحر .

(٨) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ الموعود إِلىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ قيل إلىٰ جماعة من الأوقات قليلة .

والقمي عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني به الوقت لَيَقُولُنَّ استعجالاً واستهزاءً مَا يَحْبِسُهُ ما يمنعه من الوقوع أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ليس العذاب مدفوعاً عنهم وَحَاقَ بِهِمْ وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ .

القميّ يعني أن متّعناهم في هذه الدنيا إلىٰ خروج القائم عليه السلام فنردّهم ونعذّبهم ليقولنّ ما يحبسه أي يقولوا الا يقوم القائم الا يخرج علىٰ حدّ الاستهزاء ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام الأمّة المعدودة أصحابُ القائم الثلاثمأة والبضعة عشر .

والعياشي عن الصادق عليه السلام قال هو القائم وأصحابه .

وعنه عليه السلام إلىٰ أمّة معدودة يعني عدة كعدّة بدر ليس مصروفاً عنهم قال العذاب

وعن الباقر عليه السلام أصحاب القائم الثلثمأة والبضعة عشر رجلاً هم والله الأمّة المعدودة التي قال الله في كتابه وتلا هذه الآية قال يجتمعون والله في ساعة واحدة قزعاً [1] كقزع الخريف .

وفي الكافي والمجمع ما يقرب منه .

(٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الاْنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا سلبناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ شديد

---

١ ـ القزع محرّكة قطع من السّحاب رقيقة والواحد قزعة وفي الحديث كأنّهم قزع الخريف ص .

اليأس قنوط من أن يعود عليه تلك النعمة المنزوعة قاطع رجاءه من سعة فضل الله كَفُورٌ عظيم الكفران لنعمه .

(١٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ كصحة بعد سقم وغنىً بعد عُدْمٍ وفي اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفىٰ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي أي المصائب التي سائتني وحزنتني إِنَّهُ لَفَرِحٌ اشِرٌ بطر مغترّ بها فَخُورٌ على الناس بما أنعم الله عليه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر والقيام بحقها .

القمي قال إذا أغنى الله العبد ثم اقترصا به اليأس والجزع والهلع[1] واذا كشف الله عنه ذلك فرح قيل في لفظتي الإذاقة والمسّ تنبيه علىٰ أنّ ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بأدنىٰ شيء لأنّ الذوق ادراك الطعم والمسّ مبدء الوصُول .

(١١) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا في الشدة على الضرّاء إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ في الرّخاء شكراً لآلائه سابقها ولاحقها أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .

(١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ تترك بتبليغ بعض ما يوحىٰ إليك وهو ما يخالف رأي المشركينَ مخافة ردّهم واستهزائهم به وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَنْزٌ ينفقه في الإستتباع كالملوك أَوْ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ يصدّقه إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ليس عليك إلاّ الإنذار بما أوحىٰ إليك ولا عليك ردّوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاءَ أقوالهم وأفعالهم ويأتي في هذه الآية كلام في سورة بني اسرائيل ان شاء الله .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية أنّ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لما نزل قديداً [غديراً خ ل] قال لعليّ عليه السلام إني سألت ربّي أن

---

١ ـ الهلع محركة الجزع ق .

يوالي بيني وبينك ففعَل وسألت ربّي أن يواخي بيني وبينك ففعل وسألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل فقال رجلان من قريش والله لصاع تمر في شن بالٍ أحبّ إلينا مما سأل محمد صلىّ الله عليه وآله وسلم ربه فهلاّ سأل ربه ملكاً يعضده علىٰ عدوّه أو كنزاً يستغني به عن فاقته والله ما دعاه إلىٰ حق ولا باطل إلا أجابه الله إليه فأنزل الله إليه فلعلّك تارك الآية .

والقمي والعياشي ما يقرب منه وزاد العياشي ودعا رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام في آخر صلوته رافعاً بها صوته يُسمع الناس يقول اللهم هب لعليّ المودّة في صدور المؤمنين والهيبة والعظمة في صدور المنافقين فأنزل الله تعالىٰ إنّ الّذين آمنُوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً فقال« رمع »والله لصاع تمر في شنّ بال أحبّ إليّ ممّا سأل محمّد ربّه افلا سأله ملكاً يعضده أو كنزاً يستظهر به علىٰ فاقته فأنزل الله فيه عشر آيات من هود أوّلها فلعلّك تاركٌ بعض ما يوحىٰ إليك الآية

والعياشي عن زيد بن أرقم قال إن جبرئيل الرّوح الأمين نزل على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم بولاية علّي بن أبي طالب عليه السلام عشيّة عرفة فضاق بذلكَ رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم مخافة تكذيب أهل الإفك والنّفاق فدعا قوماً أنا فيهم فاستشارهم في ذلك ليقوم به في الموسم فلم ندر ما نقول له وبكىٰ فقال له جبرئيل يا محمّد أجزعت من أمر الله فقال كلاّ يا جبرئيل ولكن قد علم ربّي ما لقيت من قريش اذ لم يقرّوا لي بالرسالة حتى أمرني بجهادهم وأهبط إليّ جنوداً من السماء فنصروني فكيف يقرّون لعليّ عليه السلام من بعدي فانصرف عنه جبرئيل فنزل عليه فلعلّك تارك بعض ما الآية .

(١٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ [1] مِثْلِهِ في البيان وحسن النظم

---

١ ـ وهذا صريح في التحدّي وفيه دلالة على جهة إعجاز القرآن وإنما هي البلاغة والفصاحة في هذا النّظم المخصوص لأنّه لو كان جهة الإعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالإفتراء والإختلاق لأنّ البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وادناها واوسطها ممكن فالتحدّي في الآية انّما وقع في الطّبقة العليا منها ولو كان وجه الإعجاز الصّرف لكان =

مُفْتَرَيَاتٍ مختلفات من عند أنفسكم إن صحّ أنّى اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلّمكم القصص وتعوّدكم الأشعارَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إلى المعاونة على المعارضة إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انه مفتر

(١٤) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ أيها المؤمنون من دعوتموهم إلى المعارضة أو أيها الكافرون من دعوتموهم إلى المعاونة فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ملتبساً بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وأعلموا أن لا إله إلا هو لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره لظهور عجز المدعوّين فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ثابتون على الإسلام راسخون فيه أو داخلون في الإسلام مخلصُون فيه .

(١٥) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا باحسانه وبرّه .

العياشي عن الصادق عليه السلام يعني فلان وفلان نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحّة والرياسة وسعة الرّزق وكثرة الأولاد وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ لا ينقصون شيئاً من أجورهم .

(١٦) أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ لأنهم استوفوا ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السّيئة وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا أي في الآخرة لأنهم لا يريدونها وَبَاطِلٌ في نفسه مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لأنه لم يعمل على ما ينبغي ولم يبق له ثواب في الآخرة ويجوز تعليق فيها بصنعوا وارجاع الضمير إلى الدنيا .

القميّ يعني من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدنيا أعطاه الله ثوابه في الدنيا وما كان له في الآخرة إلا النّار .

(١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ على برهان من الله يدلّه على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار انْ يَعْقُبَ من هذا شأنه هؤلاء المقصرين

= الرّكيك من الكلام ابلغ مّن باب الإعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز ان يكون المراد به مثله في الجنس لأنّ مثله في الجنس يكون حكاية فلا يقع بها التحدّي وانّما يرجع ذلك الى ما هو متعارف بين العرب في تحدّي بعضهم بعضاً كما اشتهر في مناقضات امرء القيس وعلقمة وغيرها مـ ن.

هممهم وأفكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة يعني أفمن كان علىٰ بيّنة كمن يريد الحيوٰة الدنيا كيف وبينهما بون بعيد وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ يتبعه شاهد يشهد له منه وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ يعني التورية إِمَاماً وَرَحْمَةً .

في الكافي عن الكاظم والرضا عليهما السلام أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ورسول الله علىٰ بيّنة من ربّه .

في المجمع عن أمير المؤمنين والباقر والرضا عليهم السّلام أنّ الشاهد منه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يشهد للنّبيّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو منه .

والقميّ عن الصادق عليه السلام إنّما أنزل أفمن كان علىٰ بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمةً ومن قبله كتاب موسىٰ وعن الباقر عليه السلام إنّما نزلت أفمن كان علىٰ بيّنة من ربّه يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ويتلوه عليّ شاهد منه إماماً ورحمةً ومن قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به فقدّموا وأخّروا في التأليف .

والعياشي عنه عليه السلام الذي علىٰ بيّنة من ربّه رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم والذي تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام ثم أوصياؤه واحد بعد واحد .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ما من رجل من قريش إلا وقد نزل فيه آية أو آيتان من كتاب الله فقال رجل من القوم فما نزل فيك يا أمير المؤمنين فقال أما تقرء الآية التي هي في هود أفمن كان علىٰ بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه محمّد على بيّنة من ربّه وأنا الشاهد وفي الأمالي والبصائر مثله وفي الأمالي وأنا الشاهد وأنا منه وفي البصائر وأنا شاهد له فيه واتلوه معه .

أقول : وعلىٰ هذه الرواية يكون المراد بالبيّنة القرآن ويكون يتلوه من التلاوة .

وفي الاحتجاج أنّه سئل عن أفضل منقبة له فتلا هذه الآية وقال أنا الشاهد

من رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم وفيه في حديث قال له بعض الزّنادقة وأجد الله يخبر أنه يتلو نبيّه شاهد منه وكان الذي تلاه عبدة الأصنام برهة من دهره فقال عليه السلام وأمّا قوله ويتلوه شاهد منه فذلك حجّة الله أقامها الله على خلقه وعرّفهم أنه لا يستحق مجلس النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم إلا من يقوم مقامه ولا يتلوه الا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته لئلاّ يتسع من ماسّه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق لمقام الرّسول وليضيق العذر على من يعينه على اثمه وظلمه إذ كان الله حظر على من مسّه الكفر تقلّد ما فوّضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى لابراهيم لا ينال عهدي الظالمين أي المشركين لأنه سمّى الشرك ظلماً بقوله إنّ الشّرك لظلم عظيم فلّما علم ابراهيم أن عهد الله لا ينال عبدة الأصنام قال واجنبني وبنيّ ان نعبد الأصنام واعلم انّ من آثر المنافقين على الصادقين والكفّار على الأبرار فقد افترى على الله اثماً عظيماً اذ كان قد بيّن في كتابه الفرق بين المحق والمبطل والطاهر والنّجس والمؤمن والكافر وانه لا يتلو النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم عهده عند فقده إلاّ من حلّ محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً وفي المجمع عن الحُسين بن عليه عليه السلام الشاهد من الله محمد

أقول : وعلى هذا من كان على بيّنة يعمّ كلّ مؤمن مخلص ذا بصيرة في دينه وهذا لا ينافي نزوله في النّبي والوَصّي والى التعميم نظر من فسّر الشاهد بالقرآن أي شاهد من الله يشهد بصحته أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ بالقرآن أو بالرّسول وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ يردها لا محالة .

في المجمع عن النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم لا يسمع بي أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ من القرآن أو الموعد .

والعياشي عن الصادق عليه السلام من ولاية عليّ عليه السلام إنّهُ الْحَقُّ مِنْ

رَبِّكَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ .

(١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلىٰ رَبِّهِم وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .

(١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ عن دينه وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً يطلبون لسبيل الله زيغاً عن الإستقامة يحرّفونها بالتأويل أو يبغونها بالإنحراف عن الحق والصواب وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ .

العياشي عن الباقر عليه السلام هم أربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً .

أقول : الملوك الأربعة الثلاثة ومعاوية .

وعن الصادق عليه السلام الأشهاد هم الأئمّة عليهم السلام .

القمي يعني بالاشهاد الأئمّة عليهم السلام ألا لعنة الله عَلى الظالمين آل محمد حقهم يصدون عن سبيل الله عن طريق الله وهي الإمامة يبغونها عوجاً حرّفوها إلىٰ غيرها .

(٢٠) أُولٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يمنعونهم من العقاب لو أراد عقابهم ولكنه أخّر عقابهم إلىٰ هذا اليوم ليكون أشدّ وأدوم يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ لتصامّهم عن الحق وبغضهم له .

القمي قال ما قدروا أن يسمعوا بذكر أمير المؤمنين عليه السلام وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ لتعاميهم عن آيات الله .

(٢١) أُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ خسروا بما خلوا وضاع عنهم ما حصّلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة .

القمي بطل الذين دعوه غير أمير المؤمنين عليه السلام .

(٢٢) لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ هُمُ ٱلأَخْسَرُونَ لا أحد أبين وأكثر خُسْرَاناً منهم .

(٢٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ اطمأنوا إليه وخشعوا له أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

(٢٤) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ الكافر والمؤمن كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ كالأعمى وكالأصم أو كالأعمىٰ الأصمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ كالبصير وكالسّميع أو كالبصير السميع وذلك لتعامي الكافر عن آيات اللهِ وتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبّر معانيه هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ بضرب الأمثال والتأمّل فيها .

(٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنِّي لَكُمْ بأني لكم وقرىء بالكسر نَذِيرٌ مُبِينٌ بيّن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص .

(٢٦) أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ مؤلم قد سبق ذكر اسم نوح ونسبه وشريعته والبشارة به في سورة الأعراف .

(٢٧) فَقَالَ الْمَلأُ الاشراف الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا لا مزيّة لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا أخسّاؤنا .

القميّ يعني الفقراءُ والمساكين بَادِيَ الرَّأْيِ ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو أو أوّل الرأي من البَدء وانّما استرذلوهم لفقرهم فانّهم لما لم يعلموا الا ظاهراً من الحيوة الدنيا كان الأحظّ بها أشرف عندهم والمحروم أرذل وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ لك ولتّبعيك عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ يؤهّلكم للنّبوة واستحقاق المتابعة بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ أنت في دعوى النبوة وإيّاهم في دعوى العلم بصدقك .

(٢٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ اخبروني إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي حجّة شاهدة بصدق دعواي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ بايتاءِ البيّنة أو النّبوة فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ فخفيت

عليكم واشتبهت حتى لم تعرفوها ولم تفهموها فلم تهدكم وقرى بضم العين وتشديد الميم أَنُلْزِمُكُمُوهَا انكرهكم على الإهتداءِ بها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ لا تختارونها ولا تتأملون فيها .

(٢٩) وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ على التبليغ مَالاً جعلاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ فانه المأمول منه وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا يعني الفقراء وهو جواب لهم حين سألوا طردهم إِنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ يلاقونه ويفوزون بقربه فيخاصمون طاردهم فكيف أطردهم وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ الحق وأهله أو تتسفّهونَ عليهم بأن تدعوهم أراذل .

(٣٠) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ بدفع انتقامه إِنْ طَرَدْتُهُمْ وهم بتلك المثابة أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ لتعرفوا أنّ التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب

(٣١) وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَآئِنُ اللهِ خزائن رزقه حتى جحدتم فضلي وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ولا أقول أنا أعلم الغيب حتى تكذّبوني استبعاداً أو حتى أعلم أنّ هؤلاءِ اتبعوني بادي الرّأي من غير بصيرة وعقد قلب وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ حتى تقولوا ما أنت إلاّ بشر مثلنا وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم من زرى عليه إذا عابه واسناده إلى الأعين للمبالغة والتّنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً فانّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتيكم في الدنيا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ان قلت شيئاً من ذلك

(٣٢) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا خاصمتنا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فأطلته فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في الدعوى والوعيد فانّ مناظرتك لا توثر فينا .

(٣٣) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَآءَ عاجلاً أو آجلاً وَمَآ أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ بدفع العذاب والهرب منه .

(٣٤) وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ

يُغْوِيَكُمْ بأن علم منكم الإصرار على الكفر فخلاّكم وشأنكم .

في قرب الإسناد والعياشي عن الرضا عليه السلام يعني الأمر إلى الله تعالىٰ يهدي من يشاء . وزاد العياشي ويضِلّ والعياشي والقميّ عن السجّاد عليه السلام نزلت في العباس .

أقول : يعني فيه وفي أمثاله إذا عمّم التنزيل هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

(٣٥) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ اعتراض قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وباله ، وقرىء بفتح الهمزة على الجمع وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ من اجرامكم في اسناد الإفتراء اليّ .

(٣٦) وَأُوحِيَ إِلىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ فلا تحزن حزن بائس مستكين بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ اقنطه الله من إيمانهم ونهاهُ أن يغتمّ بما فعلوه من التكذيب والايذاء .

في الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام أنّ نوحاً لبث في قومه ألفَ سَنة الا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية فلّما أبوا وعتوا قال ربّ إنّي مغلوب فانتصر فأوحى الله تعالىٰ إليه إنّه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلذلك قال نوح ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً .

(٣٧) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا متلبّساً بأعيننا عبّر بكثرة آلة الحِسّ الذي به يحفظ الشيء ويراعىٰ عن الإختلال والزّيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل وَوَحْيِنَا إليك كيف تصنعها وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلىٰ كفّه .

(٣٨) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ حكاية حال ماضيه وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ استهزؤا به لعمله السفينة قيل إنّه كان يعملها في بريّة بعيدة من الماء لوان نجرته وكانوا يضحكون منه ويقولون صرت نجّاراً بعدما كنت نبيّاً .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أنّ نوحاً لمّا غرس النّوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون قد قعد [١] غرّاساً حتى اذا طال النّخل وكان جبّاراً [٢] طوالاً [٣] قطعه ثم نحته [٤] فقالوا قد قعد نجّاراً ثم ألّفه فجعله سفينة فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون قد قعد ملاّحاً في فلاة من الارض حتى فرغ منها قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ إذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

(٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ يعني به إيّاهم وبالعذاب الغرق وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ دائم وهو عذاب النار .

(٤٠) حَتَّى [٥] إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ نبع الماء منه وارتفع كالقِدر تفور .

في الكافي والمجمع عن الصادق عليه السلام كان التّنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد يعني مسجد الكوفة فقيل له فان ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم ثم سئل وكان بدو خروج الماء من ذلك التّنور فقال نعم إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ أن يري قوم نوح آية ثم إنّ الله تعالىٰ أرسل المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً والعيون كلّهنّ فيضاً فغرقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة .

وفيه والعياشي عنه عليه السلام جاءت امرأة نوح إليه وهو يعمل السفينة فقالت له إن التّنور قد خرج منه ماء فقام إليه مسرعاً حتى جعل الطّبق عليه فختمه بخاتمه فقام الماء فلّما فرغ من السفينة جاءَ إلىٰ خاتمه ففضه وكشف الطّبق ففار الماء .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ نوحاً لمّا فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربّه في اهلاك قومه أن يفور التّنور ففار فقالت امرأته إنّ التّنور قد

---

١ ـ وحدّد شفرته حتى قعدت كأنّها حربة أي صارت ق.

٢ ـ العظيم القويّ الطّويل ق.

٣ ـ كرمّان المفرط الطّول ق.

٤ ـ نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه براه ق.

٥ ـ والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى اذا جاءَ قضاؤنا بنزول العذاب ـ ن.

فار فقام إليه فختمه فقام الماء وادخل من أراد أن يدخل وأخرج من أراد أن يخرج ثمّ جاء إلى خاتمه ونزعه يقول الله ففتحنا أبواب السماءِ بماءٍ منهمر وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر وكان نجرها في وسط مسجدكم قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا في السّفينة مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ أي من كلّ صنف ذكر وصنف أنثىٰ وقرىٰ بتنوين كل أي من كلّ نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين إِثْنَيْنِ ذكراً وانثىٰ وَأَهْلَكَ أريد امرأته وبنوه ونساؤهم إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بأنّه من المغرقين أريد ابنه كَنعان وامرأته واهلة فانّهما كانا كافرين وَمَنْ آمَنَ والمؤمنين من غيرهم وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ

في المجمع عن الصادق عليه السلام آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر.

وفي المعاني عن الباقر عليه السلام مثله والقميّ عن الصادق عليه السلام في حديث فلّما فرغ نوح من اتخاذ السفينة أمره الله أن ينادي بالسّريانيّة لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلاّ حضر فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين السفينة وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين[1] رجلاً فقال الله إحمل فيها من كلّ زوجين اثنين الآية وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة فلّما كان في اليوم الذي أراد الله عزّ وجلّ اهلاكهم كانت امرأة نوح تخبر في الموضع الذي يعرف بفار التّنور في مسجد الكوفة وكان نوح عليه السلام قد اتّخذ لكل ضرب من أجناسِ الحيوان موضعاً في السفينة وجمع لهم فيها ما يحتاجون إليه من الغذاءِ فصاحت امرأته لمّا فار التّنور فجاء نوح إلى التّنور فوضع عليها طيناً وختمه حتى ادخل جميع الحيوان السفينة ثم جاء إلى التّنور ففضّ الخاتم ورفع الطين وانكسفت الشمس وجاء من السماءِ ماء منهمر صبّ بلا قطر وتفجّرت الأرض عيوناً وهو قوله سبحانه ففتحنا أبواب السماءِ بماءٍ منهمر وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء علىٰ أمر قد قدر وعن الباقر عليه السلام ليس كلّ من في الأرض من بني آدم من ولد نوح عليه السلام قال الله تعالى في كتابه إحمل فيها من كلّ زوجين اثنين إلىٰ قوله

---

١ ـ اقول لا تنافي بين ما سبق من أنه امن معه من قومه ثمانية نفر وبين هذا الحديث من كون الذين آمنوا معه من جميع الدّنيا ثمانين رجلاً لجواز ان يكون المراد بالثمانية الّذين كانوا في قومه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤ هم وزوجته المسلمة وبنته ويكون الباقي من الثمانين من غير اهله «منه رحمه الله»

ومن آمن وقال ذرّيّة من حملنا مع نوح عليه السلام .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام حمل نوح في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله ثمانية أزواج فكان من الضّأن اثنين زوج داجنة[1] يربيّها الناس والزّوج الآخر الضّأن التي تكون في الجبال الوحشيّة أحلّ لهم صيدها الحديث

وقد سبق تمامه في سورة الأنعام وفي المجمع ، والقميّ عنه عليه السلام لمّا أراد الله هلاك قوم نوح عليه السلام عقّم أرحام النّساء أربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولمّا فرغ نوح من اتخاذ السفينة أمره الله أن ينادي بالسّريانيّة أن يجتمع جميع الحيوانات فلم يبق حيوان إلاّ حضر فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسّنّور وأنّهم لمّا شكوا من سرقين الدّوابّ والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج فتناسل فلّما كثروا شكوا إليه منها فدعا بالأسد فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج سنّور وفي حديث آخر أنّهم شكوا العذرة فأمر الله تعالى الفيل فعطس فسقط الخنزير .

والعياشي عنه عليه السلام أنّ نوحاً حمل الكلب في السفينة ولم يحمل ولد الزّنا وعنه عليه السلام ينبغي لولد الزّنا أن لا تجوز له شهادة ولا يؤمّ بالناس لم يحمله نوح في السفينة وقد حمل فيها الكلب والخنزير .

وفي العلل عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنّه سئل ما بال الماعز معرقبة الذّنب بادية الحياء والعورة فقال لأنّ الماعز عصت نوحاً لمّا أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها والنعجة مستورة الحياء والعورة لأنّ النعجة بادرت بالدّخول إلى السّفينة فمسح نوح يده على حيائها وذنبها فاستوت الألية .

وفي الخصال عن الرضا عليه السلام اتّخذ نوح في الفلك تسعين بيتاً للبهائم .

والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّ الله أمر نوحاً أن يحمل في السفينة من

---

١ ـ دجن الحمام والشّاة الفت وهي داجنة.

كلّ زوجين اثنين فحمل الفحل والعجوة فكانا زوجاً .

في الكافي والعياشي عنه عليه السلام كان طول سفينة نوح عليه السلام الف ومأتي ذراع وعرضها ثمانمأة ذراع وطولها في السماء ثمانين ذراعاً .

والقميّ عنه عليه السلام مثله كما يأتي وفي العيون في الخبر الشامي ذكر الطّول ثمانمأة والعرض خمسمأة .

وفي الكافي عنه عليه السلام في فضل مسجد الكوفة قال ومنه فار التّنور وفيه بخرت السفينة .

ومثله في المجمع عن الباقر عليه السلام وفي رواية في الكافي ومنه سارت .

والعياشي عن سلمان عن أمير المؤمنين عليه السلام في فضله فيه نجر نوح سفينته وفيه فار التّنور وبه كان بيت نوح ومسجده .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام وكان منزل نوح عليه السلام وقومه في قرية علىٰ منزل من الفرات ممّا يلي غربيّ الكوفة وكان نوح عليه السلام رجلاً نجّاراً فجعله الله نبيّاً وانتجبه ونوح عليه السلام أوّل من عمل سفينة تجري علىٰ ظهر الماء قال ولبث نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الهدى فيمرّون به ويسخرون منه فلمّا رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال يا ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دّياراً فأوحى الله إليه يا نوح اصنع الفلك واوسعها وعجّل عملها بأعيننا ووحينا فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده يأتي بالخشب من بُعد حتى فرغ منها سئل في كم عمل نوح عليه السلام سفينته حتى فرغ منها قال في دورين قيل وكم الدّورين قال ثمانون سنة قيل فانّ العامة يقولون عملها في خمسمأة عام فقال كلاّ والله كيف والله يقول ووحينا .

أقول : آخر الحديث يحتمل معنيين أحدهما إنّ ما يكون بأمر الله وتعليمه كيف يطول زمانه إلىٰ هذه المدّة والثاني أن يكون قد فسّر الوحي هنا بالسّرعة والعجلة فانه

جاء بهذا المعنى يقال الوحا الوحا ممدوداً ومقصوراً يعني البدار البدار والمعنى الثاني أتمّ في الإستشهاد .

(٤١) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا صيروا فيها راكبين كما يركب الدّوابّ في البرّ بِسْمِ اللهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا مسمّين الله قائلين ذلك ومعناه بالله اجراؤها وارساؤها .

والقميّ عن الصادق عليه السلام أي مسيرها وموقفها وقرء مجريها بفتح الميم إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إيّاكم لما نجّاكم .

(٤٢) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ من الطوفان كَالْجِبَالِ كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها .

في الخصال عن الكاظم عليه السلام وفي العيون عن الرضا عليه السلام أنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب السفينة أوحى الله إليه يا نوح إن خفت الغرق فهَلِّلني الفاً ثم سلني النّجاة انجك من الغرق ومن آمن معك قال فلمّا استوىٰ نوح ومن معه في السّفينة ورفع القلس [القلص خ ل] عصفت الريح عليهم فلم يأمن نوح عليه السلام وأعجلته الريح فلم يدرك أن يهلّل ألف مرة فقال بالسّريانيّة هيلولياً ألفاً ألفاً يا ماريا اتقن قال فاستوىٰ القلص واستمرّت السفينة فقال نوح عليه السلام إنّ كلاماً نجّاني الله به من الغرق لحقيق أن لا يفارقني قال فنقش في خاتمه لا إله إلا الله ألف مرّة يا ربّ اصلح .

وفي الإحتجاج عن الصادق عليه السلام عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم إن نوحاً لمّا ركب السفينة وخاف الغرق قال اللهم إنّي أسألك بمحمّد وآل محمد لمّا انجيتني من الغرق فنجاه الله عزّ وجلّ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ كنعان .

القميّ والعياشي عن الصادق عليه السلام ليس بابنه إنّما هو ابن امرأته وهو لغة طيّ يقولون لابن الامرأة ابنه يعني بفتح الهاء .

في المجمع عن عليّ والباقر والصادق عليهم السلام أنّهم قرأوا كذلك .

وروي أيضاً ابنها والضمير لامرأته وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ أي مكان عزل فيه نفسه عن المركب يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا فِي السفينة وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ

القميّ عن الصادق عليه السلام نظر نوح عليه السلام إلى ابنه يقع ويقوم فقال له يا بنيّ اركب الآية .

(٤٣) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَآءِ في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه قال حين أشرف على النجف هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح عليه السلام فقال سآوى إلىٰ جبل يعصمني من الماءِ فأوحى الله إليه يا جبل أيعتصِم بك منّي أحد فغار في الأرض وتقطّع إلى الشّام وفي العلل ما يقرب منه قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ الاّ الراحم وهو الله تعالىٰ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ بين نوح وابنه فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ.

(٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ أنشفي .

العياشي عن الصادق عليه السلام نزلت بلغة الهند اشربي وفي رواية حبشيّة وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي أمسكي نداء الأرض والسماء بما ينادي به العقلاء مما يدلّ على كمال القدرة والاقتدار وانّ هذه الأجرام العظيمة منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه عارفون جلالته وعظمته يتمثلون أمره على الفور من غير ريث وَغِيضَ الْمَاءُ ونقص وَقُضِيَ الْأَمْرُ وانجز ما وعد من اهلاك الكافِرين وانجاء المؤمنين وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ واستقرّت عليه وهو جبل بالموصِل وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أصله بَعُدَ بُعْداً بعيداً لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخصّ بدعاءِ السّوءِ قيل الآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وايراد الأخبار على البناء للمفعول دلالة علىٰ تعظيم الفاعل وانّه متعيّن في نفسه مستغنىً عن ذكره اذ لا يذهب الوهم إلىٰ غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهّار .

القميّ عن الصادقِ عليه السلام في حديث فدارت السفينة وضربتها الأمواج

حتى وافت مكّة وطافت بالبيت وغرق جميع الدّنيا الا موضع البيت وانّما سمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق فبقي الماء ينصبّ من السماءِ اربعين صباحاً ومن الأرض العيون حتى ارتفعت السفينة فمسحت السماء قال فرفع نوح عليه السلام يده فقال يا رحمان اتقن وتفسيرها يا ربّ احسن فأمر الله عزّ وجلّ الأرض أن تبلع ماءها وهو قوله عزّ وجلّ يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي أي أمسكي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ فبلعت الأرض ماءها فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها وقالت إنّما أمرني الله أن أبلع مائي فبقى ماء السماء على وجه الأرض واستوت السفينة على جبل الجوديّ وهو بالموصل جبل عظيم فبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدّنيا .

والعياشي ما يقرب من بعض ما تضمّن هذا الحديث وهو دعاء نوح عليه السلام وقصّة امتناع الأرض .

وفي التهذيب عنه عليه السلام إنّ الله عزّ وجلّ أوحىٰ إلىٰ نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً فطاف بالبيت كما أوحىٰ إليه ثم نزل في الماءِ إلىٰ ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف ثم ورد إلىٰ باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض ابلعي ماءَك فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدا الماء منه وتفرق الجمع الذي كان مع نوح عليه السلام في السّفينة .

وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام أنّ نوحاً كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت السفينة مأمورة فطاف بالبيت وهو طواف للنساءِ وخلّى سبيلها نوح عليه السلام فأوحىٰ الله عزّ وجلّ إلىٰ الجبال إنّي واضع سفينة نوح عليه السلام عبدي علىٰ جبل منكنّ فتطاولت وشمخت وتواضع الجوديّ وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل قال فقال نوح عند ذٰلك يا ماري اتقن وهو بالسّريانية ربّ إصلح .

وفي المجمع والعياشي ما يقرب منه قال وهو جبل بالموصل .

والعياشي عن الباقر عليه السلام سمع نوح عليه السلام صرير السفينة على الجوديّ فخاف عليها فأخرج رأسه من كوّة كانت فيها فرفع يده وأشار باصبعه وهو يقول يا رحمان اتقن تأويلها ربّ احسن .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل كم لبث نوح عليه السلام ومن معه في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها فقال لبثوا فيها سبعة أيّام ولياليها فطاف بالبيت أسبوعاً ثم استوت على الجوديّ وهو فرات الكوفة وفي رواية وسعت بين الصّفا والمروة .

وفي الكافي عنه عليه السلام ارتفع الماء على كلّ جبل وعلى كلّ سهل خمسة عشر ذراعاً .

أقول : لعلّ ارتفاعه هذا المقدار بعدمَا استوىٰ على الجميع وخفِي فيه كلّ سهل وجبل .

وفي الخصال عنه عليه السلام أنّ نوحاً عليهَ السلام لمّا كان أيّام الطّوفان دعا مياه الأرض فأجابته الاّ الماء المرّ والكبريت .

(٤٥) **وَنَادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ** وقد وعدت أن تنجيَ أهلي **وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** أعدلهم وأعلمهم .

(٤٦) **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** الذين وعدتك بنجاتهم لأنّه ليس علىٰ دينك .

في المجمع والعياشي والعيون عن الرّضا عليه السلام إن الله قال لنوح إنّه ليس من أهلك لأنّه كان مخالفاً له وجعل من اتّبعه من أهلِهِ **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** تعليل لنفي كونه من أهله وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمّه وقرئ عمل بصيغة الماضي وغير بالفتح أي عمل عملاً غير صالح .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام كيف يقرؤن هذه الآية قيل من النّاس

من يقرأ انه عمل غير صالح ومنهم من يقرأ انّه عمل غير صالح فمن قرأ أنّه عمل غير صالح نفاه عن أبيه فقال كلاّ لقد كان ابنه ولكن لمّا عصى الله نفاه عن أبيه كذا من كان منّا لم يطع الله فليس منّا وفي رواية أخرىٰ نفاه عنه حين خالفه في دينه .

والعياشي ما في معنى الرواية الثانية فَلاَ تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لا تعلم أصواب هو أم لا حتى تعرف كنهه وقريء تسألنّ بفتح اللّام وتشديد النّون المفتوحة وبكسر النّون المشدّدة واثبات الياءِ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

(٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ فيما يستقبل مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ما لا عِلم لي بصحّته تأدّباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي ما فرط منّي من السّؤال وَتَرْحَمْنِي بالتوبة والتفضل عليّ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ أعمالاً قاله علىٰ سبيل الخضوع لله والتذلّل والاستكانة .

(٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنَّا انزل من السفينَةِ مسلّماً من المكاره محفوظاً من جهتِنا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ومباركاً عليك والبركات الخيرات النّامية وَعَلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ يعني في السفينة لأنّهم كانوا جماعات أو لتشعب الأمم منهم وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ أي وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ منّا عَذَابٌ أَلِيمٌ أراد بهم الكفار من ذرية من معه

القميّ عن الصادق عليه السلام فنزل نوح بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين وكانت لنوح عليه السلام ابنة ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها ومن ذٰلك قول النبي صلىّ الله عليه وآله وسلم نوح أحد الأبوين .

(٤٩) تِلْكَ اشارة الى قصّة نوح عليه السلام مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ أي بعضها نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ على مشاقّ الرسالة وايذاءِ القوم كما صَبَر نوح عليه السلام إِنَّ الْعَاقِبَةَ في الدنيا بالظّفر وفي الآخرة بالفوز لِلْمُتَّقِينَ عن الشرك والمعاصي .

القميّ عن الصادق عليه السلام بقي نوح عليه السلام في قومه ثلاث مأة

سنة يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ فلم يجيبوه فهمّ أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماءِ الدّنيا وهم العظماء من الملائكة فقال لهم نوح عليه السلام من أنتم فقالوا نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماءِ الدنيا وانّ غلظ مسيرة السماءِ الدنيا خمسمأة عام ومن السماءِ الدنيا إلى الدنيا خمسمأة عام وخرجنا عند طلوع الصبح ووافيناك في هذا الوقت فنسألك ان لا تدعو على قومك فقال نوح قد أجلتهم ثلاثمأة سنة فلّما أتى عليهم ستمأة سنة ولم يؤمنوا همّ أن يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماءِ الثانية فقال نوح عليه السلام من أنتم قالوا نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماءِ الثانية وغلظ السماءِ الثانية مسيرة خمسمأة عام ومن السماءِ الثانية إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمأة عام وغلظ السماء الدنيا مسيرة خمسمأة عام ومن السماءِ الدنيا الى الدنيا مسيرة خمسمأة عام خرجنا عند طلوع الشمس ووافينا ضحوة نسألك أن لا تدعو على قومك فقال نوح عليه السلام قداجلتهم ثلثمأة سنة فلما أتىٰ عليهم تسعمأة سنة ولم يؤمنوا همّ أن يدعو عليهم فأنزل عزّ وجلّ أنه لن يؤمن من قومكَ إلاّ من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً انك ان تذرهم يضِلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً فأمره الله عزّ وجلّ أن يغرس النخل فأقبل يغرس النخل فكان قومه يمرّون به ويسخرون منه ويستهزؤن به ويقولون شيخ قد أتى له تسعمأة سنة يغرس النخل وكانوا يرمونه بالحجارة فلّما أتىٰ لذلك خمسون سنة وبلغ النخل واستحكم أمر بقطعه فسخروا منه وقالوا بلغ النخل مبلغه وهو قوله عزّ وجلّ وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منّا فانّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فأمره الله أن يتخذ السفينة وأمر جبرئيل أن ينزل عليه ويعلمه كيف يتخذها فقدر طولها في الأرض ألفاً ومأتي ذراع وعرضها ثلثمأة ذراع وطولها في السماءِ ثمانون ذراعاً فقال يا ربّ من يعينني على اتخاذها فأوحى الله عزّ وجلّ إليه ناد في قومك من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضّة فنادى نوح عليه السلام فيهم بذلك فأعانوه

عليه وكانوا يسخرون منه ويقولون سفينة يتخذ في البرّ.

وفي الإكمال عنه وامّا ابطاء نوح عليه السلام فانّه لما استنزل العقوبة علىٰ قومه من السماء بعث الله تعالىٰ جبرئيل الرّوح الأمين معه سبع نوايات فقال يا نبيّ الله إنّ الله تعالىٰ يقول لك إنّ هؤلاءِ خلائفي وعبادي لست ابيدهم بصاعقة من صواعقي الاّ بعد تأكيد الدّعوة والزام الحجّة فعاود اجتهادَك في الدعوة لقومك فانّي مثيبك عليه واغرس هذا النوىٰ فانّ لك في نباتها وبلوغها وادراكها اذا أثمرت الفرَجَ والخلاص فبشّر بذلك من اتّبعك من المؤمنين فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتسوّقت واغتصنت وزهىٰ التمر عليها بعد زمان طويل استنجزمن الله العِدَة فأمره الله تعالىٰ أن يغرس نوىٰ تلك الأشجار ويعاود الصبر والإجتهاد ويؤكد الحجة علىٰ قومه فأخبر بذٰلك الطوائف التي آمنت به فارتدّ منهم ثلثمأة رجل وقالوا لو كان ما يدّعيه نوح عليه السلام حقّاً لما وقع في وعد ربّه خلف ثم إنّ الله تعالىٰ لم يزل يأمره عند كلّ مرة أن يغرسها تارة بعد أخرىٰ إلىٰ أن غرسها سبع مرّات فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة إلىٰ أن عاد إلىٰ نيّف وسبعين رجلاً فأوحىٰ الله إليه عند ذٰلك وقال يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لنعينك حين صرح الحقّ عن محضه وصفا من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة فلو أنّي أهلكت الكفار وأبقيت من قد ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كان صدق وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصمُوا بحبل نبوّتك بأنّي استخلفهم في الأرض وأمكّن لهم دينهم وأبدّلهم خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك من قلوبهم وكيفَ يكون الإستخلاف والتّمكين وبذل الأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا وخبث طينتهم وسوءِ سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوخ الضلالة فلو أنّهم تنسّموا من الملك الذي أوتي المؤمنين وقت الإستخلاف اذا أهلكت أعداؤهم لنشقوا روايح صفاته ولاستحكمت مرايز نفاقهم وثارت خبال ضلالة قلوبهم ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة وحاربوهم علىٰ طلب الرّياسة والتفرّد بالأمر والنهي وكيف يكون التّمكين في

الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع اثارة الفتن وايقاع الحروب كلاّ فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا.

وفي العيون عن الرضا عليه السلام انّه قيل له يا ابن رسول الله لا علّة أغرق الله الدنيا كلّها في زمن نوح وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له فقال ما كان فيهم الأطفال لأنّ الله أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم وما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له وامّا الباقون من قوم نوح فاغرقوا بتكذيبهم لنبيّ الله نوح وسائرهم اغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهد.

وفي الكافي والإكمال عن الصادق عليه السلام لمّا حسر[1] الماء عن عظام الموتىٰ فرأىٰ ذلك نوح عليه السلام جزع جزعاً شديداً واغتم لذلك فأوحى الله عزّ وجلّ هذا عملك أنت دعوت عليهم فقال يا ربّ إنّي استغفرك وأتوب إليك فأوحى الله إليه أنْ كل العنب الأسود ليذهب غمّك.

وعنه عليه السلام كانت أعمار قوم نوح ثلثمأة سنة.

وفي الكافي عنه عليه السلام عاش نوح ألفي سنة وثلاث مأة سنة منها ثمانمأة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم وخمسمأة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان ثمّ أنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فردّ عليه نوح عليه السلام فقال ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئتك لاقبض روحك قال دعني ادخل من المشمس الى الظل فقال له نعم فتحول ثم قال يا ملك الموت كلّ ما مرّ بي من الدنيا مثل تحويلي من الشّمس إلى الظّلّ فامضِ لما امرت به فقبض روحه.

وعنه عليه السلام عاش نوح عليه السلام بعد الطّوفان خمسمأة سنة ثمّ أتاه جبرئيل فقال يا نوح انه قد انقضت نوبتك واستكملت أيامك فانظر إلى الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة التي معك فادفعها إلىٰ ابنك سام فانّي لا اترك الأرض إلاّ وفيها عالم تعرف به طاعتي ويعرف به هداي وتكون النجاة فيما بين مقبض النّبيّ ومبعث النّبيّ

---

١ ـ حسَرَه يحسره كشفه والشّيء حُسوراً انكشف ق

الآخر ولم أكن أترك الناس بغير حجّة لي وداع إليّ وهادٍ إلىٰ سبيلي وعارفٍ بأمري فاني قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداءَ ويكون حجة لي على الأشقياءِ قال فدفع نوح الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة إلىٰ سام وأمّا حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفِعان به قال وبشّرهم نوح بهود وأمرهم باتباعه وأمرهم أن يفتحوا الوَصيّة في كل عام وينظروا فيها ويكون عيداً لهم .

(٥٠) وَإِلىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً أخاهم يعني أحدهم كما سَبَق بيانه في سورة الأعراف قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله وحده مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وقرء بالجرّ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ على الله باتخاذ الأوثان شركاءَ وجعلها شفعاءَ .

(٥١) يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي خاطب كلّ رسول به قومه ازاحةً للتهمة وتمحيصاً للنصيحة فانّها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع أَفَلاَ تَعْقِلُونَ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحقّ من المبطل والصّواب من الخَطَأ .

(٥٢) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ اطلبوا مغفرة الله بالإيمان ثمّ توسّلوا إليها بالتّوبة يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً كثير الدّر وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلىٰ قُوَّتِكُمْ ويضاعف قوّتكم قيل رغّبهم في الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوّة لأنّهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وكانوا يدلّون بالقوّة والبطش وَلاَ تَتَوَلَّوْا ولا تعرضوا عني وعمّا أدعوكم إليه مُجْرِمِينَ مصرّين علىٰ اجرامكم .

(٥٣) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ بحجّة تدل علىٰ صحّة دعواك وهو كذب وجحود لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزاتِ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا بتاركي عبادتهم عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ اقناط له من الإجابة والتصديق .

(٥٤) إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرِيكَ أصابك بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ بجنون لسبّك إيّاها وصدك عنها فمن ثمة تتكلّم بكلام المجانين قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ .

(٥٥) مِنْ دُونِهِ من اشراككم آلهةً من دونه فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ واجههم بهذا الكلام مع قوّتهم وشدّتهم وكثرتهم وتعطّشهم إلىٰ اراقة دمه ثقةً بالله واعتماداً

علىٰ عصمته إيّاه واستهانة بهم وبكيدهم وان اجتمعوا عليه وتواطئوا علىٰ اهلاكه .

(٥٦) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ تقرير له والمعنىٰ وان بَذَلتم غاية وسعكم لم تضرّوني فانّي متوكّل على الله واثق بكلامه وهو مالكي ومالككم ولا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون علىٰ ما لم يقدّره مَا مِنْ دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا أي الا وهو مالك لها قاهر عليها يصرفها علىٰ ما يريد بها والأخذ بالناصية تمثيل لذٰلك إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إنّه على الحقّ والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم .

العياشي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يعني أنّه علىٰ حق يجزي بالاحسان احساناً وبالسّيء سيّئاً ويعفو عمّن يشاء ويغفر سبحانه وتعالىٰ .

(٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فان تتولّوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فقد أدّيت ما عليّ من الابلاغ والزام الحجّة وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وعيد لهم بالاهلاك والاستبدال وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً بتوليكم إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ رقيبٌ فلا يخفىٰ عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم .

(٥٨) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ تكرير لبيان ما نجّيهم عنه او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضاً والتعريض بأن المهلكين كما عذّبوا بالدنيا فهم معذّبون في الآخرة بالعذاب الغليظ .

(٥٩) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ كفروا بها وَعَصَوْا رُسُلَهُ لأنّهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ يعني رؤساؤهم الدّعاة إلىٰ تكذيب الرّسل .

(٦٠) وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أي جعلت اللعنة تابعةً لهم في الدارين تكبهم[1] في العذاب أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ دعاء عليهم بالهلاك ودلالة بأنّهم كانوا مستوجبين لما نزل بهم وفي تكرير ألا واعادة ذكر عاد

---

١ ـ قوله تعالى فمن يمشي مكبّا اه أي ملقىً على وجهه يقال ذلك لكلّ سايرٍ أي ماش كان على اربع قوائم أو لم يكن يقال كببت فلاناً كبّاً القيته على وجهه فاكبّ هو بالألف وهي من النّوادر التي يعدّى ثلاثيّها دون رباعيّها مـ

تفظيع لأمرهم وحثّهم على الإعتبار بحالهم والحذر من مثل أفعالهم وانّما قيل قوم هود ليتميّزوا عن عاد ارمَ .

القميّ إنّ عاداً كانت بلادهم في البادية من المشرق إلى الأجفر[١] أربعة منازل وكان لهم زرع ونخل كثير ولهم أعمار طويلة وأجسام طويلة فعبَدُوا الأصنام وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنداد فأبوا ولم يؤمنوا بهود وأذوه فكفّت السماء عنهم سبع سنين حتّىٰ قحطوا وكان هود زرّاعاً وكان يسقي الزّرع فجاء قوم إلى بابه يريدونه فخرجت عليهم امرأة شمطاء[٢] عوراء[٣] فقالت من أنتم فقالوا نحن من بلاد كذا وكذا أجدبت بلادنا فجئنا إلىٰ هود نسأله أن يدعو الله حتى يمطر ويخصب بلادنا فقالت لو استجيب لهود لدعا لنفسه فقد احترق زرعه لقلة الماءِ قالوا فأين هو قالت هو في موضع كذا وكذا فجاؤا إليه فقالوا يا نبيّ الله قد أجدبت بلادنا ولم يمطر فسل الله أن يخصب بلادنا ويمطر فتهيّأ للصّلوٰة وصلّى ودعا لهم فقال لهم ارجعُوا فقد أمطرتم وأخصبت بلادكم فقالوا يا نبيّ الله إنّا رأينا عجباً قال وما رأيتم قالوا رأينا في منزلك امرأة شمطاء عوراء قالت لنا من أنتم ومن تريدون فقلنا جئنا إلىٰ هود ليدعو الله لنا فنمطر فقالت لو كان هود داعياً لدعا لنفسه فانّ زرعه قد احترق فقال هود ذاك أهلي وأنا أدعو الله لها بطول البقاء فقالوا وكيف ذٰلك قال لأنّه ما خلق الله مؤمناً إلاّ وله عدّو يؤذيه وهي عدّوي فلأنَ يكون عدّوي ممّن أملكه خير من أن يكون عدّوي وممّن يملكني فبقي هود في قومه يدعوهم الى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتى أخصبت بلادهم وأنزل الله عليهم المطر وهو قوله عزّ وجلّ يا قوم استغفروا ربّكم الآيات فلّما لم يؤمنوا أرسل اللهُ عليهم الريح الصرصر[٤] يعني الباردة وهو قوله تعالىٰ في سورة القمر كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونُذُرِ إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ

---

١ ـ الأجفر موضع بين الخزيميّة وفيدٌ ق والمراد بلادهم في جانب شرق الأجفر ببعد أربعة منازل منه.

٢ ـ في الحديث لا بأس بجزّ الشمط ونتفه وجزّه احبّ اليّ من نتفه وهو بالتّحريك بياض شعر الرأس يخالط سواده والرّجل اشمط والمرأة شمطاء.

٣ ـ عورت العين عوراً من باب تعب نقصت او غارت والرّجل اعور والانثى عوراء مـ

٤ ـ والصِّرة بالكسر شدّة البرد او البرد كالصرّ فيهما واشدّ الصياح وبالفتح الشدّة من الكرب والحرب والحرّ وريح صَرّ وصرصر شديد الصّوت او البُرد وصُرّ النّبات بالضّم اصابه الصّرّ

مستمر وحكي في سورة الحاقة فقال وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّام حسوماً قال كان القمر منحوساً بزجل سبع ليال وثمانية أيّامٍ .

أقول : وقد سبق تمام بيان استيصالهم في سورة الأعراف .

(٦١) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم وموادّ النطف التي خلق نسله منها من التراب وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا استبقاكم من العمر أو أمركم بعمارتها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ منكم مُجِيبٌ لمن دعاه .

(٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هٰذَا نرجو منك الخير لما كانت يلوح منك من مخايلة[1] فكنّا نسترشدكَ في تدابيرنا ونشاورك في أمورنا فالآن انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ من التوحيد والتبري عن الأوثان مُرِيبٍ موقع في الريبة أو ذي ريبة .

(٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بيان وبصيرة وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً نبوة فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ فمن يمنعني من عذابه إِنْ عَصَيْتُهُ في تبليغ رسالته والنهي عن الاشراك به فَمَا تَزِيدُونَنِي اذاً باستتباعكم إيّاي غَيْرَ تَخْسِيرٍ غير أن انسبكم الى الخسران أو غير أن تخسروني بابطال ما منحني الله به .

(٦٤) وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ ترع نباتها وتشرب ماءها وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ عاجلٌ .

(٦٥) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ عيشوا في منازلكم أو بلدكم ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثم تهلكون ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ .

(٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ أي ونجّيناهم من خزي ذلك اليوم وذلّه وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان

---

١ ـ والمخايل جمع المخيلة وهي ما يوقع في الخيال يعني به الإمارات وخلت الشيء خيلاً ومخيلاً ظننته.

هلاكه بغضب الله وبأسه أو أريد بيومئذ يوم القيامة وقرئ يومئذ بفتح الميم بناءً على بنائه حين أضيف إلىٰ إذ إنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ القادر على كل شيء والغالب عليه .

(٦٧) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ميّتين وأصل الجثوم اللّزوم في المكان و قد سبق تفسيره في سورة الأعراف مع تمام القصة .

(٦٨) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوا فِيهَا كأن لم يقيموا فيها أحياءً أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ وقرئ مَنوناً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ .

(٦٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ يعني الملائكة بِالْبُشْرَى ببشارة الولد .

في المجمع عن الصادق عليه السلام كانوا أربعة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وكروبيل[1].

وفيه والعياشي عن الباقر عليه السلام إنّ هذه البشارة كانت باسمٰعيل من هاجر ويأتي من العلل والعياشي انها باسحٰق قَالُوا سَلاَماً سلّمنا عليك سلاماً أي سلامة قَالَ سَلاَمٌ أي أمركم سلام وقرئ سلم بالكسر والسكون فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ مشوّي نضيج[2] .

العياشي عن الباقر عليه السلام يعني زكيّاً مشويّاً نضيجاً وعن الصادق عليه السلام يعني مشويّاً نضيجاً .

وعنه عليه السلام أنه قال كلوا فقالوا لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه فقال إذا أكلتم فقولوا بسم الله واذا فرغتم فقولوا الحمد لله قال فالتفت جبرئيل إلىٰ أصحابه وكانوا أربعة رئيسهم جبرئيل فقال حقّ لله أن يتخذ هذا خليلاً .

(٧٠) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ لا يمدّون إليه أيديهم نَكِرَهُمْ أنكرهم وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً أضمر منهم خوفاً أن يريدوا به مكروهاً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ إنّا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب وانّما لم نمدّ إليه أيدينا لأنّا لا نأكل .

(٧١) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ تسمع محاورتهم وهي سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته .

---

١ - بفتح الكاف وتخفيف الرّاء المضمومة .

٢ - نضج اللّحم والفاكهة نضجاً أي استوى وطاب أكله والاسم النضج بضم النون فهو نضيج .

العياشي عن الباقر عليه السلام إنّما عني سارة فَضَحِكَتْ سروراً و حاضت من الفزع .

في العلل والعياشي عن الباقر عليه السلام يعني تعجبت من قولهم .

وفي المعاني والمجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام حاضت .

والقميّ ضحكت أي حاضت وقد كان ارتفع حيضها منذ دهر طويل .

أقول : ومنه قول الشاعر وعهدي بسلمىٰ ضاحكاً في لبابة ولم تَعْدُ حُقا ثديها أن تحلبا ومنه ضحكت الثمرة [الشجرة خ ل] اذا سال صمغها فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحٰقَ يَعْقُوبَ أي ومن بعدهِ وقيل الوراء ولد الولد وقرىء يعقوب بالرّفع .

(٧٢) قَالَتْ يَا وَيْلَتىٰ يا عجبا وأصله في الشرّ فاطلق في كلّ أمر فظيع ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي زوجي شَيْخاً في العلل عن أحدهما عليهما السلام وهي يومئذ ابنة تسعين سنة وابراهيم يومئذ ابن عشرين ومأة سنة إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ يعني الولد من الهرمين وهو استعجاب بحسب العادة دون القدرة .

(٧٣) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ يعني هذه وأمثالها مما يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوة فليس هذا مكان تعجّب إِنَّهُ حَمِيدٌ فاعل ما يستوجب به الحمد مَجِيدٌ كثير الخير والإحسان .

العياشي عن الصادق عليه السلام قال أوحى الله إلىٰ إبراهيم أنه سيولد لك فقال لسارة فقالت ءَأَلِد وأنا عجوز فأوحى الله إليه أنها ستلد ويعذّب أولادها أربعمأة سنة بردّها الكلام عليّ قال فلما طال علىٰ بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلىٰ موسىٰ وهٰرون نخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومأة سنة قال وقال أبو عبد الله هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا فأمّا اذا لم تكونوا فانّ الأمر ينتهي إلىٰ منتهاه .

(٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ أي ما أوجس من الخيفة يعني لمّا اطمأنّ قلبه بعد الخوف وَجَاءَتْهُ الْبُشْرىٰ بدل الرّوع يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ يجادل رسلنا في شأنهم ومعناهم وكان لوط ابن خالته كما سبق ذكره في سورة الأعراف ومجادلته إيّاهم أنه

قال لهم إن كان فيها مأة من المؤمنين أتهلكونهم فقال جبرئيل لا إلىٰ آخر ما يأتي في قصته .

(٧٥) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ غير عجول علىٰ من أساء إليه بالإنتقام أَوَّاهٌ كثير الدّعاءِ .

العياشي عنهما عليهما السلام قالا دَعّاءٍ مُنِيبٌ راجع إلى الله تعالىٰ بما يحبّ ويرضى والغرض من هذا الكلام بيان الحامل له على المجادلة وهو رقّة قلبه وفرط ترحّمه.

(٧٦) يَا إِبْرَاهِيمَ علىٰ ارادة القول أي قالت الملائكة يا ابراهيم اعْرِضْ عَنْ هٰذَا الجدال وان كانت الرّحمة دأبك فلا فائدة فيه إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ قضاؤه وحُكمه الذي لا يصدر إلا عن حكمة وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ لا مردّ له بجدال ولا غيره .

(٧٧) وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سيىءَ بِهِمْ ساءه مجيئهم لأنّهم جاؤا في صورة غلمان فظنّ أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وضاق بمكانهم ذرعه وهو كناية عن شِدّة الإنقباضِ للعَجز عن مدافعة المكروه وَقَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ شديد .

(٧٨) وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحِشة من أضيافه وَمِنْ قَبْلُ ومن قبل ذلك الوقت كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ الفواحش فتمرّنوا بها ولم يستحيُوا منها حتّىٰ جاؤا يسارعون إليه مجاهرين قَالَ يَا قَوْمِ هٰؤُلآءِ بَنَاتِي فتزوّجوهنّ فدى بهنّ أضيافه كرماً وحميّةً .

في الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام عرض عليهم التّزويج .

والعياشي عن أحدهما عليهما السلام أنّه وضع يده على الباب ثم ناشدهم فقال اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي ثم عرض عليهم بناته بنكاح .

والقميّ مقطوعاً قال عني به أزواجهم وذلك أنّ النبيّ هو أبو أمّته فدعاهم إلى الحلال ولم يكن يدعوهم إلى الحرام هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ هنّ أنظف فعلاً وأقلّ فحشاً قيل يعني أدبارهنّ .

وفي التهذيب والعياشي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن إتيان الرجل المرأة من خلفها قال أحلّه آية من كِتاب اللهِ قول لوط هٰؤلاءِ بناتي هُنّ أطهر لكم وقد علم أنهم لا يريدون الفرج فَاتَّقُوا اللهَ في مواقعة الذكور وَلاَ تُخْزُونِ ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياءِ أو لا تفضحُوني من الخِزي في ضَيْفِي في شأنهم فانّ اخزاءَ ضيف الرّجل اخزاؤه أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يهتدي الى الحقّ ويرعوي عن القبيح .

(٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ من حاجة وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ عنوا إتيان الذّكران .

(٨٠) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً لو قويت بنفسي على دفعكم أَوْ اوي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ أو أويت إلىٰ قويّ أتمنع به عنكم لدفعتكم عن أضيافي شبه القويّ العزيز بالرّكن من الجبل في شدّته ومنعته في الجوامع قال جبرئيل انّ ركنك لشديد افتح الباب ودعنا وإيّاهم .

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام لو يعلم أيّ قوّة له وعن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلىٰ ركن شديد .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنه منصور حيث يقول لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلىٰ ركن شديد أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة .

(٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ أرسلنا لاهلاكهم فلا تغتم لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بسوءٍ أبداً فَاسرِ بِأَهْلِكَ من الإسراء وهو السّير ليلاً وقرىء بالوصلِ من السّرى وهو بمعناه بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ بطائفة منه .

العياشي عن الصادق عليه السلام بقطعٍ من الليل مظلماً قال هكذا قراءة أمير المؤمنين عليه السلام وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ولا يتخلّف أو لا ينظر إلىٰ ورائه إلاَّ امْرَأَتَكَ وقرى بالرفع إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب في الجوامع روي أنّه قال متى موعد اهلاكهم قالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك لضيق صدره بهم فقالوا أليس الصبح بقريب .

في العلل والعياشي عن الباقر عليه السلام فأسر بأهلك يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام ولياليها بقطع من الليل إذا مضى نصف الليل قال فلما كان اليوم الثامن مع طلوع الفجر قدّم الله رسلاً إلىٰ إبراهيم يبشّرونه باسحٰق ويعزونه[1] بهلاك قومْ لوط وذلك قوله تعالىٰ ولقد جاءت رُسُلنا إبراهيم بالبشرى .

(٨٢) **فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا** بأن جعل جبرئيل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ** من طين متحجّر هي معرّبة من سَنْك كل بدليل قوله تعالىٰ حجارة من طين **مَنْضُودٍ** نضد مُعداً لعذابهم أو أرسل بعضه في اثر بعض متتابعاً .

القميّ يعني بعضها على بعض منضّدة **مُسَوَّمَةً** معلّمة للعذاب .

القميّ أي منقوطة **عِنْدَ رَبِّكَ** في خزائنه **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** فانهم بظلمهم حقيق بأن يمطر عليهم روي عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم أنّه سأل عن جبرئيل فقال يعني ظالمي أمّتك ما من ظالم منهم إلاّ هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلىٰ ساعة .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام وما هي من الظالمينْ ببعيد ظالمي أمّتك إن عملوا ما عمل قوم لوط وفيه والعياشي عن الصادق عليه السلام من مات مصرّاً على اللّواط لم يمت حتّىٰ يرميه الله بحجر من تلك الأحجار فيكون فيه منيّته وزاد العياشي ولا يراه أحد .

والقميّ عنه عليه السلام ما من عبد يخرج من الدنيا يستحلّ عمل قوم لوط إلاّ رمى الله كبده من تلك الحجارة تكون منيّته فيها ولكن الخلق لا يرونه .

---

١ ـ العزاء الصّبر يقال عزّيته تعزية فتعزّى « صحاح »

والعياسي عنه عليه السلام عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم لما عمِلَ قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلىٰ ربها حتى بلغ دموعها العرش فأوحى الله عزّ وجلّ إلىٰ السماءِ أن احْصِبهم وأوحىٰ إلى الأرض أن اخسفي بهم .

في الكافي عن الباقر عليه السلام قال كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله فطلبهم إبليس الطلب الشديد وكان من فضلهم وخيرتهم أنّهم اذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم ولم يزل ابليس يعتادهم وكانوا اذا رجعوا خرّب إبليس ما كانوا يعملون فقال بعضهم لبعض تعالوا نرصد لهذا الذي يخرّب متاعنا فرصدوه فاذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان فقالوا له أنت الذي تخرّب متاعنا مرّة بعد مرّة فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه فبيّتوه عند رجل فلّما كان الليل صاح فقال له ما لك فقال كان أبي ينوّمني علىٰ بطنه فقال له تعال فنم علىٰ بطني قال فلم يزل يدلك الرجل حتى علّمه أن يفعل بنفسه فأوّلاً علّمه إبليس والثانية علّمه هو ثم انسلّ ففرّ منهم وأصبحُوا فجعَل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه وهم لا يعرفونه فوضعوا أيديهم فيه حتّى اكتفىٰ الرجال بالرّجالِ بعضهم ببعض ثم جعلوا يرصدون مارّة الطريق فيفعلون بهم حتى تنكّب[1] مدينتهم الناس ثم تركوا نساءهم وأقبلوا علىٰ الغلمان فلما رأى أنّه قد أحكم آمره في الرجال جاء إلى النساء فصّير نفسه امرأة ثم قال إنّ رجالكنّ يفعل بعضهم ببعض قلن نعم قد رأينا ذلك وكلّ ذلك يعظهم لوط ويوصيهم وإبليس يغويهم حتى استغنى النساء بالنساءِ فلما كملت عليهم الحجّة بعث الله جبرئيل وميكائيل واسرافيل في زيّ غلمان عليهم أقبية فمرّوا بلوط وهو يحرث قال أين تريدون ما رأيت أجمل منكم قطّ قالوا إنّا أرسلنا سيدنا إلىٰ رب هذه المدينة قال أو لم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه المدينة يا بَنِيَّ والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتىٰ يخرج الدّم فقالوا أمرنا سيدنا أن نمرّ وسطها قال فلي إليكم حاجة قالوا وما هي قال تصبرون

---

١ ـ نكب عنه كنصر وفرح نكباً ونُكباً ونكوباً عدل كنكب وتنكب ونكبه تنكيباً نحاه لازم متعد وطريق منكوب على غير قصد ونكبة الطّريق ونكب به عدل والنّكب الطرح بالتحريك شبه ميل في الشيء ق.

هيهنا الى اختلاط الظلام قال فجلسوا قال فبعث ابنته فقال جيئي لهم بخبز وجيئي لهم بماءٍ في القَرْعة[١] وجيئي لهم عباءً يتغطون بها من البرد فلّما أن ذهبت الإبنة أقبل المطر والوادي فقال لوط الساعة يذهب بالصّبيان الوادي قال قوموا حتى نمضي وجعل لوط يمشي في أصل الحائط وجعل جبرئيل وميكائيل واسرافيل يمشون وسط الطريق فقال يا بَنِيَّ إمشُوا هيهنا فقالوا أمرنا سيّدنا أن نمرّ في وَسَطها وكان لوط يستغيث الظلام ومرّ إبليس فأخذ من حجر امرأة صبيّاً فطرحه في البئرِ فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط فلّما أن نظروا إلى الغلمان في منزل لوط قالوا يا لوط قد دخلت في عملنا فقال هٰؤلاءِ ضيفي فلا تفضحون في ضيفي قالوا هم ثلاثة خذ واحداً وأعطنا اثنين قال وأدخلهم الحجرة وقال لوط لو أنّ لي أهل بيت يمنعوني منكم قال وتدافعوا علىٰ إلباب وكسروا باب لوط وطرحوا لوطاً فقال له جبرئيل إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليكَ فأخذ كفّاً من بطحاء[٢] فضرب بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فعمي أهل المدينة كلّهم وقال لهم لوط يا رسل ربّي فما أمركم ربي فيهم قالوا أمرنا أن نأخذهم بالسّحر قال فلي إليكم حاجة قالوا وما حاجتك قال تأخذونهم السّاعة فانّي أخاف أن يبدوَ لربّي فيهِم فقالوا يا لوط إنّ موعدهم الصبح أليسَ الصبح بقريب لمن يريد أن يأخذ فخذ أنت بناتك وامض ودع امرأتك .

وفيه والعياشي عن الصادق عليه السلام أنّ الله بعث أربعة أملاك في اهلاك قوم لوط جبرئيل وميكائيل واسرافيل وكروبيل فمرّوا بابراهيم وهم معتمّون فسلّموا عليه فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال لا يخدم هؤلاء أحد الا أنا بنفسي وكان صاحب ضيافة فشوىٰ لهم عجلاً سميناً حتى انضجه ثمّ قربه إليهم فلّما وضعه بين أيديهم رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلما رأىٰ ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه وعن رأسه فعرفه إبراهيم فقال أنت هو قال نعم ومرّت سارة امرأته فبشرّها باسحٰق

---

١ ـ القَرعة واحدة القرع وهو حمل اليقطين يجعل وعاء منه رحمه الله

٢ ـ البطح ككتف والبطحة والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى ق.

ومن وراءِ اسحٰق يعقوب فقالت ما قال الله عزّ وجلّ وأجابوها بما في الكتاب العزيز فقال لهم إبراهيم لماذا جئتم قالوا في اهلاك قوم لوط فقال لهم إن كان فيها مأة من المؤمنين أتهلكونهم فقال جبرئيل لا قال فان كان فيها خمسون قال لا قال فان كان فيها ثلاثون قال لا قال فان كان فيها عشرون قال لا قال فان كان فيها عشرة قال لا قال فان كان فيها خمسة قال لا قال فان كان فيها واحد قال لا قال فانّ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينّه وأهله الاّ امرأته كانت من الغابرين قال الرّاوي لا أعلم هذا القول الاّ وهو يستبقيهم وهو قول اللهِ يجادلنا في قوم لوط فأتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب القرية فسلّموا عليه وهم معتمّون فلما رأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمايم بيض فقال لهم المنزل فقالوا نعم فتقدّمهم ومشوا خلفه فتندم علىٰ عرضه المنزل عليهم فقال أيّ شيء صنعت آتي بهم قومي وأنا أعرفهم فالتفت إليهم فقال انّكم لتأتون شراراً من خلق الله قال تعالىٰ لجبرئيل لا تعجل عليهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرئيل هذه واحدة ثم مشى ساعة ثم التفت إليهم فقال انكم لتأتون شراراً من خلق الله قال جبرئيل هذه ثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال انكم لتأتون شراراً من خلق الله فقال جبرئيل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلّما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخّنت فلما رأوا الدخان أقبلوا يهرعون حتى جاؤا إلى الباب فنزلت إليهم فقالت عنده قوم ما رأيت قوماً قط أحسن منهم هيئة فجاؤا إلىٰ الباب ليدخلوا فلما رآهم لوط قام إليهم فقال لهم يا قوم اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال هؤلاءِ بناتي هنّ أطهر لكم فدعاهم إلى الحلال فقالوا لقد علمت ما لنا في بناتكَ من حق وانّك لتعلم ما نريد فقال لهم لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد فقال جبرئيل لو يعلم أيّ قوة له قال فكاثروه حتى دخلوا البيت فصاح بهم جبرئيل وقال يا لوط دعهم يدخلون فلما دخلوا أهوىٰ جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قول الله فطمسنا أعينهم ثم ناداه جبرئيل فقال له إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطعٍ من الليل وقال له

جبرئيل إنّا بعثنا في اهلاكهم فقال يا جبرئيل عجّل فقال إنّ موعدهم الصّبحُ أليس الصبح بقريب فأمره فيحمل هو ومن معه الا امرأته ثم اقتلعها يعني المدينة جبرئيل بجناحه من سبعة أرضين ثم رفعها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الدّيوك ثم قلبها وأمطر عليها وعلىٰ من حول المدينة حجارة من سجيل .

أقول : وقد سبق نبذ من قصّة قوم لوط في سورة الأعراف ويأتي طرف آخر منه في سورة الحجر ان شاء الله .

القميّ قد ذكر قصة ابراهيم ولوط ببيان مبسوط من غير اسناد إلىٰ معصوم فيها أشياء غير ما ذكرنا من أرادها رجع إليها .

(٨٤) وَإِلىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ مضى تفسيره في سورة الأعرافِ **وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرٰيكُمْ بِخَيْرٍ** بسعة تغنيكم عن البخس .

في الفقيه والعياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية كان سعرهم رخيصاً **وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ** مهلك من قوله وأحيط بثمره أو لا يشذّ منه أحد منكم .

(٨٥) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ صرّح الأمر بالايفاء بعد النهي عن ضدّه مبالغة وتنبيهاً علىٰ أنّه لا يكفيهُم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتىٰ بدونها **بِالْقِسْطِ** بالعدل والسوية .

في الكافي عن الباقر عليه السلام وجدنا في كتاب رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم إذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص وفي رواية أخرىٰ وشدة المؤنة وجور السلطان **وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** تعميم بعد تخصيص فانه أعمّ من أن يكون في المقدار أو في غيره **وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** هذا أيضاً تعميم بعد تخصيص فانّ العثو يعمّ تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد من السرقة والغارة وقطع السبل وغير ذلك .

(٨٦) بَقِيَّتُ اللهِ ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام خَيرٌ لَكُمْ مما تجمعون بالتطفيف إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بشرط الإيمان إذ الثواب والنجاة من العقاب لا يحصلان إلاّ به أو يريد إن كنتم مصدقين لي في نصيحتي وَمَآ أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ أحفظ عليكم أعمالكم .

في الكافي عن الباقر عليه السلام أنه صعد جبلاً يشرف علىٰ أهل مدين حين أغلق دونه باب مدين ومنع أن يخرج إليه بالأسواق فخاطبهم بأعلىٰ صوته يا أهل المدينة الظالم أهلها انا بقيّة الله يقول الله بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قال وكان فيهم شيخ كبير فأتيهم فقال لهم يا قوم هذه والله دعوة شعيب النبي عليه السلام والله لئن لم تخرجوا إلىٰ هذا الرجل بالأسواق لتؤخذنّ من فوقكم ومن تحت أرجلكم الحديث .

وفي الإكمال عنه عليه السلام أوّل ما ينطق به القائم عليه السلام حين خرج هذه الآية بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ثم يقول أنا بقيّة الله وحجّته وخليفته عليكم فلا يسلّم عليه مُسلّم إلاّ قال السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه .

(٨٧) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلٰوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا من الأصنام يعني تأمرك بأن تكلّفنا ذلك أجابوا أمرهم بالتوحيد على الإستهزاء به والتهكم بصلوٰته والإشعار بأنّ مثله لا يدعو إليه داع عقليّ وانما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوٰة ولذلك جمعُوا وخصُّوا بالذكر وقرء على الإفراد أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ أو نترك فعلنا في أموالنا وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالايفاء إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قيل أرادوا بذلك نسبته إلىٰ غاية السفه والغيّ ليتهكموا فعكسوا به .

والقميّ قالوا إنّك لأنت السفيه الجاهل فحكى الله عزّ وجلّ قولهم فقال إنّك لأنت الحليم الرشيد .

(٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي قيل إشارة إلىٰ ما آتاه

الله من العلم والنبوة وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً قيل اشارة إلىٰ ما آتيه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذه الأنعام أن أخون فى وحيه وأخالفه في أمره ونهيه ولا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن القبايح وانّما بعثني لذلك وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ يعني وما أريد أن أسبقكم إلىٰ شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبدّ بها دونكم إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ ان أصلحكم مَا اسْتَطَعْتُ ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصّلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه والجواب الأوّل إشارة إلىٰ مراعاة حق الله والثاني إلىٰ مراعاة حق النفس والثالث إلىٰ مراعاة حق الناس وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ الا بهدايته ومعونته عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فانه القادر المتمكن من كلّ شيء دون غيره وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدء وَإِلَيْهِ أُنِيبُ اشارة الى معرفة المعاد نبّه بهذه الكلمات علىٰ اقباله على الله بشراشره فيما يأتي ويذر وحسم اطماع الكفار وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء .

(٨٩) وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ لا يكسبنّكم شِقَاقِي خلافي ومعاداتي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ هُودٍ من الريح أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ من الرّجفة وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم

(٩٠) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ عما أنتم عليه إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ عظيم الرّحمة متودّد علىٰ عباده مريد لمنافعهم وهو وعد على التوبة الوعيد على الإصرار .

(٩١) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ما نفهم كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيكَ فِينَا ضَعِيفاً لا قوّة لك ولا عزّ فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهاً .

القميّ وقد كان ضعف بصره وَلَوْلاَ رَهْطُكَ قومك وعزّتهم عندنا لكونهم علىٰ ملّتنا لَرَجَمْنَاكَ لقتلناك شرّ قتلة وَمَآ أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ فتمنعُنا عزّتك عن القتل بل رهطك هم الاعزّة علينا .

(٩٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآئِكُمْ ظِهْرِيّاً وجعلتموه كالمنسيّ المنبوذ وراءَ الظهر لا يعبؤ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فلا يخفىٰ عليه شيء منها .

(٩٣) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ قارّين علىٰ ما أنتم عليه من الشرك والعداوة إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ مَنِ المعذب والكاذب مني ومنكم سبق مثله في سورة الأنعام وَارْتَقِبُوا وانتظروا ما أقول لكم إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ منتظر .

في الإكمال والمجمع عن الرضا عليه السلام ما أحْسَنَ الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله عزّ وجلّ وارتقبوا إنّي معكم رقيب .

والعياشي عنه عليه السلام إنّ انتظار الفرج من الفرج ثم تلا هذه الآية وفي المجمع عن النّبيّ صلىً الله عليه وآله وسلم كان شعيب خطيب الأنبياء .

(٩٤) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا إنّما ذكر هنا وفي قصة عاد بالواو وفي قصّتي صالح وهود بالفاء لسبق ذكر وعد يجري مجرىٰ السبب في قصتي صالح وهود دون الآخرين وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ في الجوامع روي أنّ جبرئيل صاح بهم صيحة فزهق روح كلّ واحد منهم حيث هو فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ .

(٩٥) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا كأن لم يقيموا فيها أحياءً أَلاَ بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ قيل شبّههُم بهم لأنّ عذابهم كان أيضاً بالصّيحة غير أنّ صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم .

(٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ بالمعجزات القاهرة والحُجَج الباهرة .

(٩٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ أمره بالكفر بموسىٰ وَمَا أَمْرُ

فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ما في أمره من رشدٍ إنّما هي غيّ وضلال .

(٩٨) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه كما كان لهم قدوة في الضلال في الدنيا فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقّقه وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ بئس الورد الذي يردونه النار لأنّ الورد وهو الماء الذي يورد إنّما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضدّه .

(٩٩) وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدنيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أي يلعنون في الدنيا والآخرة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ رفدهم لأنّ الرفد وهو العون والعطاء إنّما يراد للنفع واللعنة مدرّ للعذاب في الدارين .

القميّ في هذه لعنة يعني الهلاك والغرق ويوم القيامة رفدهم الله بالعذاب .

(١٠٠) ذٰلِكَ أي ذلك النبأ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرىٰ المهلكة نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ باق كالزرع القائم وَحَصِيدٌ ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود .

والعياشي عن الصادق عليه السلام إنّما قرّ فمنها قائماً وحصيداً بالنصب قال لا يكون الحصيد إلاّ بالحديد (١) .

(١٠١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا إيّاهم وَلٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أي عذابه ونقمته وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ غير تخسير .

(١٠٢) وَكَذٰلِكَ ومثل ذلك الأخذ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرىٰ أي أهلها وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وجيع صعبٌ .

في المجمع عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم أنّ الله يمهل الظالم حتى إذا

---

١ ـ أي لا يكون الاّ بالسّيف والرّمح والسّهم ونحو ذلك والظاهر انه مستأنف منفصل عما قبله لا انه علّة لقراءة النّصب بل بيان المراد مرفوعاً او منصوباً وعلى تقدير النّصب يكون التقدير منها ابقى قائماً ومنها احصد حصيداً على انّهما حالان مؤكد ان مثل زيد ابوك عطوفاً.

أخذه لم يسلته ثم تلا هذه الآية .

(١٠٣) إِنَّ فِي ذٰلِكَ أي فيما نزل بالأمم الهالكة لآيَةً لعبرةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ لعلمه بأنه أنموذج منه ذٰلِكَ أي يوم القيامة وعذاب الآخرة يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ الأولون والآخرون وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ كثير شاهدوه .

القميّ يشهد عليه الأنبياء والرّسل وقيل مشهود فيه أهل السموات والأرضين .

والعياشي عن أحدهما عليهما السلام في هذه الآية فذلك يوم القيامة وهو اليوم الموعود .

وفي الكافي عن السّجّاد في كلام له في المواعظ والزّهد وأعلم أنّ من وراءِ هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذٰلك يوم مشهود يجمعُ الله عزّ وجلّ فيه الأولينَ والآخرين .

(١٠٤) وَمَا نُؤَخِّرُهُ أي اليوم إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ الا لانتهاءِ مدّة معدودة متناهية .

(١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ وقرئ بحذفِ الياءِ لاَ تَكَلَّمُ لا تتكلم نَفْسٌ بما ينفع وينجي إِلاَّ بِإِذْنِهِ باذن الله كقوله لا يتكلّمُون إلا من اذن له الرّحمٰن ورضي له قولاً وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله هذا يوم لا ينطِقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في مواطن أخر منها كما في التوحيد عن أمير المؤمنين فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وجَبَت له النار بمقتضى الوعيد وَسَعِيدٌ وَجَبت له الجنّة بموجب الوعد .

(١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شُقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ الزّفير اخراج النّفسَ والشهيق ردّه دلّ بهما على شدّة كربهم وغمّهم .

(١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ .

١٠٨) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ غير مقطوع .

القميّ في هذه الآية يوم يأتي والتي بعدها هذا في نار الدنيا قبل يوم القيامة قال وامّا قوله وأمّا الذينَ سُعدوا ففي الجنّةِ خالدين فيها يعني في جنان الدّنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ما دامَت السّموات والأرضُ إلاّ ما شَاءَ رَبّك عطاءً غير مجذوذ يعني غيرُ مقطوع من نعيم الآخِرة في الجّنةِ يكون متّصلاً به قال وهو ردّ علىٰ من أنكر عذاب القبر والثّواب والعقاب في الدّنيا والبرزخ قبل يوم القيامة .

أقول : ويؤيّد هذا التفسير قوله تعالىٰ النّارُ يعرضون عليها غدّواً وعشيّاً .

قال الصادق عليه السلام إنّ هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة إذ لا غدوّ ولا عشيّ في القيامة ثم قال ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ يومَ تقوم السّاعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ويؤيّد أيضاً قوله ما دامت السّموٰات والأرض يعنى سموٰات الدنيا وأرضها كما هو معلوم .

والعياشي عن الباقر والصادق عليهماَ السلام ما معناه أنّ المراد بالجنّة والنّار في هٰذه الآية ولاية آل محمّد صلىَّ الله عليه وآله وسلم وولاية أعدائهم .

قال قال الصادق عليه السلام قال الجاهل بعلم التفسير إنّ هذا الاستثناء من الله إنّما هو لمن دخل الجنّة والنّار وذٰلك أنّ الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان وليس فيهما أحد وكذبوا قال والله تبارك وتعالىٰ ليس يخرج أهل الجنّة ولا كلّ أهل النار منهما أبداً كيف يكون ذٰلك وقد قال الله تعالىٰ في كتابه ماكثين فيه أبداً ليس فيهِ استثناء .

وقال الباقر عليه السلام هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من أهل الشقاوة والسّعادة .

(١٠٩) فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ فِي شَكٍّ مِّمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلاَءِ بعدما أنزل عليك من هذه القصَص في سوءِ عاقبة عبادتهم للأوثان وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية

لرَسُولِ الله صلىَّ الله عليه وآله وسلم ووعد له بالانتقام منهم ووعيد لهم **مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ** أي حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالتين فينزل بهم مثل ما نزل بآبائهم تعليل للنّهي عن المرية **وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ** حظّهم من العذاب كآبائهم **غَيْرَ مَنْقُوصٍ** بلا نقص .

(١١٠) **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ** فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن .

في الكافي عن الباقر عليه السلام اختلفوا كما اختلف هذه الأمّة في الكتاب وسيختلِفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به حتّى ينكره ناس منهم فيقدّمهم فيضرب أعناقهم **وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ** يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة **لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ** بانزال ما يستحقه المبطل ليتميّز عن المحقّ **وَإِنَّهُمْ** وان كفّار قومك **لَفِي شَكٍّ مِنْهُ** من القرآن مُرِيبٍ موقع للريبة .

(١١١) **وَإِنَّ كُلاًّ** وانّ كل المختلفين المؤمنينَ والكافِرين **لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ** .

القميّ قال في القيامةِ قيل اللّام في لما توطئة للقسم والأخرىٰ للتوكيد او وما مزيدة للفصل بينهما يعني وان جميعهم والله ليوفينّهم ربّك جزاء أعمالهم وقرئ أن بالتخفيف من المثقلة على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتباراً لأصلها ولما بالتشديد علىٰ أنّ أصله لمن ما يعني لمن الذين يوفيّهم وقرئ أُبيّ وان كلّ بالرّفع ولما بالتشديد على أنّ إنْ نافية ولّما بمعنى الا ويؤيّده قراءة الإمكان لّما **إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** فلا يفوت عنه شيء وان خفي .

(١١٢) **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** على جادة الحق غير عادل عنها وهي شاملة للعقايد والأعمال **وَمَنْ تَابَ مَعَكَ** وليستقم من تاب من الكفر وآمن معك **وَلاَ تَطْغَوْا** ولا تخرجوا من حدود الله **إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** فهو مجازيكم عليه

في الجوامع عن الصادق عليه السلام فاستقم كما أمرت أي افتقر إلى الله

بصحة العزم وعن ابن عباس ما نزلت آية كان أشق علىٰ رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم من هذه الآية ولهذا قال شيّبتني هود والواقعة واخواتهما .

(١١٣) وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ولا تميلوا إليهم أدنىٰ ميل فانّ الرّكون هو الميل اليسير فَتَمسَّكُمُ النَّارُ بركونكم إليهم .

في المجمع عنهم عليهم السلام أنّ الركون المودّة والنصيحة والطاعة والقميّ مثله .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام هو الرّجل يأتي السلطان فيحبّ بقاءه إلىٰ أن يدخِل يده كيسه فيعطيه والعياشي عنه عليه السلام أما انّه لم يجعلها خلوداً ولكن تمسّكم فلا تركنوا إليهم وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيآءَ من أنصار يمنعون العذاب عنكم ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ ثمّ لا ينصركم الله .

(١١٤) وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ وساعات من الليل قريبة من النهار من أزلفه إذا قرّبه وهو جمع زلفة .

في التهذيب عن الباقر عليه السلام طرفاه المغرب والغداة وزلفاً من الليل هي صلوٰة العشاءِ الآخرة .

والعياشي عن الصادق عليه السلام مثله إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ يكفّرنها .

وفي الحديث النّبويّ المشهور إنّ الصلوٰة إلى الصلوة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكبايِر .

وفي الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيئة ثم تلا الآية .

وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية صلوٰة المؤمن باللّيل يذهب بما عمل من ذنب بالنّهار والقميّ مثله .

وفي الكافي عنه عليه السلام قال قال رسول الله صلىً الله عليه وآله وسلم أربع من كنّ فيه لم يهلك على الله بعدهنّ الا هالك تهمّ العبد بالحسنة فيعملها فان هو

لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيّة وان هو عملها كتب الله له عشراً ويهمّ بالسّيّئة أن يعملها فان لم يعملها لم يكتب عليه شيء وان هو عملها أجّل سبع ساعات وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها فان الله عزّ وجلّ يقول إنّ الحَسَنات يذهبن السيئات او الاستغفار فان هو قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذو الجلال والاكرام واتوب إليه لم يكتب عليه شيء وان مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السّيّئات اكتب على الشّقيّ المحروم .

وفي المجمع والعياشي عنه عليه السلام اعلم أنّه ليسَ شيء اضرّ عافية ولا أسرع ندامةً من الخطيئة وانّه ليس شيء أشدّ طلباً ولا أسرع دركاً للخطيئة من الحسنة أما أنّها لتدرك الذّنب العظيم القديم المنسيّ عند صاحبه فتحطّه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قوله سبحانه انّ الحسناتِ يذهبن السّيّئات ذلك ذكرىٰ للذّاكرين، وعن أحدهما عليهم السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال سمعت حبيبي رسول الله صلىّ الله عليه وآله وسلم يقول أرجى آية في كتاب الله أقم الصّلوٰة طرفي النّهار وقرأ الآية كلّها وقال يا عليّ والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً انّ أحدكم ليقوم إلىٰ وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فاذا استقبل الله بقلبه ووجهه لم ينفتِل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمّه فان أصاب شيئا بين الصلوتين كان له مثل ذلك حتّى عدّ الصلوات الخمس ثم قال يا عليّ إنّما مثل الصّلوات الخمس لأمّتي كنهر جار علىٰ باب أحدهم فما يظن أحدهم اذا كان في جسده درن ثمّ اغتسل في ذلك النّهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصّلوٰات الخمس لأمّتي ذٰلِكَ قيل إشارة إلىٰ قوله فاستقم وما بعده ذِكْرىٰ لِلذَّاكِرِينَ عظة للمتّعظين .

(١١٥) وَاصْبِرْ على الطاعات وعن المنهيّات فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحسِنِينَ عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصُود .

(١١٦) فَلَوْلاَ كَانَ فهلاّ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ من الرأي والعقل

والفضل وانّما سمّي بقيّة لأنّ الرجل يستبقي لنفسه أفضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقيّة القوم أي من خيارهم وقولهم في الزّوايا خبايا وفي الرجال بقايا **يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ** لكن قليلاً منهم أنجيناهم لأنّهم نهوا عن الفساد **وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ** ما أنعموا فيه من الشّهوات أراد بالذين ظلمُوا تاركي النّهي عن المنكرات أي اتّبعُوا ما عوّدوا من التنعّم وطلب أسباب العيش الهَنيء ورفضوا ما وراء ذلك **وَكَانُوا مُجْرِمِينَ** كأنّه أراد بيان سَبَب استيصال الأمَم السالفة وهو فشوّ الظلم فيهم واتباعهم للهوىٰ وتركهم النّهي عن المنكرات .

(١١٧) **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ** منه لهم أو منهم لأنفسهم كشرك ومعصية **وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** فيما بينهم في المجمع عن النّبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلم وأهلها مصلحون ينصف بعضهم من بعضٍ .

أقُولُ : وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوق نفسه دون حقوق عباده ولذا قيل الملك يبقىٰ مع الكفر ولا يبقى مع الظلم .

(١١٨) **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** مسلمين كلّهم ، القميّ أي على مذهب واحِد **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** بعضهم اختار الحق وبعضهم اختار الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقاً .

(١١٩) **إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** الا أناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا علىٰ دين الحق **وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** قيل ان كان ضميرهم للناس فالإشارة الى الإختلاف واللام للعاقبة او إلى الإختلاف وَالرحمة جميعاً وان كان الضمير لمن فالإشارة الى الرحمة .

في الكافي والعياشي والعلل عن الصادق عليه السلام كانُوا أمّة واحدة فبعث الله النّبيّين ليتخذ عليهم الحجّة وفي التوحيد عنه عليه السلام خلقهم فليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم .

وفي الكافي عنه عليه السلام في هذه الآية الناس يختلِفون في اصابة القول وكلّهم هالك إلاّ من رحِم ربّك وهم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله فلذلك

خلقهم يقول لطاعة الإمام

والقميّ عن الباقر عليه السلام قال ولا يزالون مختلفين في الدين إلاّ من رحم ربّك يعني آل محمد صلوات الله عليهم وأتباعهم يقول الله ولذلك خلقهم يعني أهل رحمة لا يختلفون في الدّين .

والعياشي عن السّجّاد عليه السلام في قوله ولا يزالون مختلفين عنى بذلك من خالفنا من هذه الأمة وكلّهم مخالِف بعضهم بعضاً في دينهم وأمّا قوله إلاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم فأولئك أولياؤنا من المؤمنين ولذلك خلقهم من الطّينة الطيبة الحديث **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ** وهي قوله **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** من عصاتهما **أَجْمَعِينَ** .

القميّ وهم الذين سبق الشقاء لهم فحقّ عليهم القول أنّهم للنّار خلقوا وهم الذينَ حقّت عليهم كلمة ربّك أنّهم لا يؤمنون .

(١٢٠) **وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ** نخبرك به **مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** تنبيه على المقصُود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداءِ الرّسالة واحتمال الأذى **وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ** الأنباء المقتصّة عليك **الْحَقُّ** ما هو حق **وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** .

(١٢١) **وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ** حالكم الذي أنتم عليه **إِنَّا عَامِلُونَ** على حالنا .

القميّ أي نعاقبُكم .

(١٢٢) **وَانْتَظِرُوا** بنا الدّوايرَ **إِنَّا مُنْتَظِرُونَ** أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم .

(١٢٣) **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ** لا لغيره **وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ** لا إلى غيره وقرئ بضمّ الياءِ **فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ** فانّه كافيك **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** أنت وهم فيجازي كلاّ بما يستحقّه وقرئ بالياءِ .

في ثواب الأعمال عن الباقر عليه السلام من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النّبيينَ ولمْ تعرف له خطيئة عملها يومَ القيامةِ وَالحمدُللهِ

الموضوع	الصفحة
سورة المائدة وهي ١٢٠ آية	٥ ـ ١٠٥
سورة الأنعام وهي ١٦٥ آية	١٠٦ ـ ١٧٨
سورة الأعراف وهي ٢٠٦ آية	١٧٩ ـ ٢٦٥
سورة الأنفال وهي ٧٥ آية	٢٦٦ ـ ٣١٧
سورة التوبة وهي ١٢٩ آية	٣١٨ ـ ٣٩٢
سورة يونس وهي ١٠٩ آية	٣٩٣ ـ ٤٢٩
سورة هود وهي ١١٢ آية	٤٣٠ ـ ٤٧٨

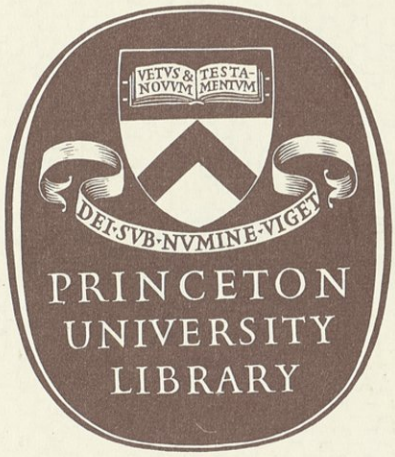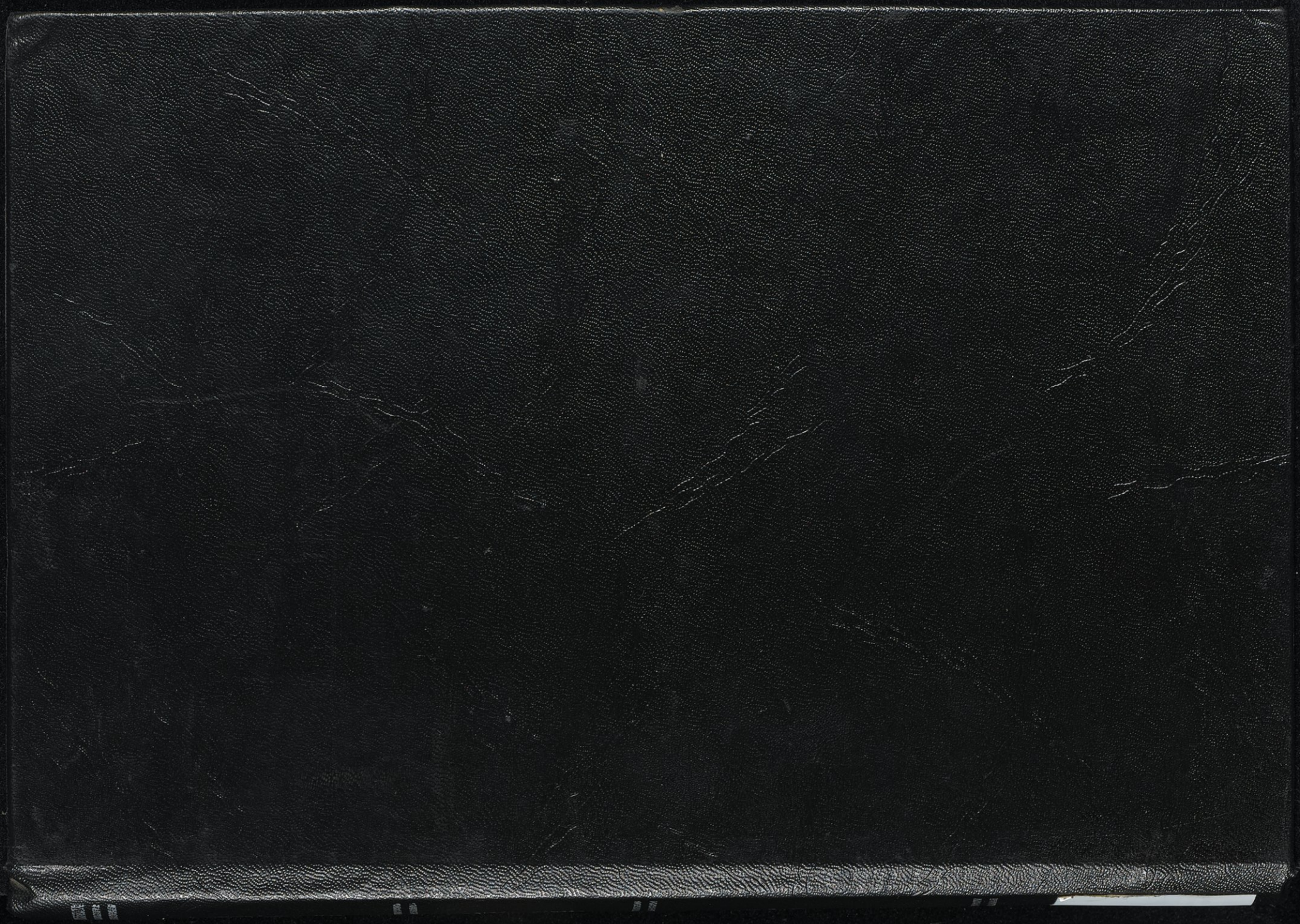
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY